موسوعة الشريف المرتضى

الديوان

تأليف

علم الهدى

السيد علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى

٣٥٥ـ٤٣٦هـ

الجزء الحادي والعشرون

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الدِّيوَانُ

موسوعة الشريف المرتضى

الديوان

تأليف

علم الهدى

السيد علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى

٣٥٥-٤٣٦هـ

الجزء الحادي والعشرون

مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

THE ARABIC HISTORY Publishing & Distributing	مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع

المنوان الجديد

دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف اوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩/ ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth -Lebanon—Airport Road -Behind Golden Plaza—P.O:11/7957—Postal Code:-11/072250 Tel:009611455559 - 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة المرتضى من شعره

سيرة الشريف الإمام على بن الحسين بن موسى المعروف بالمرتضى المتوفى « سنة ٤٣٦ هـ » شقيق الشريف الرضى ـ رحمهما الله ـ معروفة ، وأخباره فى علمه وأدبه ونُبله وديانته مشهورة مدونة فى تضاعيف كتب التاريخ والطبقات .

وحسب المؤرخ الذى يعنيه الوقوف على سيرة الشريف معولاً على النظر فى كتب التاريخ أن يرجع إلى ما كتب عنه فى المصنفات الآتية :

١ ـ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى .

٢ ـ تتمة اليتيمة : لأبى منصور الثعالبى .

٣ ـ التاريخ المعروف بالمنتظم : لأبى الفرج ابن الجوزى .

٤ ـ معجم الأدباء : لياقوت الحموى .

٥ ـ وفيات الأعيان : لابن خلكان .

٦ ـ رياض العلماء : للشيخ عبد الله الملقب بالأفندى .

٧ ـ روضات الجنات : للسيد محمد باقر الخونسارى ، وغير ذلك .

ويبدو لمن يتصفح تاريخ المنتظم أن مؤلفه ابن الجوزى أو بعض مشايخه نظر مليًا فى كتب المرتضى ، وخصوصاً ما صنفه فى الفقه والأصولَيْن ، فعُنِىَ بنقل بعض آراء الشريف عن كتبه المذكورة ، ثم عقّب بالردّ على بعضها ، لذلك جاءت ترجمته فى تاريخ ابن الجوزى منصبة على هذه الناحية حسب .

وقد قال فى آخر الترجمة : « لولا أنّ هذا الكتاب لا يصلح للتطويل فيه بالردّ لبيّنت عَوار كلامه » . وقال قبل ذلك : « كان يقول الشعر الحسن و يميل إلى الاعتزال و يناظر فى كل المذاهب » .

وتتميّز ترجمة صاحب رياض العلماء بالتوسع إذ يستفاد منها أنّ صاحب الرياض وقف بنفسه على جملة من تصانيف المرتضى وتآليفه النادرة .

هذا ولا بدّ لنا من القول أن هناك جانباً لا يستهان به من سيرة هذا الإمام لم يتطرق إليه هؤلاء المؤرخون ولا غيرهم حتى اليوم ؛ لأنّ هذه الناحية من سيرته كما تبدو لنا من خلال ديوان شعره تحتاج إلى تصفح هذا الديوان بأسره وقراءة كلّ قصيدة من قصائده وكل بيت من تلك القصائد والإكباب على تفهمها بدقّة .

وديوان المرتضى – كما لا يخفى – من أكبر الدواوين الشعرية حجماً ، والوقت أضيق من استيعابه ، أو استبطان أغراض صاحبه ومطالبه ، والغور على معانيه ومقاصده ، وهى كثيرة ومتنوعة ؛ هذا من جهة ، والشريف المرتضى من جهة أخرى كان إماماً فى علوم الشريعة وفنون الأدب ، له مكانته ومنزلته الرفيعة فى عصره ، و بالخاصة لدى خلفاء بنى العباس وملوك الديالمة من البويهيين .

وكان له أصدقاؤه ورفاقه وأصحابه الكثر من أمراء الدولة ووجهاء البلاد والصدور والأعيان والأئمّة فى مختلف العلوم والفنون .

ولا حاجة إلى القول بأن الشريف المرتضى الشاعر فى غنًى عن الاسترفاد أو الاستجداء بشعره .

ولا شك أنه نظم بعض القصائد فى المديح والرثاء ، مديح الخلفاء والسلاطين ورثائهم ، وكان الباعث له على طرق هذه الأبواب من النظم ، وفاؤه وصداقته لكثير

من القوم ، لذا جرّد الشريف المرتضى كثيراً من شعره فى معانٍ إخوانية يذكر فيها الصديق والصداقة ، أو فى مقاصد اجتماعيـة ، أو خوالج نفسية ، أو مشاعرات أو منافثات أدبية .

ويلاحظ أن جل أصحابه ، حتى من طبقة الأمراء والسلاطين والخلفاء كانوا على منزلة عالية من المشاركة فى فنون الأدب والشعر واللغـة ، فـكانوا يثيرون قريحته ، وينبهون عاطفته ، فيجود بما تجود به من الشعر .

من ذلك أن الوزير أبا على الحسن بن حمد ، رغب إلى المرتضى أن يعمل أبياتاً تتضمن نقض المعنى الذى قصده جرير بقوله :

تقول العاذلاتُ عَـلاكَ شيبٌ   أهذا الشيبُ يمنعني مَراحِي ؟

فجادت قريحته بمقطوعة مطبوعة يقول فى أولها :

وما مَرَحُ الفتىْ تَزْوَرُّ عنـه   خدودُ البيض بالحدَقِ المِلاحِ

منها : وقالوا : لاجُناحَ ، فقلت كلاَّ   مشيبى وحده فيـكم جُناحِى

مَشيبٌ شُنَّ فى شَعَرٍ سليمٍ   كشنِّ العُرِّ فى الإبلِ الصحاحِ

كأنّى بعـد زَوْرَته مَهيضٌ   أدِفُّ على الوظيف بلا جَناحِ

سَقَى اللهُ الشّباب الغضّ راحاً   عتيقاً أو زلالًا مثلَ راحِ

ليالِىَ ليس لِى خُلُقٌ مَعيبٌ   فلا جِدّى يُذَمّ ولا مِزاحِى

وإذْ أنَا من بطالات التصابِى   ونشوات الغوانى غـيرُ صاحِ

وإذْ أسمـاعُهنّ إلىَّ ميـلٌ   يُصِخن إلى اختيارى واقتراحى

فدونَـكها ابنَ حَمْدٍ ناقضاتٍ   لقول فتى تجـلّد للّواحى

فقال وليس حقّاً كلُّ قولٍ   «أهذا الشّيب يمنعنِي مَراحى»؟

هكذا نزل المرتضى عند اقتراح الوزير المذكور ، ومن ذلك يستفاد أن الوزير يشارك مشاركة حسنة فى الأدب ، ويروى شعر الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، وأكثر من ذلك أن هذا الوزير خبير بمزاج الشريف المرتضى وبفنون الأدب والشعر التى يحسنها .

والمعروف أن الشريف يحسن القول فى الشيب والشباب وله فى ذلك مجموعة معروفة ، ويحسن النظم فى طيف الخيال ، وله فى ذلك أيضاً مجموعه متداولة .

وقد تعاطى النظم فى هذه المعانى بعض فحول الشعراء قبل الشريفين المرتضى والرضى ، ومن أشهرهم أبو عبادة البحترى ، وقد بلغت هذه الصلة الأدبية بين الوزير أبى الحسن على بن حمد والمرتضى حداً من الوثاقة جعلته « أعنى الوزير » يقترح على الشريف نظم قصيدة على لسانه يبعث بها إلى بهاء الدولة (١)

فهى قصيدة قيلت على لسان وزير مرسلة إلى ملك ، والاثنان من أصدقائه فلا مناص من التجويد فيها ، وقد جاءت من محاسن شعره لفظاً ومعنًى يقترحان .

ويلاحظ أن مقترحات هذا الوزير على المرتضى غير قليلة كما يبدو لمن يتصفح هذا الديوان ، وقد سأله مرّة إجازة قول أبى دهبل الجُمَحى (٢) :

---

(١) مطلع القصيدة :

« إياباً أيها المولىٰ إيابا فعبدٌ إنْ أساء فقد أنابا »

راجع « ج ١ ص ٦٤ » من هذا الديوان .

(٢) أبو دهبل : إسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وكان اسم جمح تيما واسم أخيه زيداً ، وهما ابنا عمرو بن هصيص فاستبقا إلى غاية ، فمضى تيم عن الغاية فقيل : جمح تيم ، ووقف عليها زيد فقيل : سهم زيد فسمى سهما ، فأما كنيته فهى مشتقة من الدهبلة ، وهى المشى الثقيل ، والجمحى من شعراء قريش المطبوعين المجودين . راجع « ج ١ ص ١١٦ » من كتاب أمالى السيد المرتضى ط . مصر سنة ١٣٧٣ هـ .

وأبرزها من بطن مكّة بعدما أصات المنادى بالصّلاة وأعتما

وأن يجعل الوصف الذى قصد به أبو دهبل إلى ناقة مصروفاً إلى امرأة ، فقال مرتجلاً فى الحال :

فطيّب « ريّاها » المقام وضوّأت بإشراقها بين الحطيم وزمزما (١)
فيارب إنْ لقّيت وجهاً تحيّـــةً فحىّ وجوهاً فى المدينـــة سُهَّمَا
تجافين عن مسّ الدّهان وطالمـا عصمن عن الحنّـــاء كفاً ومعصما
وكم من جليدٍ لا يخامره الهوى شنَنَّ عليـــه الوجد حتّى تتيّما
أهان لهنَّ النّفسَ وهى كريمـــةٌ وألقى إليهنَّ الحديثَ المكتَّما
تسفّهتَ لمّا أنْ مررتَ بدارها وعوجلتَ دون الحلم أن تتحلّمـا
فعُجْتَ تقرّى دارساً متنكّراً وتسأل مصروفاً عن النّطق أعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلُّنـــا يعدّ مطيعَ الشّوق مَنْ كان أحزما
نُصرتُ بقلبٍ لا يعنّف فى الهوى وعينٍ متى استطمرتُها مطرتْ دما (٢)

كما يلاحظ أيضاً كثرة المقترحات التى ترد عليه من هذا القبيل ومن غير هـذا الوزير ، فطوراً يُسأل إجازة أبيات على وزن مخصوص وقافية ، وتارة يطلب إليه إجازة قول النوّاح المرادى (٣) أو غيره ، إلى هذا وأمثاله .

---

(١) فى الأمالى : « مسراها » بدل « رياها » .
(٢) فى الأمالى : « قطرت » بدل « مطرت » .
(٣) وهذه الأبيات للنواح المرادى الواردة فى الديوان :

يا إبلى روحى على الأضيافِ إنْ لم يكن فيك غبوق كافِ
فأبشرى بالقـدر والاثافى وغارفٍ ومغرفٍ جرّافِ

فأجابه المرتضى بالقصيدة التى أولها :

يا إبلى كونى قِرى الأضيافِ فليس عنـد الجود بالإنصافِ

ولا غرو ، فإنّ الدولة البويهية كانت دولة الأدب والشعر ، وكان شعر المرتضى كشعر أخيه الرضى يعرض بديوان بهاء الدولة ويُقرأ فى مجلسه .

ومن الخلفاء الذين ورد ذكرهم فى شعره أكثر من مرة ، القادر بالله العباسى . وله فيه قصيدة بمناسبة إفضاء الخلافة إليه [1] ، وفى هذه القصيدة يتمدّح المرتضى بأنه من عشيرة الخليفة ، ويقصد بذلك أن الأرومة الهاشمية تجمع بينهما ، وأنه لاغرض له إلا بقاؤه ودوام صلته به .

وفى هذه القصيدة أشار إلى تعذر الوصول إلى سدة هذا الخليفة بعد البيعة ، فمن ذلك قوله :

وأنا الذى يُنمى إليك ولاؤه ... أبداً كما يُنمى إليكم مولدى
أثنِي عليك وبيننا متمنّعٌ ... صعبُ المرام على الرّجال القصّدِ
ولئنْ تحجّب نور وجهك برهةً ... عنّى فهاتيك المناقبُ شُهّدى
ما حاجتى إلاّ بقاؤك سالماً ... تُعلِي مقاماتى وتدنِى مشهدى

والظاهر أن المرتضى كان قبيل البيعة وثيق الصلة به كثير الاجتماع معه .

ولم يكن الشريف المرتضى وحده قريباً من هذا الخليفة ينوّه به فى عدة من قصائده ، بل كان أخوه الرضى مثله فى الاتصال بالقادر وله فى بيعته وصيرورة الخلافة إليه « سنة ٣٨١ هـ » قصيدة مشهورة نذكر منها قوله :

شرف الخلافة يابنى العباس ... اليوم جدّده أبو العباس

---

(١) مطلع القصيدة :

قرّت عيون بنى النبىّ محمّدِ ... بالقادر الماضى العزيمة أحمدِ

« راجع القسم الأول ص ٣٧٢ » من هذا الديوان .

هذا الذى رفعت يديه بناءها ال ... عالى وذاك موطّد الآساس

والطود أبقاه الزّمان ذخــــيرة ... من ذلك الجبـــل الأشم الراسى

وفى هذا الشعر مافيه من الصناعة البديعية ، فأبو العباس الوارد ذكره فى مطلع القصيدة هو القادر بالله ، وأبو العباس هى أيضاً كنية السفاح مؤسس دولة بنى العباس المشار إليه فى البيت الثانى .

هذا ولأبى شجاع صاحب كتاب « ذيل تجارب الأمم » تعليق لطيف على أبيات الرضى أكد فيهـا رأى الرضى بالقادر بالله فى تجديد معالم الخلافة ـ على مايقول ـ ، وكشف الغمّة و إزاحة العلل والفتن عن البلاد ، و يعده أبو شجاع رابع أربعة من بنى العباس هم : السفاح ، والمنصور ، والمعتضد ، ورابعهم القادر ، ووصفه بالورع والزهد وأنه راهب بنى العباس (١) .

ولاتخلو هذه المقالة وغيرها من مقالات بعض المؤرخين فى هذا الصدد من مبالغة .

والخلاصة كان أفراد هذه الأسرة ـ أسرة السيدين المرتضى والرضى ـ من أكثر أعيان عصرهم فى العراق اتصالاً بدار الخلافة العباسـية ، ودار السلطنة البويهية ، وحسبنا أن الشريف أبا أحمد الموسوى ولِىَ عقد الأميرة سكينة ابنة بهاء الدولة على القادر بالله « سنــة ٣٨٤ هـ » ، جاء فى حوادث هذه السنة من ذيل تجــارب الأمم ما يأتى :

وفيها عقد القادر على ابنة بهاء الدولة بصداق مائة ألف دينار بحضرته ، والولى الشريف أبو أحمد بن موسى الموسوى ، وتوفيت قبل النُّقلة (٢) .

---

(١) ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع ط . مصر سنة ١٣٣٤ هـ « ص ٢٠٧ » .

(٢) ذيل التجارب « ص ٢٥٤ » .

هذا ماذكره أبو شجاع فى ذيل تاريخ مسكويه ، والشريف المذكور أبو أحمد هو والد الشريفين المرتضى والرضى كما لا يخفى ، وكانت لهذا الشريف مساع مشكورة فى الإصلاح بين رجال الدولة فى ذلك العصر ، والأمثلة على ذلك غير قليلة فى كتب التاريخ خصوصاً فى التاريخ المسمى بتجارب الأمم لمسكويه ، فلما شجر الخلاف بين أبى القاسم على بن أحمد و بين السلطان بهاء الدولة وترددت الرسائل بينهما فى العودة إلى الوزارة كان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوى .

جاء فى التاريخ المذكور نقلا عن الأستاذ أبى نصر « جاءنى فى أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوى وكان يتهمنى بالميل إلى الشريف أبى الحسن محمد بن عمر و يستوحش منّى لأجله فقال : بلغنى أنك تصعد الليلة إلى بغداد، وما كنت أوثر البعد عن سلطانك ، ولو وقفتَ وتركتنى أتوصف ما بينك و بين الوزير الوارد وأتوثق بكل واحد من صاحبه لكان أولى ، فقلت : قد كنت على العزم الذى بلغ الشريف و إذ قد رأى الصواب لى فى المقام أقمت يومين ، أو ثلاثة ، معولًا على تفضّله فيما يقرره ، وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى إشفاقاً من أن يعرف الوزير خبرى ، فراسله بهاء الدولة فيما يعرفنى به وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تقلّنى الأرض حتى مضيت إلى المضرب ودّعت بهاء الدولة فبكيت و بكى ببكائى وقال : لاتشغل قلبك فإنّى لك على أجمل نيّة ، وما أنفذتك إلاّ إلى مملكتى ، وأين كنت فإنك على بالٍ من مراعاتى وملاحظتى »[1] .

و يلى ذلك تفصيل هذه القضية ، وجاء فى آخرها،أن الأمر فسد بينهم بعد ذلك، وعوّل بهاء الدولة على اعتقال وزيره ، فذكّره الشريف أبو أحمد العهد الذى استقر مع مهذب الدولة فعند ذلك فسح فى عوده مع الشريف أبى أحمد إلى بغداد .

---

(١) ذيل التجارب « حوادث سنة ٣٨٥ » .

ومن الخلفاء الذين ورد لهم ذكر فى الديوان ؛ الطائع وهو من الخلفاء الذين توثقت بينهم و بين الشريف المرتضى أسباب المودة ، ونَفَسُ الشريف المرتضى فى القصائد التى قيلت فيه طويل منها القصيدة التى مطلعها :

ما الحبّ إلّا موئلُ المتعلّلِ و براعة اللّاحى وطَوْلُ العُذَّلِ

وفى هذه القصيدة الطويلة يشير المرتضى إلى الترفع عن الاسترفاد بالشعر و يذم الانتجاع به :

أثنى وما هــذا الثناء لمجتدٍ فلذاك أُبعدُ عن مقال المبطلِ

على أنه يذكر فيها إحساناً للطائع أسداه إليه ، وهناك أبيات فى هــذا الخليفة التمس فيهــا زيارته واستأذنه فى ذلك ، ولا يخفى أن الوصول إلى الخليفة فى عصر الشريف وما إليه كان صعب المنال .

مأساة الطائع

وللطائع مأساة معروفة فى تاريخ بنى العباس فى القبض عليــه على صورة فيهــا شىء كثير من الهوان والصّغار ، وخلعه وأخــذ خطه بالتنازل عن الخلافة « سنة ٣٨١ » واستخلاف القادر بالله وقد تم ذلك فى أيام الملك بهاء الدولة الديلمى ، وفى هــذه الحادثة أفاض رشاش من ذلك الهوان والصّغار من شهد الحادثة فى دار الخلافة ، وكان بحضرة الخليفة المخلوع ، والحاضرون الذين أصيبوا من أعيان بغداد ووجهائها ؛ والقصة مشروحة فى كتب التاريخ،ومهما تفنن المؤرخون والمنشئون فى وصف هــذا الحادث فإنهم لا يلحقون شأو الشريف الرضى شقيق المرتضى الذى بزّهم جميعاً فى وصف ما حدث يوم الدار ، أو يوم خلع الطائع ، وكان الرضى حاضراً

ذلك اليوم فخلّد الحادث بنونيته البليغة السائرة ، و يقول صاحب ذيل تجارب الأمم[1]

« ليس فى قضية الطائع ما هو خليق بالرواية إلّا أبياتاً للرضى أبى الحسن الموسوى ـ رحمه الله ـ فإنه كان من جملة من حضر ، فلما أحسّ بالفتنة أخذ بالحزم و بادر الخروج من الدار ، وتلوّم من تلوّم من الأماثل ، فامتهنوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال :

أعجب لمسكة نفسى بعد ما رُميت ... من النوائب بالأبكار والعونِ
ومن نجاتى يوم الدّار حين هوى ... غيرى ولم أخل من حزمٍ ينجّينى
مَرقتُ منها مروق النّجم منكدراً ... وقد تلاقت مصاريع الرّدى دونى
وكنت أوّل طلّاعٍ ثنيّتها ... ومن ورائِيَ شرٌّ غير مأمونِ
من بعد ما كان ربّ الملك مبتسماً ... إلىَّ أدنيه للنجوى و يدنينى
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه ... لقد تقارب بين العزّ والهونِ
ومنظرٍ كان للسّرّاء يضحكنى ... يا قربَ ما عاد للضرّاء يبكينى
هيهات أغترّ بالسلطان ثانيةً ... قد ضلّ ولّاجُ أبواب السّلاطينِ

ومن المفيد أن نقول إن للشريف الرضى مرثية يرثى بها الطائع المذكور عند وفاته سنة ٣٩٣ هـ[2] .

وللشريف المرتضى مدائح كثيرة ومراثٍ فى ذويه وأهله و بالأخص منهم والده وخاله ، وقصائده من هذا القبيل لا تخلو من حماسة وفخر ، ولكن هذا الباب أعنى الفخر والحماسة فى شعره قليل بالنسبة إلى ما جاء فى شعر أخيه الرضى .

---

(١) ذيل تجارب الأمم : (ص ٢٠١ ـ ٢٠٢) .
(٢) راجع ديوان الرضى « ج ٢ ص ١٨٢ ط . بيروت » .

ومن قصائده السائرة فى مدح خاله الشريف أبى الحسين أحمد بن الحسن الناصر ، القصيدة التي نذكر منها هذه الأبيات المفعمة بالرقة والعذوبة [1] :

يا خليليّ من ذؤابة قيسٍ　　فى التصابى رياضة الأخلاقِ
غنّيانى بذكرهم تطربانى　　واسقيانى دمعى بكأسٍ دهاقِ
وخذا النوم من جفونى فإنّى　　قد خلعت الكرى على العشّاقِ

وهناك غير هؤلاء عدد من الطالبيين والعلويين توثقت رابطة الصداقة والمودة بينه و بينهم ، منهم من مدحهم غير مرّة أو رثاهم ، منهم النقيب أبو الحسن محمد بن على الزينبى المتوفى « سنة ٤٢٧ » فله فيه مرثية عصماء طويلة نذكر منها [2] :

ألا بكّها أمّ الأسى والمصائب　　بدمعك سحًّا بين سارٍ وساربِ
وعاصٍ الذى لم يهمِ ماء جفونه　　على فقد ماضٍ أو على إثر ذاهبِ
ولا تغرنى بالصّبر ، فالصبر ماله　　طريقٌ إلى مافى الحشا والترائبِ
منها : مصاب هوى بالشم من آل هاشمٍ　　وضعضع ركناً من لؤى بن غالبِ
ولم يمض إلّا بالشّواة عن الشّوى　　ولم يرض إلّا بالطُّلى والذّوائبِ
وناعٍ نعى نفسى ولم يدر أنه　　نعاها فأغراها بلدم ترائبِى
منها : تمنّيت لمّا أن أتى وهو صادق　　على الرّغم منّى أنه كان كاذبِى
منها : ولمّا توفّى الزينبى « محمّدٌ »　　وسارت بما لاقاه أيدى الرّكائبِ
نفضت من الخلّان كفّىَ بعده　　ولوّيتُ عن دار الأخوّة جانبى
وغاضت دموعى فى الشؤون فلم تسلْ　　على الذّاهبين بعده والذّواهبِ

---

(١) مطلع القصيدة :

ما رأتنى عيناك يوم الفراقِ　　أخدع القلب بادّكار التلاقى

(٢) راجع « ص ٩٢ وما بعدها » من هذا الديوان .

وآل الزينبي أسرة كبيرة يتردد ذكرهم كثيراً فى تلك الحقبة من الزمن ، كما ورد ذكرهم فى ديوان كل من الشريفين المرتضى والرضى وهم بيت من بيوت العراق فى أواسط الدولة العباسية ، نعتوا على لسان المؤرخين بالنبل والشرف والإمارة وأسندت إلى غير واحد منهم نقابة النقباء .

فمن هم آل الزينبي ؟ وما معنى هذه النسبة ؟ وهل هى نسبة إلى مكان ؛ أم إلى شخص ؟ وهل هؤلاء النقباء عباسيون أم علويون ؟

سكت جل المؤرخين عن التفصيل واكتفوا بالإجمال ، ولم يزيدوا على قولهم : فلان الزينبي ، أو الشريف الزينبي ؛ وهكذا عاد الباحثون بخفّى حنين من مسائلة غير واحد من المؤلفين والمؤرخين ومناشدتهم أيضاً فى إيضاح ماغمض من نواحى هذه المسألة حتى خامرهم شىء من اليأس .

بقى علينا أن نستطلع رأى السمعانى مصنف كتاب الأنساب ، وقصدنا هذا المؤرخ الكبير فلم يخيب لنا أملًا ، والواقع أن السمعانى حقق رغبتنا بل أجابنا جواباً شافياً ولم يكتف ببيان حقيقة هذه النسبة ولا بتعيين أصل آل الزينبي ؛ بل أوضح لنا جوانب غير قليلة من سيرة القوم وأحوالهم وقال لنا إنّ له فى أهل هذا البيت أصحاباً وأصدقاء ومشائخ أخذ عنهم لما دخل بغداد ، فلله درّ محدثنا السمعانى ، ما أبرعه وأكثر فوائد كتابه فى الأنساب : ودونك ما ورد عن آل الزينبي فى الكتاب المذكور وهذا نصه (١) :

الزينبي هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن على، وظنى أنها زوجة إبراهيم الإمام أم محمد بن إبراهيم بن محمد بن على والمنتسب إليها بيت قديم ببغداد ، منهم أبو إسحاق إبراهيم

(١) أنساب السمعانى « ص ٢٨٤ و ٢٨٥ » ، وتجد ترجمة لزينب بنت سليمان العباسية فى قسم تراجم النساء للخطيب البغدادى « ج ١٣ ص ٤٣٤ » .

ابن محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي الزينبي يروى عن أبي طاهر المخلص وابن زنبور الورّاق ، روى لنا عنه أبو نصر الغازى بأصبهان و إسماعيل بن أبي سعد ببغداد ، وشبيب بن الحسين القاضى ببروجرد ، وأبو القاسم (فسلى[1]) بمكة ،وجماعة وتوفى سنة نيّف وسبعين وأربمائة ، وأخوهما [2] أبو الفوارس طراد بن محمد بن على الزينبي النقيب يلقب بالكامل ، يروى عن هلال بن محمد الحفار [3] ، وأبى الحسن بشران وغيرهما . روى لنا عنه أبو الحسن محمد بن طراد الزينبي وأبو القاسم على ابن طراد الزينبي الوزير وسمعت منهما ببغداد .

وكان مولده بشوال « سنة ٣٩٨ » وتوفى فى ذى القعدة « سنة ٤٩١ » ، وأخوهم الرابع نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد بن على الزينبي ، يروى عن ابن المقتدر بالله ، وأبى على الشافعى ، روى لنا عنه جماعة بالشام والعراق وخراسان ، وأبو العباس أحمد بن الهاشم الزينبي من أهل باب البصرة ، يروى عن أبى نصر

---

(١) كذا فى الأنساب .

(٢) جاء فى مختصر الأنساب « لبعض الأفاضل » أن هنا نقصاً فى كتاب أنساب السمعانى ، فإنه لم يذكر إلا زينبياً واحداً هو إبراهيم بن محمد بن سليمان ، فلا يصح قوله : « وأخوهما » ثم إن الثانى هو طراد بن محمد بن على ، فجده على لا سليمان . « الصفار » .

(٣) هو أبو الفتح هلال بن محمد الحفار ، قال الخطيب البغدادى : كتبنا عنه ، وكان صدوقاً ينزل بالجانب الشرقى قريباً من الحطابين ، وسألته عن مولده . فقال : ولد فى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائه ، بعد قتل المقتدر بسنة ونصف ، لأن المقتدر قتل فى سنة عشرين (وثلاثمائة) ، مات هلال الحفار فى يوم الجمعة الثالث من صفر « سنة ٤١٤ » « الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ـ ج ١٤ ص ٧٥ » .

الزينبي ، كتبت عنه ببغداد ، ومات بالبصرة « سنة ٤٢٤ »[١] وجماعة بهذه النسبة لا أدرى نسبوا لأى الزيانب ، منهم على بن هارون الزينبي ، يروى عن مسلم بن خالد (الزنجى)[٢] ، روى عنه عبد الله بن محمد بن موسى ، ويوسف بن سعيد بن مسلم ، وأبو العباس بن الوليد . . . الزينبي ، روى عن عدة وهو آخر من حدّث عنه وعن عوذة بن خليفة ، روى عنه عبد الله بن محمد بن موسى الكعبي النيسابورى ، وذكر عنه أنه سمع منه بمكة محمد بن موسى الزينبي .

فلا عجب أن تتوثق مثل هذه الصلات بينه وبين هؤلاء النقباء العلويين . فإنه أمر يقتضيه مركزه من النقابة الذى تقلده أكثر من مرة .

على أن صاحب الديوان مُنيَ بعدد غير قليل من الخصوم والحسّاد ، وبعضهم من أسرته ، ومن أشهر قصائده التى يعرض فيها بخصومه وحساده قصيدة معروفة استهلها بقوله :

علَّ البخيلة أن تجود لعاشق ... ما زال يقنع بالخيال الطارق

وله قصيدة أخرى تعد من عيون شعره الجزل قالها فى هذا المعنى أيضاً التى مطلعها :

* خليليّ ألاّ عجتما بالقلائص *

والتى يقول فيها :

بنى عمّنا كم نكظِمُ الغيظ منكم ... على لاذعاتٍ بيننا وقوارصِ
وددتمْ بأنّ المجد أصبح شارداً ... وليس لنا فيه اقتناصٌ لقانصِ

---

(١) فى المختصر المذكور « سنة ٥٣٣ » (الصفار) .
(٢) كذا فى الأنساب للسمعانى « ورقة ٢٨٤ » .

الشاعر العالم

و يأبى شعر المرتضى وأدبه إلّا أن ينمّ على خلقه ومسلكه فى الحياة ، وهو كما لا يخفى مسلك أحد أئمة العلم والديانة ، وهو صاحب مدرسة تخرج فيها كثير من الفقهاء والمتكلمين ، ونلاحظ أن شعره من بعض النواحى مرآة تنطبع على صفحتها أخلاق العالم الخبير بأمور الدنيا ، المرشد المبصر بأمور الآخرة ، ومن المعانى التى تطرق إليها فى قصائده ، ذم الدنيا ، وشكوى الزمان ، وذكر المصائب التى تعرض لكثير من ذوى الأقدار والفضيلة فيها ، و يأخذ عليها تنكرها ، وتقلب أحوالها من مكاشفة إلى صداقة ، ومن رفاهية إلى إضاقة ، ومن فرج إلى إعسار ، وما إلى ذلك .

و يستوحى معانيه الشعرية من هذا الباب من نظره إلى القبور الدوارس ، وقد أثارت شعوره مرة مرأى المقبرة العتيقة المجاورة لمسجد براثا ـ صلوات الله على صاحبه ـ فاستوحى خشوعها ودثورها ، ومظهر العبرة فيها بقصيدة حسنة فإذا هو فى هذا الموقف ذلك الإمام الذى يأبى إلاّ أن ينم عليه شعره ، فكم من شاعر يا ترى مرّ بهذه المقبرة ـ مقبرة مسجد براثا ـ قبل الشريف المرتضى و بعده فلم يستوحها ولو ببيت واحد من الشعر ، وفى هذه القصيدة يقول :

إنى مررت على جنا ... دل فوق أرماس دروسِ
فكأنهنّ من البلى ... آثار نِقْسٍ فى طروسِ
كم ضمّنت من ضيغمٍ ... قَرِمٍ إلى قنص النفوسِ
وغرير ماء الوجنتين ... كريم ناحية الجليسِ

وكأنهم لخفوتهم شَرْبٌ تساقوا بالكؤوسِ
تخذوا الثرى فرشاً لهمْ وتوسّدوا قالَ الرؤوسِ
ياللثرى كمْ فيه من عِلقٍ يُضَنّ به نفيسِ !

وشعره من هذا القبيل يذكرنا ببعض خطب الإمام عليّ عندما كان يزور المقابر ، ولاشك أن الشريف المرتضى ورث هذه النظرة إلى الحياة فيما ورث عن أجداده عليهم أفضل الصلاة والسلام (١) .

محمد رضا الشبيبي

---

(١) أملى على العلامة الهمام الذائع الصيت معالى الأستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ حفظه الله ـ هذه المقدمة القيمة فى بضع ساعات فى ليال متفرقات ، بعد أن تصفح قسما من الديوان تصفحاً عابراً حيث العجلة كانت تقتضى ذلك لما اكتنفته من ظروف البحوث والمراجعات لذا جاءت الكلمة مقتضبة ، ولو أتيحت له الفرصة لكانت بحجم الديوان أو تزيد عليه ـ أبقاه المولى تعالى لنا وللعلم والأدب معقلا ونبراساً . (الصفار) .

مقدمة

العلامة الدكتور مصطفى جواد

فى الأدب العربى كنوز لا تزال بين مذخورة ومهجورة ومطمورة ، ولا تزال العرب فى غفلة عنها أو صدوف وعزوف ، وهذا أمر يحدو على الأسف ويبعث على الترثّى ، ولا سيّما بعد أن رأينا شغف الأمم المتمدنة بنشر آدابها وتكرر النشر مثنى وثلاث ورباع ، وشدة فحصها عن الأدب غير المنشور ، وإخراجه للشعب فى أبهى حلل النشر وأبهر معارض الطبع ، وأجمل التعبير والتحرير .

فنشر الأمة لآثار أدبائها ومآثر علمائها ، من أول الأمارات على يقظتها الروحية، ونباهتها العقلية ، وكرامتها القومية ، ومشاركتها فى إعلاء صرح الحضارة البشرية ، وتشييد الثقافة الإنسانية ، فضلًا عن المتعة الفذة التى تجدها فى تلك الآثار ، واللذة العقلية التى تلتذها بقراءتها ، والفوائد التاريخية التى تستخرجها منها ، والفوائد اللغوية التى تجنيها من مغانيها .

ومن تلك الكنوز الأدبية الشعرية التى لا يزال جيد الآداب العربية المنشورة منها عاطلًا ، ديوان الشريف المرتضى ، علم الهدى ذى المجدين أبى القاسم على بن الحسين العلوى الموسوى البغدادى نقيب نقباء الطالبيين ، وفقيه الشيعة الإمامية الأوحد فى عصره ، وعلامة المفسرين المتصرفين بفنون القول ، وشيخ الأدباء فى دهره ومرجعهم فى أدبهم وحاجاتهم ، والقائم بأمور دار العلم التى كانت أعظم معهد للعلوم والآداب إذ ذاك .

وإنك لواجد في تصدير هذا الديوان دراسة مستفيضة ضافية لسيرة المرتضى ونسبه وأدبه وألقابه وكناه وشمائله وأوصافه ومناصبه ومراتبه ، وآثاره العلمية وآثاره الأدبية ، ودراسته ومشايخه وآرائه وفلسفته ومقالته ، ومكانته الاجتماعية ومكانته السياسية ، وغير ذلك .

وكان ديوانه الشعرى الضخم مُغفلًا مُهملًا قليل الوجود أو نادره ؛ وكنّا نرى في شعره مقطعات في جماعة من كتب الأدب ، فتتشوّف أنفسنا إلى قراءة شعره جميعاً مجموعاً ، فلا نجد سبيلًا إلى ذلك ، وكان الأستاذ الأديب المحامي الأريب السيد رشيد الصفار قد وقفني قبل عدة سنين على أنه تجرّد لجمع نسخ من الديوان والمعارضة والمقابلة بينها ، وتحقيق نسخة منها تتميّز بالكمال النسبيّ والشرح اللغوى، والإيضاح التاريخى ، والاستيضافات الضرورية من النسخ الأخرى وكتب الأدب التى اقتبست من شعر المرتضى ، فوجدت تجرّده حقيقاً بالاستحسان والاستطراف ، ثم أطلعنى على مسعاه الأدبى فى تهيئة الديوان على الصورة التى يراها القارىء الأديب ، فأحمدته واستجدته وأكبرته واستملحته ، فليس يقدر هذا المسعى الأدبى حق قدره إلّا من عانى طبع المخطوطات الأدبية العربية أول طبعتها ، وشرحها أول شرحها .

والسيد المرتضى جزل الشعر ، فخم الألفاظ ، ثرُّ اللغة وافرها ، فلذلك كثر فى شعره التصحيف من النساخ ، واستبهم كثير منه على رادة الشعر ، وهذا هو الرجل الذى يصح أن يقال فيه : إن أوّل فنونه الشعر ، فقد كان الشعر يفيض على جَنانه ، فيطفح إلى لسانه ، سالكاً طريق بيانه .

والظاهر أنه كان قليل الاعتداد بشعره ، لما كان فى سبيله من التصرّف فى فنون العلم وضروب الثقافات العقلية ، حتى إنّه جعل الأدب فى كتابه « درر القلائد

وغرر الفوائد» طريقاً إلى تفسير القرآن المجيد ، فاعتدّه وسيلة لاغاية ، وابتداء لانهاية، وأن تلامذته كانوا يتهيّبون أن يحملوا عنه شعره وفى بحره من درر العلم والفن ماهو أحرى بالحل والاقتباس ، فلذلك نزرت نسخ ديوانه ، وإذا أضفنا إلى ذلك كثرة خصومه (1) لكثرة علومه ، وضآلة حظّه من الاشتهار بالشاعرية ، والدنيا حظوظ ، وتحكيك أخيه الرضى للشعر وكثرة الراغبين فى شعره ، على اختلاف بواعث الرغبة ، علمنا السبب فى قلة تداول الأدباء لديوانه ، على نفاسته وقوته وإمتاعه ، وجزالته واختراعه

وقد ترجم المرتضى مع كثرة مترجميه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيبانى البغدادى المعروف بابن الفوطى فى كتابه « تلخيص معجم الألقاب » قال فى الجزء الرابع (2) :

« علم الهدى المرتضى أبو القاسم على بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد

---

(1) راجع « الضرائر ومايسوغ للشاعر دون الناثر » ـ ص ٤٥ ـ .

(2) كان المجمع العلمى العراقى قد أقر طبع هذا الجزء من هذا المعجم التراجمى الفريد ، بتحقيق وتعليق ، ثم بدا له فأخر الطبع ، فتجرد له العالم الفاضل الأستاذ محمد شفيع ، مدير دائرة المعارف الإسلامية الأردية بجامعة بنجاب فى الباكستان فوكل طبعه إلى الأستاذ محمد عبد القدوس القاسمى فى كلية علوم الدين بجامعة بشاور فى الباكستان أيضاً ، وكان القاسمى قد تولى طبع الجزء الخامس من التلخيص أيضاً ، فنشر منه « ٢٦٩ » ترجمة فى شكل ضمائم إلى مجلة « أورينتل مكازين » بلاهور ، وقد وقعت فى نشر مانشر من الجزء الرابع أغلاط منكرة ، كما حدث فى الترجمة « ١٢ » وهى ترجمة عز الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحميد المقدسى ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة « ٦١٣ » مع أن وفاته كانت سنة « ٧٠٠ » كما فى الشذرات « ج ٥ ص ٤٥٣ » . وإنما ألحق القاسمى به تاريخ وفاة رجل آخر فتأمل ذلك .

ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي [بن أبي طالب] العلوي الموسوي الفقيه المتكلم ، كانت إليه نقابة الطالبين بمدينة السلام ، وكان رئيس الإمامية في زمانه ، وكان يقول مع ذلك بالاعتزال ، وكان مجمعاً على فضله ، متوحداً في علوم كثيرة ، وله من التصانيف (درر القلائد وغرر الفوائد) وكتاب (تفسير القرآن) وكتاب (الذريعة) و (المقنع) في الغيبة ، وغير ذلك ، وله رسائل ومسائل مدونة . كتب عنه أبو بكر أحمد بن علي الحافظ [الخطيب البغدادي] صاحب التاريخ .
ومن شعره :

وحزنا « عتيقاً » وهو غاية فخركم ۝ بمولد بنت القاسم بن محمد [1]
فجدٌ نبيٌّ ، ثم جدٌّ خليفةٌ ۝ فمن مثلُ جدَّينا عتيقٍ وأحمدِ ؟

وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة . ومولده في [رجب سنة خمس وخمسين] وثلاثمائة » .

ثم قال ابن الفوطي في الجزء الخامس من تلخيصه : « المرتضى أبو القاسم علي ابن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى الموسوي النقيب المتكلم . ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : توحد في علوم كثيرة ، كعلم الكلام والفقه ، وأصوله ، والأدب والنحو ، والشعر ومعانيه واللغة ، وله ديوان يزيد على عشرة آلاف بيت ، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير ، قال : ودخل بعض الشعراء على أبي الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي ، وكان من نبلاء أهل البيت ، فمدحه بقصيدة ، فلما خرج قال من حوله : الناس ينظرون إليّ وإلى المرتضى ، فإنه

---

(١) قال الجوهري في الصحاح « وكان يقال لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ عتيق لجماله ، وقيل لأن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال له : أنت عتيق من النار . واسمه عبد الله » .

يدخل له كل سنة من أملاكه أربعة وعشرون ألف دينار ، وأنا آكل من طاحونة لأختي ليس لي معيشة غيرها ، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة . ومولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة » .

وقال مؤلف كتاب أنساب الطالبيين الذي أمر بطبعه أبو الهدى الصيادي ووسمه بغاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ونسبه تزويراً إلى تاج الدين محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني نقيب حلب ، وغيّر منه ، وإنما هو لسيد من أهل القرن السابع وأدرك القرن الثامن للهجرة ، ولعله نظام الدين حسن ابن تاج الدين الآوي نقيب الأشراف بالنجف الأشرف وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته « ج ١ ص ١١١ » قال في ذرية إبراهيم بن موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ « ص ٤٦ » :

ومن بيت إبراهيم بن موسى الكاظم أبو القاسم علي النسابة . . . والسيد المرتضى علم الهدى الفقيه النظار ، سيد الشيعة وإمامهم ، فقيه أهل البيت ـ عليهم السلام ـ العالم المتكلم ، البعيد المثل ، الشاعر المجيد ، كان له برّ وصدقة وتفقّد في السرّ ، عرف ذلك بعد موته ـ رحمه الله ـ ، ولي النقابة سنة ست وأربعمائة وتوفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة . كان أسنّ من أخيه ، ولم ير أخوان مثلهما شرفاً وفضلاً ونبلاً وجلالة ورئاسة وتواداً .

لما مات الرضي لم يصل عليه المرتضى جزعاً من مشاهدة جنازته وتهالكاً عليه في الحزن ، ترك المرتضى خمسين ألف دينار ، ومن الآنية والفرش والضياع ما يزيد على ذلك ، وترك خزانة فيها ثلاثون ألف جزء ـ قدس الله روحه ـ » .

وقال : ومنهم أبو الحسن محمد الرضي شمس الدين لم يبق من بيت المرتضى غيره ،

رأيته وهو شيخ مُقِلّ للفقر عليه أثر ظاهر ورأيت معه ولداً صبيًا قد بلغ أو كاد ، فقلت له : بالله عليك زوجه سريعاً لعله يعقب فلا ينقرض هذا البيت الجليل . فقبل ذلك ولا أدرى هل فعل ذلك أم لا ؟ » .

وقد جاء فى ترجمته فى لسان الميزان « ج ٤ ص ٢٢٣ » بعد كلام متهافت « قال ابن حزم : كان المرتضى من كبار المعتزلة الدعاة وكان إمامياً وكان يكفّر من زعم أن القرآن بدّل أو زيد فيه أو نقص منه . وكذا كان صاحباه أبو القاسم الرازى وأبو يعلى الطوسى وكان مولده فى رجب سنة خمس وخمسين [وثلاثمائة] قال يحيى ابن أبى طىّ الحلبى : هو أول من جعل داره دار العلم وقدّرها للمناظرة ويقال إنه أُمّر ولم يبلغ العشرين ، وكان قد حصل على رئاسة الدنيا والعلم مع العمل الكثير فى اليسير (كذا)[1] والمواظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل وإفادة العلم وكان لا يؤثر على العلم شيئاً مع البلاغة وفصاحة اللهجة ، وكان أخذ العلوم عن الشيخ المفيد وزعم المفيد أنه رأى فى نومه فاطمة الزهراء [صلوات الله عليها] ليلة وناولته صبيّين فقالت له : خذهما إليك وعلّمهما فبكى . وذكر القصة ... ويقال إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازى كان يصفه بالفضل حتى نقل عنه أنه قال : كان الشريف المرتضى ثابت الجأش ، ينطق بلسان المعرفة ، ويردد الكلمة المسدّدة فتمرق مروق السهم من الرمية ، ما أصاب [أصمى] وما أخطأ أشوى :

إذا شرع الناس الكلام رأيته له جانب منه وللناس جانب

وذكر بعض الإمامية أن المرتضى أول من بسط كلام الإمامية فى الفقه وناظر الخصوم واستخرج الغوامض وقيّد المسائل وهو القائل فى ذلك :

كان لولاى غائضاً مكرعُ الفقـهِ سحيقَ المدى بحرَ الكلام

---

(١) لعلها فى الوقت اليسير أو السير بقرينة قوله والمواظبة على تلاوة القرآن الخ .. (الصفار)

ومعانٍ تشحط لطفاً عن الأفـ ـهام قرّبتهـــا من الأفهام
ودقيقٍ ألحقته بجليـــلٍ وحلالٍ خلصته من حرام (١)

ذكر أبو العباس أحمد بن علي بن العباس المعروف بالنجاشي في كتابه « رجال الشيعة » ـ ص ١٩٣ ـ أن الشريف المرتضى صلى عليه ابنه في داره ودفن فيهـا ، قال : « وتوليت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار ابن عبد العزيز (٢) » .

وقال ابن عنبة في « عمدة الطالب » ـ ص ١٨٢ ـ : « ودفن المرتضى في داره ثم نقل إلى كربلاء فدفن عند أبيه وأخيه وقبورهم ظاهرة مشهورة » .

ونقل أبو علي في كتابه « منتهى المقال في أحوال الرجال » ـ ص ٢٢٤ ـ

---

(١) وقعت تصحيفات قبيحة في ترجمته في لسان الميزان منها « البلوى » أي العلوي، و « فرميتها » أي « قربتها » ، و « ابن مرها » أي « ابن برهان » ، و « بترية الأنبياء » أي « تنزيه الأنبياء » هذا ما عدا الذي سقط منه لاختلاطها بترجمة أبي الحسن علي بن الحسن المسعودي المؤرخ العلامة المشهور .

أقول : هذه الأبيات من جملة قصيدة طويلة قالها المرتضى ـ رضي الله عنه ـ في الفخر والحماسة ،ورد فيها في موضع « بحرّ الكلام » « وبحر الكلام » والعطف على مكرع الفقه ، وبدل « ألحقته بجليل » « أبرزته بجليل » ، وفي موضع « خلصته » « أبنته » ، وسيأتي ذكرها في قافية الميم من هذا الديوان إن شاء الله تعالى (الصفار).

(٢) ذكر محمد باقر الخونساري في الروضات « ص ٢٠١ » « إنه » حمزة بن عبد العزيز الملقب بسلار الديلمي أحد الأعاظم المتقدمين من فقهاء هذه الطائفة الإمامية بل وأحدهم المشار إليه في كتب الاستدلال بجميع ما كان له من مخالفة وهو أول من اخترع القول بحرمة إقامة الجمعة في زمان الغيبة (!) وكان من كبار تلامذة المرتضى والمفيد بل من أتباع الثلاثة كما أفيد (كذا) وأصله من ديلم جيلان الذي يعبر عنه في هذه الأزمان برشت كما في الرياض . . . » .

ما ذكره النجاشي في كتابه من دفن المرتضى في داره قول صاحب « تنزيه ذوي العقول » : « ثم نقل إلى جوار جده الحسين ـ عليه السلام ـ » .

وقد أظهرت في العصر الأخير في الكاظمية خارج سور المشهد الكاظمي تربة كتب عليها أنها تربة الشريف المرتضى ثم أظهرت بالقرب منها تربة سميت تربة الشريف الرضي ، مع أن أكثر المؤرخين الذين ترجموهما ذكروا نقلهما من داريهما إلى المشهد الحسيني بكربلاء . ولا تخلو تسمية التربة في الكاظمية بتربة المرتضى من أمرين أحدهما أنه كان هناك [في التربة ضريح أو قبر] [1] غير معروف دفينه ، فانبرى لها أحد البعيدين عن التحقيق والتدقيق فنسبها إلى المرتضى ، والآخر أن التربة كانت تسمى « تربة المرتضى » أو « تربة ابن المرتضى » فحذفت لفظة « ابن » من التسمية .

فإن كان اسمها « تربة المرتضى » فليس دفينها الشريف المرتضى بل « إبراهيم المرتضى » قال مؤلف غاية الاختصار « ٥٤ ـ ٥٠ » في ترجمة موسى بن إبراهيم الموسوي : « كان صالحاً متعبداً ورعاً فاضلاً يروي الحديث . . . توفي ببغداد وقبره بمقابر قريش (يعني الكاظمية أو المشهد الكاظمي) مجاوراً لأبيه وجده ـ عليهما السلام ـ فحصت عن قبره فدللت عليه وإذا موضعه في دهليز حجرة صغيرة ملك مبارك الجوهري الهندي [2] . وأبوه « إبراهيم المرتضى » كان سيداً جليلاً عالماً

---

(١) هذه الزيادة من عندنا للإيضاح (الصفار) .

(٢) اسم جده « هندي » لأنه من الهنود ، قال مؤلف الغاية المذكور في ص ٩٠ ـ : « وبيت هندي منهم نجم الدين أبو جعفر النقيب الطاهر تولى النقابة بمقابر قريش زمن ابن الجويني ثم رتب كاتب السيب ثم عزل وكان يقيم بالحلة ، والمفتقر عليه أثر ظاهر ، يكتب خطاً ويقول شعراً لا بأس بهما » . =

فاضلاً روى الحديث عن آبائه ـ عليهم السلام ـ ومضى إلى اليمن وتغلب عليها فى أيام أبى السرايا ، ويقال إنه ظهر داعياً لأخيه الرضا ـ عليه السلام ـ فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه وتركه . توفى فى بغداد وقبره بمقابر قريش عند أبيه ـ عليه السلام ـ فى تربة مفردة معروفة ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ » .

وعلى هذا تكون تربة المرتضى القائمة اليوم عند المشهد الكاظمى خارج السور للسيد إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ ولا يخفى على اللبيب قول مؤلف الغاية « وقبره فى تربة مفردة معروفة » .

وعلى القول الثانى أعنى أن تسمية التربة كانت « تربة ابن المرتضى » تكون للسيد على بن المرتضى الحسنى المعروف بالأمير السيد ، قال مجد الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار المؤرخ المحدث المشهور :

« على بن المرتضى بن على بن محمد ابن الداعى زيد بن حمزة بن على بن عبيد الله ابن الحسن بن على بن محمد السيلقى بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب أبو الحسن بن أبى الحسين بن أبى تغلب العلوى الحسنى المعروف بالأمير السيد . ولد جده بنيسابور وكذلك والده المرتضى ونشأ بأصبهان ثم قدم بغداد،

= ومبارك الهندى ورد ذكره فى حوادث سنة « ٦٧٤ » من التاريخ الذى سميناه الحوادث الجامعة ، قال مؤلفه ـ ص ٣٨٥ ـ : « وفيها عزل أمين الدين مبارك الهندى الجوهرى من نقابة مشهد موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ وعين فى النقابة نجم الدين على بن الموسوى . ولما كان مبارك المذكور نقيباً قال فيه بعض الشعراء .

رأيت فى النوم إمام الهدى موسى حليف الهم والوجد
يقول ما تنكبنى نكبة إلا من الهند أو السند
تحكم السندى فى مهجتى وحكم الهندى فى ولدى
فامنة الله على من به تحكم السندى والهندى

وولد له علىّ هذا بها وقرأ الفقه على مذهب أبى حنيفة حتى برع فيه وفى الخلاف، وقرأ الأدب وحصل منه طرفاً صالحاً، وسمع الحديث، ثم ولى التدريس بجامع السلطان [1] وانتهت إليه رئاسة أصحاب الرأى. وكان عالماً بالمذهب متديناً زاهداً فى الرتب والولايات المنيفة كريم النفس، كانت داره مجمعاً لأهل العلم والأدب وكان يكتب خطاً مليحاً وله كتب كثيرة أصول بخطوط العلماء سمع . . . وحدث باليسير، سمع منه القاضى أبو المحاسن عمر بن على القرشى وعمّر حتى أدركناه ولم يتفق لنا منه سماع. قرأت فى الخريدة لأبى عبد الله الكاتب [الإصبهانى] بخطه للأمير السيد على بن المرتضى :

صُن حاضر الوقت عن تضييعه ثقةً　　أنْ لا بقـاء لمخلوقٍ على الدَّوم

وهَبْكَ أنك باقٍ بعـده أبداً　　[فلن يعود علينا عين ذا اليوم]

وله أيضاً :

واغنم لنفسك حظّها　　فى البين من قبل الفوات (كذا) [2]

قرأت بخط القاضى أبى المحاسن [عمر] القرشى قال : سألته ـ يعنى الأمير السيد على بن المرتضى ـ عن مولده فقال : فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ببغداد بدرب الشاكرية. توفى الأمير السيد على بن المرتضى فى ليلة الجمعة لثانى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ودفن من الغد بمقابر قريش [3].

---

(١) هو جامع السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى وكان فى محلة درب السلطنة السلجوقية بالحرم أى محلة العلوازية الحالية. وقد ذهب ولم يبق من آثاره وأطلاله شيء، وكان مدرسة للفقه الحنفى، وكان مدرسه ذا رتبة سامية.

(٢) البين هنا : الوصل، والفوات : موت الفجأة (الصغار).

(٣) أصول التاريخ والأدب « ج ٢٢ ص ٤٩ » نقلا من تاريخ ابن النجار.

وقال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي :

« على بن المرتضى ... العلوى الحسنى أصبهانى الأصل ، بغدادى المولد والدار ، يعرف بالأمير السيد ؛ كانت له معرفة بالفقه على مذهب أبى حنيفة . درس بجامع السلطان مدة ، وكان من أعيان الناس وأماثلهم . سمع شيئاً من الحديث . . . سمع منه القاضى عمر القرشى وروى عنه فى معجمه . . . سألت الأمير السيد أبا الحسن العلوىّ عن مولده فقال : فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ببغداد . قلت : وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بمقابر قريش »[1] .

وقال كمال الدين بن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب : « أبو الحسن على بن المرتضى بن محمد العلوى الأصفهانى البغدادى ، يعرف بالأمير السيد المدرس بجامع السلطان ، ذكره عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريدة . وقال : كان والده من أصفهان فى خدمة الخاتون جهة المقتفى ، وتنفقه ولده هنا على مذهب أبى حنيفة ، ووجد الكرامة الكافية من الخليفة ، وأُهّل للرتب الشريفة ، والمناصب المنيفة ، فلم يَمِلْ إلّا إلى العلم ونشره ، ولم يرغب إلّا فى الفقه المؤذن برفع قدره، ومن شعره:

صُن حاضر الوقت عن تضييعه ثقةً ... أنْ لا بقــاء لمخلوقٍ على الدّومِ
وهبك أنّك باقٍ بعــده أبداً ... فان يعود إلينا عين ذا اليومِ

درس بجامع السلطان مدة ، وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشر رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ودفن بمقابر قريش » .

---

(١) أصول التاريخ والأدب « ج ٢٢ ص ٣٠ » نقلا من تاريخ ابن الدبيثى .
(٢) أصول التاريخ والأدب « ج ٢٧ ص ٢٧ » .

وقال شمس الدين الذهبي في تاريخ الإسلام في وفيات سنة ٥٨٨ : « علي بن مرتضى بن علي بن محمد بن الداعي الشريف الأجل أبو الحسن بن الشريف أبي الحسين المرتضى الحسني الأصبهاني الأصل ، البغدادي ، الفقيه الحنفي المعروف بالأمير السيد . ولد سنة ٥٢١ وتفقه وحدّث . . . ودرس مدة ، وكان من سراة الناس وأعيانهم . روى عنه عمر بن علي القرشي وغيره . . . » .

وذكره ابن الأثير في وفيات السنة المذكورة من الكامل ، وغير مستبعد أن تكون له تربة مفردة لو ثبتت نسبتها إليه ، لجلالته في العلم والنسب ولأن ابنه هاشم بن علي بن المرتضى المعروف بابن الأمير السيد تصدّر في مناصب الدولة العباسية فولي صدريّة المخزن – وهي كوزارة المالية الحالية – « سنة ٦٣٤ » من خلافة المستنصر بالله ورتّب صدر البلاد الواسطية ، ولما كان في صدريتها صنف له أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد السميع الهاشمي كتاب « المنتخب من مناقب الدولة العباسية ومآثر أئمتها المهديّة » .

ولما عزل عن صدرية واسط جعل عارضاً للجيوش العباسية أي مديراً لأمورها ، ثم أنفذ رسولاً إلى الملك الصالح ابن الملك الكامل بمصر ، فتوفي هناك في شهر ربيع الأول سنة ٦٤٠ »[1] .

وخلاصة القول أن التربة المجاورة لمشهد الإمام موسى بن جعفر – عليه السلام – المعزوّة إلى الشريف المرتضى ليست له البتّة وأنها إما تربة السيد إبراهيم المرتضى بن موسى بن جعفر – عليه السلام – ، وإما تربة علي بن المرتضى المعروف بالأمير السيد .

---

(١) أصول التاريخ والأدب « ج ٢٧ ص ١٧٥ » .

وأما دارالمرتضى بدوب جميل فكانت فى محلة الكرخ[1]، وكانت محلة الكرخ فى غربى محلة الجعيفر الحالية ، و بينها و بين مقابر قريش التي هى الكاظمية الحالية محلة العتيقة ومحلة باب البصرة ومحلة باب محوّل ومحلة دار القزّ ومحلّة العتابين ومحلة الحربية ، فضلاً عن مدينة المنصور التى اتصلت بباب البصرة فصارتا محلة واحدة .

وأما داره على نهر الصَّراة[2] فيكون تقديرها فوق أرض المنطقة المعروفة قديماً بالعتيقة وهى سونايا القديمة الزمان ، قال ابن عبد الحق البغدادى فى « مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع » : « سونايا ... قرية قديمة كانت ببغداد ، ينسب العنب الأسود إليها ، الذى يبكر على سائر العنب مجناه ، ولما عمرت بغداد دخلت فى العمارة وصارت محلة من محالها ، وهى « العتيقة » وبها مشهد لعلى بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يعرف بمشهد المنطقة » .

فإن كانت الدار على مصب الصَّراة ، فهى على دجلة أيضاً من الجانب الآخر الشرقى . قال ابن حزم فى نسب « إبراهيم بن موسى الكاظم » : « ومن ولده كان المرتضى والرضى النقيبان ببغداد ، واسم الرضى [محمد] واسم المرتضى منهما على ابنا الحسين ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى المذكور ، وكان المرتضى رئيس الإمامية ويقول مع ذلك بالاعتزال ، وكان متكلماً وكانا جميعاً شاعرين . مات المرتضى سنة ٤٣٧ (كذا) وله نيف وسبعون سنة ، وكان يسكن على الصَّراة إلى أن هدمت

(١) المنتظم لابن الجوزى « ج ٨ ص ٧٣ ـ ٧٤ » .

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم « ص ٧٥ » وقد تصحف فيها الصراة إلى « الفرات » .

الحنبلية داره في يوم كان لهم فيه الظفر على الشيعة ، فرحل إلى الكرخ . وكان عليّ هذا يُكنى أبا القاسم » .

هذا ماوجدنا له مجالًا من القول وإن كان بعضه مُعاداً مفاداً ، وإنما أعدناه لأنّ الحديث ذوشجون والشيء بالشيء يذكر ، لئلا تنفصم عروة من عراه ، وتختل لحواه . والله ولي التوفيق ، لكل قول بالإحماد حقيق .

مصطفى جواد

مقدمة محقق الديوان

بسم الله ،
وسلام على عباده الذين اصطفى ،
حسبي الله وكفى .

قصة هـــــذا الديوان

قبل عشر سنوات ، وفى إحــدى الليالى الحالمات ، طاف علىّ طائف فى منامى لازلت أتخيــله ، شخصاً رَبْعَ القــامة ، نحيف الجسم أبيضه ، مشرباً بسمرة خفيفة مستملحة ، ذا لحيةٍ كثّــةٍ وَخَطَ الشّيب أكثرها ، وعمامةٍ سوداء حسن مُعتجرُها ، وقلنسوةٍ فى اللون مثلها ، جلّلته الهيبة العلويّة ، ووسمته السمات الهاشمية ، فأضفت عليه حشمة ووقاراً .

أقبــل علىّ ثم قعد إلى جنبى — وأرانى فى مكتبتى أترقب شيئاً أو أتوقع أمرا — ناولنى كتاباً لُفّ بمنديل — كأنه مهــدى إلىّ — أخذته مبتهجاً فرحاً . ولشدّما يبهجنى و يسرّنى اقتناء الـكتب ومطالعتها ، و بالأخص المخطوط منها !

لم تمض على صبيحة تلك الليــلة الحالمة الممتعة بضع ساعات ، حتى وافانى أحد معارفى — وأنا فى مكتبتى — وهو رجل عرف بمعاطاة الـكتب النادرة والتحف النفيسة ، فناولنى كتاباً لفّ بمنديل — كما رأيته فى رؤياى — وقال لى : خذ ضالّتك ، فتحته فإذا مكتوب ، على أول صفحة منه — فى طغرائه — :

« المجلد الأول من ديوان شعر الشريف الأجلّ المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر الأوحد ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي - أعلى الله مقامه - .

وكتب على نهاية الجزء الثاني منه :

« هذه صورة خط الشريف الأجلّ المرتضى ذي المجدين صاحب الديوان على النسخة المنقول عنها : قرأ عليّ الفقيه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقي - أدام الله تعالى توفيقه - قطعة كبيرة من ديوان شعري وأجزت له رواية جميعه عنّي ؛ فليروه كيف شاء ، وكتب علي بن الحسين بن موسى الموسوي بخطّه في ذي القعدة من سنة ثلاث وأربعمائة » .

أمعنت النظر في النسخة ، وأعدت قراءة ما ورد في صورة الإجازة منها ، فإذا بها تطابق في وصفها ونصّها ما جاء في كتاب « تذكرة النوادر » من وصف لنسخة ديوان الشريف المرتضى التي كانت في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الفاضل محمد علي داعي الإسلام « بروفيسير جامعة حيدر آباد في الهند » .

كدت تلك الساعة أطير فرحاً ، لتحقق الرؤيا من جهة ، ولقيمة النسخة التي ظفرت بها من جهة أخرى[1] .

منذ ذلك الحين شرعت في البحث عن نسخ الديوان ومظانّها المختلفة ، فتمكنت من استنساخ نسخة العلامة المرحوم الشيخ محمد السماوي النجفي بكاملها بالرغم من

---

(١) سيأتي وصف النسخة المذكورة وتحقيق كونها نسخة داعي الإسلام الموصوفة في تذكرة النوادر ، في أواخر هذه الترجمة ، وقد وهم الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه « أدب المرتضى » المتع «ص١٥٤» من كونها « أي نسختي هذه » هي نسخة آل زوين .

ضنانته بكتبه ـ رحمه الله ـ وهى تضم ستة أجزاء من الديوان بتجزئة الناظم ـ جعلتها فى ثلاثة أقسام من هذه الطبعة ـ التى أعتقد أنها أتم نسخة عثرت عليها [1]

ثم أطلعنى العلامة المفضال البحاثة الشهير معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى ـ حفظه الله تعالى ـ على نسخة المرحوم العلامة الشاعر والده الشيخ محمد جواد الشبيبى ـ رحمه الله ـ التى استنسخت عن نسخة آل زوين فى النجف ، وهى تختلف عن نسختى من وجوه سنشير إلى مواطنها فى التحقيق وفى القول على نسخ الديوان ، ولو أنها احتوت ـ كنسختى ـ التى هى نسخة داعى الإسلام ـ رحمه الله ـ على الجزأين الأول والثانى من الديوان فقط .

---

(١) زعم الدكتور الفاضل الأديب عبد الرزاق محى الدين فى كتابه « أدب المرتضى » ـ ص ١٥٧ ـ أن نسخة العلامة السماوى تنتهى بعام « ٤٣٢ » وأن فى نسخته مايرتقى إلى ٣ سنوات بعد هذا التاريخ ـ أى عام ـ ٤٣٥ ـ أى قبل وفاة المرتضى بعام واحد ، ثم استشهد على ذلك بوجود قصيدة للمرتضى فى يوم عاشوراء نظمها سنة « ٤٣٥ » ومطلعها :

يادِيار الأحباب كيف تحوّلـ ـت قفاراً ولم تـكونى قفارا

وتبلغ ١٠٥ أبيات . وقصيدة أخرى فى رثاء الملك «جلال الدولة» وقد توفى فى شعبان سنة « ٤٣٥ » وأولها :

دعوا اليوم ماعُوّدتمُ من تصبّرٍ فإنّ نزاعى غالب لنزوعى

والحقيقة أن هاتين القصيدتين موجودتان فى نسخة العلامة السماوى التى يدعى الدكتور فى صفحة « ١٥٥ » من كتابه أنها فى حيازته ، وذلك فى أخريات الجزء الرابع من الديوان (نسخة السماوى) الثانية تلو الأولة ـ فكأنه ـ حفظه الله ـ نسى قوله ص « ١٥٧ » أن نسخته شرحها وأعدها للنشر ، كما فاته أن حيازته لنسخة السماوى يناقض قوله « ص ١٥٦ » : وبحسب مابلغنى أن نسخة العلامة السماوى تنتهى بعام ٤٣٢ فتأمل !

وفى خلال تلك السنين الطوال ، أضفت من الشعر ما تحققت ووثقت من نسبته إلى الشريف المرتضى على وجه الثبوت والقطع ، مما عثرت عليه فى كتب الأدب للشريف المرتضى وغيره وكتب التاريخ وغيرها ـ فجاءت مجموعتنا هذه أكمل النسخ وأجمعها لشعر الشريف المرتضى على وجه العموم ، وسنذكر ذلك فيما بعد .

وبعد تحقيق وتنسيق الديوان على ما يراه القارئ اللبيب فى هذا القسم الذى سيتلوه نظيراه ـ القسم الثانى والثالث ـ عرضت ذلك على العلامة الكبير ، والبحاثة الشهير مفخرة العراق ، بل أعجوبة الآفاق ، الذى لا زالت بحور العلم بعلومه طافية ، وحلل الآداب بآدابه ضافية ذلك المتفرد بعلوم كثيرة ، منها اللغة ، والتاريخ والأدب وعلم الخطط ـ لا سيما خطط بغداد قديمها وحديثها ـ وغير ذلك أستاذنا المفضال ـ الدكتور مصطفى جواد ـ حفظه الله ـ الذى كان أول من حثّنى وأعاننى على إتمام الديوان تحقيقاً وتعليقاً ، وتبويباً وتنسيقاً ، فلا غرو إن وسمته بما رسمته من ألقاب هو بأكثر منها خليق ، وأراها بغيره فى الحقيقة لا تليق .

فإنه ـ والحق يقال ـ وإن جحد فضله الحاسدون ، وتنكّر له المغرضون ، وبخس حقه الباخسون ، فلم يضعوه بالمنزلة التى يستحقها ، ولا بالرتبة التى تليق به ويليق بها ففضله فى سماء العلوم والآداب كالبدر الساطع ، وإفاداته فى جميع فنونه التى يحسنها ـ وكلها حسن ـ كالغيث الهامع النافع . أو هو :

كالشمس فى كبد السماء وضوءها عمّ البــــلاد مشارقاً ومغارباً

كما كان ـ أيّده الله ـ آخر من واصل معى الجهود لإخراج هذا المجهود إلى الوجود .

جزاه الله عن المرتضى وآبائه ، والأدب وأحبّائه خير جزاء المحسنين .

وبعد أن تمّ عملنا الآنف ، وأينعت ثمار تلك الشجرات بعد أن كادت تُشرف

على الذبول والموات ـ لولا بعثنا لها من رقدتها العميقة ، و إخراجها بهذه الحلة الأنيقة، عَنّ لنا عرض ذلك على « المجمع العلمى العراقى » وذلك قبل أكثر من سنة وما كنّا نتوقع أن يُكبر المجمع عملنا ، بل كنّا نأمل ـ على الأقل ـ أن يقدّر جهودنا فيقوم ـ على قدر ما يسمح له به نظامه الخاص ـ بطبع الديوان على نفقته ،أو المساهمة ـ على أقل التقديرات ـ بتشجيعنا على طبعه .

وكان لنا هدف أسمى من كل ذلك ، وهو إبطال ما أُشيع من كون المجمع لا فائدة من وجوده ، ولا جدوى من موجوده [1] ، وأنه لا هم لبعض أعضائه سوى تحقيق أهدافهم ، وخدمة مصالحهم الخاصة ـ على حساب المصلحة العامة ـ ولو بطبع الكتب ، أو اقتناء مايلزمهم منها و إن لم تكن لازمة للمجمع أو كانت مرهقة كاهله الضعيف بالمبالغ الجسام .

غير أن المجمع المذكور ـ مع بالغ الأسف ـ صدّق هذه الظنون والشائعات ، فلم يَرُقْ له ولو المساهمة بجزء يسير يساعد على بعث هذا الأثر العربى الخالد ، متذرعاً بأعذار واهية [2] ما أرانى بحاجة إلى الإشارة إليها لتفاهتها ، فاضطررت إلى سحب

---

(١) من الغريب أن نشاهد فى مصر العزيزة ـ أثناء مكثنا فيها عند إشرافنا على طبع الديوان ـ ضجة صاخبة يثيرها ثلة من أعضاء مجلس الأمة تطالب بها الحكومة بإلغاء ـ المجمع اللغوى المصرى ـ بحجة عدم الضرورة إليه أو قلة الفائدة فيه وأنه يرهق مالية الدولة ـ على ضآلة ميزانيته إلى غير ذلك ـ هذا مع العلم أن مايؤديه المجمع المذكور من خدمات جليلة وفوائد جسام ، لايخفى أمرها على الخاص والعام .

(٢) صرح لنا ـ هاتفياً ـ الأستاذ محمد بهجت الأثرى ـ عضو المجمع العلمى العراقى الذى أنيطت به مهمة النظر فى الديوان وتنسيب ما يلزم ـ : بأنه لا يمكنه النظر بمثل هـذه الأمور لانشغاله بأمور الناس ـ وما أدرى ما هى أمور الناس التى ينظرها أو التى يوليها عنايته الكريمة واهتمامه المشكور ـ سوى اهتمامه بطبع كتبه الخاصة =

الديوان من المجمع آسفاً على إخماد أنفاس الأدب ـ عندنا ـ فى مهدها ، بالوسائل الرخيصة ، وقتل تلك الأرواح والجسوم من تراثنا العربى المجيد بسيوف الأنانيـة البغيضة وأسنّة الأغراض الشخصية الفردية المنبعثة من ظلمات النفس ، وضيق الأفق المحدود .

وأخيراً ألقانا المطاف فى مصر العزيزة ـ بلد الـكنانة الشقيق ـ فلقينا من علمائها وأدبائها وفضلائهـا أكرم ما يلاقيه الوافدون : من إعظام وإكبار للروح العلمية والأدبية ، واهتمام فى إحياء الآثار العربيــة وغيرها ـ فلا مندوحة لنا إلّا الإشادة بفضلهم ، والتنويه بذكرهم ـ لا سيما الذين شاءت الصدف الحسنة أن نتصل بهم ، أخصّ منهم بالذكر الأستاذ الفاضل المحقق المعروف ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مدير الشئون المـكتبية بدار الـكتب المصرية العامرة ومحقق أمالى الشريف المرتضى وغيره من الـكتب الفاخرة ، الذى ساعدنى فى الإشراف على طبع وتنظيم الفهارس العـامة مدة مكثى بالقاهرة . والأستاذ المتتبع المحقق ـ السيد فؤاد السيد ـ أمين قسم المخطوطات بالدار المذكورة الذى هيأ لى ما أحتاج إليه من مصادر مختلفة عند إعادتى النظر فى التحقيق ، وغــيرهم من العلماء والأدباء ومن هيأ لنا فرصة الطبع على هذه الصورة ، منهم الدكتور الفاضل عبد الهادى محبوبة النجفى الذى بذل جهوداً مشكورة فى سبيل ذلك ، والأستاذ النبيل السيد محمد عيسى البابى الحلبى ـ صاحب دار إحياء الـكتب العربية ـ وأسرة مطبعتها الأفاضل ، كما لا مشاحة لى من الاعتراف بفضل

= وتحقيقاته المزعومة لمثل كتاب «الخريدة» وما سطره فى تلك «الجريدة» وغيرها، ولو أبهظ بذلك ميزانية المجمع الضعيفة ، التى هى لا تتجاوز سبعة آلاف دينار فى السنة ـ على ما أخبرنا الدكتور جواد على سكرتير المجمع سابقاً ـ يجب إنفاقها فى الوجوه المختلفة لأغراض المجمع الصحيحة حسب نظامه الخاص ، هـذا مع أن بعض الأفاضل المحققين وأحد أعضاء المجمع بل أعلمهم قد عرض على « الأثرى » نسخة محققة أحسن التحقيق بأكمل المتون وأصحها فأبت نفسه النظر فيها أو الاعتماد عليها .

أخي الشقيق الأستاذ الرياضي ـ الحسابي ـ البارع والحقوقي الأديب، عبد الغني عباس الصفار ، الذي أعانني كثيراً على مقابلة وتصحيح مسوّدات الديوان عند بدء اشتغالي بتحقيقه قبل عشر سنين ، جزى الله الجميع عن آداب العرب وآثارهم خير الجزاء في هذه الدار ويوم الجزاء .

هذا ما أحببنا ذكره . ولو أرغمنا على عرض بعضه بدافع لزوم التنبيه أو التنويه وما التوفيق إلّا بالله العزيز وله الحمد بدءاً وعوداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الشريف المرتضى

بقلم : محقق الديوان

••••••

بين يدى الترجمة

الإفاضة فى ترجمة الشريف المرتضى أمر تقتضيه بديهة التعريف به ، وتمليه طبيعة البحث للوقوف على جوانب هامة من عناصر شخصيته، تلك الشخصية اللامعة ، الجامعة لخصال الخير ، ومزايا العلم والأدب والفضل . فالشريف المرتضى عالم واسع المعرفة ، غزير الاطلاع ، ملمّ بفنون جمّة من الثقافة الإسلامية ، والمعرفة الإنسانية فى عصر بلغت فيه الحضارة الإسلامية بشتى فروعها وأفانينها مبلغاً عظيماً من الرقى والازدهار فى العلوم والفنون والآداب والفلسفة والشعر ، حتى طبع القرن الرابع الهجرى بطابع خاص ، صُنّفت فى خصائصه الكتب الكثيرة ، وأفردت فيه المؤلفات الضخمة .

والشريف المرتضى عاش فى تلك الحِقْبَة من ذلك الزمن الزاهر ، الزاخر بالعلوم والمعارف والآداب .

كان ـ رحمه الله ـ فقيه الإمامية ومتكلمها ومرجعها فى ذلك العصر بعد وفاة أستاذه الجليل الفقيه المتكلم محمد بن محمد بن النعمان ، المعروف بابن المعلم ، والمشهور

بالشيخ المفيد بلا مدافع ، ولنا من كتابه « الشافى فى الإمامة » أبلغ حجة على تعمقه فى علم الـكلام،وأوضح دلالة على براعته فى فن الحجاج والمناظرة فى كل المذاهب(١)

أما فى الفقه والأصول ، ففى رسائله الوافرة ومسائله الجمة وكتبه النادرة خير مثال على ما نقول(٢)

وأما فى الأدب واللغة والتفسير والتاريخ والتراجم ، فـكتابه « الأمالى » المسمّى : « غرر الفوائد ودرر القلائد » أسطع برهان على سعة معرفته فى هاتيك الفنون .

وليست بنا حاجة إلى التدليل على شدة عارضته فى الشعر وتفننه فى أغراضه وتفهمه لمعانيه ومقاصده ، بعد تقديم ديوانه الضخم « هذا » الذى يضم بين دفّتيه قرابة أربعة عشر ألف بيت من الشعر ، فضلًا عما جمعه ونظمه فى أبواب خاصة ، وأغراض مفردة مثل مجموعته فى الشيب والشباب المسماة « الشهاب » ، وما جمعه ونظمه فى طيف الخيال وصفة البرق ، إلى غير ذلك .

فالإسهاب فى ترجمته محله غير هذه المقدمة ، لما تتسم به ظروف هذا العصر من ميسم السرعة وطابع الاختصار ، فالذى سنتعرض لذكره يكون مفتاحاً لمصاريع واسعة،أو رمزاً إلى مباحث مترامية الأطراف تطل على آفاق رحبة من مزايا هذا العالم المتكلم ، والفقيه الأوحد ، والفيلسوف الإسلامى البارع ، والأديب الألمعى ، والشاعر المفلق . فللمتتبع مجال آخر ، وكم ترك الأوّل للآخر !.

---

(١) قال ابن الجوزى فى المنتظم عند ترجمته للشريف المرتضى : « إنه كان يناظر عنده فى كل المذاهب » راجع ج ٨ ص ١٢٠ منه .

(٢) سيأتى ذكر مصنفاته فى أواخر هذه الترجمة .

مولده

ولد الشريف المرتضى فى دار أبيه بمحلة باب المحوّل فى الجانب الغربى من بغداد « الكرخ » الواقعة بين نهر الصّراة غرباً ، ونهر كرخايا شرقاً ومحلة الكرخ جنوباً [1] فى رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فى خلافة المطيع لله العباسى .

نسبه وأسرته من أبيه وأمه

هو على بن الشريف أبى أحمد الحسين نقيب الطالبيين بن موسى « الأبرش » بن محمد « الأعرج » بن موسى « أبى سبحة » بن إبراهيم « المرتضى » بن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام .

والده :

هو الشريف أبو أحمد الحسين الملقب بالطاهر الأوحد ذى المناقب ، لقبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهى ، لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمة ؛ فهو فضلا عن كونه علوىّ النسب ، هاشمىّ الأرومة ، انحدر من تلك السلسلة الطاهرة ، فإنّه كان نقيب الطالبيين وعالمهم وزعيمهم ، جمع إلى رياسة الدين زعامة الدنيا ، لعلو همته ، وسماحة نفسه ، وعظيم هيبته ، وجليل بركته . وإلى ذلك أشار ابن مهنا فى « عمدة الطالب » بنقله عن الشيخ أبى الحسن العمرى النسابة : « أن الشريف أبا أحمد أجلّ من

---

(١) انظر الخارطة رقم (٧) مقابل ص ١٩٨ من تاريخ بغداد فى عهد العباسى : تأليف « غى لسترنج ـ المطبعة العربية ببغداد ـ .

وضع على رأسه الطيلسان وجرّ خلفه رمحاً ، (أراد: أجل من جمع بينهما) ، وكان قويّ المنّة شديد العصبة ، يتلاعب بالدّول ، ويتجرّأ على الأمور » [1] .

ويستفاد من هذا القول أن الشريف أبا أحمد كان بطل حرب وسياسة ، فضلا عن كونه رجل علم وزعيم قوم .

إلا أننا لم نقف له في التاريخ على أنه خاض حرباً أو دخل معركة .

فلهذه الملكات الحميدة ، والصفات الجيدة والهيبة الشديدة ، خشيه عضد الدولة البويهي ، ولأنه كان منحازاً لابن عمه بختيار بن معزّ الدولة ، فحين قدم العراق قبض عليه في صفر « سنة ٣٦٩ هـ » [2] وحمله إلى قلعة بشيراز اعتقله فيها فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة « سنة ٣٧٣ هـ » فأطلقه أبو الفوارس شرف الدولة بن عضد الدولة واستقدمه معه إلى بغداد فأكرمه وأعظمه وأعاد إليه نقابة الطالبيين ـ التي عزل عنها ووليها مراراً ـ وقلده قضاء القضاة « سنة ٣٩٤ هـ » زيادة إلى ولاية الحج والمظالم ونقابة الطالبيين ، وكان التقليد له بشيراز ، وكُتب له عهد على جميع ذلك ولُقّب بالطاهر الأوحد ذي المناقب ، فلم ينظر في قضاء القضاة لامتناع القادر بالله من الإذن له بذلك [3]

ويشير الشريف الرضي ابنه إلى قصة اعتقاله ويُعلمه بموت عضد الدولة بالأبيات الشهيرة التي بعث بها إليه وهو في الاعتقال [4] ، ومنها :

---

(١) كذا في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ١٩٢ » ط . النجف .

(٢) المنتظم لابن الجوزي « ج ٧ ص ١٩٨ » .

(٣) المنتظم لابن الجوزي « ج ٧ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ » .

(٤) راجع ديوان الشريف الرضي ط بيروت « ص ٢٠٦ » .

أبلغا عنّي الحسين ألوكاً　　أن ذا الطّود بعد بعدك ساخا
والشهاب الذي اصطليت لظاه　　عكستْ ضوءه الخطوبُ فباخا
والفنيق الذي تدرّع طولَ الـ　　ـأرض خوّى به الرّدى فأناخا

وقد كان الشريف أبو أحمد سيداً مطاعاً مهيباً ، حسن التدبير سخياً ، مواسياً لأهله ولغيرهم .

قال أبو الحسن العمري النسابة [1] : « حدثني الشريف أبو الوفاء محمد بن علي ابن محمد ملقطة [2] البصري ، المعروف بابن الصوفي ، قال : (وكان ابن عم جدّي لحًّا) قال : احتاج أبي أبو القاسم علي بن محمد وكانت معيشته لاتفي بعياله فخرج في متجر ببضاعة نزرة ، فلقي أبا أحمد الموسوي « ولم يقل أبو الوفاء أين لقيه » فلما رأى شكله خفّ على قلبه وسأله عن حاله ، فتعرف بالعلويّة والبصريّة [3] وقال : خرجت في متجرٍ لي ، فقال له ـ أي أبو أحمد الموسوي ـ : « يكفيك من المتجر لقائي » [4]

قال العمري : فالذي استحسنت من هذه الحكاية قوله : « يكفيك من المتجر لقائي » .

وكان الشريف أبو أحمد كثير السعي في الإصلاح ميمون الوساطة ، لذا كثرت سفاراته لبركة وساطته بين خلفاء بني العباس وملوك بني بويه والأمراء من بني حمدان وغيرهم .

---

(١) عمدة الطالب « ص ١٩٢و١٩٣ » ط . النجف .
(٢) في عمدة الطالب طبع بمبي ص١٩١ (بن مسلطة) بدل « ملقطة » .
(٣) كان الشريف أبو أحمد بصرياً .
(٤) عمدة الطالب « ص ١٩٢و١٩٣ » ط . النجف .

وتوفي الشريف المذكور بعد أن حالفته الأمراض وذهب بصره ببغداد سنة أربعمائة، ليلة السبت لخمس بقين من جمادى الأولى ، ودفن في داره ، ثم نقل منها إلى مشهد الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء ودفن في تلك الروضة المقدسة عند جده إبراهيم بن الإمام موسى . وقبر إبراهيم هذا له مزار معلوم إلى عصرنا هذا في رواق الإمام الحسين عليه السلام مما يلي الرأس الشريف ـ بعد أن عمّر سبعاً وتسعين سنة ، وقد رثته الشعراء بمراث كثيرة ، وممن رثاه ابنه المرتضى ـ صاحب الديوان ـ بالقصيدة التي مطلعها :

ألا ياقومُ للقــــدر المتاح   وللأيام ترغب عن جِراحِي

والشريف الرضي أخوه بالقصيدة التي مطلعها :

وسمتك حالية الربيع المرْهِمِ   وسقتك ساقية الغمام المرزم

ومهيار الديلمي الكاتب بالقصيدة التي مطلعها :

كذا تنقضي الأيام حالاً على حالِ   وتنقرض السادات بادٍ على تالِ

وأبو العلاء المعري بالفائية المذكورة في سقط الزند التي مطلعها :

أودى فليت الحادثاتِ كفافِ   مالُ المسيف وعنبرُ المستافِ

والأستاذ الجليل أبو سعد علي بن محمد بن خلف بالقصيدة التي مطلعها :

يابرقُ حامِ على حَياكَ وغابرِ   أنْ تستهلّ بغير أرضِ الحائرِ

وبعث بهذه القصيدة إلى الشريف المرتضى فكتب إليه قصيدة على الروي نفسه والقافية ، ومطلعها :

هل أنت من وَصَبِ الصَبابة ناصري   أو أنت من نصب الكآبة عاذري ؟

هذا ما يتعلق بأبي المرتضى .

أما والدته :

فهي فاطمة بنت أبي محمد الحسن (أو الحسين) الملقب بـ (الناصر الصغير) ابن أحمد بن أبي محمد الحسن الملقب بـ (الناصر الكبير) أو « الأطروش أو الأصم » صاحب الديلم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام [1] وهي والدة شقيقه الرضي ، ويلقب الناصر الأصم بـ (الناصر للحق)،

(١) جاء ذكر هذا النسب في كتاب « أدب المرتضى ص ٦٤ ـ ٦٦ » للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرزاق محي الدين مع بعض الخلاف ولعله الأرجح ، وقد جاء فيه « ص ٦٥ » ذكر الحسن نقيب العلويين (الناصر الصغير) وقول المرتضى : شاهدته وكاثرته (كذا) وهو جدي الأدنى ... ولعل قوله « كاثرته» مصحف عن« كاشرته » (بالشين) والمكاشرة هي المجاورة تقول : جاري مكاشري أو بحذائي يكاشرني ، لأن المكاثرة (بالثاء) هي المغالبة ولا يريد المرتضى هذا المعنى ، وقد ولي الناصر المذكور : النقابة سنة ٣٦٢ وتوفي سنة ٣٦٨ على ما ذكر في « أدب المرتضى » .

وقد جاء فيه أي « أدب المرتضى» «ص ٦٦ هامش » يقول المؤلف (أي الدكتور) : يبدو أن لصاحب رياض العلماء رأيين مختلفين لعل ثانيهما يصحح الأول (الأول كون الناصر الأطروش إمامياً والثاني كونه زيدياً) . أقول : والذي ذهب إليه المحققون أن أبا محمد الناصر الكبير صاحب الديلم هو من علماء الإمامية ، وفي طليعتهم الشريف المرتضى نفسه في كتابه (شرح المسائل الناصرية) كما أورده « محي الدين » في قول النجاشي وعنه نقل العلامة الحلي في الخلاصة وما ذهب إليه الشيخ البهائي أيضاً ، وقد بين المرتضى نزاهته ونزاهة جميع بنيه عن تلك العقيدة المخالفة لعقيدة أسلافهم .

ولعل الخلط بين كونه زيدي المذهب تارة وإمامياً تارة أخرى ، جاء من تطابق الاسم واللقب وموضع الوفاة بينه وبين « الحسن بن زيد » من بني زيد بن الحسن السبط الذي قيل عنه إنه إمام الزيدية وهو الملقب بـ « الداعي إلى الحق » (لا الناصر للحق) وقد توفي أيضاً بطبرستان « سنة ٢٥٠ » وقام مقامه أخوه محمد بن زيد المدعو بـ (الداعي إلى الحق) أيضاً ـ . =

وكان شيخ الطالبيين ، وعالمهم ، وزاهدهم وشاعرهم ، ملك بلاد الديلم والجبل ، وجرت له حروب عظيمة مع السامانية وتوفى بطبرستان « سنة ٣٠٤ » [١].

وقد توفيت فاطمة بنت الناصر المذكورة ـ رحمها الله ـ فى ذى الحجة سنة ٣٨٥ ورثاها الشريف الرضى بالقصيدة التى مطلعها :

أبكيكِ لو نقع الغليل بكائى   وأقول لو ذهب المقال بدائى

« ألقابه وكنيته »

اشتهر الشريف المرتضى بلقب السيد ، والشريف ، والمرتضى ، وذى المجدين ، وعلم الهدى ، وأول من وسمه بهذا اللقب الأخير ، هو الوزير أبو سعد محمد بن الحسين ابن عبد الصمد سنة عشرين وأربعمائة ، وسبب التسمية مذكورة فى كتب التاريخ والتراجم فلتراجع [٢].

ويكنى بأبى القاسم .

= أما والد فاطمة أم الشريفين الذى شاهده المرتضى « وكاشره » أى جاوره وهو أبو محمد الحسن أيضاً والملقب بـ (الناصر الصغير) أو الأصغر لم يكن من الزيدية أيضاً ، ومن زعم أن أحد هذين الناصرين من الزيدية فقد اشتبه عليه الداعى للحق بالناصر للحق ـ فتأمل .

راجع « ص ٧٦ » من مقدمة حقائق التأويل للشريف الرضى ط . النجف بقلم الشيخ الفاضل المحقق عبد الحسين الحلى .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد « ج ١ ص ١٣ » وهامش « ص ٧٦ » من مقدمة حقائق التأويل المار ذكرها .

(٢) راجع روضات الجنات للخونسارى « ص٣٨٣ » ط . إيران .

« سماته الخِلقية وصفاته الخُلقيّة »

كان الشريف ـ رحمه الله ـ رَبْعَ القامة نحيف الجسم أبيض اللون حسن الصورة .

اشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء عن الحسّاد والأعداء ، وقد مُنِيَ بكثير من هؤلاء ، وديوانه طافح بالشكوى منهم والإيصاء بالتجاوز عنهم والكف عن مقارعتهم :

تجافَ عن الأعداء بُقياً فربّما ... كُفيتَ فلم تجرحْ بنابٍ ولا ظُفرِ
ولا تبرِ منهمْ كلَّ عودٍ تخافه ... فإنّ الأعادى ينبتون مع الدّهرِ [1]

إلّا أن أعداءه ومناوئيه وحاسدي نعمته وصموه بالبخل وقلة الإنفاق بهتاناً وحسداً ؛ وكلّ ذى نعمة محسود ، وإنّا لم نجد فيما كتب عنه فى التراجم من وسمه بهذه الصفة المنزه عنها ، إلّا ما نقله بعض المؤرخين بروايات متضاربة وأسانيد مضطربة ، ماخصها : أن أحد الوزراء ـ قيل هو محمد بن خلف ـ قد وزع ضريبة على الأملاك ببادُورَيا [2] وذلك لصرفها فى حفر النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكاً

---

(١) أورد هذين البيتين ياقوت فى معجم الأدباء « ج ١٣ ص ٢٥٧ » وفيه « بغياً » مصحفة عن « بقيا » ، كما أوردهما الخونسارى فى الروضات « ص ٣٨٧ » وفيها « بنان » مصحفة عن « بناب » .

(٢) بادوريا : طسوج من كورة الإستان بالجانب الغربى من بغداد ، وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى . قالوا: ما كان فى شرقى الصراة فهو « بادوزيا » وما كان فى غربها فهو « قطربل » راجع مراصد الاطلاع لابن عبد الحق البغدادى طبعة الحلبى ـ مصر / ١٩٥٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى « ج ٢ ص ٢٩ » وقد صحفت فى « أدب المرتضى » للدكتور عبد الرزاق محي الدين إلى « بادرويا » بتقديم الراء على الواو . راجع « ص ٨٣ » منه طبعة المعارف ببغداد سنة / ١٩٥٧ .

للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية ، فوقع عليه من التقسيط عشرون درهماً ، فكتب المرتضى إلى الوزير يسأله إسقاط ذلك عنه ، والقضية مذكورة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، يرويها أبو حامد أحمد بن محمد الأسفراييني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ، وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضي أبو الحسن فأعظمه وأجلّه ورفع منزلته . . . ثم دخل بعد ذلك عليه المرتضى أبو القاسم ـ رضي الله عنه ـ ؛ فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلاً وسأله أمراً فقضاه ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت إليه وقلت : أصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الأمثل الأفضل منهما ، وإنما أبو الحسن (يعني الرضي) شاعر قال : وكنت مجمعاً على الانصراف فجاءني أمر لم يكن في الحساب ، فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوّض الناس واحداً فواحداً ولم يبق عنده غيري ، ثم سرد القصة وقضية الضريبة بما يشعر بالغض من منزلة المرتضى ، هذا ما ذكره ابن أبي الحديد [1] .

والرواية تختلف بسندها ومتنها مع رواية صاحب عمدة الطالب [2] حيث أسندها إلى أبي إسحاق الصابي إبراهيم بن هلال الكاتب المشهور .

قال : كنت عند الوزير أبي محمد المهلبي ـ وليس محمد بن خلف ـ ذات يوم ، فدخل الحاجب واستأذنه للشريف المرتضى فأذن له ، فلما دخل قام إليه وأكرمه

---

(١) شرح النهج « ج ١ ص ١٣ » .

(٢) عمدة الطالب « ص ١٩٨ » ط . النجف .

وأجلسه معه فى دسته ، وأقبل عليه يحدثه حتى فرغ من حكايته ومهماته ، ثم قام إليه وودعه وخرج فلم يكن ساعة حتى دخل عليه الحاجب واستأذن للشريف الرضى .

ثم أورد القصة بفروق فى المتن أيضاً .

فنحن نقف إزاء هذه الرواية المضطربة فى متنها وسندها موقف الارتياب والاستغراب ، فبينما نجد ابن أبى الحديد يسندها لأبى حامد الأسفراييني مع الوزير محمد بن خلف ، نجد رواية ابن مهنا صاحب العمدة مسندة إلى أبى إسحاق الصابى مع الوزير المهلبى مع فروق فى المتن كما أسلفنا .

فإذا علمنا أن الوزير المهلبى أبا أحمد الحسن بن محمد بن هارون ـ وزير معز الدولة البويهى ـ قد توفى سنة ٣٥٢ هـ وهاتيك السنة هى قبل مولد المرتضى بثلاث سنين حيث كان مولده ـ رحمه الله ـ سنة ٣٥٥ هـ ، هان علينا تفنيد الرواية بداهة .

زيادة على ذلك أن الرواية الأولى تجعل الداخل الأول على الوزير هو الشريف الرضى بينما الرواية الثانية تجعله المرتضى .

هذا مايشير إما إلى اختلاق الرواية ووضعها من الأساس ، أو إلى تحريفها أو المبالغة فيها على أقرب الاحتمالات لما سنوضحه قريباً .

فالمرتضى فى سعة عن التوسل بهذه الوسائل الركيكة التى لاتناسب منزلته ومقامه لدى الوزير ولدى الخلفاء أنفسهم لرفع هذه الضريبة اليسيرة ، وذلك لما رزق من عزة فى النفس وحظ وافر من الجاه زيادة على النعمة والثراء المصحوب بالبذل والسخاء الذى دلتنا عليه سيرته الحميدة وكرمه المعروف و بذله الفذ حتى ليم على كثرة الإنفاق والعطاء مراراً فقال فى ذلك مجيباً لهم قصائد مذكورة فى هذا الديوان نذكر منها على سبيل الشاهد قوله من قصيدة حسنة :

دعى منظرى إن لم أكن لك رائعاً ... ولا تنظرى إلّا إلى حسن مخبرى
فإنى وخيرُ القول ما كان صادقاً ... لدى الفخر سبّاقٌ إلى كلّ مفخر

منها : وأعـــلم أنّ الدهر يعبث صرفُه ... بمـا شاء من مال البخيل المقتّرِ

منها : عذلت على تبذير مالى وهل ترى ... نجمّع إلاّ للجؤور المبـــذّرِ ؟
أفرّقه من قبل أن حال دونه ... رحيلىَ عنـه بالحمـام المقدَّرِ
مضى قيصر من بعد كسرى وخلّياً ... ألـتّـلاعبَ فى أموالِ كسرى وقيصرِ

وغير ذلك مما سيأتى ذكره .

وقد استفاض عنه إنفاقه على مدرسته العلمية التى تعهد بكفاية طلابهـا مؤونة ومعاشاً حتى أنه وقف قرية من قراه تصرف مواردها على قراطيس الفقهـاء[1] والتلاميذ ، وأنه كان يجرى الجرايات والمشاهرات الـكافية على تلامذته وملازمى درسه ، مثل الشيخ الطوسى ، فقد كان يعطيه اثنى عشر ديناراً فى الشهر ، ويعطى للقاضى عبد العزيز بن البرّاج ثمـانية عشرَ ديناراً وغيرهما ، وذلك بفضل مايرد عليه من دَخْل أملاكه الخاصة الذى قدّر بأربعة وعشرين ألف دينار بالسنة[2] ، ولمـا يمتلـكه من قرى وضياع قيل إنّها ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يجرى خلالها نهر له ، غرست الأشجار الوارفة على حافتيه فتهدلت غصونها بثمارها اليانعة ، فـكان ذلك الانعطاف يسهل على أصحـاب السفن والسابلة العابرين قطف تلك الأثمار التى أباحها المرتضى لهم[3] .

(١) جاء فى « ص ٨٩ و ١١٠ » من كتاب أدب المرتضى لعبد الرزاق محي الدين « كاغد الفقراء » مصحفة عن « كاغد الفقهاء » .

(٢) معجم الأدباء لياقوت « ج ١٣ ص ١٥٤ » .

(٣) روضات الجنات « ص ٣٨٣ » .

وقد أعطى المرتضى مع أخيه الرضى من أموالهما الخاصة لابن البرّاج الطائى عند ما اعتقلهما فى طريق الحج سنة ٣٨٩ هـ تسعة آلاف دينار فأطلقهما[١]

ولا أدلّ على سماحته و بذله وكرمه ، من قصته المشهورة مع ذلك اليهودى الذى أفلس عند ما أصاب الناس قحط شديد ، فاحتال لتحصيل قوت يحفظ نفسه ، فحضر يوماً مجلس المرتضى فاستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم[٢] ، فأذن له وأمر له بجائزة تجرى عليه كلّ يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يده .

وحكى ابن خلكان عن أبى زكريا الخطيب التبريزى ، أن أبا الحسن على ابن أحمد بن سلّك الفالى الأديب ، كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد فى غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بايعها أبى الحسن الفالى المذكور وهى :

أنستُ بها عشرين حولاً و بعتها ... لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنّى أننى سأبيعها ... ولو خلّدتنى فى السّجون ديونى
ولكنْ لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهمْ تستهلّ شؤونى
فقلت ولم أملك سوابقَ عبرةٍ ... مقالةَ مكوىّ الفؤاد حزينِ
« وقد تخرج الحاجاتُ يا أمّ مالكٍ ... كرائمَ من ربٍّ بهنّ ضنينِ »

فرجع النسخة إليه وترك الدنانير[٣] .

---

(١) الروضات : الصفحة السالفة .

(٢) يعنى علم رياضيات الفلك ، لامايذهب إليه المنجمون من التنبؤات والتخريفات، فللمرتضى عليهم حملة شديدة فى ذلك سنتعرض لها فى هذه الترجمة .

(٣) راجع المنتظم لابن الجوزى « ج ٨ ص ١٧٢ » فإنه ذكر الأبيات فى ترجمة الفالى ولم يذكر قصة رد الكتاب . وكذا ، راجع معجم الأدباء لياقوت « ج ١٢ =

وللمرتضى فى ذم الحرص والطمع ، قصائد ومقطوعات فى هذا الديوان نذكر منها قوله :

إن كنت ترغب بالثوا ء بهذه الدنيا عزيزا
فاحذرْ مُنى الأطماع أنْ تُمنى بها أو أنْ تجوزا
لا ترعها سمعاً فإنّ لها القعاقع والأزيزا
كم آمنٍ أضحى المطا حَ بها وقد أمسى الحريزا
لم يفده من صولة الـ أيام أنْ جَمعَ الكنوزا
كانت له نِعَمٌ فرَزْ نَ فعاد قاطنُها نشوزا
كم ذا تحوزُ ؟ وقد رأيـ ـنا حائزاً ترك المحوزا

وله أيضاً :

لا دَرّ دَرُّ الحرص والطمع ومذلّةٍ تأتيك من نُجَعِ
وإذا انتفعت بما ذَللتَ به فلأنتَ حقًّا غيرُ منتفعِ
ومصارع الأحياء كلّهمُ فى الدهر بين الرّىِّ والشّبَعِ
وإذا علمت بفرقتى جِدَتى فعلامَ فيما فاتنى جزعى ؟

= ص ٢٢٨ - ٢٢٩ » . والكنى والألقاب للشيخ عباس القمى « ج ٢ ص ٤٤٠ » ط . صيدا « ١٣٥٨ هـ » . وقد قال ياقوت فى المعجم : والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمين قاله أعرابى فيما ذكره الزبير بن بكار عن يوسف بن عياش قال : ابتاع حمزة ابن عبد الله بن الزبير جملا من أعرابى بخمسين ديناراً ثم نقده الثمن ، فجعل الأعرابى ينظر إلى الجمل ويقول : وقد تخرج الحاجات . . . البيت . فقال له حمزة : خذ جملك والدنانير ، فانصرف بجمله والدنانير .

و بعد هـذا فالرواية إن لم تـكن موضوعة ومفتعلة من أصلها ، فهى محرفة ، أو مبالغ فيها على أقرب الاحتمالات ، لما رأيت من اختلال أسانيدها ومتونها .

وعلى فرض القول بصحتها ، فإن للشريف المرتضى مخرجاً منها ومندوحة عنها ، بحملها على محامل التعديل ومخارج التأويل .

أفلا يحتمل أن يكون الشريف قد رأى بثاقب رأيه وسديد اجتهاده ، أن ما أُلقِيَ عليه من ضريبة لحفر النهر ، إنّما هو من المصالح العامة التى يتحتم على الدولة القيام بها ، والإنفاق عليها ؟ .

ولم يرد الشريف بدفعها عنه سوى دفع مظلمة أو إزالة ضرر ، وكلاهما يجب أن يدفعا ، كبيرين كانا أو صغيرين ، وقد يكون السكوت عنهما يجر إلى مغارم ، والرضا بهما يؤدى إلى مآثم ، والكلّ محظور فى الشريعة ، والراضى بعمل قوم كالداخل معهم فيه .

وقد ذكر صاحب روضات الجنات عن السيد نعمة الله الجزائرى ما يفيد معنى ما ذكرناه وهذه صورته :

« أقول : كأنّ الوزير فخر الملك لم يتحقق علوّ الهمة، فلذا عاب الأمر على الشريف المرتضى ــ رضى الله عنه ــ وإنما كان عليه غضاضة فى ذلك الكتاب (يعنى الكتاب الذى بعثه المرتضى إلى الوزير يسأله تخفيف الضريبة وإسقاطها) ، لو كان سائلًا لها من أموال الوزير ، وما فعله الشريف عند التحقيق من علوّ الهمة ، وذلك أنه دفع عن ملكه بدعة لو لم يتداركها لبقيت على ملكه ، وربما وضعت من قدره لو بقيت عند أهل الأملاك وغيرهم ، كما أنه ورد فى الحديث: المؤمن ينبغى له الحرص على حيازة (لعلها حياطة) ماله الحلال ، كى ينفقه فى سبيل الطاعات .

كما كانت عادة جدّه أبى طالب بن عبد المطلب،فإنّه كان يباشر جبر ما انكسر من مواشيه وأنعامه ، فإذا جاء الوافد إليه وهبها مع رعاتها له .

وقد نقل عن الشريف ـ عطّر الله مرقده ـ أنه اشترى كتباً قيمتهاعشرة آلاف دينار أو أزيد ، فلما حملت إليه وتصفحها رأى فى ظهر كتاب منها مكتوباً :

وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالكٍ   إلى بيع أوراق بهن ضنين (١)

فأمر بإرجاعها إلى صاحبها ووهبه الثمن .

فأين همته هـذه من الوزير الذى حمل إلى الرضى ألف دينـار واستغنم ردّها إليه ؟ » .

انتهى قول السيد نعمة الله ـ رحمه الله ـ .

وأمّا إعظام الوزير للشريف الرضى وتبجيله له أكثر من أخيه المرتضى ، فواضح لـكل من وقف على سيرة الشريفين ، وعرف نفسية كلّ من الشخصين ،وسلوكهما ونزوعهما فى الحياة .

فالشريف كان ولا ريب ينزع إلى الخلافة ويمنّى نفسه بها ، بل كان يترقبها صباحاً ومساءً ، وكان يعتقد أنه سينالها ما بقى له جَنان يخفق أو لسان ينطق بعد أمد قصير أو طويل .

---

(١) هكذا ورد البيت فى روضات الجنات « ص ٥٧٧ » وهو ضعيف ركيك سبق أن أوردنا أصله وهو مضمن فى أبيات أبى على أحمد بن سالك القالى مع قصته فى هذه المقدمة ؛ ولعل هذه الرواية غير تلك ، أو أن إحداها منسوبة إليه ، والغرض ثبوت إحداها له .

أليس هو القائل :

ما أنا للعليـــاء إن لم يكن　　من ولدى ما كان من والدى
ولا مشت بى الخيل إنْ لم أطأ　　سرير هــذا الأصيد الماجدِ

ثم أليس هو الذى يقول :

لاهمّ قلبى بركوب العــلا　　يوماً ولا بُلّت يدى بالسماح[1]
إنْ لم أنلهـــا باشتراطٍ كما　　شئت على بيض الظبا واقتراح
أفوز منهـــا باللباب الذى　　يغنى الأمانى نيله والصراح

منها :

لا بد أن أركبها صعبــةً　　وقاحة تحت غــلامٍ وقاح
فى حيث لاحكم لغير القنا　　ولا مطاع غير داعى الـكفاح
متى أرى الأرض وقد زلزلت　　بعــارض أغبر دامى النواح

وقوله يعنى نفسه :

فواعجباً ممّا يظنّ محمّدٌ　　وللظّنُّ فى بعض المواطن غدّار
يقدّر أنّ الملك طوع يمينــهِ　　ومن دون مايرجو المقدِّر أقدار
لئن هو أعفى للخــلافة لمّةً　　لهـا طررٌ فوق الجبين وأطرار
ورام العُلاَ بالشّعر والشّعر دائباً　　ففى الناس شعر خاملون وشعّار
وإنّى أرى زنداً تواتر قدحه　　ويوشِك يوماً أن يكون له نار

ويرتقى به الأمر إلى أكثر من ذلك ، حتى يسمى نفسه أمير المؤمنين ، انظر إلى قوله يخاطب نفسه[2]

---

(١) فى ديوان الشريف الرضى ط . بيروت ذات المجلد الواحد « بل يدى » بدل « بلت يدى » .

(٢) ديوان الشريف الرضى ط . بيروت ذات المجلد الواحد « ص ٣١٤ » :

هـــذا أمير المؤمنين محمّد   كرمت مغارسه وطاب المولد
أوَ ما كفاكَ بأنّ أمّك فاطمٌ   وأبوكَ حيدرة وجدّك أحمد ؟
يُمسى ومنزل ضيفه «لا يجتوى»   كرماً و بيت نُضاره لا يُقلَدُ[1]

ولم يكن الشريف الرضى وحده معللًا نفسه بهذه الآمال الجسام ، وممّنيها تلك الأمنيات العظام ، بل نجد المخلصين له من أحبائه وأصحابه يتفرسون به نيل تلك الرّتب ، والوصول إلى ذلك المرام ولو بعد حين ، لذلك كتب إليه أبو إسحاق الصابى فى هذا المعنى :

أبا حسنٍ لِى فى الرّجال فراسة   تعوّدت منها أن تقول فتصدقا
وقد خبّرتنى عنك أنّك ماجدٌ   سترقى إلى العلياءِ أبعدَ مرتقى
فوفّيتك التعظيم قبل أوانه   وقلت : أطال الله للسّيد البقــا
وأضمرتُ منه لفظةً لم أبح بهـــا   إلى أن أرى إظهـــارها لِىَ مطلقا
فإن عشتُ أو إن متّ فاذكر بشارتى   وأوجبْ بهـــا حقّاً عليك محققا
وكن لِىَ فى الأولاد والأهل حافظاً   إذا ما اطمئن الجنب فى موضع النّقا

ثم نرى الشريف يعد الصابى ببلوغ الآمال ، إن ساعد الدّهر[2] بقصيدة أيضاً مذكورة فى ديوانه ، وأولها :

---

(١) جاء فى الديوان « يحتوى » مصحفة عن « يجتوى » (على المجهول) واجتوى المكان : كره الإقامة فيه ، ويقلد : يغلق ، ومنه سمى الإقليد وهو المفتاح تقلد به الباب أى تغلق .

(٢) راجع شرح النهج لابن أبى الحديد ط . مصر « ج ١ ص ١١ – ١٢ » ، وقد جاء فى ديوان الشريف الرضى « ج ١ ص ٤١٧ » وفى عمدة الطالب طبع بمبى سنة ١٣١٨ هـ « ص ١٧٤ » أنه كان الرضى يرشح إلى الخلافة ، وكان أبو إسحاق الصابى يطمعه فيها ويزعم أن طالعه يدل على ذلك .

سننت لهـذا الرّمح غرباً مذلقاً   وأجريت في ذا الهندوانيّ رونقا

ونظم الشريف في هذا المعنى والغرض كثير يزخر به ديوانه الضخم .

فالشريف الرضي مع هذه الهمة العالية ، والنفس الطامحة ، والأنف الحميّ ، والقلب الجريء ، واللسان المصلت كالسيف الصارم ، كان في الحقيقة شبحاً مخيفاً ، بل قنبلة مرصدة إزاء كيان ملك بني العباس ، لا يدرون متى تنفجر ، فتزعزع سلطانهم ، وتعصف بدولتهم ، لذا يقول :

متى أرى الزّوراء مرتجّـةً   تمطر بالبيض الظّبا أو تُراح

يصيح فيها الموت عن ألسنٍ   عن العوالي والمواضي فصاح

فمن أجل ذلك نرى الوزراء والملوك ، بله الخلفاء أنفسهم ، يدارونه ، مداراة من تُخشى سطوته وتحذر ثورته .

فاحترام وزير شخصاً يرى ذلك الشخص نفسه أعظم من الوزير وأرفع ، وأجل وأمنع ، ليس من الأمور الغريبة أو النوادر العجيبة !

بينما نجد المرتضى ـ صاحب الديوان ـ منصرفاً إلى العلم مشغولاً بالدرس ، عازفاً عن بهرجة السلطة ومقامات السياسة ـ وإن كان ذا مكانة خطيرة فيها ـ زاهداً في المناصب أو الرئاسة ، وأكثر الناس ـ ولا يخفى ذلك ـ في كل عصر ولا سيما منهم خدمة الدوله وأرباب السلطة يزهدون في الزاهدين ، ويخشون سطوة الأشدّاء المجترئين .

أما مسألة العلم ، وتوقير العلماء فهي مسطورة في السطور ، أو مكنونة في الصدور .

ميله إلى الزهد في الدنيا ، وتهذيب النفس فيها

كان الشريف ـ رحمه الله ـ ميالاً إلى الزهد في الدنيا راغباً عنها ، ذاماً لها ، داعياً إلى الاعتبار فيها ، سالكاً سبيل أجداده الكرام ، والصحابة العظام ، من

جعلها مجازاً للآخرة ، ومزاداً لدار القرار ، لذا نجد ديوانه يفيض بالقصائد في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها والاعتبار بتقلب أحوالها ، وفناء نعيمها ، ثم هو يصف مقابرها، ويرثى مقبوريها ، ويدعو كذلك إلى تكميل النفس وتهذيبها ، وغرس مواد العزة فيها بنبذ الحرص ، وترك الطمع ، والتحلي بجمال العلم وخصال الخير فمن ذلك قوله :

فى ذم الدنيا والحث على الزهد فيها :

أفى كلّ يوم لى منًى أستجدّها ... وأسباب دنيا بالغرور أودّها

ونفس تنزّى ليتها فى جوانحٍ ... لذى قوةٍ يسطيعها فيردّها

تعامه عمداً وهى جدّ بصيرةٍ ... كما ضلّ عن عشواء بالليل رشدها

إذا قلت يوماً قد تناهى جماحها ... تجانف لى عن منهج الحق بَعدُها

منها : ولم أر كالدنيا تصدّ عن الذى ... يودّ محبّوها فيحسن صدّها

وتسقيهمُ منها الأجاج مصرّداً ... فكيف بها لو طاب للقوم عِدُّها ؟

منها : وحبّ بنى الدّنيا الحياةَ مسيئةً ... بهم ثلمة فى النفس أعوز سدّها

منها : سقى الله قلباً لم يبت فى ضلوعه ... هواها ولم يطرق نواحيه وجدُها

منها : تخفّف بن أزوادها مل طوقه ... فهان عليه عند ذلك فقدها

وقال فى الموعظة والاعتبار وهى قصيدة طويلة نذكر منها :

لاتقربنّ عضيهةً ... إنّ العضائه مخزياتُ

واجعل صلاحك سرمداً ... فالباقيات الصالحاتُ

فى هذه الدنيا ومن ... فيها لنا أبداً عظاتُ

إمّا صروف مقبلا تٌ أو صروف مدبراتُ
والذلّ موتٌ للفتى والعز فى الدنيا حياةُ
والذخر فى الدارين إمّا طاعةٌ أو مأثراتُ

وقال فى الزهد ، وهى قصيدة طويلة نذكر منها :

قل للذى راح بعزّ واغتدا يسحب منه مُطرفاً موزّدا
صنيع من يطمع أن يخلّدا جمعت ما لا بدّ أن يبدّدا
إن لم يزل فى يومه زال غدا ياجامعاً لغيره محتشدا
نضدت مالاً هل نضدت أمدا ؟ سيّانِ من سارَ يجرّ العددا
ومن يظلّ واحداً منفردا كلاهما مفارق ماوجدا

وله فى الوعظ :

يقولون أسباب الحياة كثيرة فقلت وأسباب المنون كثيرُ
وما هذه الأيام إلاّ مصائدٌ وأشراك مكروه لنا وغرورُ
يسار بنا فى كلّ يومٍ وليلةٍ فكم ذا إلى ما لا نريد نسيرُ
وما الدّهر إلاّ فرحة ثم ترحة وما الناس إلاّ مطلق وأسير

وله فى الاعتبار هذه القصيدة الحسنة ، نذكر منها :

ياسائلى عن ذنوب الدّهر آونةً استمع فعندىَ أنباء وأخبار
كلّ الرجال إذا لم يخشعوا طمعاً ولم تكدّرهم الآمال أحرار
إن تُضح دارىَ فى عمّان نائية يوماً علىّ فبالخلصاء لِى دار
لو لم يكن لىَ جار من نزارهمُ يحنو علىّ فمن قحطانهم جار

و إن يضق خُلُقٌ من صاحب سَمِجٍ فلم تضق بِيَ فى ذى الأرض أقطار

منها : ماسرّنى أنّنى أحوى الغنى و بدا فى كفّ جارىَ إعسار و إقتار

منها : لا بارك الله فى دار الشّـام ولا سالت به عند جدب العام أمطار

والخير كافة هـــذا الخلق كلّهم والنّـاس بالطبع والأخلاق أشرار

وله غير ذلك قصائد ومقطوعات تجدها خلال الديوان .

وهو مع زهده الشديد فى الدنيا وتقشّفه فيهـا ، كان ذا مقام سياسى فى الدولة خطير يفوق مقام أخيه الرضى بكثير ، وذلك بفضل ما أوتى من أصالة الرأى ووفارة العلم والمال، مع عزّ العشيرة وكثرة الرجال وهذاما سنتعرض لذكره بعد حين عندالقول على منزلته الاجتماعية والسياسية فى هذه المقدمة .

شغفه بالعلم ، مدرسته العلمية ، نظرته الإنسانية

خزانة كتبه الخاصة ، وولعه بجمع الكتب

كان الشريف ــ رحمه الله ــ مشغوفاً بالعلم منصرفاً إليه بين دراسة وتدريس ، محبًّا لتلامذته وملازميه ، حتى إنه كان يجرى عليهم الجرايات الشهرية ، وقد مرّ عليك ذكر ذلك .

وقد اتخذ من داره الواسعة مدرسة عظيمة تضم بين جـدرانها ثلة من طلاب الفقه والكلام والتفسير واللغة والشعر والعلوم الأخرى كعلم الفلك والحساب وغيره حتى سميت أو سماها دار العلم وأعد له مجلساً للمناظرات فيها .

غير أن الذى هو جدير بالملاحظة والاعتبار ، أن مجلس الشريف أو مدرسته العلمية ــ بتعبير أصح ــ كانت جامعة إنسانيـة تلم شتات كثير من طلاب العلم

ومر يديه من مختلف المذاهب والنحل ،دون تفرقة بين ملّة وملّةٍ أو مذهب ومذهب.

وقد مرّت عليك قصة اليهودى الذى درس عليه علم النجوم ـ أعنى الفلك ـ كما لم تخف عليك أيضاً اتصالاته الوثيقة بأبى إسحاق الصابى الكاتب المشهور ، وللمرتضى فى رثائه قصيدة رائعة تعد من غرر قصائده ومطلعها :

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلّا وداعى للمنى وفراق (١)

وهذا إن دلّ على شيء ، فإنه يدل على رحابة صدر المرتضى وسعة أفقه ، وشريف نظرته الإنسانية التى تعبر عن قلبه الشفيق الرحيم المعطوف على هذه النفوس البشرية المعذبة بويلات العصبية الرعناء والطائفية البغيضة ، والعنعنات الباطلة ، المنبعثة من الجهل المطبق ، وضيق الأفق المحدود ، فالمرتضى كان له أسوة حسنة فى جده الرسول الأعظم وأهل بيته الكرام وأصحابه الأجلة ، المردّدين قول رب الخلق أجمعين :

« يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ » .

خزانته الخاصة وولعه بجمع الكتب

أما شغف المرتضى بجمع الكتب وولعه باقتنائها فيكفينا أن نذكر أن خزانته

---

(١) هذه المرثية مثبتة فى هذا الديوان ، وهى تكذب ما نسبه إليه بعض الرواة دون مبالاة من أنه لما نقل إليه رثاء أخيه الشريف الرضى للصابى بالقصيدة المشهورة التى مطلعها :

أرأيت من حملوا على الأعواد ؟ أرأيت يوم خبا ضياء النادى ؟

قال الشريف المرتضى (على ما زعم) نعم : ما حملوا إلا كلباً .

ضمت ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروءاته ، على ما حصره وأحصاه صديقه أبو القاسم التنوخي [1] .

وقد قوّمت هذه الكتب بثلاثين ألف دينار على ما ذكره الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر ، هذا بعد أن أهدى الشريف من هذه الكتب إلى الرؤساء والوزراء شطراً ، وسيأتيك ذكر مؤلفاته الخاصة في فهرست كتبه .

دراسته وشيوخه

تتلمذ المرتضى على كثير من علماء عصره في مختلف العلوم والفنون ، فإنه درس اللغة والمبادىء مع أخيه الشريف الرضي على الأديب الشاعر ابن نباتة [2] السعدي ، وقرأ كلاهما الفقه والأصول على الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد ، وتتلمذ المرتضى في الشعر والأدب على أبي عبيد الله المرزباني ، وأكثر رواياته في كتابه « الأمالي » عنه ، ويروي كذلك فيه عن أبي القاسم عبيد الله بن عثمان ابن يحيى بن جنيقا الدقاق وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب [3] .

---

(١) راجع روضات الجنات « ص ٣٨٣ » ، والتنوخي : هو أبو القاسم علي بن المحسن القاضي صاحب المرتضى وتلميذه ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٥ هـ وولي القضاء بالمدائن. وكان متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً في الحديث توفي « سنة ٤٤٧ » ودفن في داره بدرب التل ، وقد كتب عنه الخطيب البغدادي وصلى على جنازته .

(٢) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر الشاعر السعدي وسيأتي ترجمته ، (وليس هو صاحب الخطب ابن نباتة الفارقي دفين ميافارقين المتوفى سنة ٣٧٤) كما وهم صاحب روضات الجنات وغيره (راجع الروضات ص ٣٨٣) .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحيم بن دينار الكاتب (راجع معجم الأدباء ج ١٤ ص ٢٤٥) ، وهو غير أحمد بن محمد بن عمران الكاتب كما لا يخفى .

وله أساتذة وشيوخ غير هؤلاء أخذ عنهم الحديث والفقه وغيرهما ، منهم المحدث الجليل الحسين بن على بن بابويه القمى أخو الشيخ الصدوق ، وسهل بن أحمد الديباجى ؛ وأبو الحسن الجندى وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب وغيرهم .

١ — الشيخ المفيد

هو محمد بن محمد بن عبد السلام العكبرى البغدادى ، المكنى بأبى عبد الله وابن المعلم ، الملقب بالشيخ المفيد ، لقبه بذلك أستاذه على بن عيسى الرمانى [1] ، العالم المتكلم المشهور ، وذلك لجليل إفاداته وكثرة علمه .

مولده وصفته :

ولد الشيخ المفيد بعكبرا، فى اليوم الحادى عشر من ذى القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ثم انحدر وهو صبى مع أبيه إلى بغداد ، واشتغل بالقراءة على أبى عبد الله الحسين بن على المعروف بجُعَل [2] ، و بعد ذلك اشتغل بالدرس على أبى ياسر فى باب خراسان من بغداد ، ثم على علىّ بن عيسى الرمانى ، وأبى القاسم بن قولويه والشيخ الصدوق القمى ، وأبى غالب الرازى وأبى عبد الله الصيمرى وأحمد بن العباس النجاشى ،

(١) ولد الرمانى سنة ٢٩٦ وحدث عن ابن دريد ، وكانت له يد فى النحو والفقه والكلام والمنطق ، وله تفسير كبير ، روى عنه التنوخى والجوهرى وتوفى «سنة ٣٨٤» ودفن بالشونيزية عند قبر أبى على الفارسى وعمره ٨٨ سنة المنتظم « ج٧ص١٧٦ » .

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن على البصرى المعروف ، بجعل ، سكن بغداد وكان من شيوخ المعتزله وصنف فى مذاهبهم ، وانتحل فى الفروع مذهب أهل العراق وتوفى « سنة ٣٦٩ » وصلى عليه أبو على الفارسى ، ودفن فى تربة استاذه أبى على الكرى بدرب الحسن بن زيد وكان قد قارب الثمانين سنة (المنتظم ج٧ ص ١٠١) .

وأبي الحسن أحمد بن الحسن بن الوليد وعلى أبيه وغيرهم من علماء الفريقين ، وكان أسمر اللون نحيفاً رَبْعاً .

إليه انتهت رئاسة الإمامية فى عصره فى الفقه والكلام والحديث، وكان ـ رحمه الله ـ شديد الفطنة ، حاضر الجواب ، قوى الأدلة فى المناظرة والحجاج ، وله عدة مجالس ومسائل ومناظرات مع أكابر علماء عصره من مختلف المذاهب ، كالقاضى عبد الجبار ابن أحمد الشافعى المعتزلى وأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى الأشعرى ، وكان مجلسه يحضره كافة العلماء (١) .

وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء الأفاضل مثل الشريف المرتضى وأخيه الرضى ، والشيخ أبى الفتح الكراجكى والشيخ الطوسى ، وأبى العباس النجاشى ، وسالار ابن عبد العزيز الديلمى، وجعفر بن محمد الدوريستى ، وأحمد بن على المعروف بابن الكوفى وأبى يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى وغير هؤلاء كثير .

توفى الشيخ المفيد ببغداد ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وكان يوم وفاته يوماً عظيماً مشهوداً ، وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الأشنان وقد ضاق الميدان على وسعه ، ودفن فى داره ، وكانت بدرب رياح ، ثم نقل إلى مقابر قريش ودفن فى تربة الإمام موسى بن جعفر وحفيده الجواد ـ عليهم السلام ـ مما يلى قدميهما .

وقبره ظاهر معروف إلى عصرنا هذا وهو سنة ١٣٧٦ هـ .

ورثاه المرتضى صاحب الديوان بقصيدة رائعة مطلعها :

مَن على هذه الدّيار أقاما ... أو ضفىٰ ملبسٌ عليه فداما ؟

---

(١) قال ابن الجوزى فى المنتظم « ج ٨ ص ١١ » : وكان لابن المعلم مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء .

٢ — ابنُ نُباتة

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدى ، الشاعر المشهور ، طاف البلاد ، ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله فى سيف الدولة بن حمدان القصائد والنخب من المدائح ، وكان قد أعطاه ، فرساً أدهم محجّلا ، له ديوان شعر كبير ، ومن شعره البيت السائر :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوّعت الأسباب والموت واحد

توفى ببغداد فى شوال « سنة ٤٠٥ »[١] .

٣ — المَرْزُبانى

أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيدالله الكاتب المعروف بالمرزبانى ، كان راوية للأخبار والآداب والشعر وأكثر ما يرويه الشريف المرتضى فى كتابه الأمالى من اللغة والشعر والأخبار عنه ، وصنف فى ذلك كتباً كثيرة مستحسنة ، وكان أشياخه يحضرون عنده فى داره فيسمعون منه ويسمع منهم ، وكانت داره معدّة لأهل العلم الذين يبيتون عنده ، وكان قد هيّأ لهم ما يكفى خمسين شخصاً مؤونة وفرشاً ، وكان أبو على الفارسى يقول عنه : إنه من محسنى الدنيا ، وحدّث عن البَغَوى وابن دريد وابن الأنبارى ونِفْطَوَيه وغيرهم .

روى عنه الصيمرى والتنوخى والجوهرى وغيرهم . توفى ببغداد « سنة ٣٨٤ » وصلى عليه أبو بكر الخوارزمى ودفن بالجانب الشرقى[٢] .

---

(١) راجع : المنتظم لابن الجوزى « ج ٧ ص ٢٧٤ » والكنى والألقاب للشيخ عباس القمى ط . صيدا « ج ١ ص ٤٢٤ » .

(٢) راجع : المنتظم لابن الجوزى « ج ٧ ص١٧٧ » .

٤ — ابن جنيقا

أبو القاسم بن عبد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق ، المعروف بابن جنيقا ، كذا ذكره الخطيب البغدادى (بالنون) وهو جد أبى يعلى بن الفراء لأمه .

قال أبو على البردانى : قال لنا القاضى أبو يعلى : الناس يقولون جنيقا بالنون وهو غلط ، إنما هو جليقا باللام ، روى عنه الأزهرى ، والعتيقى ، وكان صحيح السماع ثبت الرواية .

قال محمد بن أبى الفوارس : كان ثقة مأموناً حسن الخلق ما رأينا مثله فى معناه ، وتوفى فى رجب « سنة ٣٩٠ »[١] .

٥ — أبو عبد الله القمى

الحسين بن على بن الحسين بن بابويه ، أخو الشيخ الصدوق[٢] ، كان جليل القدر ،

---

(١) المنتظم : لابن الجوزى « ج ٧ ص ٢١٠ » .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى ، الملقب بالشيخ الصدوق ورئيس المحدثين ورد إلى بغداد « سنة ٣٥٥ » وهى السنة التى ولد فيها المرتضى — صاحب الديوان — وتوفى بالرى « سنة ٣٨١ » . له كتب جليلة فى الحديث والفقه ، أجلها كتاب « من لا يحضره الفقيه » وهو من الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإمامية ، قيل إنها لخصت من مجموع أربعمائة كتاب .

وقد جاء فى كتاب « أدب المرتضى » للدكتور عبد الرزاق محى الدين « ص ٣٤ » أنه ألف أربعمائة كتاب فى « علم الحديث » (كذا) أجلها كتابه « من لا يحضره الفقيه » .

وقد راجعنا كتب التراجم حتى التى أشار إليها الدكتور فى ذيل الصفحة المذكورة نفسها فلم نجد لهذا القول أثراً ، والذى عليه المترجمون له والذاكرون لكتبه منهم الحو =

عظيم الشأن فى الحديث ، يروى عن أبيه وأخيه ، ويروى عنه الشريف المرتضى بلا واسطة ، وكذلك النجاشى ، وقد وثقه أصحاب التراجم وأخبـاره مشهورة فى كتبهم .

وله أستاتذة وشيوخ غير هؤلاء منهم : سهل بن أحمد الديباجى ، وأبو الحسن الجندى أحمد بن محمد بن عمران النهشلى، وأبو الحسن أو (أبو الحسين) على بن محمد الكاتب ، وغيرهم .

عقيدته ومذهبه الكلامى

اتهامه بالاعتزال ــ عدل الله وصفاته ــ مسألة الحسن والقبح العقليين ــ مسألة الوعيد ــ المنزلة بين المنزلتين ــ حرية الإنسان واختياره ــ خلق القرآن ــ نفى رؤية الله تعالى ــ مسألة الإمامة والعصمة ــ عقيدة المرتضى من كتبه .

كان الشريف المرتضى ــ رحمه الله ــ يذهب فى أصول عقائده مذهب سائر الشيعة الإمامية من قولهم : بتوحيد الله عزّ وجلّ ، وعدله ، وامتناع صدور الظلم منه ، وهم ينهجون بذلك منهج أغلب المعتزلة الذين يسمون أنفسهم بالعدلية أو أهل العدل، ويقولون : بنفى الصفات الإلهية الزائدة على الذات ، إذ يرون أن صفاته سبحانه هى

= العاملى مسنداً ذلك إلى الشيخ الطوسى فى فهرسته ، والعلامة الحلى ، من أن له ثلاثمائة كتاب ، وعد له نحواً من ثلاثين من مشاهير مصنفاته (راجع ــ ٥٨٨ ــ من روضات الجنات) .

ولعل الاشتباه حصل للدكتور من نسبة كتاب « من لا يحضره الفقيه » إلى الكتب الأربعمائة كما أشرنا إلى ذلك فتأمل .

وقد وقع تحريف أيضاً فى سنة وفاة الصدوق المذكور فى ذيل الصفحة نفسها من أدب المرتضى ــ حيث جاء فيها أنه توفى « سنة ٣١٨ » والصحيح « ٣٨١ » .

عين ذاته ، و يذهبون إلى أن تحسين الشيء أو تقبيحه أمر عقلي ، أي يدركه بالعقل كعلمنا بحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار وغيرهما من الأمور البديهية ، وإن كانت بعض الأحكام التكليفية كالعبادات مثلًا لا يمكن استقلال العقل بالحكم فيها بالحسن أو القبح إلّا عن طريق الشرع ، فما ورد الشرع بحسنه أو قبحه أمر لامجال للعقل في تحسينه أو تقبيحه ، فمرتبة العقل بعد مرتبة الشرع بلا جدال .

« فأجمعت الإمامية على أن العقل يحتاج في علمه ونتائجه إلى السمع (أي المسموع من الشرع) وأنه غير منفك عن سمع ينبه الغافل على كيفية الاستدلال ، وأنه لابد في أول التكليف وابتدائه في العالم من رسول « وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » « وما كنّا معذّبين حتىّ نبعث رسولاً » ، وخالفهم في جميع ذلك المعتزلة والخوارج والزيدية ، وزعموا أن العقول تعمل بمجردها من السمع والتوقيف .

إلاّ أن البغداديين من المعتزلة خاصة يوجبون الرسالة في أول التكليف و يخالفون الإمامية في علتهم لذلك »[1]

وذهبوا إلى أن الإنسان المكلَّف محاسب على أعماله المكلَّف بها على قدر اختياره لها وقدرته عليها « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » « لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا » .

واتفقت الإمامية على أنّ الوعيد بالخلود في النار ، متوجّه على الكفّار خاصة ، دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة .

كما اتفقوا على أنّ من عُذّب بذنبه من هؤلاء لايخلد في العذاب ؛ وأجمعت

(١) راجع كتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات : للشيخ المفيد ، ط . ايران « ص ٤٤ » .

المعتزلة على خلاف ذلك وهو التخليد فى العذاب ، وهو مايعرف عندهم « أى المعتزلة » بـ « الوعيد » .

واتفقت الإمامية على أن مرتكب الكبائر من أهل المعرفة والإقرار لايخرج بذلك عن الإسلام ، وأنه مسلم وإن كان فاسقاً بما فعله من الكبائر والآثام ، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، وزعموا أن مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمنٍ ولا كافر وهذا القول يعرف عندهم بـ « المنزلة بين المنزلتين » التى ميزت المعتزلة فى أول أمرهم عن سائر فرق الإسلام ؛ وأول من قال بهذه المقالة منهم هو واصل ابن عطاء الغزّال .

ويذهب الإمامية فى الإمامة ـ بأجمعهم ـ إلى أنها بالنصّ الجلىّ على الأئمة الاثنى عشر أوّلهم على بن أبى طالب ، وآخرهم محمد بن الحسن المهدى المنتظر ، وقالوا بعصمتهم جميعاً ، وخالفهم فى جميع ذلك المعتزلة ، إلّا مانسب إلى إبراهيم بن سيّار النظّام من موافقتهم بذلك[1] .

والإمامية يختلفون مع المعتزلة فى مسائل أُخر ، وكان ماذكرناه أهمها ، ويتفقون معهم فى مسائل أُخر غيرها ، من قولهم بخلق القرآن ، وإنه كلام الله محدث وليس بقديم ، وقولهم إنّ الله تعالى لايُرى لافى الدنيا ولافى الآخرة ، وغير ذلك .

إلّا أن اشتراكهم مع المعتزلة فى بعض المقالات والاعتقادات لايبرّر القول بأنّهم منهم ، فللمعتزلة آراء وعقائد يتشاركون بها مع كافة فرق الإسلام ، ويتفرّدون عنهم بعقائد وآراء أُخَر ، كما يتمايزون بعضهم عن بعض فى كثير من الآراء .

وعلى ذلك فالمرتضى لم يكن معتزلياً ولا رأساً فى الاعتزال ، على مايزعم الخطيب

(١) راجع : الملل والنحل للشهرستانى ـ بحث النظامية .

البغدادى ، ولا فيه ميل أو تظاهر فى الاعتزال أو هو داعية إليـه على مايذهب إليه ابن الجوزى وابن حزم الظاهرى .

قال الصفدى فى الوافى بالوفيات نقلاً عن الخطيب البغداى قال ـ يعنى الخطيب ـ : كتبت عنه ـ أى عن المرتضى ـ وكان رأساً فى الاعتزال كثير الإطلاع والجدال .

وقال ابن الجوزى فى المنتظم « ج ٨ ص ١٢٠ » كان إمامياً فيه ميل للاعتزال .

وقال ابن حزم فى الملل والنحل على مانقله عنـه صاحب روضات الجنـات « ص ٣٨٧ » : « ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً إن القرآن مبدّل ، زيد فيه ونقص » حاشا على بن الحسين بن موسى (يعنى الشريف المرتضى) . وكان إمامياً فيه تظاهر بالاعتزال ، ومع ذلك كان ينكر هذا القول وكفّر من قال به ، وكذلك صاحباه أبو يعلى الطوسى ، وأبو القاسم الرازى .

أقول : وأكثر الشيعة الإمامية على القول بتمام القرآن بلا زيادة ولا نقصان وهو ما بين الدّفتين ، وهذا قول صادقهم .

ويكفينا فى الدلالة على خلاف الإمامية مع المعتزلة ، أن نذكر أن للمرتضى نفسه ولأستاذه الشيخ المفيد ، ولتلامذته كالشيخ الطوسى وغيره كتباً ومناظرات مع رؤساء المعتزلة وأكابرهم كواصل بن عطاء ، وإبراهيم بن سيّار النظّام ، والقاضى عبد الجبار ابن أحمد وغيرهم (١) .

---

(١) راجع كتاب أوائل المقالات فى المذاهب المختارات للشيخ المفيد ، وكتاب الفصول المختارة للشريف المرتضى وهو تلخيص لكتاب أستاذه الشيخ المفيد المسمى « العيون والمحاسن » وهو من الكتب الممتعة حقاً ، وكتاب الشافى ـ فى الإمامة ـ للمرتضى فى الرد على كتاب القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المسمى بالمغنى الكافى ، فهو كاف لإيراد شواهد الخلاف بين القوم .

ويحسن بنا أن نأتى بجملة موجزة للوقوف على مجمل عقيدة المرتضى من بعض كتبه لتكون شاهد صدق على لحابة معتقده .

يقول فى كتابه « إنقاذ البشر من الجبر والقدر »[1]

فأول ذلك نقول : إنّ الله ربّنا ، ومحمداً نبيّنا ، والإسلام ديننا، والقرآن إمامنا ، والكعبة قبلتنا ، والمسلمين إخواننا ، والعترة الطاهرة من آل الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحابته والتابعين لهم بإحسان ، سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا وأولياؤنا ، نحب من أحبّ الله ، ونبغض من أبغض الله ، ونوالى من والى الله ونعادى من عادى الله ...

مذهبه فى الفقه والأصول

الأخباريون والأصوليون ـ الاجتهاد والتقليد ـ مسلك المرتضى
فى تعليل الأخبار ـ رأيه فى عدم التمسك بخبر الواحد

الشيعة الإمامية من الناحية الفقهية صنفان : أخباريون ، وأصوليون .

فالأخباريون يمنعون الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ويعملون بالأخبار الواردة عن النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته ، ويرون أن ما فى كتب الأخبار الأربعة المعروفة عند الشيعة [2] قطعى السند أو موثوق بصدوره ، فلا حاجة

---

(١) « ص ٣٦ » طبع النجف .

(٢) وهى : كتاب الكافى : للشيخ محمد بن يعقوب الكلينى المتوفى «سنة ٣٢٩»، و « من لا يحضره الفقيه » لأبى جعفر محمد بن على بن بابويه القمى الملقب بالشيخ الصدوق المتوفى « سنة ٣٨١ » ، وكتابا الاستبصار والتهذيب،وكلاهما للشيخ أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى تلميذ المرتضى المتوفى « سنة ٤٦٠ » .

إلى البحث عن سندها ، ولا يرون ضرورة إلى تقسيم الأحاديث إلى أقسامها المعروفة، من الصحيح والحسن والموثق والضعيف والمرسل وغيرها، بل يرون أنها كلها صحيحة ، وأنهم يرون عدم الحاجة إلى تعلم أصول الفقه ، و يسقطون من أدلته ، دليل الإجماع ودليل العقل ، ويقتصرون على القرآن والخبر ، فلذلك عرفوا بالأخبارية أو الأخباريين .

وخلاصة مذهبهم الفقهي : أن كل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة ، عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش ، وأن كثيراً مما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم من الأحكام ومما يتعلق بكتاب الله وسنة نبيّه (ص) من نسخ وتقييد وتخصيص وتأويل ، مخزون عند العترة الطاهرة ، وأن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعيّة ، وكذلك كثير من السّنن النبوية ، وأنلا سبيل لنا فيما لا نعلمه من الأحكام النظرية الشرعية أصلية كانت أو فرعية إلّا السّماع من الصادقين عليهم السلام ، وأنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله ، ولا ظواهر السنن النبوية ، ما لم يُعلم أحوالها من جهة أهل الذكر عليهم السلام ، بل يجب التوقف والاحتياط ، وأن المجتهد في نفس أحكامه تعالى ، إنْ أخطأ كذب على الله ، و إن أصاب لم يؤجر ، وأنه لا يجوز القضاء أو الإفتاء إلا بقطع و يقين ، ومع فقده فيجب التوقف .

و إن اليقين المفيد فيهما قسمان ، يقين متعلق بأن هذا حكم الله في الواقع ، و يقين متعلق بأن هذا ورد عن معصوم ، فإنهم ــ عليهم السلام ــ جوّزوا لنا العمل به قبل ظهور القائم ــ عليه السلام ــ .

واليقين المفيد في البابين ؛ اليقين العادي،و باب اليقين العادي واسع يشهد بذلك اللبيب اليقظ .

والأصوليون بنوا على هذا الباب كثيرا من قواعدهم كحجيّة الإجماع ... الخ..[1]

الأصوليون

أما الأصوليون من الإمامية فهم القائلون بالاجتهاد ، الآخذون بالأدلة الأربعة فى استنباط الأحكام الشرعية ، وهى الكتاب والسنة ودليل الإجماع ودليل العقل .

ورأيهم فى الأخبار المذكورة فى الكتب الأربعة المنوه بها ، أن أغلبها غير قطعى السند ، وأحاديثها مختلفة المراتب،ففيها الصحيح والحسن والموثق والضعيف والمرسل وغير ذلك .

وما كان كذلك فهو ظنى الدلالة ، فيجب أن يبحث عن أسانيد الرواية عند إرادة العمل بها .

ويرون البراءة عند الشك فى الوجوب أو التحريم إلّا أن يسبق العلم الإجمالى بأحدها ، فيجب العمل بالاحتياط خلافاً للأخبارية الذين يرون الاحتياط عند الشك فى التحريم ولو مع عدم سبق العلم الإجمالى . .

ولشدة تمسك الأخبارية بالأخبار ، نراهم يجوّزون تقليد العالم الميت ابتداء خلافاً للأصولية .

هذا وللأخبارية مع الأصولية خلافات أخر مذكورة فى مظانها [2] .

وقد قيل إن أول من قال بالاجتهاد ـ على الطريقة المعهودة ـ وأتبع أصول

---

(١) الفوائد المدنية لمحمد أمين الاسترابادى ط . العجم « ص ٤٧ و ٤٨ » .

(٢) راجع أعيان الشيعة « ج ١٧ ص ٤٥٢ » للعلامة الجليل المرحوم السيد محسن الأمين العاملى ، وكتاب منبع الحياة فى حجية قول المجتهد من الأموات ، وكتاب الفوائد المدنية للاسترابادى وغيرها .

الفقه من الإمامية على ما ذكره الملا محمد أمين الاسترابادى صاحب كتاب الفوائد المدنية المتوفى « سنة ١٠٣٦ هـ » هو الحسن بن أبى عقيل العمانى ، ومحمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافى ، وكلاهما من أهل المئة الثالثة إلى الرابعة ، و إلى ثانيهما ينسب العمل بالقياس.

وأن الشيخ المفيد ــ أستاذ المرتضى ــ لما أظهر حسن الظن بتصانيفهما بين أصحابه ، ومنهم المرتضى والطوسى شاعت طريقتهما منذ ذلك العهد [١] .

و إنى أرى أن فى هذا القول شيئاً من المبالغة ، إذ أن الشيعة على وجه العموم كانوا أسبق فرق الإسلام فى الأخذ بأصول الفقه فى استنباط الأحكام ، وقد استفاض عن إمامهم الصادق جعفر بن محمد ــ عليه السلام ــ أنه أملى على تلميذه الفتى النابه المتكلم هشام بن الحكم ــ رضى الله عنه ــ شيئاً من مبادىء أصول الفقه ، كمبحث الألفاظ وقاعدة العمل عند تعارض الدليلين ، ومنهج القول فى التعادل والتراجيح وغيرها حيث وضع فى ذلك كتاباً [٢] وهو يعتبر بلا شك أسبق مما حرره الإمام الشافعى ــ رحمه الله ــ فى أصول الفقه (الذى يظن أنه أول من ألف فيه) بأكثر من خمسين سنة .

وعلى هذا يتهافت قول القائل بأن الشيعة تأخروا عن غيرهم فى « تحرير أصول للفقه سبق لأئمة أهل السنة أن حرروها و بحثوها ولم يكن للإمامية فيها نصيب [٣] »؟!

---

(١) أعيان الشيعة « ج ١٧ ص ٤٥٢ » .

(٢) راجع الشيعة وفنون الإسلام «ص٥٦ ــ٥٧» للعلامة الحجة السيد حسن الصدر رحمه الله ، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام له أيضاً . ملحوظة : كانت وفاة الإمام الصادق « سنة ١٤٨ » ووفاة الإمام الشافعى « ٢٠٤ » .

(٣) هذا القول يذهب إليه الدكتور عبد الرزاق محيى الدين فى كتابه « أدب المرتضى » ــ ص ٥٨ ــ ولعله قلد فيه أحمد أمين وأمثاله .

كما أرى أيضاً قول المحدث الاسترابادى وغيره لا يخلو من المبالغة أيضاً فى حق الأخبارية .

فالحق أن الأخبارية لم يقبلوا كافة الأحاديث على علاتها دون تمحيص أو تحقيق ، بل الواقع أنهم يتحرون الصحيح الذى لا يتعارض مع الكتاب فيأخذون به ، فهم فى ذلك مجتهدون فى الأحاديث ، كما أن الأصولية مجتهدون فى الأحكام بعد تمحيص الأحاديث أيضاً ، والأخبارية فى تمسكهم بالأحاديث يشبهون من بعض الوجوه الحنابلة من أهل السنة فى هذا الباب ، وما ذلك إلا لتحرجهم فى الدين وطلبهم لرضا رب العالمين ، فلا مساغ للطعن عليهم أو الإزراء بهم ، وكيف يسوغ ذلك وأكثر علمائنا السابقين ـ رضى الله عنهم ـ منهم ؟ والكل فى الحقيقة مجتهدون من حيث يدرون أو لا يدرون ويكاد يكون الخلاف لفظياً فى أغلب الوجوه .

فلهذه الأسباب المارة ، ولتجرد المرتضى رحمه الله فى حرية رأيه واجتهاده ، وعدم تعلقه بالاستدلال بالأخبار الضعيفة ، وبالأخص أخبار الآحاد ، ولكثرة استدلاله بالأدلة العقلية المتفقة مع الكتاب والسنة المتواترة ، نسبه بعض المترجمين له ـ من غير الشيعة ـ إلى الاعتزال ، أو إلى الميل إليه كما ألمعنا إلى ذلك من قبل وعلى ما يقوله ابن حزم « أنه من كبار المعتزلة الدعاة وكان إمامياً »[1] ـ وهذا القول الأخير على ما فيه من الخلط والخبط من كونه من كبار دعاة المعتزلة وهو إمامى المذهب

---

(١) راجع : « ص٢٤ » من مقدمة العلامة الدكتور مصطفى جواد نقلا عن « لسان الميزان » ، وما كتبه فى ترجمة المرتضى نقلا عن تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى : الذى علق عليه ـ الدكتور فى « ج ٤ ص ٨٢ » من نسخته الخطية الأولى وهى غير نسخته الثانية التى أعدها للطبع مع حواش فى أكثر من ألف وخمسمائة صفحة .

يشبه قولنا فلان من أكابر دعاة أهل السنة وهو شيعي المذهب : قد تورط فيه غير واحد من المتقدمين والمتأخرين[1].

ثم ماذا يضير الشيعة الإمامية فى التقائهم فى كثير من الأصول والفروع مع المعتزلة أو غيرهم من فرق الإسلام ما داموا على محجة الحق ونهج الصدق المطابق للشرع والعقل ، والمفهوم عن المعتزلة بوجه خاص أنهم أولى الفرق الإسلامية الداعية إلى حرية الرأى ، والقائلة بهيمنة العقل ، ووجوب الجنوح إلى أدلته ولو قبل ورود الشرع ؟ ؟ .

وقد قيل إن الشيعة هم ورثة المعتزلة[2] . ولو كان وجود الشيعة قبل وجود المعتزلة بزمن طويل ، وهو أمر واضح معلوم .

ونحن الآن قد بينا أن الإمامية يختلفون مع المعتزلة فى كثير من الأصول وأكثر الفروع وللمتتبع مجالات أخر غير هذه المقدمة .

اجتهاد المرتضى ـ مسلكه فى تعليل الأخبار وتأويلها

رأيه فى عدم وجوب التمسك بخبر الواحد

كان المرتضى ـ رحمه الله ـ أعرف الناس بالكتاب والسنة ووجود التأويل فى الآيات والروايات وموارد الاستدلال بهما ، وأنه لما سدّ باب العمل بأخبار الآحاد ـ وهى فى نظره من الأدلة الظنية التى لا توجب علماً ولا عملاً ـ اضطر إلى استنباط

---

(١) ذهب الدكتور عبد الرزاق محى الدين فى أكثر من موضع واحد من كتابه « أدب المرتضى » إلى الخلط بين كونه إمامياً ومعتزلياً حتى جعل التشيع منحى من مناحى الاعتزال إن لم يكن اعتزالا فى الاعتزال ! راجع «ص٣٩ و٥٨» منه .

(٢) راجع ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : لآدم متز طبعة لجنة التأليف بمصر ١٣٥٩ « ج ١ ص ١٠٢ » .

الأحكام الشرعيــة من الـكتاب والأخبــار المتواترة المحفوفة بقرائن العلم ، وذلك يحتاج إلى فضل اطلاع على الأحاديث و إحاطة بأصول الأصحاب ، ومهارة فى علم التفسير واللغة وغيرها لاستنباط الأحكام ، بينما يـكون العامل بأخبار الآحاد فى سعة ن ذلك [1] .

وقد أثر عنه أنه أول من فتح أبواب التدقيق والتحقيق ، واستعمل فى الأدلة النظر الدقيق ، وأوضح طريقة الإجماع واحتج بها فى أكثر المسائل [2] .

وقد كان فى جميع كتبه ورسائله أصوليًا بحتًا ومجتهداً صرفًا ، قليل التعلق بالأخبار ، كثير الاستدلال بالأدلة العقلية المتفقة مع الـكتاب والسنة ، فلا غرو أن يكون من مجتهدى الفقهاء وفقهاء المجتهدين [3] .

أما مسلـكه فى تعليل الأخبار وتأويلها فيقول :

« اعلم : أن المعوّل فيما يعتقد ، على ماتدل الأدلة عليه ، من نفى و إثبات ، فإذا دلت الأدلة على أمر من الأمور وجب أن نبنى كلّ وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه ونسوقه إليه ، ونطابق بينه و بينه ، ونجلّى ظاهراً إن كان له ، ونشرط إن كان مطلقاً ، ونخصّه إن كان عاماً ، ونفصّله إن كان مجملًا ، ونوفّق بينه و بين الأدلّة من كل طريقٍ اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة .

فإذا كنّا نفعل ذلك ولا نحتشمه فى ظواهر القرآن [3] المقطوع على صحته ،

(١و٢) روضات الجنات « ص٣٨٥ » .

(٣) وليس معنى ذلك أنه كان يذهب إلى تفسير القرآن برأيه أو « كان من طليعة المفسرين للقرآن الـكريم بالرأى » كما زعمه أو اخترعه الدكتورعبدالرزاق محي الدين فى كتابه « أدب المرتضى » فى «ص ب» من المقدمة وفى مواضع أخر من الـكتاب .

المعلوم وروده ، فكيف نتوقّف عن ذلك فى أخبار آحادٍ لا توجب علماً ولا تثمر يقيناً ؟ ! .

فمتى وردت عليك أخبار فاعرضها على هذه الجملة وابنها عليها ، وافعل فيها ما حكمت به الأدلة وأوجبته الحجج العقلية ، وإن تعذّر فيها بناء وتأويل وتخريج وتنزيل ، فليس غير الاطراح لها وترك التعريج عليها[1] .

ثم هو يفسر الأحاديث وما جاء من الأحكام فيما يتعلق بالمحللات والمحرّمات تفسيراً يتفق مع المنطق السليم والعقل القويم ، ذاكراً بأنّ لكلّ محرّمٍ علّة ولكلّ محظورٍ سبباً ، ضارباً مايقوله الغالية فى تعليل بعض الأخبار عرض الجدار ، انظر إلى قوله :

فأمّا تحريم السمك الجرّى وما أشبهه فغير ممتنع ، لشىء يتعلق بالمفسدة فى تناوله كما نقول فى سائر المحرّمات ، فأمّا القول بأن الجرّى نطق بأنه مسخ بجحده الولاية[2] ، فهو ممّا يُضحك منه ويُتعجّب من قائله والملتفت إلى مثله[3] .

* * *

(١) أمالى المرتضى « ج ٢ ص ٣٥٠ » تحقيق أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة الحلبى .

(٢) يريد بالولاية : ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، وهو يرد ويسخف تخريفات الغالية من الشيعة فى قولهم : إن الجرى ممن عرضت عليه الولاية فجحدها ، وهذا مما يضحك حقاً .

(٣) أمالى المرتضى « ج ٢ ص ٣٥١ » .

براعته فى المناظرة وعلم الكلام

وثناء العلماء عليه

كان الشريف المرتضى ـ رضى الله عنه ـ خليفة أستاذه العلامة الشيخ المفيد فى علم الكلام وفن المناظرة ، وكان مجلسه كمجلس شيخه المفيد يحضره أقطاب العلماء من كافة المذاهب ، بل وسائر الملل ، وقد مرّ عليك دراسة اليهودى عليه وكثرة اختلاف الصابى وتردده إليه وما قاله ابن الجوزى فى أول الترجمة بأن المرتضى كان يناظر عنده فى كلّ المذاهب ، وهذا يدل على فضل اطلاعه على فوارق المذاهب ومواد الخلاف فيما بينهم . وهو مع ذلك كان محترماً لدى جميعهم ، معظماً عندهم ، إلا عند حسّاده ومناوئيه . « فقد ذكر عن الشيخ أبى جعفر محمد بن يحيى بن مبارك ابن مقبل (كذا ولعله معقل) الغسانى الحمصى أنه قال : ما رأيت رجلاً من العامة إلّا وهو يثنى عليه ، وما رأيت من يبخسه حقّه ، وما رأيت إلّا من يزعم أنه من طائفته » (١) .

وقال عنه الصفدى فى الوافى بالوفيات : إنه كان فاضلاً ماهراً ، أديباً متكلّماً ، له مصنفات على مذهب الشيعة ، قال الخطيب (يعنى البغدادى) : كتبت عنه وكان رأساً فى الاعتزال ، كثير الاطلاع والجدال (٢) .

وقال الثعالبى صاحب يتيمة الدهر : وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى

---

(١) روضات الجنات « ص ٣٨٥ » .

(٢) قد فندنا القول بكونه من المعتزلة فى هذه المقدمة .

فى المجد والشرف والعلم والأدب ، والفضل والكرم . . . [1] .

وقد سئل عنه فيلسوف المعرة أبو العلاء بعد أن حضر مجلسه فقال :

يا سائلى عنه لمّا جئت أسأله ... فإنّه الرجل العارى عن العارِ

لو جئته لرأيت الناس فى رجلٍ ... والدّهر فى ساعةٍ والأرض فى دار

وكان نصير الدين الطوسى الفيلسوف الرياضى المشهور يقول ـ إذا جرى ذكر المرتضى فى درسه ـ : « صلوات الله عليه » ، ثم يلتفت إلى القضاة والمدرسين الحاضرين درسه ، ويقول : كيف لا يُصَلّى على المرتضى ؟! [2] .

علمه باللغة وغريبها

العلم بغريب اللغة يدل على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها فى مختلف ديارها ومواطنها ؛ وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل (كذا) [3] يقول : لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندى آثما ، وكتابه الأمالى المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد ، يشتمل على محاسن فنون تكلم فيها فى النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك ، حتى إنّ شيخاً من شيوخ الأدب بمصر قال فيه : والله إنّى استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها فى كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو [4] .

---

(١) تتمة اليتيمة « ج ١ ص ٥٣ » ط . إيران .

(٢و٣و٤) ـ روضات الجنات « ص ٣٨٥ » .

فلسفته

دعائم فلسفته ـ تهجينه الفلاسفة ـ قوله فى النفس ـ
قوله فى المنامات ـ ذمه المنجمين .

للمرتضى فلسفة إسلامية خاصة فى تفسير الأشياء وظاهراتها تختلف عن تفسير كافة فلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانيـة وقواعدها المنطقية المبنية على منطق أرسطو و إلاهيّات إفلاطون ومغالطات بروتاغوراس ، وغيرهم ، هـذا إذا فسرنا الفلسفة بأنها النظر العقلى فى الأشياء ، فهو يفسر ظواهر الكون وفعّاليّات الأحياء مستنداً إلى ثلاث دعائم أساسية ، هى السماع والعقل وجريان العادة ، وأقصد بالسماع ماوردت به آية محكمة أو خبر صحيح ، و بالعقل ما أثبتته الأدلة العقلية بالبرهان العقلى غير المستند على أوهام الفلاسفة وسفسطاتهم .

فهو عندما يعوزه الدليل السمعى يلجأ إلى التعليل العقلى ، فإن أعياه هـذا ركن إلى القول بجريان العادة التى يسندها إلى الله تعالى ، ويريد بالعادة مانسميه بالسنّة الكونية أو الناموس الطبيعى ، سواء أكان ذلك الناموس حياتياً يتعلق بالأحياء وفعالياتهم ، أو كيميائياً حيوياً ممتزجاً ، أوفيزيائياً صرفاً .

ففلسفته من لون خاص تمتزج فيها أحياناً الروحية مع المادية وتنفرد إحداهما عن الأخرى أحياناً أخر .

ألا ترى إلى قوله فى تفسير نزول الماء من السحّارة [1] ، وهى ظاهرة طبيعية

(١) السحارة : آلة يكون فى رأسها ثقب واحد وفى أسفلها ثقوب كثيرة (تشبه رأس دوش الحمام) ، إذا ملأناها بالماء ثم سددنا رأسها بالإبهام ، لم ينزل الماء من الثقوب التى فى أسفلها ؛ وإذ أزلنا إبهامنا نزل الماء . ولا علة لذلك إلا أنها عند سد رأسها بالإبهام منعنا الهواء من أن يخلف فى مكان الماء (راجع ج ٢ ص ٣٢٢) من أمالى المرتضى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط . الحلو سنة ١٣٧٣هـ مع هامشها) .

فيزيائية : فأمّا ماجرّبناه فنتكلم على العلة المفرقة بين الزئبق والماء ، والذى يجب أن يعتمد فى نقض الاستدلال من القائلين بذلك فى الماء والسحّارة أن يقال لهم : ما أنكرتم أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل فى الماء السكون والوقوف مع سد رأسها ، فلاينزل من أسفلها ، و إذا فتحنا رأسها لم يفعل ذلك السكون فيجرى الماء منها من الثقوب .

والعادة حسبما استقريناه من فلسفته نوعان ؛ نوع منها يكون ثابتاً كأغلب النواميس الطبيعية والظواهر الكونية ، كقانون الجذب الأرضى والمغناطيسية القطبية والظواهر الفيزيائية ، كحرارة الشمس وآثارها ، وحجر المغناطيس وفعله .

ومنها ما يكون نسبياً يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، وهذه هى العادة المكتسبة أو المحلية غير المستقرة ، فانظر إلى قوله بعد تعليله نزول الماء من السحارة مباشرة : وليس ينبغى أن ينكر أصحابنا خاصة أن يكون هذا بالعادة ونحن كلنا نقول: إنّ انجذاب الحديد إلى حجر المغناطيس إنما هو بالعادة ، و إلّا فالمغناطيس وسائر الأحجار سواء ! و إنّ بالعادة وقع الشّبَع عند تناول الخبز واللحم ، وارتفع عند غيرهما ، والجنس واحد ، وماتقول جماعتنا بالعادة أكثر من أن يحصى .

ثم انظر إلى قوله : فإذا قيل لنا ، فما طريقه العادة يجوز فيه الاختلاف . قلنا لهم : نحن نجوّز ذلك ولا نمنع أن تختلف العادة فيه ، كما لا نمنع أن يستمر فى كل بلد وعند كلّ أحد ، ولايخرج هذا الحكم مع استمراره عن أن يكون مستنداً إلى العادة [1] ثم يقول : و إذا أنكر الفلاسفة الملحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجحدهم الصانع .

---

(١) أمالى المرتضى « ج ٢ ص٣٢٦-٣٢٧ » .

ثم نراه يُفيض بعد ذلك فى تفسير العادة وتعليلها واختلاف آثارها باختلاف المكان والزمان فليراجع[1].

رأيه فى النفس وعدم تجرّدها

يرى المرتضى ذات الإنسان واحدة ، لا نفس له مجردة عنه ومفارقة له . و بذلك يفارق كافة الفلاسفة الإسلاميين ومن سبقهم من القائلين بتجرد النفس عن الجسد ومفارقتها له بعد فنائه . و يسمى فلسفة القائلين بذلك هذياناً[2]

تأمل فى قوله :

والذى تهذى به الفلاسفة من أن النفس جوهر بسيط و ينسبون الأفعال إليها مما لا محصول له ، و بينا فساده فى مواضع كثيرة من كتبنا ، ودللنا على أن الفاعل المميّز الحىّ الناطق ، هو الإنسان الذى هو هذا الشخص المشاهد ، دون جزء فيه ، أو جوهر بسيط يتعلق به ، وليس هذا موضع بيان ذلك والكلام فيه[3] . . .

---

(١) أمالى المرتضى « ج ٢ ص ٣٢٧ » و « ص ٣٣٢ » منه أيضاً .

(٢) أقول : تعرض أغلب الفلاسفة المتقدمين منهم والمتأخرين من المسلمين وغير المسلمين إلى ذكر النفس وصفاتها وأحوالها منهم أرسطو ـ من فلاسفة اليونان ـ له كتاب خاص بالنفس ، ولابن سينا ولابن رشد وللخاجة نصير الدين الطوسى لكل رسالة فيها وللأخير رسالة قيمة سماها « بقاء النفس بعد فناء الجسد » وقد وضع ملا صدرا من فلاسفة المسلمين الإلاهيين المتأخرين كتاباً ضخماً سماه أسفار النفس تعرض فى بحوث خاصة منه لها ، ولكثير من فلاسفة اليونان والمسلمين وغيرهم بحوث مستفيضة فيها ، وقد عزمنا بعون الله على وضع رسالة كبيرة فى ذلك تتضمن رأى المرتضى ـ رضى الله عنه ـ ورأى غيره فيها .

(٣) طيف الخيال « ص ٣٩ » طبعة عيسى الحلبى ـ مصر سنة ١٣٧٤ هـ .

ثم يقول فى شرحه وتعليقاته على بعض أبياته فى طيف الخيال [1]

« الأرواح لا يصح عليها فى الحقيقة التلاقى والتزاور ، لكنّ الشعراء لما رأوا أن الأجساد فى طيف الخيال لم تتلاق ، ولا تدانت ، نسبوا التلاقى إلى الأرواح ، تعويلًا على من جعل النفس لها قيام بنفسها ، وأنها غير الجسد ، وأن التصرّف لها ، فجرينا على هذه الطريقة ، وإن كان ذلك باطلًا فى التحقيق » .

ثم نراه يزرى بالفلاسفة ويذهب فى تسخيفهم وتهجينهم إلى أبعد الحدود عند تعرضه لقولهم فى المنامات ونسبتها إلى النفس بما يأتى :

قوله فى المنــــامات « والأحلام »
ونفيه نسبتها إلى النفس :

يذهب المرتضى فى تعليله المنامات وأسبابها مذهباً يتفق فى بعض أقسامه مع رأى علماء الطبيعة المحدثين فى ذلك ، وينـكر ما تقوله الفلاسفة فى هذا الباب من نسبتهم المنامات إلى النفس وما تطلّع عليه من عالم الغيب .

انظر إلى قوله :

« فأمّا ما تهذى به الفلاسفة فى هذا الباب ، مما يضحك الثّـكلى ؛ لأنهم ينسبون ما صحّ من المنامات لمّا أعيتهم الحيل فى ذكر سببه إلى أن النفس اطّلعت إلى عالمها فأشرفت على ما يكون . وهذا الذى يذهبون إليه فى حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط ، فـكيف إذا أضيف إليه الاطّلاع على عالمها ؟ وما هذا الاطلاع ؟ وإلى أى شىء يشيرون بعالم النفس ؟ ولِمَ يجب أن تعرف الـكائنات عن هذا الاطلاع؟!

---

(١) ص ٨٣

وكل هذا زخرفة ومخرقة ، وتهاويل لا يتحصّل منها شيء [١]

ثم هو ينكر ما يقوله أصحاب الطبائع في المنامات ويفنّد آراءهم [٢].

ونحن لا نريد أن نعلق أو نبسط القول في هذه المقدمة الموجزة على ما يقوله في النفس إذ له ما يشير أو يصرح بوجود روح في الإنسان بها قوام الجسد [٣]. كما أن له من القول في شعره ما يشعر ببقائها بعد تلاشي الجسد :

ومِنَ أين البقاء والجسمُ تُربٌ يتلاشى وإنّما الرّوح روحُ [٤]؟

إلّا أننا لم نقف له على قول يبين لنا كنه تلك الروح أو صفاتها ، والظاهر من كلامه المار أنها لم تكن جوهراً بسيطاً مجرّداً تتعلق بالبدن في حياته ، وتفارقه عند مماته ، كما يقول الأكثرون ، أو يصوره الفلاسفة الأقدمون،ولعلها مادة موجودة في البدن متى وجدت أسبغت عليه صفة الحياة ، فإن اختلّت أو فُقدت ، اتّصف البدن بالممات ؛ أو هي على الأصح نسمة من أمر الله كما عبّر عنها القرآن الكريم – إن أريد بمعنى الروح ذلك – وعلى كلّ فليس في قول المرتضى ما يستفاد منه إنكار الروح أصلًا ، ولكنّه ينكر ما يصوره الفلاسفة من أوصافها من الجوهرية والتجرد والبساطة . . . وما ينسبون إليها من أعمال ، وليس في قوله هذا ما يستفاد منه إنكار البعث كما قد توهم أو يتوهم البعض ، إذ لا ملازمة بين إنكارها وإنكاره . وعسى أن نوفق إلى بسط القول في ذلك في مجال آخر إن شاء الله تعالى .

---

(١) أمالي المرتضى « ج ٢ ص ٣٩٥ » .

(٢) الأمالي « ج ٢ ص ٣٩٣و٣٩٤و٣٩٥ » .

(٣) الأمالي « ج ١ ص ١٢ » .

(٤) الديوان ، القسم الأول « ص ١٨٨ » .

رأيه فى المنجمين

يذهب المرتضى إلى تحريف المنجمين وتسخيفهم،وإلى أنهم مشعوذون دجّالون ، وأن ما يقولون به من تأثيرات النجوم وسير الكواكب وأثر الطالع ونحس الأيّام ويُمنها ، كلّ ذلك لا طائل تحته ولا حقيقة فيه ، وقد كان يجب لو كان قد صح القول بالنجوم وأحكامها،أن تكون سلامة المنجمين أكثر ومصائبهم أقل ؛ لأنهم يتوقون المِحَن لعلمهم بها قبل كونها [1] .

قال المرتضى : كان بعض الرؤساء ، بل الوزراء ممن كان فاضلًا فى الأدب والكتابة ومشغوفاً بالنجوم ، عاملًا عليها ، قال لى يوماً ـ وقد جرى حديث يتعلق بأحكام النجوم ، ورأى من مخايلى التعجّب ممن يتشاغل بذلك ، و يفنى زمانه به ـ : أريد أن أسألك عن شىء فى نفسى ، فقلت:سل عمّا بدالك ؛ قال : أريد أن تعرّفنى هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى ألّا تختار يوماً لسفر ، ولبس ثوب جديد، وتوجه فى حاجة ؟ .

فقلت : قد بلغت ذلك والحمد لله وزيادة عليه،وما فى دارى تقويم ، ولا أنظر فيه وما رأيت إلّا خيراً ـ [2] ـ .

ثم يقول المرتضى :

فأمّا إصابتهم فى الإخبار عن الكسوفات واقتران الكواكب وانفصالها ، فطريقه الحساب وتسيير الكواكب ، وله أصول صحيحة ، وقواعد سديدة ، وليس

---

(١) أمالى المرتضى « ج ٢ ص ٣٨٨ » .

(٢) الأمالى « ج ٢ ص ٣٨٧ » .

كذلك ما يدّعونه من تأثيرات الكواكب فى الخير والشرّ والنفع والضرّ [1] والفرق بين الأمرين ظاهر معلوم . هـذا وللمرتضى مجالات فى الفلسفة أخر أرجأنا البحث عنها والإسهاب فيها إلى فرصة أخرى ليست هذه المقدمة مما تستوجبها أو تستوعبها.

بين المرتضى وأبى العلاء المعرى

محاورة فلسفية ـ قصة تعصب أبى العلاء للمتنبى ـ تحقيق هاتين القصتين

ذكر أبو منصور أحمد بن على الطبرسى صاحب الاحتجاج قال فيه [2] :

دخل أبو العلاء المعرى على السيد المرتضى ـ قدس الله روحه ـ فقال : أيها السيد، ما قولك فى الكل ؟ فقال السيد : ما قولك فى الجزء ؟ فقال ما قولك فى الشِّعرى ؟ فقال : ما قولك فى التدوير ؟ قال : ما قولك فى عدم الانتهاء ؟ فقال : ما قولك فى التحيّز والناعورة ؟ فقال : ما قولك فى السّبع ؟ فقال : ما قولك فى الزائد البرى [3] على السّبع ؟ فقال : ما قولك فى الأربع ؟ فقال : ما قولك فى الواحد والاثنين ؟ فقال: ما قولك فى المؤثر ؟ فقال : ما قولك فى المؤثّرات ؟ فقال : ما قولك فى النَّحْسَيْن ؟ فقال : ما قولك فى السَّعْدَين ؟ . فبهت أبو العلاء ؛ فقال السيد ـ قدس الله روحه ـ عند ذلك : ألا كلّ ملحدٍ ملهد ، فقال أبو العلاء : من أين أخذته ؟ قال : من كتاب الله عزّ وجل « يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » ، فقام فخرج ، فقال السيد : قد غاب عنّا الرجل ، وبعد هذا لا يرانا .

---

(١) الأمالى « ج ٢ ص ٣٩١ » .

(٢) الاحتجاج طبع إيران ـ دار الطباعة ـ « ص ٢٥٩ـ٢٦٠ »

(٣) كذا فى الأصل ولعلها « المربى » أى الزائد ، راجع : هامش « ص ٣٠ » من كتاب « أبو العلاء فى بغداد » للمرحوم العلامة طه الراوى .

فسئل السيد عن شرح هذه الرموز والإشارات ، فقال : سألنى عن الـكلّ ، وعنده الـكلّ قديم ، و يشير بذلك إلى عالم سماه العالم الـكبير ، فقال لى : ماقولك فيه ؟ أراد أنه قديم ، فأجبته عن ذلك فقلت له : ما قولك فى الجزء ؟ لأن عندهم الجزء مُحْدَث ، وهو متولّد عن العالم الـكبير ، وهذا الجزء عنـدهم هو العالم الصغير . . وكان مرادى بذلك أنه إذا صحّ أن هذا العالم محدث،فذلك الذى أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً ، لأن هذا من جنسه على زعمه ، والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً و بعضه محدَثاً . فسكت لما سمع ما قلته .

وأمّا الشعرى ، أراد أنها ليست من الـكواكب السيارة ، فقلت له : ما قولك فى التدوير ؟ أردت أن الفلك فى التدوير والدوران ، والشعرى لا يقدح فى ذلك.

وأمّا عدم الانتهاء ، أراد بذلك أن العالم لا ينتهى لأنه قديم ، فقلت له : قد صح عندى التحيّز والتدوير ، وكلاهما يدلّان على الانتهاء .

وأمّا السبع ، أراد بذلك النجوم السيّارة التى هى عنده ذوات الأحكام ، فقلت له : هـذا باطل بالزائد البرى (كذا) الذى يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحـكم منوطاً بهذه النجوم السيارة التى هى الزهرة والمشترى والمريخ وعطارد والشمس والقمر وزحل .

وأما الأربع ، أراد بها الطبائع ، فقلت له ما قولك فى الطبيعة الواحـدة النارية يتولد منها دابة بجلدها تمس الأيدى (كذا) ، ثم يطرح ذلك الجلد على النار ، فتحرق الزهومات فيبقى الجلد صحيحاً ؛ لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار ، والنار لا تحرق النار .

والثلج أيضاً تتولد فيه الديدان وهو على طبيعة واحدة . والمـاء فى البحر على

طبيعتين يتولد منه السموك والضفادع والحيات والسلاحف وغيرها . وعنده لايحصل الحيوان إلّا بالأربع فهذا مناقض بهذا .

وأما المؤثِّر ، أراد به زحل ، فقلت له : ماقولك فى المؤثّرات ؟ أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده مؤثَّرات ، فالمؤثِّر القديم كيف يكون مؤثّراً ؟ .

وأما النحسان ، أراد بهما أنهما من النجوم السيارة ، إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد ، فقلت له : ماقولك فى السعدين إذا اجتمعا يخرج من بينهما نحس ، هذا حكم أبطله الله تعالى ، ليعلم الناظر أنّ الأحكام لاتتعلق بالمسخرات ، لأن الشاهد يشهد ، أن العسل والسكر إذا اجتمعا لايحصل منهما الحنظل والعلقم ، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لايحصل منهما الدّبس والسّكر . هذا دليل على بطلان قولهم .

أما قولى : ألا كل ملحد ملهد ، أردت أنّ كلّ مشرك ظالم ، لأن فى اللغة ، أَلْحَدَ الرجل إذا عدل عن الدين ، وأَلْهَدَ إذا ظلم ــ فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرنى عن علمه بذلك ، فقرأت : « يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ . . » الآية .

أقول : نحن نشك فى صحة هــذه المحاورة الفلسفية المنمّقة ، التى لم يذكر لنا الطبرسى عمّن أخــذها ! وفى أى كتاب وجدها ؟ ، وكتابه « الاحتجاج » أكثر أخباره مراسيل على ماذكره غير واحد من المحققين[(١)].

وقد ذهب إلى تفنيد هذه الرواية من قبل ، العلامة المرحوم طه الراوى فى كتابه « أبو العلاء فى بغداد » وهاك تعليقه عليها :

وهذه القصة تنادى على نفسها بالاختلاق ــ كما ترى ــ ومفترى هذه الحكاية

---

(١) راجع « ج ٢ ص ٤٠٤ » من كتاب الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى ط . صيدا ، وقول العلامة المجلسى فيه .

، يزعم أن السيد المرتضى حكم بعدم عودة أبي العلاء إلى مجلسه . فهل كان هذا الحكم قبل وقوع القصة السابقة (١) أو بعده ؟

ثم إن القصة أشارت إلى أن السيد المرتضى حكم بإلحاد أبي العلاء مع أنا نعلم يقيناً أن هذه التهمة لم تلصق بأبي العلاء إلّا بعد رجوعه إلى المعرّة ، واعتكافه في منزله ، وعلى الجملة فإن هذه الحكاية والتي سبقتها من وادٍ واحد » .

وأما الحكاية التي يشير إليها العلامة الرّاوي فهاك نصها مع تعليقه عليها أيضاً : قال العلامة الراوي :

وأما الحكاية التي اعتبرها بعض الفضلاء من أسباب رحلته عنها (يعني رحلة المعري عن بغداد) فليس في شعر أبي العلاء ولا نثره مايشعر بها ، أو يشير إليها ، مما ينبئ بأن أبا العلاء نفسه لا يعرفها ، وإنما هي من وضع الرواة وروّاد النوادر ، وقد تلقفها الناس وتناقلوها من غير تمحيص . وهاك النص الذي جاء في « معجم الأدباء للحموي » :

كان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ، ويزعم أنه أشعر المحدثين ، ويفضله على بشّار ومن بعده مثل أبي نؤاس وأبي تمّام ، وكان المرتضى يبغض المتنبي ، ويتعصب عليه ، فجرى يوماً بحضرته ذكْر المتنبي فتنقّصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه ، فقال المعري : لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلّا قوله :

لك يامنازل في القلوب منـــــازل . . . لـكفاه فضلًا . فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأُخرِج من مجلسه ، وقال لمن بحضرته أتدرون ما أراد بذكر هذه

(١) يعني القصة التي ذكرها من اجتماع المعري بالمرتضى وتعصبه للمتنبي على ماذكره ياقوت في معجم الأدباء « ج ٣ ص ١٢٣ — ١٢٤ » ط . مصر .

القصيدة ؟ فإن للمتنبي مادو أجود منها لم يذكرها ، فقيل : النقيب السيد أعرف . فقال : أراد قوله فى هذه القصيدة :

و إذا أتتك مذمّتى من ناقصٍ فهى الشهادة لى بأنّى كامل

وقد تتبّعت جذور هذه الحكاية فلم أجد لها أصلًا يعتمد عليه . و إنْ كثر ناقلوها فإنهم لم يذكروا لنا واحداً من شهود الحادثة . مع أنهم يزعمون أنها وقعت فى مجلس السيد المرتضى وهو بحكم العادة يومئذٍ كان يزخر بطلاب العلم ورجال الفضل ، مما يشير إلى أنها مختلقة من أساسها .

فلا أبو العلاء يعتبر الشريف ناقصاً ، ولا الشريف يحط من قدر أبى العلاء فيخرجه مهاناً .

و يظهر أن الذى ابتدع هذه الحكاية أراد أن يرفع من ذكاء الرجلين لحط من خلقيهما .

ومن أشهر ناقلى هذه القصة وأقدمهم ـ على ما نعلم ـ ياقوت الحموى المتوفى « سنة ٦٢٦ هـ » أى بعد قرنين وربع من حدوث القصة ولم يذكر من سندها إلّا قوله : « نقلت من بعض الكتب » ، وهو سند مبهم كل الإبهام كما ترى . ونحن نعلم أن أبا العلاء رثى أبا أحمد الموسوى والد الشريف المرتضى قبيل مفارقته بغداد[1] بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفافِ مالُ المُسيف وعنبرُ المستافِ

منها : رغت الرعود وتلك هدّة واجب جبلٌ هوى من آل عبد منافِ

---

(١) فقد توفى أبو أحمد الموسوى والد السيد المرتضى فى جمادى الأولى « سنة ٤٠٠ هـ وبرح أبو العلاء بغداد فى شهر رمضان من تلك السنة » .

وقد أثنى فيها على الشريف المرتضى وأخيه أطيب الثناء ، فلا يصح بعد هذا أن يقال إن أبا العلاء يحط من قدر الشريف ، أو إن الشريف يحط من قدر أبي العلاء » .

هذا وأمثاله مما يختلقه جماعة من الرواة و يضعونه – من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون كثير . كما قد نسب إلى المرتضى من ذمه وإزرائه بأبي إسحاق الصابي عند ما نقل إليه نعيه ورثاء أخيه الشريف الرضى له – مع أنك وجدت – كما ذكرنا لك من قبل – رثاء المرتضى نفسه للصابي بتلك المرثية الرائعة التي تدمغ ماوضعه المبطلون وافتراه المفترون .

هذا وللمرتضى مجلس ذكر أنه دخل عليه فيه أبو العلاء المعرى فعثر برجل أحمق فقال لأبي العلاء : من هذا الكلب ؟ فقال له أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، وسمعه المرتضى واستدناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً [1] .

وقد مرّت عليك الإشارة إلى القصيدة التي يرثى بها المعرى أبا أحمد الموسوى والد الشريفين المرتضى والرضى و يثنى بها عليهما والتي يقول فيها :

أبقيت فينـــا كوكبين سناهما ... في الصبح والظلماء ليس بخافِ
متأنقين وفى المكارم أرتعـــا ... متألقين بسؤددٍ وعفـــافِ
قدرين فى الأرداء بل مطرين فى الـــأجداء ، بل قمرين فى الإسدافِ

(١) نسب أبو سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى « سنة ٥٦٤ » فى كتابه القيم الأنساب هذه القصة لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى « سنة ٣٨٣ » وأنها حدثت فى مجلس الصاحب بن عباد الوزير المتوفى « سنة ٣٨٥ » وذلك أقرب إلى الصواب « راجع ورقة ٢٠٩ من الأنساب » .

رزقا العلاء فأهل نجـــدٍ كلما نطقا الفصاحة مثل أهل دِيافِ
ساوى الرضيّ المرتضى وتقاسما خطط العلا بتناصفٍ وتصافِ
حلفا ندًى سبقا وصلّى الأطهر الــمرضى فيا لثلاثةٍ أحلافِ
أنتم ذوو النسب القصير فطولكم بادٍ على الكبراء والأشراف
والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأبٍ عن الأسماء والأوصاف

ويقول فى آخرها :

يامالِكَىْ سرح القريض أتتكما منى حمولةُ مسنتين عجــافِ
لا تعرف الوَرَقَ اللجين وإنْ تُسَلْ تخبر عن القُلّام والخــذرافِ
وأنا الذى أهدى أقل بهــارةٍ حسناً لأحسن روضةٍ مئنافِ

* * *

منزلته الاجتماعية والسياسية

مكانته لدى خلفاء بنى العباس ـ تقليده نقابة الطالبين والحج والمظالم ـ
صلته بالملوك والوزراء والأمراء وغيرهم ـ استعراض بعض فتن بغداد
فى ذلك العصر وآثاره فيها ـ معاصروه وأصحابه

كان الشريف رحمه الله مقرباً لدى خلفاء بنى العباس ، أثيراً عندهم ومعظماً ، وذلك لما يتحلى به من كريم الصفات وعظيم الملكات ، ولما تربطه بهم من وشائج النسب ووسائل القربى مع جليل المكانة والمنزلة عند الخاص والعام . لذا قلد نقابة الطالبيين وأمر الحج والمظالم وجميع ما كان لأخيه الرضى ، وهى مناصب جدُّ خطيرةٍ، وذلك فى يوم السبت الثالث من صفر « سنة ٤٠٦ » وهى سنة وفاة أخيه الرضى

فى عهد الخليفة القادر بالله ، وجمع الناس لقراءة عهده فى الدار الملكية ، وحضر فخر الملك « الوزير أبو غالب محمد بن خلف » والأشراف والقضاة والفقهاء .

وكان العهد الذى عهده الخليفة القادر بالله هذا نصه :

« هذا ما عاهد عبد الله [1] أحمد القادر بالله أمير المؤمنين إلى على بن الحسين ابن موسى العلوى ، حين قرّبته إليه الأنساب الزكية ، وقدمته لديه الأسباب القوية ، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة ، واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة ، فقلده الحج والنقابة وأمره بتقوى الله . . . »

وفى فاتحة هذا الديوان مرثية جيدة يرثى بها المرتضى هذا الخليفة القادر بالله المتوفى « سنة ٤٢٢ هـ » ، ويذكر فجعته به وهلعه ببلوغ نعيه إليه ، ثم يصفه بالعفاف والتقى ونقاوة الإزار [2] « وقد كان القادر يدعى راهب بنى العباس » [3] ، ويهنىء بها أيضاً ابن الخليفة القائم لتوليه الخلافة عند أخذ البيعة له ، وكان المرتضى أول من بايعه .

فلهذه العلاقات الوثيقة والوشائج العريقة التى تربط المرتضى بالخلفاء ، كان كثير الرفقة لهم شديد الاتصال بهم ، يأنسون فى أغلب الأمور برأيه ، ويجعلون منه حافظ سرّهم الأمين ، ومشيرهم الناصح ، وسفيرهم المصلح فى أكثر ملمّاتهم وعظائم أمورهم إلى الملوك والوزراء وكافة عمال الدولة وطبقات الناس .

---

(١) كذا فى المنتظم لابن الجوزى « ج ٧ ص ٢٧٦ » « ما عاهد » ونقلها عنه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فى «أدب المرتضى» «ص ١٠٧» كذلك ، والصحيح أن يقال « هذا ما عهد به » يقال عهد به إليه وعاهده على كذا .

(٢) راجع أول قصيدة من هذا القسم من الديوان .

(٣) راجع ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع ط . مصر « ص ٢٠٧ » .

فلا غرابة أن تـكون دار المرتضى الوَزَرَ[1] المنيع والحصن الحصين يلجأ إليهـا الملوك والوزراء عندما تعروهم المحن ويحيق بهم البـلاء على أثر الفتن الحادثة فى ذلك العصر ـ وما أكثرها ! .

فيحدثنا التاريخ بنزول الملك جلال الدولة فى دار المرتضى ـ بدرب جميل ـ بعد أن تغيّرت قلوب الجند عليـه فشغبوا ونهبوا حتى اضطر الملك إلى نقل ولده وحرمه ومابقى من ثيابه وآلاته ودوابه وفرش داره إلى جانب الغربى ليلًا ، وذلك على إثر استيزار الوزير أبى القاسم [ابن ما كولا] ، ثم جرت مـكاتبات بين العسكر والخليفة فى شأنه وكان الوسيط فى عرض مطاليب هؤلاء هو الشريف المرتضى وذلك فى « سنة ٤٢٤ »[2] .

كما نجد فتن العيّارين تشغل بال السلطان فيراسل المرتضى باحضارهم إلى داره وأن يقول لهم : من أراد منكم التوبة قبلت توبته وأُقِرّ فى معيشته ، ومن أراد منكم خدمة السلطان استخدم مع صاحب البلد ، ومن أراد الانصراف عن البلد كان آمناً على نفسه ثلاثة أيام . . .[3] وذلك فى « سنة ٤٢٥ » .

ويروى لنـا التاريخ أيضاً[4] أنه فى ربيـع الآخر سنة ٤٢٧ نقل أبو القاسم ابن ما كولا الوزير بعد أن قبض عليه وسلّم إلى « المرتضى » إلى دار المملـكة فرض وينس منه ، وراسل الخليفة فى معنى أخيه قاضى القضاة أبى عبد الله ابن ما كولا ، وقيل هو يعرف أمواله ، فدفع عنـه الخليفة ، ثم إن الجند شغبوا على جلال الدولة

(١) الوزر (بفتحتين) الملجأ .
(٢) المنتظم لابن الجوزى : « ج ٧ ص ٧٢ – ٧٤ » .
(٣) المنتظم « ج ٨ ص ٧٩ » .
(٤) المنتظم « ج ٨ – حوادث سنة ٤٢٧ » .

وقالوا . إن البلد لا يحتملنا و إيّاك ، فاخرج من بيننا ، فإنه أولى لك»، فقال : كيف يمكنني الخروج على هذه الصورة ؟ أمهلوني ثلاثة أيام حتى آخذ حرمي وولدي وأمضي، فقالوا : لا نفعل ، ورموه بآجرة في صدره فتلقّاها بيده ، وأخرى في كتفه ، فاستجاش الملك الحواشي والعوام ، وكان المرتضى والزينبي والماوردي عند الملك ، فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل في المرة الأولى ، فقالوا : ليس الأمر كما كان وأحداث الموضع قد ذهبوا ، وحوّل الغلمان خيمهم إلى ما حول الدار إحاطة بها ، وبات الناس على أصعب خطّة ، فخرج الملك نصف الليل إلى زقاق غامض ، فنزل إلى دجلة ، وقعد في سميرية فيها بعض حواشيه فغرقوها تقديراً أنه فيها ، ومضى الملك مستتراً إلى « دار المرتضى » و بعث حرمه إلى دار الخليفة ، ونهب الجند دار المملكة وأبوابها وساجها ورتبوا فيها حفظة ، فكانت الحفظة تخرّبها نهاراً وتنقل ما اجتمع من ذلك ليلاً .

فلا بدع أن يصيب المرتضى من جراء ذلك كثير من الأذى من رشاش تلك الحوادث وشظايا تلك الفتن التي قلما يسلم منها الوسطاء ، أو يفلت منها المصلحون ، وقد يجر عليهم ذلك أحياناً ارتياب الخليفة أو تغير قلبه لانقداح الشك فيه لعارض شبهة قد لا يكون لها أصل .

فيحدثنا التاريخ : أن الوزير أبا القاسم المغربي [1] جمع الأتراك والمولّدين ليحلفوا لمشرف الدولة البويهي ، وكلّف مشرف الدولة المرتضى ونظام الحضرتين أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب ، وجماعة من الشهود والحضور ،

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسن المتوفى « سنة ٤١٨ » وزر لمشرف الدولة بعد أبي علي الرخجي . (المنتظم ج ٨ ص ٣٢) .

فأحلفت طائفة من القوم ، فظن الخليفة أن التحالف لنية مدخولة فى حقه ، فبعث من دار الخليفة من منع الباقين بأن يحلفوا ، وأنكر على المرتضى والزينبى وقاضى القضاة حضورهم بلا إذن ، واستدعوا إلى دار الخلافة ، وسرّح الطيّار ، وأظهر عزم الخليفة على الركوب ، وتأدّى ذلك إلى مشرف الدولة وانزعج منه ولم يعرف السبب فيه ، فبحث عن ذلك ، إذ أنه اتصل بالخليفة هذا التحالف عليه ، فترددت الرسائل باستحالة ذلك ، وانتهى الأمر إلى أن حلف مشرف الدولة على الطاعة والمخالصة للخليفة . . . (١)

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد من الارتياب والشك الذى يمحوه استكشاف الحال بالاستجواب أو العتاب ، بل قد يصل إلى أكثر من ذلك من الإضرار بالأنفس والأموال !

أمّا ما كان يصيب المرتضى من فتن العامة وأمر الطغام ، فشىء ليس بالأمر اليسير استقصاؤه ، فيحدثنا التاريخ عن استفحال أمر العيّارين وكبسهم لدور الناس نهاراً ، وفى الليل بالمشاعل والموكبيّات ، وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب كما يفعل المصادرون ولا يجد المستغيث مغيثاً مع القتل والنهب حتى أُحرقت « دار المرتضى » على الصراة وقلع هو باقيها وانتقل إلى درب جميل (٢) .

كما نجد قبل ذلك فى حوادث « سنة ٤٢٢ » أن دار المرتضى تنقب فيخرج منها مرتاعاً منزعجاً ، حتى جاء جيرانه من الأتراك فدافعوا عنه وعن حرمه وأُحرقت إحدى

(١) المنتظم : « ج ٨ حوادث سنة ٤١٥ » .
(٢) المنتظم « ج ٨ ص ٢٢ » .

سميريتيه على أثر فتن كانت تحدث بين السنة والشيعة [1]

وهكذا نجد المرتضى يموج في خضم زاخر من تلك الأحداث والفتن التي لا يبتلى بها إلّا رؤساء القوم وعِلْيَتهم ، هذا إذا باخت آراء الخلفاء ، وسفهت أحلام الملوك ، وأساء الحاكمون استعمال السلطة ، واختل الأمن وأُخذ البريء بذنب المسيء ، وسقطت هيبة السلطان لتفريطه في أمور الرعية، وانهمك أرباب المملكة وولاة الأمور باللّذاذات الشخصية ، وارتفعت مراقبة الدين من قلوب المؤمنين ، فلا محاسِب ولا محاسَب ، فالأمر منذر حينذاك بخطر عظيم وشرّ عميم .

ومع كل هذا فقد كان المرتضى - رحمه الله - في ذلك العصر المشحون بالفتن والشغب،والهمّ والنَّصَب لا يخلو من ظَرْف ودعابة مع أصدقائه ومعاشريه بما لا يخرج عن حدود الحشمة ومسالك الأدب ، فقد اطلع يوماً من روشنه فرأى المطرّز [2] الشاعر قد انقطع شراك نعله وهو يصلحه فقال له : قدّت ركائبك ، وأشار إلى قصيدته التي أولها :

سرى مغرماً بالعيس ينتجع الرّكبا يسائل عن بدر الدّجى الشرق والغربا [3]
على عَذَبات الجزع من ماء تغلب غزال يرى ماء القلوب له شربا
إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

---

(1) المنتظم : « ج ٨ ص ٥٥ » .

(2) المطرز : لقب أبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب الشاعر ، وكان يسكن ناحية الدجاج ، توفي في جمادى الآخرة « سنة ٤٣٩ » (المنتظم ج ٨ ص ١٣٤) .

(3) راجع معجم الأدباء لياقوت « ج ١٣ » ترجمة المرتضى تجد في هذا البيت وروايته تصحيفات .

فقال مسرعاً : أتراها ما تشبه مجلسك وخلعك وشربك، أشار بذلك إلى أبيات المرتضى التي منها (١) :

ياخليليّ من ذؤابة قيسٍ   في التّصابي رياضة الأخلاقِ
غنّيـــاني بذكرهم تطرباني   واسقياني دمعي بكأسٍ دهاقِ
وخذا النّوم من جفوني فإنّي   قد خلعت الكرى على العشّاقِ

معاصروه وأصحابه

الخلفاء ، الملوك ، الوزراء ، النقباء ، الأمراء والعلماء وغيرهم .

كان للشريف المرتضى بفضل ما أوتي من شرف العلم والنسب ، وما تحلّى به من زكانة الطبع والأدب ، مع عزّة النفس ووفارة المال ، وجميل الخصال ، وسمو الرتبة وجليل المكانة ، أصدقاء كثر جلهم من أهل العلم والأدب ، والفضل والشرف من لا يمكننا الإتيان على ذكرهم جميعاً ، وسنكتفي بعرض أسماء قسم ممن ورد ذكرهم في الديوان من عِلْيَة القوم ورؤسائهم ؛ تاركين التعليق عليهم ، أو الإسهاب في شرح أحوالهم ، لأن ذلك لا يناسب هذه الترجمة الموجزة ، ولأن أكثرهم ، إما أن يكون مشهوراً ، أو ذكرت ترجمته بطيات الديوان ، بقلم أستاذنا الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد ، كما أُشير إلى البعض منهم بمقدمة العلامة البحاثة شيخنا الأجل الفاضل الشيخ محمد رضا الشبيبي ـ حفظه الله تعالى ـ أو ألمعنا نحن إلى البعض منهم

---

(١) أول القصيدة :

ما رأتني عيناك يوم الفراق   أخدع القلب بادكار التلاقي

وهي قصيدة حسنة في واحد وأربعين بيتاً يهنىء المرتضى خاله أبا الحسين أحمد ابن الحسن الناصر بعيد الفطر وهي مثبتة في هذا الديوان .

ممن لم تذكر له ترجمة ، وأهملنا البعض الآخر للأسباب السالفة،أو لعدم اتساع الوقت للتنقيب عنهم و بسط القول فيهم ، وهاك أهم من ورد ذكرهم فى الديوان .

فمن الخلفاء :

الطائع لأمر الله ، والقادر وابنه القائم بأمر الله ثم ابنه ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بأمر الله .

وكان المرتضى قد عاصر من الخلفاء أربعة هم : المطيع وكانت خلافته منذ سنة ٣٣٤ إلى ٣٦٣ وكان عمر الشريف المرتضى حين وفاة المطيع لم يتجاوز ثمانية أعوام ، لذا لم يرد ذكره فى الديوان . ثم ولى الخلافة الطائع إلى سنة ٣٨١ حيث وليها القادر إلى « سنة ٤٢٢ » إذ وليها ابنه القائم وهو شاب ، وللمرتضى فى تهنئته فى الخلافة « سنة ٤٢٢ » وتعزيته بوفاة والده القادر قصيدة فى أول هذا الديوان مرّت الإشارة إليها وكان هذا الخليفة ـ القائم ـ آخر من عاصره المرتضى ، حيث توفى المرتضى سنة ٤٣٦ و بقى القائم إلى سنة ٤٦٧ .

أما الملوك الوارد ذكرهم ، فنهم :

بهاء الدولة البويهى وأبناؤه شرف الدولة ، وسلطان الدولة ، وركن الدين جلال الدولة ، ثم الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة .

ومن الوزراء :

الوزير أبو غالب محمد بن خلف ، والوزير أبو على الرخجى ، والوزير أبو على

الحسن بن حمد ، والوزير أبو سعد بن عبدالرحيم ، والوزير أبو الفتح (كذا في الديوان ولعله ابن دارست وزير القائم) والوزير أبو الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس ، والوزير أبو طالب محمد بن أيوب بن سليمان البغدادى ، والوزير أبو منصور بهرام ابن مافنة وزير الملك أبي كاليجار وغيرهم .

ومن النقباء :

والده الشريف أبو أحمد الموسوى ، وخاله الشريف أحمد بن الحسن الناصر ، وأخوه الشريف أبو الحسن محمد الرضى ، والشريف أبو على عمر بن محمد بن عمر العلوى ، والشريف نقيب النقباء أبو الحسن الزينبى ، والشريف أبو الحسين بن الشبيه [العلوى] وغيرهم .

ومن الأمراء :

الأمير أبو الغنائم محمد بن مزيد المقتول « سنة ٤٠١ » ، وعميد الجيوش أبو على أستاذ هرمز المتوفى فى هذه السنة أيضاً ، وأمير الأمراء أبو منصور بويه بن بهاء الدولة، والأمير أبو شجاع « بكران بن بلفوارس » [1] والأمير عنبر الملكى المتوفى « سنة ٤٢٠ » وأمير عقيل غريب بن مقن المتوفى « سنة ٤٢٥ » وغيرهم .

ومن العلماء والقضاة والأدباء

أستاذه العلامة الشيخ المفيد المتوفى « سنة ٤١٣ » والشيخ أبو الحسن عبدالواحد

(١) كذا ورد اسمه فى نسخة « هـ » فى الديوان وفى ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع « ص ٣٨٩ » حوادث سنة ٣٣١ وفى نسخة (س) بكر بن أبى الفوارس .

ابن عبد العزيز الشاهد المتوفى « سنة ٤١٩ » ، وسعد الأئمة أبو القاسم وابنه معتمد الحضرة أبو محمد المتوفى « سنة ٤١٧ » وأبو الحسين بن الحاجب المتوفى « سنة ٤٢٨ » وأبو إسحاق الصابى الكاتب المشهور المتوفى « سنة ٣٨٤ » وأبو الحسن هلال ابن المحسن بن أبى إسحاق الصابى المتوفى « سنة ٤٤٨ » وابن شجاع الصوفى المتوفى « سنة ٤٣٣ » وأبو الحسين الإقساسى العلوى الذى تولى إمارة الحج نيابة عن المرتضى مراراً وتوفى « سنة ٤١٥ » ورثاه المرتضى بالفائية التى مطلعها :

عرفت ويا ليتنى ماعرفت　　فمرّ الحياة لمن قد عرفْ

وأبو الحسين البتى أحمد بن على الكاتب المتوفى « سنة ٤٠٣ » ، والقاضى أبو القاسم عبد العزيز بن محمد العسكرى القطان المتوفى « سنة ٤٥٨ » ، والقاضى أبو القاسم على بن المحسن التنوخى المتوفى « سنة ٤٤٧ » ، وأبو الحسن السمسمى تلميذ أبى على الفارسى المتوفى « سنة ٤١٥ » ، والشاعر الظريف أبو بكر محمد بن عمر العنبرى المتوفى « سنة ٤١٢ » ، الذى رثاه المرتضى بقصيدة مطلعها :

أبا بكرٍ تعرّضت المنايا　　لحتفك حين لا أحدٌ مَنوعُ

وغير هؤلاء كثير يجدهم المتصفح لهذا الديوان .

تلامذته

لما كان الشريف المرتضى ـ كما أسلفنا ـ قد ضرب بسهم وافر من العلوم والآداب وسائر المعارف الإسلامية المعروفة فى ذلك العصر ، لم يكن غريباً أن يصبح تلامذته ومريدوه وملازمو درسه والمختلفون إلى مجلسه والمستمعون إليه كثيرين ، وأغلبهم علماء أفاضل خلفوا كتباً جليلة ورسائل نافعة لا يزال قسم منها باقياً إلى اليوم .

وسنأتي على ذكر بعضهم مبتدئين بالأمثل فالأمثل منهم ، مكتفين بالتعليق عليه بإيجاز يناسب هذه المقدمة ـ فمنهم :

١ — شيخ الطائفة الطوسى

هو أبو جعفر محمد بن الحسن[1] بن علي الطوسى ، الفقيه الأصولى والمحدث الشهير ، صاحب كتابى « الاستبصار والتهذيب » وهما من الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإمامية فى الأحاديث والأخبار ، وله أيضاً كتاب « الخلاف » فى الفقه من أجلّ كتب الفقه الإسلامى الجامعة لآراء كافة المذاهب الإسلامية المعروفة ، وهو كتاب لايستغنى عنه فقيه أو قانونى يريد دراسة الفقه المقارن فى الشريعة الإسلامية . وله تفسير جليل للقرآن الكريم يسمى « التبيان » ، وله فى أصول الفقه كتاب « العدة » وهو كثير الفائدة ، وكتاب « الأمالى » ـ فى الأحاديث والأخبار ـ وكتاب « الغَيبة » فى إثبات غيبة مولانا مغيث الملة ومطهر الوجود صاحب العصر والزمان عليه الصلاة والسلام ، وكتاب «مصباح المتهجّد » فى الأدعية والأذكار ، «وتلخيص كتاب الشافى » فى الإمامة لأستاذه المرتضى ؛ و«الفهرست» فى الرجال وهذه الكتب كلها مطبوعة ومنتشرة ، وله غيرها كثير فى الفقه وغيره كالمبسوط والنهاية والاختيار والجمل والعقود إلى غير ذلك .

كان ـ رحمه الله ـ خليفة أستاذه المرتضى فى كل الفنون ، قدم العراق « سنة ٤٠٨ » أى بعد وفاة الشريف الرضى أخى المرتضى بسنتين ، و بقى ببغداد تتلمذ بها

---

(١) جاء فى كتاب « أدب المرتضى » لعبد الرزاق محي الدين (ص ٥٤و٢٩٥) محمد بن على بن الحسن وهو خطأ والصحيح ما ذكرناه وعليه إجماع المؤرخين ، وجاء صحيحاً فى « ص١١٧ » منه .

نحواً من خمس سنين على الشيخ المفيد أستاذ المرتضى والرضى ، ونحواً من ثمان وعشرين سنة على الشريف المرتضى ـ منها خمس فى حياة المفيد ـ و بقى بعد السيد أر بعاً وعشرين سنة ، اثنتى عشرة سنة منها فى بغداد ثم انتقل إلى النجف الأشرف على أثر فتنة حدثت فى بغداد سنة ٤٤٩ ، بعد أن كبست فيهـا داره فى الـكرخ وأخذ ماوجد فيها من دفاتره وكرسى كان يجلس عليه للكلام ـ مماأهدته إليه الخلفاء ـ وأحرق الجميع[١] وتوفى « سنة ٤٦٠ » وكان عمره خمساً وسبعين سنة ودفن فى داره ، ولقبره الآن مزار معلوم فى المسجد الموسوم بمسجد الطوسى فى النجف الأشرف .

٢ ـ أبو يعلى الديلمى « سالار »

الشيخ الفقيه المتكلم أبو يعلى سلار (سالار) بن عبد العزيز الطبرستانى ، وسالار لقبه ، واسمه على ماورد فى الروضات ، محمد بن حمزة وفى الـكنى والألقاب حمزة[٢] ، وسالار : كلمة فارسية معناها الرئيس أو المقدم ، وكان ينوب فى التدريس عن أستاذه المرتضى ، وكان مقدماً فى الفقه والأصول ، والـكلام والأدب وله كتب منها : المقنع فى المذهب والتقريب فى أصول الفقه ، والمراسم فى الفقه ، وفى الـكلام له كتاب فى الرد على أبى الحسن البصرى فى نقض ما كتبه أبو الحسن فى الرد على كتاب « الشافى » . توفى فى قرية خسروشاه من قرى تبريز سنة ٤٤٨ وقيل سنة ٤٦٣ .

٣ ـ أبو الصلاح الحلبى

الشيخ تقى الدين بن النجم (نجم) الحلبى خليفة المرتضى فى البلاد الحلبية ، ومن

---

(١) المنتظم : « ج٨ ص١٧٩ » والـكنى والألقاب « ج ٢ ص٣٥٨ » ط . صيدا .
(٢) روضات الجنات « ص ٣٨٦ « والـكنى والألقاب « ج ٢ ص ٢١٣ » .

كبار علماء الإمامية له كتاب « تقريب المعارف » و « البداية » و « شرح الذخيرة » ـ للسيد المرتضى ـ و « الكافى » فى الفقه ، و « البرهان على ثبوت الإيمان » . روى عنه ابن البراج الآتى ذكره .

٤ ـ ابن البراج

أبو القاسم القاضى السعيد عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البرّاج ، تولى قضاء طرابلس أكثر من عشرين سنة وهو خليفة أستاذيه المرتضى والطوسى فى البلاد الشامية وقد قرأ عليهما ، توفى « سنة ٤٨١ » ، ويروى عنه أبو الفتح الكراجُكى ، وهو :

٥ ـ أبو الفتح الكراجُكى :

الشيخ الإمام العلامة أبو الفتح محمد بن على بن عثمان الكَراجُكى ، عالم فاضل متكلم ، فقيه محدث ، ثقة جليل القدر ، له كتاب كنز الفوائد المشهور توفى « سنة ٤٤٩ » ، وكراجك : قرية على باب واسط .

٦ ـ عماد الدين ذو الفقار :

السيد الإمام عماد الدين ذو الفقار محمد بن مَعْبَد بن الحسن بن أبى جعفر الملقب بحميدان ، أمير اليمامة بن إسماعيل ـ قتيل القرامطة ـ بن يوسف بن محمد بن يوسف بن الأخيضر بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ .

كان فقيهاً عالماً متكلماً ورعاً ، وقد عُمّر أكثر من مئة وخمس عشرة سنة وكان ضريراً .

٧ — الدوريستى :

أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الرازى الدوريستى ، كان من أكابر علماء الإمامية ومشهوراً فى جميع الفنون ، وله كتب منها « الكفاية » فى العبادات وكتاب « يوم وليلة » وكتاب « الاعتقادات » ، وكتاب « الرد على الزيدية » وغيرها . ودوريست قرية من قرى الرى تسمى الآن درشت .

وقد رثاه المرتضى بقصيدة عينية طويلة مطلعها :

أمِن أجل أن أعفاك دهرك تطمعُ ‏ ‏ ‏ ‏ وتأمنُ فى الدنيا وأنت المروَّعُ

٨ — الصهرشتى :

أبو الحسن سليمان بن الحسن بن سليمان الصهرشتى ، له عدة تصانيف منها « قبس المصباح » (مختصر مصباح المتهجد للشيخ الطوسى) ، وكتاب « النفيس » . وكتاب « التنبيه » وكتاب « النوادر » وكتاب « المتعة » .

٩ — محمد بن محمد البصروى:

وصفه ابن الجوزى بالشاعر المتكلم ، وهو أبو الحسن محمد بن محمد بن أحمد البصروى الشاعر ، ونقل صاحب رياض العلماء ، الشيخ عبد الله الملقب بالأفندى صورة فهرست كتب السيد المرتضى عنه .

وبصرى : قرية دون عكبرا ، سكن بغداد وله نوادر عجيبة وأورد له ابن الجوزى شعراً حسناً توفى « سنة ٤٤٣ » .

١٠ — التبانى ـ ابن التبان

هو أبو عبد الله بن التبان المتكلم المتوفى سنة ٤١٩ على ما ذكره ابن الجوزى فى المنتظم فى وفيات هذه السنة ، وجاء ذكره فى كتاب الانتصار للمرتضى « ص ٥ » بكنية أبى عبد الله التبانى ، ومن أجله ألف المرتضى رسالة التبانيات [١] وجاء اسمه فى « أدب المرتضى » « ص١٥٢ » محمد بن عبدالملك التبانى ووصفه بالمتكلم « الإمامى» وفى « ص ١٢١ » منه (هامش ٤وه) بأنه أبو « عبد الله التبان » ووصفه بالمتكلم « المعتزلى » (وهـذا الخلط لا يناسب أسلوب البحث العلمى الجامعى) والظاهر أن أبا عبد الله هـذا غير ثابت بن عبد الله الذى ورد ذكره فى روضات الجنات من جملة تلامذة المرتضى ، فلاحظ ! .

وقد رثاه المرتضى بقصيدة قافية مطلعها :

أرّق عينى طارقٌ   ياليتـــه ماطرقا

١١ ـ الشيخ أحمد بن الحسن النيسابورى

ولعله أبو الفتح النحوى مؤدب ولد المرتضى ، وله مرثية فى هذا الديوان مطلعها:

إن كان غيّبك التراب الأحمر   وحلت مَرْتاً لا يزورك زوّر

---

(١) جاء فى روضات الجنات ذكر تلامذة المرتضى ومن جملتهم أبو الفضل التيانى وسماه ثابت بن عبد الله ورسم التيانى (بالياء المثناة من تحت والمشددة) (راجع ص ٣٨٤ من الروضات) وجاء فى « ج ٢ ص ١١٤ » من الكنى والألقاب نسبة التيانى إلى بيع التبن ، وأنت ترى أن هذه النسبة غير قياسية وغير صحيحة لغة فلا يقال لبائع التبن تيانى ولا لبائع التبن تبانى وإنما يقال « تيان وتبان ، ولكن المتأخرين وقسما من المتقدمين تسامحوا فى ذلك كما أدخلوا ياء النسبة على فاعل مثل ـ الكاتبى نسبة إلى الكاتب .

فلقد حزنت على فراقك بعد ما ظنوا بأنّي عنك جهلًا أصبر

وله تلامذة كثيرون غير هؤلاء منهم :

أبو الحسين الحاجب المعروف بابن أخت الأستاذ الفاضل ، وقد رثاه المرتضى بقصيدة مطلعها :

إلامَ أرامى فى المنى وأرادِى وحشو صلاحى فى الزمان فسادى

والسيد نجيب الدين أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الموسوى .

والقاضى عز الدين عبد العزيز بن كامل الطرابلسى .

والقاضى أبو القاسم على بن المحسّن التنوخى .

والشيخ المفيد الثانى أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين .

والفقيه التقى بن أبى طاهر الهادى ، النقيب الرازى .

ومحمد بن على الحلوانى .

والسيد أبو يعلى محمد بن حمزة العلوى .

والفقيه أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقى راوية ديوانه ، وغيرهم .

وفاته ومدفنه وعقبه

توفى المرتضى ـ رضى الله عنه ـ لخمس بقين من شهر ربيع الأول « سنة ٤٣٦ » ببغداد ، وصلى عليه ابنه فى داره ، ودفن فيها عشية ذلك اليوم ، ثم نقل بعد ذلك إلى كربلاء ودفن بجوار أجداده عند قبر أبيه وأخيه الرضى وجده إبراهيم (١) ابن الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام .

(١) جاء فى كتاب « أدب المرتضى » (ص ٧٦ ـ ٧٧) للدكتور عبد الرزاق محيي الدين : أنهما (أى الرضى والمرتضى) دفنا فى مقبرة جدهما الأعلى إبراهيم المجاب. =

قال النجاشي : « وتوليت غسله ومعي الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز » .

ونقل عنه أنه قال عند وفاته :

لئن كان حظي عاقني عن سعادتي ... فإن رجائي واثق بحليم
وإن كنت في زاد التقية والتقى ... فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم

فأما أي دار من دوره توفي فيها ودفن بها ثم نقل عنها ؟ فهذا ما لا يمكننا تعيينه ، لأن الدور التي استوطنها المرتضى على ما نعلم هي أربعة :

أولها دار أبيه وهي التي في محلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد ،

= أقول : هذا رأي صاحب روضات الجنات على ما ذكر في ص ٣٨٤ من كتابه وربما ذهب إلى ذلك غيره، والذي عليه المحققون منهم صاحب عمدة الطالب - ابن مهنا - والسيد محسن الأمين العاملي - رحمه الله - (للذين ذكر خلافهما لذلك محيي الدين نفسه في ذيل الصفحة « ٧٧ » من كتابه) أن إبراهيم هـذا المدعو بالمجاب والمسمى في كتب الانساب بابراهيم الأكبر هو صاحب أبي السرايا ، قيل إنه أحد أئمة الزيدية وأنه مات ولم يعقب ، وإنما المعقب من أخيه إبراهيم المرتضى المدعو بابراهيم الأصغر ، هذا وإن ورد ذكر نسب الشهيد السيد أحمد بن هاشم بن علوي بن الحسين الغريقي في كتاب أعيان الشيعة للعلامة الأمين العاملي سالف الذكر ، موصولا بابراهيم المجاب (وقد ورد ذكره أنه لم يعقب) فهو اشتباه أو سهو، وقد زاد السيد الأمين - رحمه الله - على ذلك بأن جعل إبراهيم المجاب هـذا ابناً لمحمد العابد بن الإمام موسى بن جعفر - عليهما السلام - وقد ورد في عمدة الطالب لابن مهنا أن محمدا العابد هو أخو الإبراهيمين الأكبر والأصغر ولم يكن أباً لأحدهما. راجع عمدة الطالب « ص ١٨٥ » ط . النجف و «ص ١٨٨» ط . بمبي ونسب الغريقي في أعيان الشيعة « ج ١٧ ص ٤٤٨ » ط . ابن زيدون - دمشق . والغريقي المذكور هو دفين « حي واسط » والمعروف بالعقار (بالكاف المخففة الفارسية) .

كما أشرنا إليه عند ذكر ولادته من هذه المقدمة .

ثانيها : الدار التى تقع على الصّراة التى أحرقت على أثر فتن حدثت « سنة ٤١٦ » .

ثالثها : داره بدرب جميل التى سكنها بعد أن أحرقت داره التى على الصراة سالفة الذكر وهذه الدار كان المرتضى مستوطنها « سنة ٤٢٤ » .

رابعها : الدار التى بناها على شاطىء دجلة ، ولا نعرف أين موقع هذه الدور الآن بالضبط ، كما لا نعلم هل سكن المرتضى غير هذه الدور أم لا ! عسى أن نوفق لتحقيق ذلك فى فرصة أخرى والله المعين .

عقب المرتضى

قال ابن مهنّا فى عمدة الطالب(١) : « أعقب المرتضى من ابنه أبى جعفر محمد ابن على المرتضى [و] من ولده ، أبو القاسم على بن الحسن الرضى بن محمد بن على ابن أبى جعفر [يعنى محمداً] بن على المرتضى ، النسابة ، صاحب كتاب ديوان النسب وغيره ، أطلق قلمه ووضع لسانه حيث شاء ، كما طعن فى آل أبى زيد العُبيدَليين نقباء الموصل ، وهو شىء تفرّد به ولم يذكره أحد سواه من النسّابين وحدثنى الشيخ النقيب تاج الدين محمد بن مُعَيّة الحسنى(٢) ، قال : قال لى الشيخ علم الدين المرتضى على بن عبد الحميد بن فخار الموسوى : إنه انفرد بالطعن فى نيّف وسبعين بيتاً من

---

(١) ط . النجف « ص ١٩٥–١٩٦ » ، وط . بمبى « ص ١٩٣–١٩٤ » .

(٢) معية (كسمية) : تاج الدين أبو عبد الله محمد بن السيد جلال الدين أبى جعفر بن الحسين العلوى الحسنى الديباجى الحلى ، عالم أديب نسابة ، له كتاب معرفة الرجال ونهاية الطالب فى نسب آل أبى طالب ، وهو شيخ بن مهنا صاحب عمدة الطالب ،=

بيوت العلويين لم يوافقه على ذلك أحد (ثم قال) قال لى النقيب تاج الدين : لاشك أنه تفرد بالطعن فى بيوت العلويين فأمّا هذا المقدار فانه يكتب فى مشجرته التى سماها « ديوان النسب » من سمع به ولم يتحققه بعد إلّا أنه تحقق فيه شيئاً ، (ولا يخفى) أن هذا اعتذار من النقيب عنه والله أعلم .

وكان للنسابة ابن اسمه أحمد درج وانقرض (على بن الحسن الرضى النسابة)[1] وانقرض بانقراضه الشريف المرتضى علم الهدى بن أبى أحمد الموسوى » .

وكتب الأستاذ الدكتور حسين محفوظ فى ذيل ما كتبه فى فهرست كتب السيد المرتضى :

أن للسيد بنتاً ، وكانت فاضلة جليلة ، تروى عن عمها السيد الرضى كتاب نهج البلاغة ، ويروى عنها الشيخ عبد الرحيم البغدادى المعروف بابن الأخوة ـ على ما أورده القطب الراوندى فى آخر شرحه على نهج البلاغة .

وذكر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين فى كتابه « أدب المرتضى »[2] أن

= ومن شعره لما وقف على بعض أنساب العلويين ورأى قبح أعمالهم فكتب :

يعزّ على أسلافكم يابنى العلا ... إذا نال من أعراضكم شتم شاتمِ

بنوا لكم مجد الحياة فما لكم ... أسأتم إلى تلك العظام الرّمائمِ

أرى ألفَ بانٍ لا يقوم بهادمٍ ... فكيف ببانٍ خلفه ألف هادمٍ ؟

توفى بالحلة « سنة ٧٧٦ » وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على ودفن هناك . (الكنى والألقاب ج ١ ص ٤٠٢-٤٠٣) .

(١) فى الأصل (على المرتض النسابة) وهو من خطأ الناسخين وغفلة المصححين .

(٢) أدب المرتضى « ص ٧٩ » .

للمرتضى بنتين غيرهذه وقد توفيتا فيحياته ، ولأخيه الرضى مرثيتان فيهما مذكورتان في ديوانه ـ مطلع الأولة

لالوم للدهر ولا عتـابا   تغاب إنّ الجلد من تغابىٰ

والثانيـة :

فلا تحسبن رزء الصغـائر هيّناً   فإنّ وجَى الأخفاف ينضى الغواربا

تعقيب على عقب المرتضى :

جاء في كتاب « أدب المرتضى »[1] : أنجب المرتضى ولداً كناه « أبا محمـد » وكان حريصاً على تربيتـه تربية عاليـة ولـكنه فيما ظهر لي (كذا يقول مؤلف الـكتاب) لم يكن على شيء من العـلم لأنه لم يذكر في تراجم أعلام الإمامية وقد ذكره ابن خلـكان بين المتوفين في حوادث « ٤٤٣ » وأسماه أبا عبد الله الحسين ، تزوج أبو محمد هذا في حياة أبيه فأعقب ولداً وظل عقب المرتضى يطرد من ابنه هـذا حتى وصل إلى أبي القاسم النسابة صاحب كتاب ديوان النسب .

ثم يقول مؤلف الـكتاب :

قال صاحب عمدة الطالب . والعقب للمرتضى من ابنه أبي محمد . . . (انتهى قول صاحب أدب المرتضى) .

أقول : راجعنا كتب الأنساب ومنها التي أشار إليها مؤلف الـكتاب وزعم أنه نقل عنها ـ وهي كتاب « عمدة الطالب » فلم نجد للمرتضى ولداً بهذه الـكنية وإنما الذي ذكر صاحب العمدة هو أبو جعفر محمد وهذا نص قوله (فيالعمدة ص١٩٢ من الطبعة الهندية وص١٩٥ من الطبعة النجفية) :

---

(١) ص ٧٨ ط . المعارف ببغداد سنة ١٩٥٧ .

وأعقب المرتضى من ابنه أبي جعفر محمد [الذى] من ولده أبو القاسم النسابة [وهو] على بن الحسن الرضى بن محمد بن على بن « أبي جعفر محمد بن على المرتضى » .

فمن أين جاءنا المؤلف بهذه الكنية لهذا الابن ؟

وأغلب الظن أنها جاءته مما ورد فى الديوان من قوله : وقال يرثى والدة الشريف « أبى محمد فتاه » كما ألمع إلى ذلك مؤلف كتاب أدب المرتضى « ص ٧٢ » من كتابه بقوله : ورثاؤه المتعدد لزوجته أم فتاه « أبى محمد » . . الخ . .

وأنت ترى أن الفتى إذا أضيفت لانطلق على الابن الصلبى مطلقاً ، فلا يقال لابن فلان أو ولده فتاه ، بل يقال ابنه أو ولده ، وقد جاء ذلك بصريح القرآن وفقه اللغة . قال الثعالبى فى فقه اللغة : ولد كل بشر ابن وابنة ، ولا يخفى عليك ماجاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ » ، « فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ » ، « امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا » ، « وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ »...« وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ » . . . فليس المقصود بفتاه أنه كان ابناً لموسى عليه السلام ولم يكن يوسف ابناً لامرأة العزيز على التحقيق ـ كما لم يكن فتيانه أبناءه ، ولا المراد بفتياتكم بناتكم قطعاً بدليل قوله سبحانه : « فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ » فالمراد من كل ذلك المملوك أو الخادم كما عليه إجماع المفسرين .

فلا يمكننا والحالة هذه أن نستنتج من قوله فى الديوان : يرثى والدة الشريف أبى محمد فتاه ـ لا أنها زوجته هى المرثية ، ولا أن أبا محمد هو ابنها ـ ولعل لفظة « فتاه » جاءت مصحفة عن « فتاة » منصوبة على الحالية لا البدلية فكأنه يريد أن يقول وقد ماتت فتاة لم تبلغ من العمر أشدها والذى يرجح لدينا هذا الرأى قول المرتضى نفسه فى القصيدة المشار إليها التى يرثى بها والدة الشريف أبى محمد :

بلغت أشدّى ـ لا بلغتُ ـ وجزتُه وعاجلتها من أن تجوز أشدّها [1]

أما قوله وقد ذكره ابن خلكان . . . وأسماه أبا عبد الله الحسين . ثم يردف ذلك بقوله : تزوج أبو محمد هذا فأعقب . . . ومرة أخرى يسميه بالطاهر المرضى وذلك بناء على تلقيب المعرى أبى العلاء له بالقصيدة التى يرثى بها أبا أحمد الموسوى ـ والد الشريفين ـ حيث يقول :

حلفا ندّى سبقا وصلّى الأطهر الـ مرضى فيالثلاثةِ أحلافِ

قيل هذا الأطهر هو ابن للمرتضى ـ بالإضافة إلى ما يسنده لابن خلكان من أن اسمه «الحسين» وكنيته « أبوعبد الله » ـ فيصبح لابن المرتضى هذا ثلاث كنى واسمان ، ولقب وهى أبو محمد وأبو عبد الله واسمه الحسين (على ما ذكره مؤلف أدب المرتضى) وأبو جعفر واسمه محمد (على ما ذكره صاحب العمدة وهو العمدة) . والأطهر المرضى على ما لقبه به أبو العلاء المعرى واختاره (مؤلف أدب المرتضى) .

فهل ترى أكثر من هذا ما يدعو إلى الارتياب وعدم معرفة الصواب ؟

فنحن وإن كنا لا نمنع ـ عقلًا ـ أن يكون لشخص واحد عدة أسماء وكنى وألقاب ولكن لا نجوّز ذلك بالنسبة لابن المرتضى المعروف بكنيته واسمه فى « عمدة الطالب » وهو « أبو جعفر محمد » وما عدا ذلك مجرد احتمالات ضعيفة واستنتاجات مبهمة ليست من التحقيق أو الحقيقة فى شىء ..

أما قوله « ص ٧٩ [2] » وأنجب (يعنى المرتضى) من البنات زينب وخديجة .

---

(١) راجع القصيدة « ص ٢٤٩ » ـ القسم الأول من هذا الديوان ـ وقد ورد فى « أدب المرتضى » قسم من هذه القصيدة « ص ٧٢ » .

(٢) « أدب المرتضى » للدكتور عبد الرزاق محى الدين مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥٧ .

مسنداً ذلك إلى روضات الجنات ، فقول فى غاية الغرابة ـ إذ اللاتى ذكرهن صاحب الروضات هن أخوات المرتضى لا بناته ـ ألا تفقه قوله : فولد أبو أحمد (يعنى والد الشريفين) زينب ، وعليًا (يعنى المرتضى) ومحمداً (يعنى الرضى) وخديجة ، أربعة أولاد ، فأما على ؛ فهو الشريف الأجل . . . [1]

---

(١) راجع روضات الجنات للخونسارى « ص ٣٨٦ » . هذا مع العلم أن مؤلف كتاب أدب المرتضى يزعم فى « ص ٢ » من مقدمة كتابه أنه قد عرض الكتاب قبل نشره على جماعة من أعلام الفقه والحديث وأصول العقائد ممن لهم صلة بعمل المرتضى فأبدوا ملاحظات قيمة أثبتها فى نهايته كما وردت بأقلامهم . .

أقول قد سبرنا الكتاب وراجعنا نهايته فلم نجد لتلك الملاحظات أثراً ولو عرض الكتاب عليهم حقاً لما وقع المؤلف فى كثير من المزالق والأخطاء التى أشرنا إلى جزء يسير منها فى هذه المقدمة ولما فات أولئك الأعلام الخلط بين علم الرجال وعلم نقد الحديث الذى جعله المؤلف مرادفاً له (راجع ص ٣٥ أدب المرتضى) حتى نسب إلى ابن بابويه القمى أنه ألف أربعمائة كتاب فى علم الحديث كما جاء فى (ص ٣٤ أدب المرتضى) فى حين نعلم أن علم نقد الحديث هو مرادف للعلم المعروف باصطلاح أهل الحديث بعلم « الدراية » وعرفوه بالعلم الذى يبحث فيه عن سند الحديث (من حيث انقسامه إلى المتواتر والآحاد والمستفيض وغيرها) وعن متنه (من حيث التعلل أو التصحيف أو الظهور أو الصراحة وغيرها) وكيفية تحمله (من السماع والقراءة والإجازة وغيرها) وآداب نقله . فعلم الرجال جزء من علم نقد الحديث حتى إنهم فرقوا علم الرجال نفسه ، وهو الموضوع لتشخيص الرواة ذاتاً ووصفاً عن موضوع علم تاريخهم الذى يبحث عن أفعال الأشخاص ومولدهم ومماتهم دون النظر إلى جهة الرواية . فتأمل (راجع وجيزة البهائى وشرحها للسيد محمد على المرعشى وغيرها من مقدمات هذا العلم) والله المستعان .

مؤلفاته وفهرست كتبه [1]

١ ـ « إبطال القياس » ؛ ذكره الذهبي في سير النبلاء .

٢ ـ « الانتصار » ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسمّياه الانفرادات في الفقه » وطبع ضمن الجوامع الفقهية لمحمد باقر بطهران « سنة ١٢٧٦هـ »وطبع منفرداً « سنة ١٣١٥ هـ » .

٣ ـ « إنقاذ البشر من القضاء والقدر » [2] ، ذكره ابن شهر آشوب ، وطبع في النجف « سنة ١٩٣٥ م » وطهران « سنة ١٣٥٠ هـ » .

٤ ـ « البرق » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسماه « المرموق في أوصاف البروق » .

٥ ـ « تتبع الأبيات التي تكلّم عليها ابن جني في إثبات المعاني للمتنبي » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسي ـ وابن شهر آشوب .

---

(١) اعتمدنا على ذكر مؤلفات السيد المرتضى أولا على ما كتبه الأستاذ الفاضل المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم مدير الشئون المكتبية بدار الكتب المصرية ـ في مقدمة كتاب أمالي السيد المرتضى الذي حققه وطبعه في مطبعة الحلبي ـ بمصر عام ١٣٧٣ هـ ، والمؤلفات فيه مذكورة حسب حروف الهجاء ـ كما ترى ـ . ثانياً ـ على ما كتبه إلينا الأخ الفاضل الدكتور حسين على محفوظ الكاظمي ـ عند مكثه في إيران من كتاب فهرست كتب المرتضى ، وما عثر عليه في المكتبات هناك ، مع ماتضمنه الفهرست سالف الذكر من إجازة المرتضى لتلميذه أبي الحسن محمد بن محمد البصروي على الفهرست ، وستجده بعد ذكر هذه المؤلفات .

(٢) كذا في مقدمة الأمالي ، وعلى طرة الكتاب المطبوع في النجف « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » .

٦ - « تتمة أنواع الأعراض من جمع أبى رشيد النيسابورى » ذكره ابن شهر آشوب .

٧ - « تفسير الخطبة الشقشقية » نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء .

٨ - « تفسير قصيدة السيد الحميرى » ، المعروفة بالقصيدة المذهّبة ، وهى القصيدة البائية فى مدح أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :

هلاّ وقفتَ على المكان المعشبِ بين الطُّويلعِ فاللّوى من كوكبِ

ذكرها أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب ، وطبعت مع الشرح بمصر « سنة ١٣١٣ هـ » ، بعنوان « القصيدة الذهبية » .

٩ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ » ذكره النجاشى.

١٠ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ » ؛ ذكره النجاشى .

١١ - « تفسير سورة الحمد وقطعة من سورة البقرة » ؛ ذكره النجاشى .

١٢ - « تقريب الأصول » ؛ ذكره النجاشى .

١٣ - « تكملة الغرر والدرر » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

١٤ - « تنزيه الأنبياء » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، وطبع بالمطبعة الحيدرية فى النجف « سنة ١٣٥٢ هـ » [١]

١٥ - « جمل العلم والعمل » ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب [٢] .

---

(١) وطبع قبل ذلك فى العجم مفرداً « الصفار » .

(٢) أقول : وعندى منه نسخة مخطوطة ضمن كتاب المجموع الرائق لجامعه هبة الله بن أبى محمد الحسن الموسوى الكاظمى بن سعد الله بن أبى البركات « نقيب =

١٦ ـ « جواب الملحدة فى قدم العالم من أقوال المنجمين » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٧ ـ « الحدود والحقائق » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

١٨ ـ « الخطبة المقمصة » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٩ ـ « الخلاف فى أصول الفقه » ، ذكره النجاشى وابن شهر آشوب .

٢٠ ـ « ديوان شعره » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان « المستشرق » أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد[1] .

٢١ ـ « الذخيرة فى الأصول » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب .

٢٢ ـ « الذريعة فى أصول الفقه » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب .

٢٣ ـ « الرد على يحيى بن عدى فى اعتراض دليل الموحد فى حدوث الأجسام » ؛ ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .

= سامراء » وقد جاء ذكر المجموع الرائق هذا فى هامش كتاب عمدة الطالب وفى روضات الجنات فى ترجمة هبة الله المذكور وأثنى على جامعه وهو حقاً كتاب جليل ضخم جامع لكتب مفردة لعلماء أفاضل « الصفار » .

(١) أقول : لم نعثر على تلك النسخة التى ذكرها بروكلمان فى مكتبة مشهد أثناء مكثنا فيها « سنة ١٩٤٦ م » وقد فتشنا عنها كذلك فى فهرست المكتبة المطبوع فلم نجدها ؛ وأيدنا على عدم وجودها أيضاً الأخ الفاضل الدكتور حسين على محفوظ . ولعل المستشرق المذكور توهم كما يتوهم الكثير من المستشرقين لوجود نسخة مخطوطة من الديوان الموسوم بـ « الديوان المرتضوى » وهو المنسوب للمرتضى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب صلوات الله عليه. وعلى كل فقد تعرضنا لذكر نسخ الديوان عند القول على النسخ التى اعتمدنا عليها فى تحقيقه فى أواخر هذه المقدمة .

٢٤ ـ « الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين »؛ ذكره النجاشى.

٢٥ ـ « الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٢٦ ـ « رسالة فى المحكم والمتشابه » منقول من تفسير النعمانى ؛ ذكره ابن شهر آشوب(١) .

٢٧ ـ « الشافى فى الإمامة والنقض على كتاب المغنى [الكافى] للقاضى عبد الجبار بن أحمد » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وقال : « إنه لم يؤلف مثله فى الإمامة » ؛ وذكره أيضاً النجاشى ، وابن شهر آشوب . وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى [تلميذ المرتضى وصاحب الفهرست المذكور] والمعروف هنا بالطوسى المتوفى « سنة ٤٦٠ » وطبع الكتاب والمختصر فى إيران « سنة ١٣٠١ هـ » فى جزأين [بمجلد واحد] .

٢٨ ـ « شرح مسائل الخلاف » ؛ ذكره النجاشى .

٢٩ ـ « الشهاب فى الشيب والشباب » ؛ذكره أبو جعفر الطوسى،وطبع بمطبعة الجوائب « سنة ١٣٠٢هـ » .

٣٠ ـ « طيف الخيال » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣١٣ ز ، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الاسكوريال(٢) .

٣١ ـ « غرر الفوائد ودرر القلائد » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى، وابن شهر آشوب، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العلائقى وسماه

---

(١) طبعت الرسالة مفردة فى إيران بالحجم الصغير .

(٢) وقد طبعت هذه النسخة بمصر بمطبعة الحلبى سنة ١٣٧٤ هـ » وكذا طبعت بتحقيق الدكتور صلاح صبحى ببغداد بمطبعة دار المعرفة « سنة ١٩٥٧ م » (الصفار) .

« غرر الغرر ودرر الدرر » ، وأكمل هذا المختصر فى «سنة ٧٦٦» ومنه نسخة خطية فى مكتبة طهران ؛ ذكره بروكلمان .

٣٢ ـ « الفرائض فى نصر الرواية [١] وإبطال القول بالعدد » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٣٣ ـ « الفقه الملكى » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٣٤ ـ الكلام على من تعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ . . . ﴾ ؛ ذكره النجاشى .

٣٥ ـ « ما تفرّد به الإمامية » ؛ ذكره النجاشى وابن شهر آشوب .

٣٦ ـ « مسائل آيات » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٣٧ ـ « مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة» ذكره أبو جعفر الطوسى والنجاشى .

٣٨ ـ « مسائل البادريات » ؛ ذكره النجاشى [٢] .

٣٩ ـ « المسائل التبانيات » ؛ ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب [٣] !

٤٠ ـ « المسائل الجرجانية » ؛ ذكره الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٤١ ـ « المسائل الحلبية الأولى والأخيرة » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

---

(١) كذا وردت ولعلها « فى قصر الرؤية » كما جاء فى روضات الجنات « ص ٣٨٥ » « الصفار » .

(٢) لعلها البادرائيات نسبة إلى بادرايا أى بدرة الحالية أو إلى بادوريا وهى من كورة نهر عيسى بن على بالجانب الغربى من بغداد . (راجع ص ٤٨) من هذه المقدمة .

(٣) ذكرنا أنها نسبة إلى تلميذه أبى عبد الله بن التبان وقد تعرضنا إلى ترجمته عند القول على تلامذة المرتضى فى هذه المقدمة .

٤٢ ـ « مسائل الخلاف فى الفقه » لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة فى مكتبة مشهد ضمن مجموعة .

٤٣ ـ « المسائل الرازية » (١٤ مسألة) ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٤٤ ـ « المسائل الرمليات » ؛ ذكره النجاشى .

٤٥ ـ « المسائل السلارية »[١] ؛ ذكره ابن شهرآشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٤٦ ـ « المسائل الصيداوية » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٤٧ ـ « المسائل الطبرية » ؛ ذكر بروكلمان أن منه نسخة فى مكتبة مشهد ، وذكره أيضاً الكنتورى فى « كشف الحجب » .

٤٨ ـ « المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٤٩ ـ « المسائل الطوسية » لم يتم ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب.

٥٠ ـ « المسائل المحمديات » ؛ ذكره النجاشى[٢] .

٥١ ـ « مسائل مفردات فى أصول الفقه » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٥٢ ـ « مسائل مفردات » نحو مائة مسألة فى فنون شتى ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٥٣ ـ « المسائل الموصلية الثلاثة » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ،

---

(١) نسبة إلى تلميذه سلار الديلمى (أبو يعلى) وقدمر ذكره فى جملة تلامذة المرتضى.
(٢) راجع فهرست كتب المرتضى الآتى ذكره .

وابن شهر آشوب . وذكر بروكلمان أن منهـا نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد(ضمن مجموعة) .

٥٤ ـ « مسائل ميـافارقين » ؛ ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمـان أن منه نسخة مخطوطة فىالنجف فى مكتبةخاصة ، وأخرىفى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٥٥ ـ « المسـائل الناصرية فى الفقه » ذكره أبوجعفرالطوسى؛ وابنشهر آشوب. وقد طبعهذا الـكتاب مع كتاب الجوامعالفقهية لمحمد باقر فىطهران « سنة ١٢٧٦هـ ».

٥٦ ـ « مسألة فى الإرادة » ؛ ذكره النجاشى .

٥٧ ـ « مسألة فى دليل الخطاب » ؛ذكره النجاشى .

٥٨ ـ « مسألة فى التأكيد » ؛ ذكره النجاشى .

٥٩ ـ « مسألة فى التوبة » ؛ ذكره النجاشى .

٦٠ ـ « مسألة فى قتل السلطان » ؛ ذكره النجاشى .

٦١ ـ « مسألة فى كونه تعالى عالماً » ؛ ذكره النجاشى .

٦٢ ـ « مسأله فى المتعة » ذكره النجاشى .

٦٣ ـ « المصباح فى أصول الفقه » ، لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب .

٦٤ ـ « المقنع فى الغيبة » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب .

٦٥ ـ « الملخص فى الأصول ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن شهر آشوب .

٦٦ ـ « المنع من تفضيل الملائكة على الأنبياء » ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٦٧ ـ « الموضح عن وجه إعجاز القرآن » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وسماه « كتاب الصرفة » ، وذكره أيضاً ابن شهر آشوب .

٦٨ ـ « نقض الرواية وإبطال القول بالعدد » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وذكره أيضاً ابن شهر آشوب وسماه « مختصر الفرائض فى قصر الرواية وإبطال القول بالعدد » ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة فى مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) أقول : قد مرّ ذكره محرفاً أيضاً فى العدد (٣٢) من هذا الفهرست باسم الفرائض فى نصر الرواية والصحيح : قصر الرؤية (الصفار) .

٦٩ ـ « النقض على ابن جنى فى الحكاية والمحكى » ؛ ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب .

٧٠ ـ « نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر » ذكره ابن شهر آشوب .

٧١ ـ « الوعيد » ؛ ذكره النجاشى .

فهرست كتبه

هناك كتاب مصنف فى عصر الشريف المرتضى وفى حياته يتضمن كتبه المؤلفة إلى « سنة ٤١٧ هـ » ، وفيه صورة إجازة المرتضى لتلميذه محمد بن محمد البصروى برواية هذا الفهرست ، بعد أن قدمه هذا التلميذ لأستاذه ملتمساً الإجازة منه ـ وهذه صورته [١] :

فهرست تأليفات السيد الأجل المرتضى ـ رضى الله عنه ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب سيدنا الأجل المرتضى علم الهدى ذى المجدين أبى القاسم على بن الحسين

---

(١) كتبناه عن النسخة التى بعثها إلينا الدكتور حسين على محفوظ من طهران حين مكثه فيها بخطه .

ابن موسى [بن محمد بن موسى] بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وقدس الله روحه الزكية :

« تفسير سورة الحمد ومائة وخمس وعشرين آية من سورة البقرة » .

تفسير قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا . . . » الآية .

معنى قوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ .. » الآية .

مسألة على من تعلق بقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .. » الآية .

« مسألة على أن الملائكة أفضل من الأنبياء عليهم السلام » .

« المسائل المحمديات » وهى خمس ، أولها : « وَلَقَدْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ . . » الآية .

ثانية : ما معنى ما يقال عند استلام الحجر « أمانتى أديتها . . . إلى آخر الكلام . . . » .

ثالثة : ما روى عن النبى عليه وآله السلام « إنّ القلوب أجناد مجندة .. الخبر .. » .

رابعة : « أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ .. الآية .. » .

خامسة : « فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ .. الآية .. » .

« المسائل البادريات » ، وهى أربع وعشرون مسألة :

الأولة : مسألة عن قوله تعالى : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

ثانية : « الفرق بين المعرفة والعلم » .

ثالثة : « ما الشبهة وضدها ؟ » .

رابعة : « وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ . . الآية . . » .

خامسة : « فيما يجب فيه الخمسة » [ولعلها الخمس] .

سادسة : « عَنِ اليمينِ وعن الشِّمالِ عِزِينَ » .

سابعة : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » .

ثامنة : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ .. الآية .. » .

تاسعة : قول العالم عليه السلام : « من كانت له حقيقة ثابتة لم يُقِم على شبهة هامدة . . الخبر إلى آخره .. » .

عاشرة : قول العالم عليه السلام : « يا مفضّل » من وان الله بغير سماع من صادق أكرمه الله البتّة . . إلى آخر الخبر .. » [ولعله من دان . .] .

حادية عشرة : « ليلة القدر وما رُوى من تَنَزُّل الأمر » .

ثانية عشرة : « وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ .. الآية .. » .

ثالثة عشرة : « ما معنى الإمام فى اللغة والشرع » .

رابعة عشرة : « هل التأويل ينسخ التنزيل أم لا ؟ » .

خامسة عشرة : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا .. الآية .. » .

سادسة عشرة : قول العالم عليه السلام : « على الإسلام يتناكحون ويتوارثون وعلى الإيمان يثابون » .

سابعةعشرة : « قول العالم عليه السلام : إنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم . . الخبر بطوله » .

ثامنة عشرة : قول أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ثلاثة » . [لعلها إلّا ثلاثة] .

تاسعة عشرة : « الولاية ماهى ؟ وهل هى قول وعمل ، أم قول بلا عمل ؟ » .

العشرون : قول النبي صلى الله عليه وآله : « إنى مخلّف فيكم ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا ؛ كتاب الله وعترتى » .

حادية وعشرون : « الَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ » .

ثانية وعشرون : ما روى عن العالم عليه السلام : « إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى آدم إنى قد قضيت نبوتك ، واستكملت أيّامك ، فاعمد إلى الاسم الأكبر وآيات علم النبوة فاجعله عند ابنك شيث . . . الخبر بطوله . . » .

ثالثة وعشرون : « أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ » .

رابعة وعشرون : « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ . . الآية . . » .

« كتاب الملخص » ناقص . « كتاب الذخيرة » .

« كتاب جمل العلم والعمل » . « المسائل الموصليات » وهى ثلاث :

« مسألة فى أحكام الاعتماد » . « مسألة فى الوعيد » . « مسألة فى القياس » .

« مسألة فى الردّ على يحيى بن عدى النصرانى [1] فيما يتناهى » .

« مسألة ردّ بها أيضاً على يحيى بن عدى فى اعتراضه دليل الموحدين فى حدوث الأجسام » .

---

(١) فى روضات الجنات ص ٣٨٥ الأنصارى المنطق ، والأنصارى محرفة عن النصرانى .

« مسألة على يحيى أيضاً فى طبيعة الممكن » .

« المسائل المصريات الأول » وهى خمس :

الأولى : « هل العلوم أن يحصل للعاقل عند إدراك المدركات ، الطريق إليها الإدراك أو بجريان العادة » ؟ .

الثانية : « هل الطريق بالعلم بأن لنا أفعالًا لا يمكن أن يكون طريقاً بأن النار فاعلة ».

الثالثة . « هل جميع الدلائل تدل من حيث يستند إلىعلوم ضرورية أو الدلائل على ضربين » ؟ .

الرابعة : « هل يجوز أن تقع الأفعال من العقلاء لأجل الدواعى والصوارف ويمتنع لأجلها ولا يعلم العاقل نفس الداعى والصارف ؟ » .

الخامسة : « الكلام فى كيفية مضادة السواد للبياض » .

« المسائل المصرية الثانية » وهى تسع .

« الثالثة وهى المسائل الرمليات » وهى سبع :

١ ـ مسألة فى الصنعة والصانع . ٢ ـ مسألة فىالجوهر وتسميته جوهراً فيالعدم .
٣ ـ مسألة فىعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام من السهو. ٤ ـ مسألة فى الإنسان .
٥ ـ مسألة فى المتواتِرَيْن . ٦ ـ مسألة فى رؤية الهلال . ٧ ـ مسألة فى الطلاق والإيلاء .

« المسائل الطبرية مائتان وسبع » . « كتاب تقريب الأصول للأعز »
« مسألة فى كونه عالماً » . « مسألة فى الإرادة » . « المسائل الموصولية الثانية » .
« المسائل الفارقية » وهى مائة . « المسائل البرمكية » وهى خمس ، وهى الطوسية .

« المسائل التبانية » وهى عشر « مسألة فى مذكر » [كذا فى الأصل] .

« مسألة فى قوله تعالى : «إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » « مسألة فى التوبة » .

« كتاب الموضّح فى جهة إعجاز القرآن وهو الصرفة » . « كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام » .

« كتاب جواز الولاية من جهة الظالمين » . « كتاب الشافى فى الإمامة » .

« كتاب المقنع فى الغَيْبَــة » . « كتاب الخلاف فى أصول الفقه » ناقص .

« كتاب التأكيد » . « كتاب فى دليل الخطاب » .

« المسائل الطرابلسية الأول » وهى سبع عشرة . « المسائل الثانية الطرابلسية » وهى عشر .

« المسائل الثالثة الطرابلسية » وهى خمس وعشرون .

« المسائل الجبلية » [ولعلها الحلبية] الأول ، وهى ثلاث ، و « الثانية » ، وهى ثلاث ، و « الثالثة » وهى ثلاثون .

« ثلاثون مسألة : المسائل الدمشقية ، وهى الناصرية » .

« مسألة فى الولاية من قبل الظالمين » . « مسألة فى الإمامة فى دليل الصفات » .

« جواب الكراجكى فى فساد العدد » . « المسائل الواسطية » وهى مائة مسألة .

« المسائل المستخرجات وهى كتاب شرح مسائل الخلاف فى الفقه » ناقص .

« كتاب المصباح فى الفقه » ناقص . « مسألة فى نكاح المتعة » .

« كتاب الشيب والشباب » . « كتاب طيف الخيال » .

« كتاب البرق » . « كتاب الانتصار لما أجمعت عليه الإمامية » .

« كتاب الغرر والفوائد » . « تفسير القصيدة الميمية من شعره » .

« تفسير الخطبة الشقشقية » . « تفسير قصيدة السيد البائية » .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد وآله الطاهرين .

حكاية ماوجد بخط البصروى يلتمس الإجازة عمّا تضمنه فهرست كتب المرتضى رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم سيّدنا الأجل المرتضى ذى المجدين ، أطال الله بقاءه ، وأدام الله تأييده ونعمته ، وعلوّه ورفعته ، وكَبَتَ أعداءه وجدّته (كذا) [ولعلها وحدته] يسأل الإنعام بإجازة ماتضمنه هذا الفهرست المحروس ، وماصح و يصح عنده ، وما يتجدد إن شاء الله من ذلك ، والرأى العالى سموه « كذا » [ولعلها لسموه] فى الإنعام به - إن شاء الله تعالى - .

حكاية ماوجد بخط المرتضى :

« قد أجزت لأبى الحسن محمد بن محمد بن البصروى - أحسن الله توفيقه - جميع كتبى وتصانيفى وأماليَّ ونظمى ونثرى ما ذكر منه فى هذه الأوراق وما لعله يتجدد بعد ذلك وكتب على بن الحسين الموسوى فى شعبان من سنة سبع عشرة وأربعمائة »(١)

وفى رياض العلماء للشيخ عبدالله الملقب بالأفندى ترجمة للسيد الشريف المرتضى مبسوطة مفصلة تكون كتاباً كبيراً أودعها مؤلف الرياض من وصف آثار السيد التى رآها فى غضون أسفاره شيئاً كثيراً جميلًا . وفى صفحات الكتاب تنبيه

---

(١) قال الدكتور حسين محفوظ فى صدر هذه الرسالة المكتوبة بخطه : وهى التى استنسختها (حسبما تستوجبه الأمانة العلمية) موافقة للأصل المخطوط ولم أعمد إلى تصحيح أغلاطها وإعجام المهمل من ألفاظها ، وهى أول مجلد يحتوى على طائفة من آثار السيد ومن هذا الفهرست (فهرست تأليفات) نسخة أخرى رأيتها بزنجان عند شيخ الإسلام أيضاً .

على تلامذة السيد كما فى ترجمة « أبى غانم العصيمى المروى » الذى يروى عن السيد المرعشى .

وفى زنجان عند شيخ الإسلام فضل الله الزنجانى :

١ ـ رسالة فى الغَيبةورد ما أورده منكروها من الشبه .
٢ ـ المسائل الموصليات الثانية .
٣ ـ المسائل الموصليات الثالثة .
٤ ـ المسائل الطرابلسيات الثانية .
٥ ـ المسائل الطرابلسيات الثالثة .
٦ ـ رسالة فى أحكام أهل الآخرة .
٧ ـ مسألة فى العصمة .
٨ ـ مسألة فى الاعتراض على أصحاب الهيولىٰ .
٩ ـ مسألة تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام .
١٠ ـ جمل العلم والعمل .
١١ ـ رسالة فى الغَيبة .
١٢ ـ رسالة فى أحكام الآخرة .

وفى خزانة مشهد الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ (حسبما) وجدته فى فهرس مخطوطاته الخطى :

١ ـ « أجوبة المسائل الديلمية » المرقوم ٢٤٢٩ : ٢١٩ .
٢ ـ « الانتصار » « ٢٦٩٩ : فقه .
٣ ـ « تنزيه الأنبياء » « ٣٩٣ : ٣٩٦ ، ٣٢٤ : ٣٢٦.
٤ ـ « جواب المسائل الموصلية الثالثة » « ٢٣٣٩ : ١٢٩ .
٥ ـ « جواب مسائل ميافارقين » « ٢٣٤٠ : ١٣٠ .
٦ ـ « الذريعة » « ٢٨٩١ : ٣٦ أصول .
٧ ـ رسالة فى تأليفات السيد المرتضى علم الهدى». « ٢٤٢٦ : ٢١٦ .

وفيها من آثار السيد المرتضى علم الهدى طائفة كثيرة لم يأذن لى قصر الإقامة

أن أتصفح فهرس الخزانة المخطوط كله وأقيدها ، وفى الأجزاء الخمسة من الفهرس المطبوع شيء كثير كذلك .

وفى كتابخانه ملى : كما فى فهرس مخطوطاتها المخطوط :

١ ــ شرح قصيدة السيد الحميرى ، المرقوم : ٣١٦ .

٢ ملخص غرر الحكم ودرر الكلم « : ١٥٤ .

وعند السيد شهاب الدين المرعشى النجفى النسابة فى « قُم » من آثار السيد كثير لم ينشر كما حدثنى هو نفسه[1] .

القول على شاعرية المرتضى وديوان شعره

كنا فى غنًى عن ذكر هذا الباب لولا ما علمنا من جهل كثير من متأدبى هذا العصر بأن يكون الشريف المرتضى الفقيه المتكلم شاعراً ومن عدم علم حتى بعض الأدباء بأن يكون له ديوان شعر ، أو أنّ بعضهم علم بشاعريته وقد يكون رأى ديوان شعره ولكنه تجاهل من كونه من الشعراء المفلقين الذين قد لا تقل مرتبتهم عن مرتبة مثل أخيه الشريف الرضى فى الشعر وفارةً و إجادة وصناعة وتنوع أغراض ، وحسن أداء للمعنى المقصود والغرض المطلوب ؛ حتى جرّ القول أن يقول أحدهم أنّ « من محاسن شعر المرتضى كان فى أداته لا فى صناعته ، وفى توفره على مادة الشعر وقرضه لا فى الإجادة فى تنقية تلك المادة . . . الخ ، وأن شعره كانت تنقصه المهارة فى صناعته وحسن الرويّة فى بديهته ، وفضل الاختيار لمفردات اللغة ، واستعمال المعنى

(١) انتهى ما كتبه لى الأخ المفوظ بعناية الله الحفيظ : الدكتور حسين على محفوظ مايتعلق بتأليفات المرتضى ، والحمد لله أولا وآخراً .

فى مكانه المناسب ... الخ [١] وأنه أخيراً ليس بالشاعر المحسن فى الانتفاع بمادة لغته ، ومخزون معانيه ، فى اختيار أنسبها وأفضلها جرياً مع الجرس وطباقاً مع المناسبة [٢] وأنه وإن كان شاعراً مهيأ الأدوات ، موفور الأسباب ، واسع المخزون من الألفاظ والمعانى ، لكنه لم يحسن الانتفاع بهما فى عمله الفنى ، ولم يصب منها كبير جدوى فى صناعة الشعر . . . [٣] »

ونحن لا نريد أن نطيل القول فى تفنيذ هذه الآراء والمزاعم أو تأييدها بعد أن يكون الديوان قد حصل فى يدى القارىء الأديب فله النظر فيه والحكم له أو عليه ، ولكل رأى محترم .

ولكن عنّ لنا أن نفتح هذا القسم من الديوان على غير اختيار أو تعيين لنتلو على القارىء الأديب شيئاً قد يتضح منه إبطال ما سلف من التجنِّى على المرتضى وشعره ، وأنه كان حقًّا من المتنفعين بمفردات لغته و « ناضجات فطاره » المتصرفين بفنون المعانى والألفاظ الموضوعة فى محالها والمصوغة على أفضل ما يمكن صياغتها ـ

---

(١) أدب المرتضى للدكتور عبد الرزاق محي الدين « ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ »

(٢) المصدر السالف « ص ٢٨٤ » .

(٣) المصدر السالف « ص د » منْ المقدمة وتجد أمثال هذا القول مكروراً فى مواضع متعددة من الكتاب ـ وقد علل قوله الأخير فى الصفحة المنوه بها بقوله : مرجعاً ذلك (أى أسباب عدم الانتفاع بالألفاظ والمعانى وغير ذلك) إلى ما سبق أن أحلت عليه من ملاحظات فى صدر البحث عن شعره . . . أقول : هذا القول أشبه وأولى بأن يكون فى الخاتمة منه فى المقدمة طبقاً لما جاء فى خاتمة الكتاب المطبوع على الآلة الكاتبة والمحفوظ بمعهد الدراسات العليا بالقاهرة ، فالمقدمة هنا كانت خاتمة هناك فلاحظ ! .

ومن محاسن الاتفاق أن يقع نظرنا فى أول ما يقع على الصفحة « ٦٣ » من هذا القسم من الديوان وهى أبيات من جملة قصيدة قالها المرتضى على لسان صديقه الوزير أبى على الحسن بن حمد بعد أن التمسه نظمها ليبعثها إلى الملك بهاء الدولة يذكّره بسالف حقوقه وجليل مواقفه ، ويطلب منه العتبى بالعتاب اللطيف ، بعد جفوة يسيرة حصلت بينهما ، فلينظر اللبيب فهل يرى فى هذه القصيدة من آثار التعمل والتكلف والصنعة المستجلبة فى الألفاظ أو المعانى شيئاً ، أو ليرى هل أبياتها مستقلة بمعانيها غير منسجمة مع نظائرها من أخواتها كما قد يحصل فى أغلب القصائد المتعملة والمقولة على لسان غير قائلها ؟ :

خذوا منّا التحية واقرءوها ... وإن لم تُسمعوا عنها جوابا
على ملكٍ تنزّه أن يحابِى ... وأغنته المحامد أن يُحابَى
ولمّا أن تحجّب بالمعالى ... على أعدائه رفع الحجابا
وقولوا للذين رضوا زماناً ... فردّهم الوشاةُ بنا غضابا
عدَتنا عن دياركم العوادى ... وراب من الزيارة ما أرابا
فلا جوٌّ نشيم به بروقاً ... ولا أرضٌ نشمّ لها ترابا
وما كنّا نخاف وإنْ جنينا ... بأنّ الهجر كان لنا عقابا
أقيلونا الذّنوب فإنّ فيكمْ ... وعندكمُ لجرمكمْ متابا
ولا تستبدعوا خطأ الموالى ... فإنّ العبد يُبدع إن أصابا
بعدنا عنكم ولنا أعادٍ ... يزيدهمُ تباعدنا اقترابا
فَرَوْنا بالشّفار فما أكلّوا ... لهم فى فَرينا ظُفراً ونابا
وكنّا إذ أمنّاهم علينا ... رعاة البَهْمِ إذ أمنوا الذئاب

منها : وقل للمجلبين عليّ مهلًا فقد أدركتمُ فيـــه الطِّلابا

منها : وأنت أريتنا فى كلّ باغٍ غفرت ذنوبه العَجَبَ العُجابا

فمـــالى لا تسوّينى بقومٍ رَقَوْا فى كيد دولتك الهضابا؟!

منها : ولما أن عوى بالسّيف كلبٌ وجرّ إلى ضلالتــه كلابا

وظنّــك لاهيــاً عنه ويُرمىٰ قديمــاً بالغبــاوة من تغابىٰ

رأى لينــاً فظنّ عليه خــيراً ويلقى اللّينَ من لمس الُحبــابا

دلفتَ إليه فى عصب المنــايا إذا أمّوا طعــــاناً أو ضرابا

وجوهاً فى ندّى تُلفىٰ رقاقاً وعند ردّى تلاقيهــا صِلابا

وأبصرها على « الأهواز » شُعثاً تخال بهن من كَلَبٍ ذآبا

عليهــــا كلّ أروع شمّريٍ يهاب من الحميّةِ أن يهــابا

فولّى فى رهيــطٍ كان دهراً يمنّيهمْ فأوردهم سرابا (١)

ثم يتبعها بأبياتٍ أشد حماسة مما سلف ، وأكثر تعانقاً وتماسكاً بين أبياتهــا فكأنها سلاسل الذهب حقاً ، حتى يختمها بهذا البيت :

وطابت لى حياتك ثمّ طالتْ فخيرُ العيش ما إن طال طابا

أترى هذه القصيدة يقال عنها وعن أمثالها ما قيل . . ؟

أما قول العلماء والأدباء فى شعره وديوانه ، فأمر يطول ذكره ، وقدمرّت الإشارة

---

(١) جاء فى ص « ٦٥ » فى الديوان « شرابا » بدل « سرابا » كما فى نسخة « هـ » وهو مصحف عمــا أثبتناه هنــا لذا اقتضى التنبيه . ، وتجد هــذه القصيدة كاملة فى « ص٦٢ » وما بعدها لهذا القسم من الديوان .

إلى بعضه فى طيات هذه المقدمة و إليك ما قاله بعض العلماء والأدباء الأفاضل فى ذلك و إن كان قول بعضهم مكروراً :

أشرنا إلى أن الطوسى وابن شهر آشوب ذكرا ديوانه فى فهرستيهما ، وأورد الثعالبى ترجمة المرتضى وأثنى عليه وقال فى تتمة اليتيمة « له شعر فى غاية الحسن » ثم أتى بشواهد منه ، وقال فيه ابن خلكان : « وله ديوان شعر كبير ، و إذا وصف الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله فى كثير من المواضع ، ثم أورد ما قاله ابن بسام فى أواخر كتاب « الذخيرة » من قوله :

« كان هذا الشريف إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها وجمّاع شاردها وآنسها ، ممن سارت أخباره ، « وعرفت به أشعاره » وحمدت فى ذات الله مآثره وآثاره . . . » .

وقال عنه ياقوت فى معجم الأدباء[1] : له ديوان شعر يزيد على عشرة آلاف بيت. وأشار إلى ديوان شعره السيوطى أيضاً فى بغية الوعاة ، وقال فيه الحاج خليفة فى كشف الظنون : وله ديوان شعر كبير و إذا وصف الطيف أجاد فيه ، وقد استعمله فى كثير من المواضع[2] .

وقال فيه الحر العاملى صاحب أمل الآمل على ما نقله عنه صاحب « روضات الجنات ص٣٨٨ » : « وقد رأيت نسخة من ديوان شعره قرئ عليه ، وعليه خطه ، فكتبته بخطى نحو عشرة أيام ، وهو أقل من عشرة آلاف بيت ، وكأنه منتخب ديوانه » إذ أن شعره على ما قيل يزيد على عشرين ألف بيت[3] .

(١) « ج١٣ ص١٤٧ » ط . دار المأمون بمصر :
(٢) لاحظ قول صاحب كشف الظنون فهو نص قول ابن خلكان .
(٣) الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى «ج٢ص٤٣٩» ط . العرفان ١٣٥٧ هـ.

وذكره أيضاً الشريف اليمانى فى كتابه نسمة السحر وجاء بشواهد من شعره أيضاً . وقد قال فيه أحد أدباء مصر المعاصرين بعد إطلاعه على ديوانه : كان يقال الشريف المرتضى أخو الرضى الشاعر ، وسيقال بعد انتشار الديوان : الشريف الرضى أخو المرتضى الشاعر .

أما مجموعنا هذا فيضم قرابة أربعةعشر ألف بيت .

نسخ الديوان التى اعتمدنا عليها فى تحقيق هذه المجموعة

١ ـ نسختنا : وسميناها النسخة الهندية ، لاحتمال كونهـا النسخة التى كانت موجودة عند السيد محمـد على داعى الإسلام ـ بروفبسيركلية النظام بحيلر آباد فى الهند ـ وذلك لسببين :

أولهما : جاء فى مزية هـذه النسخة ووصفها فى كتاب « تذكرة النوادر » طبع حيدر آباد « ص ١٣٠ سنة ١٣٥٠ هـ » ماينطبق تمـاماً على أوصاف النسخة الموجودة لدينا ، بالأخص ماذكره من كونها نسخة عتيقة ومنقولة عن نسخة عليهـا صورة خط الشريف المرتضى بإجازة روايتها لمن قرأها عليه وهذه صورتها :

هذه صورة خط الشريف الأجل المرتضى ذى المجدين صاحب الديوان على النسخة المنقول عنها :

قرأ علىّ الفقية أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقى ـ أدام الله تعـالى توفيقه ـ قطعة كبيرة من ديوان شعرى ، وأجزت له رواية جميعـه عنّى ، فليره كيف شاء وكتب على بن الحسين بن موسى الموسوى بخطه فى ذى القعـده من سنـة ثلاث وأربع مائة » .

والنسخة تضم جزأين من الديوان ، هي الأول والثاني ، وعدد صفحاتها «٣٠٤» وعدد سطور كل صفحة لايزيد على « ١٥ » سطراً ، بخط جيد جلىّ إلّا أنها كثيرة التحريفات والتصحيفات ، لأن ناسخها وإن كان حسن الخطّ إلّا أنه كان معدوم الحظّ من العربية إذ لاعلم له بهـا أصلًا ، فلذلك عانينا فى تصحيحها وتحقيقها جهداً كبيراً ، وهي نسخة بالية ، قد أكلت الأرضة جميع حواشيها ولم تبق منها سوى حدود السطور ومايلي أصول الأوراق من كعب الديوان ، ومن الغريب أن لا تمس الحروف بشيء .

ولم يذكر على النسخة تاريخ خطها والمظنون أنها من مخطوطات القرن التاسع إلى العاشر .

ثانيهما : أننا كتبنا إلى السيدة المهذبة عقيلة داعى الإسلام نسألها عن مآل النسخة المذكورة فى « تذكرة النوادر » فأجابت ما ملخصه : أن كتب داعى الإسلام قد حمّلت فى حياته وقبيل وفاته بعدة صناديق و بعثت إلى طهران حيث بيعت هناك « بالهراج » ـ المزاد العلنى ـ والآن لا علم لها بالنسخة المشار إليها .

هذا ما جعلنا نرجح احتمال كونها هى النسخة التى عندنا ، وقد أشرنا إليها عند التحقيق بالحرف « هـ » .

٢ ـ نسخة العلامة معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى .

وهى كنسختنا تضم جزأين من الديوان فقط ؛ وقد كتبت بخط المرحوم العلامة الشاعر الشيخ محمد جواد ـ والد معالى الشبيبى ـ وعلى حواشيها تصحيحات بعض الكلمات .

وقد فرغ من كتابة الجزء الأول منها فى اليوم العاشر من شهر رجب « سنة ١٣٤٤ » هـ عن نسخة ذكر كاتبها أنها مستنسخة عن نسخة مقروءة على السيد المرتضى وعليها خطه طاب رمسه .

وفرغ من كتابة الجزء الثانى منها فى اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب من السنة نفسها ، وجاء فى آخرها ماهذه صورته :

تم والحمد لله الجزء الثانى من ديوان علم الهدى السيد المرتضى ـ أعلى الله مقامه ـ فى اليوم الثالث والعشرين من شهر رجب المرجب من شهور السنة الرابعة والأربعين بعد الثلاثمائة والألف الهجرية منقولًا عن نسخة فرغ منها المستنسخ فى ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين بعد الألف ، وهى منقولة عن نسخة فى عهد السيد المرتضى ، وفى آخرها ما صورته :

قرئ المجلد بتمامه على سيدنا الأجل الشريف المرتضى ذى المجدين أبى القاسم ابن الطاهر الأوحد ذى المناقب أبى أحمد ـ أدام الله أيامه ـ .

وحدثنى العلامة معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى بأن هـذه النسخة التى لديه قد كتبت عن نسخة كانت موجودة فى بيت السيد حسين آل زوين النجفى فى النجف [١] .

وقد أشرنا إلى هذه النسخة عند التحقيق بالحرف « ش » .

٣ ـ نسخة العلامة المرحوم الشيخ محمد طاهر السماوى النجفى :

وهذه هى أتم النسخ و بخطه وتحوى تمام الديوان وهو ستة أجزاء حسب تجزئة الناظم وقد استنسخت بتواريخ متفاوتة .

فالجزآن الأول والثانى تم استنساخهما بتاريخ ١٣٣٥ هـ وقد جاء فى آخر الجزء الثانى ما صورته :

---

(١) لقد أشرنا فى المقدمة من قبل أن نسختنا هى ليست نسخة آل زوين كما وهم بنقل ذلك الأستاذ الدكتور عبـد الرزاق محي الدين فى كتابه « أدب المرتضى » ـ ص ١٥٤ ـ .

تم الجزآن من ديوان الشريف المرتضى بقلم الأقل محمد بن الشيخ طاهر السماوى في النجف فى مدة اثنى عشر يوماً آخرها يوم الخامس من ربيع الآخر من سنة ألف وثلثمائة وخمس وثلاثين على نسخة مكتوبة على نسخة كتبها القسم ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الإمامى النيشابورى وقرأها على سيدنا الشريف المرتضى أبو الفرج يعقوب بن إبراهيم البيهقى فكتب الشريف ما صورته : قرأ على الفقيه الخ . . .(١)

ثم استنسخ الجزء الخامس والسادس فى سنة ١٣٣٩ هـ وذكر فى آخرها أنه كتبها عن نسخة سقيمة وصححها على قدر الطاقة ولم يذكر كاتبها .

ثم أتم استنساخ الجزأين الثالث والرابع فى سنة ١٣٦٥ هـ ولم يذكر أيضاً عمن كتبها إلا أنّ المرحوم السماوى نفسه حدثنى بأنّ نسخته كانت ناقصة فأكملها (وأظنه أتمها بالجزأين الأخيرين أى الثالث والرابع) على نسخة كانت محفوظة لدى المرحوم السيد عدنان السيد شبّر العالم الشاعر البصرى المتوفى فى الخامس من شعبان « سنة ١٣٤٠ هـ » وهذه النسخة اليوم محفوظة لدى أحد أبنائه فى نواحى البصرة على ما أخبرنى به السيد حسن ـ حفظه الله ـ نجل المرحوم السيد عدنان وذلك فى « سنة ١٣٧٠ هـ » .

أما نسخة السماوى المشار إليها فقد استنسختها بيدى عام « ١٣٦٨ هـ » وأصلها الآن موجود بحيازة الأستاذ الفاضل الأديب الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ببغداد وقد صورت هذه النسخة فوتوغرافيًا فى دار الكتب المصرية فى القاهرة تحت رقم : ٢٣٨٧٦ ز وتاريخ ١٩٥٦ م وعندى نسخة منها مصورة أيضاً .

---

(١) جاء هنا نص الإجازة المذكورة فى نسختنا وقد مر ذكرها .

وقد أشرنا إلى النسخة المذكورة عند التحقيق بالحرف « س » وأحياناً نسميها نسخة الأصل فى تحقيق القصائد التى لا توجد فى النسخ الأخرى ، لما ذكرنا من الكمال النسبى فى هذه ونقصان هاتيك . أما مجموعتنا هذه التى بين يديك والتى تتم بثلاثة أقسام فهى أتم النسخ وأجمعها لشعر المرتضى كما أشرنا إلى ذلك من قبل مع امتيازها بما سنذكره :

خصائص هذه المجموعة من الديوان

وعملنا فيها

تتميز هذه المجموعة من الديوان بخصائص هامة نجملها فيما يأتى :

١ ـ تضم المجموعة من شعر الناظم أوفر مقدار قاله وذلك بفضل ما أضفنا على النسخ المعلومة من الشعر الذى جمعناه أثناء مطالعاتنا وتحقيقنا مما صحت نسبته إليه بالأخص من كتبه المعلومة مثل « الشهاب فى الشيب والشباب » وما نظمه فى « طيف الخيال » وما عثرنا عليه فى كتب أخرى مثل مناقب ابن شهر آشوب وكشكول البهائى وأنوار الربيع وغيرها مما لم يذكر فى أصول الديوان فتكون هذه المجموعة أتم المجموعات التى تضم شعره .

٢ ـ رتبنا قوافى هذه المجموعة على حروف الهجاء ولم نتقيد بترتيب الديوان على الأصل . ثم لم نكتف بذلك بل جعلناها أفضل تبويباً وأيسر ترتيباً فقدمنا القافية المضمومة مثلًا على المفتوحة وهذه على المكسورة وهكذا ، وذلك تسهيلًا للمراجعة وتشويقاً للمطالعة .

وإنه وإن كان يظن البعض أن إبقاء الديوان على ترتيبه فى الأصل يكون

أكثر فائدة مما رتبناه وذلك لمن أراد تتبع أو استقراء تطور شعر المرتضى وارتقائه حسب تدرج عمره ومرور السنين عليه ، غير أننا لاحظنا أن أكثر قصائده قد ذكرت في فاتحتها سنة نظمها ، أو أشير إليها بقوله : إنها من أوائل قوله ـ أو ما يفيد في ذلك، ثم عند تحقيقنا للديوان قد أشرنا بالأخص فيما يتعلق بالمراثي والمرثيين إلى سنة الرثاء عند ترجمتنا للشخص المرثي وتعرضنا لسنة وفاته في المواضع المقتضية .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد شعر المرتضى لا يكاد يختلف أوله عن آخره في مختلف عصوره وأدواره ، فلا نجد كبير فرق بين ما قاله في الصبا وما نظمه في الكهولة والكبر، وهذا لا يخفى على المتتبع الأديب والقارئ اللبيب ، ومن أراد تحقيقه فليس ذلك عليه بعسير .

فالفائدة المرجوة بإبقائه على أصله حاصلة هنا بجلاء .

٣ ـ لزمنا جانب الإيجاز والاختصار في إيضاح معاني الكلمات الغريبة كما توخينا وضع الكلمة الأنسب والأفصح عند اختلاف الكلمات في النسخ ، أو عند تشابه معانيها ، كما لم تفتنا الإشارة إلى ترجيح الأرجح أو وضع الكلمة المناسبة إن كانت ساقطة من الأصول مع الإشارة إليها في مواضعها وغير ذلك مما تستوجبه مهمة التحقيق وأمانة النقل ، وأحياناً نترك نقاطاً في موضع الكلمة الغامضة التي لم نوفق إلى حل مبهمها مع الإشارة إلى أصلها ، هذا ولم نغفل التعليق على أكثر الأشخاص الوارد ذكرهم في الديوان عند مساس الحاجة إلى ذلك .

أما الكتب التي راجعناها عند تحقيق الديوان فهي كثيرة مطبوعة ومخطوطة يجدها المتتبع في طيات الديوان في مواضع التحقيق ، ولم نأل جهداً في تحقيقه وتهذيبه على أحسن الوجوه على أننا لا ندعي الكمال في ذلك ولا نهاية العلم بما هنالك فالأخطاء لا يخلو منها كتاب إلا الكتاب الذي تكفل الله عزّ وجل وحده بحفظه . وفوق كلّ

ذى علم عليم ـ هـذا مع أن الدهر قد كشّر عن أنيابه ، وعبّأ قواه لحربنا بأسنّته وحرابه ، وجاءنا بمـا لاقبل لنا به من شُمُسِه وصعابه ؛ فالمصائب تنصبّ علينـا كالصوب ، والرزايا فى الأهل والمال تنسل إلنا من كل حَدَب وصوب . فنحن نبتهل إلى الله الرؤف الرحيم ، كاشف الغم ، ومحيى الرم ، أن يزيح عنّا الغصص ، ويتيح لنا الفرص ، لنقوم بتحقيق الديوان وشرحه على وجه أوسع ، ونبسط القول فى صاحبه ـ رضى الله عنـه ـ بأسلوب أجدى وأنفع ، ومنـه وحده جلّت منّته وعمّت رحمته نستمد العون ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

بغداد { فى أول رجب سـنة ١٣٧٦ هـ
{ الموافق ١٠ شباط سنة ١٩٥٧م

رشيد الصفار

{ إيضاح الرموز الواردة فى التحقيق }

« س » و « ش » و « هـ » تشير إلى نسخ الديوان بالتتابع : نسخة العلامة السماوى ، نسخة العلامة الشبيبى ، النسخة الهندية ، نسختنا .

(م . ج .) مختصر الدكتور مصطفى جواد .

(ر . ص .) « رشيد الصفار

[ ] لحصر ما أضيف من عندنا .

( ) « ما وجد فى بعض النسخ .

« » « الـكلمة المختلف فيها أو بعض الأعلام .

ملاحظات وتصويبات :

١ ـ لابد من الإشارة إلى أننا حين مكثنا فى القاهرة ومباشرتنا بطبع الديوان حصلت فى أيدينا نسخة من كتاب « أدب المرتضى » لمؤلفه الأستاذ الأديب الأريب الفاضل الدكتور عبدالرزاق محيى الدين ، وهى رسالة قيّمة تضمنت شيئاً من سيرة المرتضى وحياته مع فصول فى الكلام على أدبه وتعليقات على بعض قصائده وأبياته ، فعنّ لنا أن نعلق عليها بعض الملاحظات فأدرجناها فى طيات ترجمتنا للمرتضى فى مواضعها المناسبة ، وما غرضنا إلّا خدمة الرسالة بالاستدراك على بعض ماورد فيها غير مغفلين ما لها ولصاحبها من فضل وقيمة .

٢ ـ وجهنا فى أوائل المقدمة شيئاً من اللوم والعتاب لبعض المؤسسات العلمية عندنا وما نهدف من ذلك سوى التنبيه على بعض النواحى التى اعتقدنا وجوب التنبيه عليها والإشارة إليها خدمة للعلم والأدب والمصلحة العامة دون المساس بأشخاصها الذين لهم فى نظرنا المكانة المحترمة .

٣ ـ كما لم تفتنا الإشادة بذكر من ساعدنا على إخراج الديوان بتسهيل أمور الطبع بعد أن كاد يكون نسياً منسياً . إلّا أن البعض ممن ذكرناهم بالفضل واعترفنا لهم بالجميل ، أبوا أن تذكر أسماؤهم أو يشار إلى فضلهم ، لذا ، وبعد أن تم الطبع ، ونزولًا عند رغبتهم نوهنا بذلك لاسيما منهم الأستاذ الأخ الفاضل عبد الهادى محبوبة . ـ فإن كنا بما أتيناه قد خدمنا الحقيقة أو بعضها فذلك غاية ما كنّا نأمله ، وإنما الأعمال بالنيات .

وقد حدثت فى المقدمة أخطاء مطبعية طفيفة نذكر منها مثلًا كلمة يديه فى ص ٩ س ١ وصوابها يداه ، وكلمة جهة فى ص ٣١ بالهامش وصوابها جهرة . وكلمة أبو القاسم ابن عبد الله فى ص ٦٧ س ٢ وصوابها أبو القاسم عبيد الله ، وكلمة بن مقنى ص ١٠٢ س ١٤ وصوابها بن مقن ، وفى ص ١١٦ س ٢ هامش (ص ٢) وصوابها (ص د) .

قافية الألف المقصورة والهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الألف المقصورة

قال السيد الشريف الأجل المرتضى أبو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد ابن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم :

يرثى القادر بالله وقد توفى ليلة الاثنين الحادية عشرة من ذى الحجة سنة ٤٢٢ الهجرية ، ويهنئ القائم وقد بويع له ، وكان أولهم المرتضى ، « رضى الله عنه » وعرضت القصيدة يوم الثلاثاء ثانى البيعة (١)

أراعكَ ماراعنِى من ردًى ؟ ... وجدتُ له مثلَ حزّ المُدَى (٢)

وهل فى حسابك أنّى كَرَعْتُ ... برُزْء الإمامِ كئوس الشّجا ؟ (٣)

كأنّى وقد قيل لى إنّه ... أتاه الرّدَى فى يمين الرّدَى

فقل للأكارم من هاشمٍ ... ومن حلّ من غالبٍ فى الثّرَى

ردوها المريرة طولَ الحياةِ ... وكم واردٍ كَدِراً ما ارْوَى (٤)

وشقّوا القلوبَ مكانَ الجيوبِ ... وجُزّوا مكانَ الشّعورِ الطُّلَى (٥)

وحلّوا الحُبا فعلى رُزْئِهِ ... كِرامُ الملائكِ حلّوا الحُبا (٦)

ولِمْ لا ؟ وماكتبوا زلّةً ... عليه وأىُّ امرىءٍ ماهَفا ؟

فياليتَ باكيَهُ مابكاهُ ... وياليتَ ناعيَهُ مانعَى

---

(١) لقد أورد ابن الجوزى فى المنتظم ج ٨ ص ٥٨ ط . حيدر آباد عند ذكر بيعة القائم ستة أبيات من هذه القصيدة فلتراجع . (٢) المدى بضم الميم جمع المدية وهى السكين .

(٣) الشجا : الهم والحزن . (٤) ما اروى : هكذا ورد فى النسخ ولعلها ما ارتوى .

(٥) الطلى : جمع الطلية وهى الرقبة . (٦) الحبا : جمع الحبوة وهى ما يحتبى به « أى يشتمل » من ثوب أو عمامة بأن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بهما .

ويا ليتني ذقتُ عنه الحِمامَ ... ويا ليتني كنتُ عنه الفِدا

هو الموتُ يستلبُ الصالحينَ ... ويأخذُ من بيننا «من» يشا [1]

فكم دافعوه ففات الدفاعُ ... وكم قد رَقَوْه فأعيا الرُّقَى ؟ [2]

مضى وهو صِفرٌ من الموبقاتِ ... نَقِيَّ الإزارِ خفيفَ الرِّدا

إذا رابه الأمرُ لم يأتِه ... وإنْ خَبُثَ الزَّادُ والَى الطَّوَى [3]

تعزَّ إمامَ الورى والذى ... به نقتدى عن إمام الورى

وخلِّ الأسى فالجليلُ الذى ... جَشِمتَ به ليس فيه أسى

فإمّا مضى جبلٌ وانقضى ... فمنك لنا جبلٌ قد رسا

وإمّا فُجعنا ببدر التمامِ ... فقد «بقيتْ» منك شمسُ الضحى [4]

وإنْ فاتنا منه ليثُ العرينِ ... فقد حاطنا منك ليثُ الشّرَى

وأعجبُ ما نالنا أننا ... حُرِمنا المُنى وبلغنا المُنى

لنا حَزَنٌ فى محلّ السرورِ ... وكم ضَحِكٍ فى خلال «البُكا» [5]

فَجَفْنٌ لنا سالمٌ من قذًى ... وآخرُ ممتلئٌ من قذَى [6]

فيا صارماً أغمدته يدٌ ... لنا بعدك الصارم المُنتضَى

ويا رُكناً ذَعْذَعته الخطوبُ ... لنا بعد فقدك ركنٌ ثوى [7]

ويا خالداً فى جنانِ النعيم ... لنا خالدٌ فى جنانِ الدُّنا

فقوموا انظروا أيَّ ماضٍ مضى ... وقوموا انظروا أيَّ آتٍ أتى

فإنْ كان قادرُنا قد مضى ... فقادرُنا بعده ما مضى

---

(١) فى النسخ « ما » بدل « من » . (٢) الرقى جمع الرقية وهى العوذة .
(٣) الطوى : (بالفتح) الجوع . (٤) فى المنتظم لابن الجوزى ج ٨ ص ٥٨ « بعثت » بدل « بقيت » . (٥) فى المنتظم لابن الجوزى ج ٨ ص ٥٨ « الرجا » ونقلها عبدالرزاق محي الدين فى أدب المرتضى ص ١٠٨ عنه كذلك . (٦) القذى ما يعترض فى العين من قش وغيره .
(٧) ذعذعته : فرقته .

ولمّا دُوينـــا بفقد الإمامِ   عَجِلتَ إلينا فكنت الدَّوا (١)
رضيناكَ مالكَنا فارضنا   فما نبتغي منك غيرَ الرِّضا
ولمّا حضرناك «عند» البياعِ   عرفنا بهديك طُرقَ الهدٰى (٢)
فقابلتنا بوَقارِ المشيبِ   كمالًا وسنُّك سنُّ الفتىٰ
وجئناكَ تتلو علينا العزاءَ   فعزَّيتَنا بجميلِ العزا
وذادتْ مواعظُك البالغاتُ   أخامِصَنا عن طريق الهوٰى (٣)
وعلّمتنا كيف نرضى إذا   رضى اللهُ أمراً بذاك القضا
فشمّرْ لنا أيُّها ذا الإمامْ   وكن للورٰى بعد فقرٍ غِنىٰ
وعُطَّ عن الدينِ ثوبَ الدُّجىٰ (٤)   ونحِّ عن الخلقِ بغيَ البُغاةِ
فقد هزّكَ القوم قبل الضِّرابِ   فما صادفوك كليلَ الشَّبا (٥)
وأعلَمَهم طولُ تجريبهم   بأنّك أَولاهُمُ بالعُلىٰ
وأنّك أضربُهم بالسيوف   وأنّك أطعنُهم بالقنا
وأنك أضربهم في الرّجالِ   عِرْقاً وأطولُ منهم بِنا
وأنك والحربُ تُغلىٰ لها الـ   ـمراجلُ أوسعُ منهم خُطَا (٦)
وأنك أجودُهم بالنُّضارِ   وأنّك أبذلُهم للنّدى (٧)
سَقى الله قبراً دفنّا به   جميعَ العفافِ وكلَّ التُّقىٰ
وجاد عليه قطارُ الغَمائمِ   فأغناهُ عن قَطَرات الحَيا (٨)

---

(١) دوينا : أصابنا الداء. (٢) في المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٥٨ «عند» بدل «عند» عرفة ، والبياع : البيعة. (٣) ذادت : طردت وأبعدت ، والأخامص : جمع الأخمص (كجعفر) وهو باطن القدم. (٤) عط الثوب : شقه ، والدجى : الظلام.
(٥) الشبا : (بالفتح) حد السيف. (٦) المراجل : جمع المرجل (كمنجل) وهو القدر من نحاس. (٧) النضار (بالضم) الذهب. (٨) القطار : (بالضم) من السحاب الكثير القطر ، والحيا (بالقصر) المطر.

وَمَيْتٌ له جُـــدُدٌ ما بَلِين   مآثِرُهُ لا يَمَسُّ البِـــلَى
وإنْ غاب من بعد طول المدَى   فإنّكَ أطولُ منـــه بقـــا

***

وقال يمدح أباه ويهنئه بشهر رمضان « وهى من أوائل قوله » :

لقد ضلّ مَن يسترقّ الهوَى   وعبدُ الغرام طويلُ الشّقا [1]
وكيف أحـــلُّ بدار الصَّغارِ   ولى همّة تزدرى بالذُّرا ؟! [2]
وتُظلِمُ دونى طُرقُ الصَّواب   ومنّى استعار النّهـــار السَّنا ؟!
رُوَيْدَكِ ياخُــدُعاتِ الزّمانِ   كفانى فعـــالُكِ فيمن مضى
جذبتِ عنانَ شديد الجموح   وراودتِ مستهزئاً بالرُّقَى [3]
يَمُدُّ الغِنَى منك غُرمَ العقول   وأنْ ثراءك مثلُ الثَّرى [4]
ومَنْ ملأتْ سمعَه الذابلاتُ   وقرعُ الظبا لم يَرُعْه الصَّدى [5]
رَمى الدهرُ بى فى فم النائبـــاتِ   كأنِّىَ فى مقلتيه قـــذَى [6]
ولم يدرِ أنىَ حتفُ الحتوف   وأرديتُ بالسّيف عمرَ الرّدَى [7]
وأنى لَبستُ ثيـــابَ العَراءِ   ولا مؤنسٌ لِىَ غيرُ المَها [8]
وقلبٌ نبا عنـــه كيد الزّمانِ   فمـــا المُنَى فى رُباهُ خُطـــا
إذا نازعتنى خطوبُ الزّمانِ   ملأتُ به فُرُجاتِ المَلا
أُلوِّحُ بالنّقع وجهَ النهـــارِ   وأحسرُ بالبيضِ وجهَ الدجَى [9]

---

(١) يسترق : يستعبد . (٢) الصغار : (بالفتح) الذل . (٣) الرق : جمع الرقية وهى العوذة ، (٤) الغرم : الخسارة والضرر . (٥) الذابلات : جمع الذابل وهو الرمح . والظبا : السيوف . (٦) القذى ما يعترض فى العين من قش وغيره .
(٧) الحتف : الهلاك . (٨) المها : (بالفتح) جمع المهاة وهى البقرة الوحشية .
(٩) النقع : غبار الحرب ، وأحسر : أكشف .

على سابحٍ فى بحـــارِ المنونِ كفيلٍ بِوَطْءِ الشَّوى بالشَّوٰى (١)
أنالُ به فائتـــاتِ الوحوش وألمسُ من صفحتيه السُّهـا
إذا ما نظـــرتَ إلى لونه رأيتَ الدُّجى قد تردّى الضُّحٰى
عـذيرِىَ من مدعٍ للعـلىٰ ولم يَحنِ بالسَّـير ظهر السُّرٰى
ولا حملتــه ظهور الجـياد ولا رَوِيتْ فى يديه الظُّـبا
وما كلّ ذى عَضُـدٍ باطشٌ ولا كلُّ طرفٍ سـليمٍ يرٰى
وبعض الأنام الذى ترتضيـه وبعض الرؤوس مغـانى الحِجٰى (٢)
فـكم من طريرٍ يسوء الخبيرَ وكم فرسٍ لايجـارى العَفا (٣)
دعِ الفـكر فيمن أعلّ الزّمانُ وإلّا فقم باعتـدال الشّفـا
فمـا غـيّرت كفُّ ذى صنعةٍ بأخفى التحـلّى مكان الحُـلىٰ (٤)
وَلَلطبعُ أقهر من طـابعٍ وطرف الهوى ما خلاَ من عمٰى (٥)
سقى اللّهُ منزلَـنا بالـكثيب بكفِّ السحائب غَمْرَ الحيا (٦)
محـلّ الغيوث ومأوى الليوث وبحر الندى ومـكان الغِـنىٰ
فـكم قد نعمت به ما اشتهيْـ ـتُ مشتمـلًا بإزار الصِّبـا
تعانقـنى منـه أيدى الشّمال ويلثم خدّى نسيم الصَّبـا
وكم وردته رِكابُ العُفـاةِ فأصدرتهـا ببلوغ المُـنىٰ (٧)
إذا ما طَمَتْ بِىَ أشواقُـه دعوتُ «الحسين» فغاضَ الأسٰى (٨)

---

(١) الشوى : الأولى فى البيت جمع الشواة وهى جلدة الرأس والثانية : القوائم .

(٢) المغـانى : جمع المغنى وهو المنزل ، والحجى : العقـل . (٣) الطرير : ذو الرواء والمنظر الحسن ، والعفا : ولد الحمار (الجحش) وفى نسخة (ش) العصى بدل العفا محرفة

(٤) بأخفى : أى بأشد إظهاراً وهو من « خفاه » أى أظهره . (٥) فى (م) والطبع بدل وللطبع . (٦) الغمر : الـكثير ، والحيا (بالقصر) المطر .

(٧) العفاة : جمع العافى والمعتفى وهو طالب المعروف . (٨) الحسين : يعنى أباه .

فتًى لا تعثّر آراءه ... بطرق المكارم صمُّ الصّفا [1]

يجود بما عزّ من ماله ... فإنْ سِيلَ أدنى علاه أبىٰ

ويوماه في الفخر مُستيقنان ... فيومُ العطاء ويومُ الوغى

يُفيض بهذا جزيلَ الحِباء ... وَيقري بهذا القنا في القَرا [2]

تعرّف في الخلق بالمَكرُمات ... فأغنته عن رائقات الكُنىٰ

وأخرس بالمجد قولَ العُداة ... وأنطق خُرسَ اللَّها باللُّها [3]

أيامَن كبا فيه طِرفُ الحسود ... فأمّا جوادُ مديحٍ فلا [4]

تمنّى أعاديك مافارقوه ... ومِن دون ما أمّلوه العُلىٰ

وعِرضٌ يمزّق مِرْطَ العيوب ... ويهتِك عنه برودَ الخنا [5]

ولولا علوُّك عن قدرهم ... لحكّمت فيهم طِوالَ القنا

وأخلطْتَ أعيُنَهم غُرّةً ... تفارق منها الجسومُ الطُّلىٰ [6]

لقد عَصَمَتْهُمْ سفاهاتُهُمْ ... وكهفُ السّفاهة بئس الحِمى

أبَى اللهُ والمجدُ والمشرفيُّ ... وسُمرُ الرّماح مُرادَ العدا

تهنّأ بشهرٍ تهنّأ منك ... بصدق اليقين وصدق التُّقىٰ

فهذا به تستضيء السّنون ... وأنت بمجدك فخر الورىٰ

ولو فطِن النّاس كنت السّوا ... دَ من كلّ طرفٍ مكان المُقىٰ [7]

فعش عيشةَ الدّهر ياطرفَه ... عميمَ المكارم ماضي الشَّبا [8]

---

(١) في (ش) تغير بدل تعثر مصحفة ، والصفا : جمع الصفاة وهي الحجر الصلب .

(٢) الحباء : العطاء ، ويقري : يضيف ، والقرا (بالفتح والقصر) الظهر .

(٣) العداة : الأعداء ، واللها : (بالفتح) اللحمة المشرفة على الحلق والبلعوم وتطلق على اللسان مجازاً وبالضم جمع اللهوة واللهية وهي العطية . (٤) الطرف (بالكسر) الجواد .

(٥) المرط : (بالكسر) كساء من صوف واستعير للعيوب حتى يناسب التمزيق ، والخنا : الفحش . (٦) الطلى : جمع الطلية وهي الرقبة . (٧) المقا : جمع المقية (بضم الميم) وهي المآق والموق وهو مؤخر العين مما يلي الأنف . (٨) الشبا (بالفتح) : الحد .

ولا يصبرِنَّكَ هــــذا الزّمان   وأنتَ المَطَا والأنام الصَّلا (1)

وقال يرثي صديقاً له :

نادِ امرءاً غُيِّبَ خلف النَّقا   فـكم فتًى ناديتــه ما وعَى (2) ،
وقل لمن ليس يرى قائلاً   بأىِّ عهدٍ دبَّ فيك البِلَى ؟
وكيف دُلّيتَ إلى حفرةٍ   يمحوك محو الطِّرس فيها الثرى (3)
كذِى ضنًى مُلقًى وليت الذى   سيط به جسمك كان الضَّنى (4)
أرَّقنِي فقــدُك من راحلٍ   وأستلَّ من عينَىَّ طعمَ الـكَرَى (5)
وبِنتَ لاعن مللٍ من يدى   وغبت عن عينَىَّ لاعن قِلَى (6)
فــكيف وليّت وخلّفتنى   أكرع من بعدك كأس الأسى ؟
كأنّنى ســـارٍ على قفرةٍ   مسلوبةٍ أعلامُها والصُّوَى (7)
أو مُنفِضٍ من كلّ أزواده   يحرقه القيظ بنار الصَّدَى (8)
وصاحبٍ لِى كنت صبًّا به   أخشى عليــه من مرور الصَّبا (9)
تمَّ ولمـــا لم يجــد منتهًى   غافصنِي فيــه طروق الرَّدَى (10)
خُولستــه محتظراً رابعـــاً   كالنّجم ولّى أو كغصنٍ ذوَى (11)

---

(1) فى (هـ) ولا يصونك وفى (س) ولا يصبونك والصحيح ما أثبتناه ، وصبره حبسه ومنه « صبره عن حاجته » أى حبسه عنها ؛ والمطا : (بالفتح) الظهر ، والصلا (بالفتح) ما انحدر من الوركين مما يلى الذنب . (2) النقا (بالفتح) كثيب الرمل . (3) فى الأصل : [وليت] بالواو بدل [دليت] ، والطرس (بالكسر) الصحيفة ، وقيل التى محيت ثم كتبت .
(4) الضنى : المرض ، وسيط : خلط . (5) الكرى : النوم .
(6) القلى : البغض . (7) الصوى : جمع الصوة وهى الحجارة تكون فى المفازة يهتدى بها السارى ، والأعلام منها . (8) المنفض (على الفاعل) : الذى ذهب زاده وفى الأصل [منقص] مصحفة ، والقيظ : الحر ، والصدى الظمأ . (9) وردفى الأصل [ضناً] بالضاد بدل صبا ، والضن هو البخل أخبر به وإن كان مصدراً على وجه المبالغة نحو قوله تعالى « أصبح ماؤكم غوراً » على أننا نسترجح ما أثبتناه ، والصبا (بالفتح) . ريح تهب من مطلع الشمس .
(10) غافصه : أخذه على غرة ، والطروق الإتيان ليلا . (11) المحتظر : الجالس فى الحظيرة وهى تعمل للابل من شجر لتقيها البرد ، وفى الأصل محتضراً بالضاد خطأ ، والرابع : المتربع ، والداخل فى الربيع ، وذوى : ذبل .

فِي جفونِي منــه سيل الزُّبَى　　وفى فؤادِى منه نارُ القِرَى (١)
وإنْ تقلّبتُ على مضجعى　　كان لجنبى فيــه جمرُ الغَضا (٢)
وكان فى العينين لى قرّةً　　فصــار ميتاً لجفونى قذى (٣)
قد قلت للمُسلين عن حزنِــه　　ما أنا طوعاً لعذولٍ سَـــــلا
فإنْ رقا دمعِى فلم يَبكِـهِ　　. . . فلن أصبح فيمن بـكى (٤)
وكيف أســـلاهُ وبى صبوةٌ !　　أم كيف أنساه وفيــه الهُدى ؟ (٥)
كان كنارٍ أُضرمت وانطفت　　أو بارقٍ مالاح حتى انجـــلى
أو كوكبٍ مالحظتْ نورَهُ　　فى أُفقِه العينانِ حتّى خوىٰ (٦)
ينبو عن الفُحش ولم يستطعْ　　مُعرَّساً فى عَرَصَاتِ الخنا (٧)
وإنْ تَنطُ سِوءاً إلى حفظِهِ　　فهو على طول المدىٰ ما فشا (٨)
كم أخذَ الدّهر لنـــا صاحباً　　وكم طوى فى تربه ماطوى
وكم أمالت كفُّهُ صَعْــــدةً　　عاليـــةً شاهقـــةَ المُرتَقىٰ (٩)
إن شئت أنْ تعجب فانظر إلى　　مُرتَبَعٍ بادَ ورَبْعٍ خـــلا
ونعمـــةٍ سابغـــةٍ قَلّصتْ　　ومنزلٍ بعـــد كمالٍ عفا
ومعشرٍ حلّوا ولم يرتضوا　　بأساً وعزاً فى محلّ السُّهـــا
من دون ما أرغم آنافهم　　ضربُ الوريدين وطعنُ الكُلىٰ
أكفّهُم للمجتدين الغِنى　　ودورُهُم فى النائبـــات الحِمىٰ
وكم لهم من مُعجزٍ باهرٍ　　أظهره للنـــاس يوم الوغى

---

(١) الزبى (بالزاء المعجمة) جمع الزبية وهى حفرة فى أعلى الجبل يتخذها الأسد ومنه « بلغ السيل الزبى » كناية عن استفحال الأمر .　(٢) الغضا : شجر جره شديد الوقود بطىء الخبوّ .　(٣) القذى : ما يعترض فى العينين من قش وغيره وقد مضى تفسيره .
(٤) رقأ الدمع : جف ، وحذفت الهمزة للتخفيف . وعل النقط ساقط من نسخة الأصل ، وأملها دماً ، وفى الأصل « فإن » بدل « فان » .　(٥) الصبوة : الفتوة .　(٦) خوى : سقط .
(٧) المعرس : موضع نزول المسافر للاستراحة ، والخنا : الفحش .　(٨) تنط . تعلق .
(٩) الصعدة : القناة المستوية .

سيقوا إلى الموت كما سُوِّقَتْ ... للعقرِ بالكُرهِ بِهامُ الفلا (١)
وطُوِّحوا فى برزخٍ واسعٍ ... بين هُوىً مظلمةٍ أو كُدَى (٢)
كأنَّهم ما قَسَمتْ برهةً ... أيديهُمُ الأرزاقَ بين الورى
ولا أقاموا العزَّ ما بينهم ... بالبيض معموداً وسُمر القنا
هو الرَّدى ليس له مَدفعٌ ... والموت لا يقبلُ بذلَ الرُّشا
وكم مضى قبلك أغلوطةً ... بالسَّيف من غفلته من فتى
إن ساءنى البينُ فقد سرَّنى ... أنَّك فارقتَ شهيرَ الظُّبا
تمضى إلى القوم الأُلىٰ لم تزلْ ... تجعلهم فى الظُّلمات الهُدى
فإنْ تبوَّأتَ لهم منزلاً ... كنتَ بهم فى الدرجات العُلى (٣)
ولم يزل قبرُك تَبلىٰ به ... عليك إنْ شئت دموعُ الحيا (٤)
فلم يَضِرْ ، وهو ندٍ ، تُربَهُ ... من رحمةٍ أن لم يصبه الندى
وإنْ تكن مظلمةٌ حوله ... قبورُ أقوامٍ ففيه السَّنا (٥)
وإنْ يبتْ فى غير ما ربوةٍ ... فهوَ لَدَى الرَّحمان أعلى الرُّبى

* * *

وقال يرثى . . . .

سلامٌ وهل يغنى السَّلام على الَّذى ... مضى هالكاً عنِّى كما اقترح الرَّدى
سددتُ به بطنَ الصَّعيد وإنه ... لَيُؤلِمُ قلبى أنْ سددتُ به الثَّرى

(١) البهام (بالكسر) : جمع البهم (بالفتح)، والبهم جمع ابهمة وهى ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى .
(٢) طوحوا : قذفوا ، والبرزخ : الحاجز بين الشيئين ، وهو كذلك المدة ما بين الموت والبعث فمن مات فقد دخل البرزخ ، والهوى : جمع هوة وهى الحفرة فى الأرض ، والكدى : جمع الكدية وهو ما غلظ وصلب من الأرض. (٣) تبوأ منزلا : نزله وحله . (٤) تبلى ومصدره الإبلاء أى اتخاذ البلية وهى الناقة كانت تعقل فى الجاهلية عند قبر صاحبها وتعكس عنقها الى مؤخرها وتترك فى حفرة فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت، شبه الدموع بالبلية واستعار لها « تبلى » (م . ج) . الحيا : المطر . (٥) السنا : الضياء .

وعن غــير إيثارٍ عَمَرتُ به اللّوى ... وحَــكّمت فى أوصاله شِقّةَ الرّدا ،

فخذْ سرَّ قلبى مِلءَ كفّيكَ من شجًى ... وخذ جَفْنَ عينى ملءَ كفّيك من قَذى (1)

. . . .

فبنْ غــير مملولٍ فـكم بان بائنٌ ... مغافصةً لا عن ملالٍ ولا قِلَى (2)

أقول ـ وقد عزّ اصطبارىَ ـ هكذا ... أراد مليكُ الأرضِ أو هكذا قضى

•••••••

---

(1) فى موقع النقط فى نسخة الأصل البيت الآتى وهو مختل المعنى مضطرب :

تباعد ما بينى وبينك بيننا ... وبعد الذى ينسى التباعد بالنوى

(2) المغافصة: الأخذ على غرة ، والقلى : البغض .

باب الهمزة المضمومة

قال يذكر مصرع جده الحسين عليه السلام :

أأسقى نميرَ الماء ثم يلذّ لى ... ودورُكمُ آلَ الرسولِ خَلاءُ ؟
أنتم كما شاء الشَّتاتُ ولستمُ ... كما شِئْتُمُ فى عيشةٍ وأشاءُ
تُذادون عن ماء الفُراتِ وكارعٌ ... به إبلٌ للغادرين وشاءُ
تنشّر منكم فى القَواء معاشرٌ ... كأنّهمُ للمبصرين مُلاءُ
ألا إنّ يومَ الطفّ أدمىٰ محاجراً ... وأدوىٰ قلوباً ما لهنَّ دواءُ
وإنّ مصيباتِ الزّمان كثيرةٌ ... وربّ مصابٍ ليس فيه عزاءُ (١)
أرى طَخْيةً فينا فأين صباحُها ... وداءً على داءٍ فأين شفاءُ ؟ (٢)
وبين تراقينا قلوبٌ صديئةٌ ... يُراد لها لو أُعطيَتْهُ جلاءُ
فيالائماً فى دمعتى أو « مفنداً » ... على لوعتى واللّوم منه عَناءُ ! (٣)
فما لك منّى اليومَ إلا « تلهّفٌ » ... وما لك إلّا زَفرةٌ وبكاءُ (٤)
وهل لِيَ سُلوانٌ وآلُ محمدٍ ... شريدُهُمُ ما حان منه ثَواءُ
تُصَدُّ عن الرّوحات أيدى مطيِّهمْ ... ويُزْوىٰ عطاءٌ دونهم وحِباءُ
كأنّهمُ نسلٌ لغير محمدٍ ... ومن شَعبه أو حزبه بُعَداءُ
فيا أنجماً يهدى إلى الله نورُها ... وإن حال عنها بالغبىّ غَباءُ

---

(١) فى كتاب الغدير تأليف العلامة الشيخ عبد الحسين الأمينى « ج ٤ ص٢٥٧ » ط ـ النجف « منه » بدل « فيه » . (٢) الطخية : الظلمة (٣) فى الغدير السالف ذكره « ومفنداً » (٤) فى الغدير السالف ذكره « تلهف » .

فإنْ يكُ قومٌ وُصلةً لجهنمٍ ... فأنتمْ إلى خُلدِ الجنانِ رِشاءُ[1]
دعوا قلبيَ المحزونَ فيكمْ يَهيجُهُ ... صبـاحٌ على أُخراكُمُ ومساءُ
فليس دموعى من جفونى وإنّما ... تقاطَرْنَ من قلبى فهنَّ دماءُ
إذا لم تكونوا فالحيـاةُ مَنيّةٌ ... ولا خيـر فيها والبقاءُ فناءُ
وإمّا شَقيتمْ فى الزّمانِ فإنّما ... نعيمى إذا لم تلبسوه شقاءُ
لَحَا الله قوماً لم يُجازوا جميلَكمْ ... لأنّكُمُ أحسنتمْ وأساؤوا
ولا أنتاشهم عند المكارهِ مُنهِضٌ ... ولا مسّهم يوم البلاءِ جزاءُ[2]
سَقَى الله أجداثاً طُوين عليكُمُ ... ولا زال مُنْهلاً بهنَّ رِواءُ
يسيرُ إليهنّ الغمامُ وخلفه ... زماجِرُ من قَعقاعِهِ وحُداءُ
كأنّ بواديه العِشارَ تروّحتْ ... لهنّ حنينٌ دائمٌ ورُغاءُ[3]
ومن كان يُسقى فى الجِنانِ كرامةً ... فلا مسّه من [ذى] السحائبِ ماءُ[4]

***

وقال فى غرضه له :

ومن السعادة أن تموت وقد مضىٰ ... من قبلك الحسّادُ والأعداءُ
فبقاءُ مَن حُرِمَ المرادَ فناؤُهُ ... وفناءُ من بلغ المرادَ بقاءُ
والنّـاس مختلفون فى أحوالهمْ ... وهُمُ إذا جاء الرّدى أكفاءُ
وطِلابُ ما تفنى وتتركُهُ على ... من ليس يشكر ما صنعتَ عناءُ

---

(١) الرشاء : الحبل . (٢) انتاشهم ، استخرجهم وأنقذهم .
(٣) العشار : جمع العشراء (كنفساء) هى الناقة التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر ، والرغاء صوت ذات الخف . (٤) ذى ساقطة من الأصل .

باب الهمزة المفتوحة

وقال يرثي الشريف أبا علي عمر[1] بن محمد بن عمر المتوفى في رجب سنة ٤١٤ هـ :

على مثله تُذرى العيونُ دماءَا فلا يحتشم باكٍ عليـــه بكاءَا
وقل للذى سحّت شؤون دموعِهِ دعِ الدمع يجرى كيف شئتَ وشاءَا
ولا تمنعِ الأجفانَ سَحًّا فـكلّمـا هَرَقْنَ الذى فيهنَّ عُدنَ مِلاءَا
فـمــا اليوم إلّا يومُ حزنٍ ولوعـةٍ فخـلِّ حِرانًا فى الأسى وإباءَا (٢)
وإن كنتَ طَوْعًا للحياء فلا تُطعْ بجَدّك فى هــذا المصاب حياءَا (٣)
ونادِ نصيحًا : لا أحبُّ نصيحــةً وقل لمـــعزٍّ : لا أريد عزاءَا
أمن بعد فجعِ الموتِ بابن محمّـدٍ وكان كصدرِ المشرَفىِّ مَضــاءَا
أرجّى بأوطان العَـــدامة ثروةً وآمل فى دار الفنـــاء بقاءَا (٤)
دفنتُ الإخاءَ العذب لمّا دفنتــه فلستُ ببـــاغٍ ماحييتُ إخاءَا

---

(١) كان أبو على من بيت الشرف والسيادة والزعامة والرياسة وكان أبوه من عظماء العراق وأعيانه ، وأصلهم من الكوفة ، وعمر هذا هو ابن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) .

ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه « ج ١١ ص ٢٧١ » أنه ترك الكوفة وسكن بغداد وحدث بها عن على بن عبد الرحمن البكاء وغيره ، قال « حدثنى عنه الأزهرى وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث خلون من رجب سنة ثلاث عشرة وأربعمائة » . وذكر أبو الفرج ابن الجوزى أنه كان له مال كثير فقبض عليه قرداش بن المقلد العقيلى وأخذ منه مائة ألف دينار وأنه توفى فى سنة ٤١٣ واستولى الأمير شرف الدولة البويهى على أكثر أمواله وضياعه ـ « المنتظم ج ٨ ص ٩ » ـ ، وله ذكر فى كتب أخرى مثل كامل ابن الأثير فى حوادث سنة ٤١٣ فقد ذكر مؤلفه أن السلطان استولى على أمواله كلها بعد وفاته . (م . ج .) .

(٢) الحران فى الخيل وغيرها : ضد الانقياد . (٣) فى الأصل « فلا تطلع » محرفة .

(٤) العدامة الفقر .

وما كان إلّا حاملًا ثِقلَ قومه إذا أظلموا يوماً عليه أضاءا

ولم يك خوّاراً ولا كان عُودُهُ اذا عجموه بالنيوب أباءا [1]

يَعلُونَه مايُجتَوى ويَعلُهم صفاء على ترنيقهم ووفاءا [2]

ويُسرع نهّاضاً بما آدَ ثِقلَه إليهم وإن كانوا عليه بِطاءا [3]

ومِمّا شجا أنّى رُزئتك بغتةً وقد كنت مملوء الفؤاد رجاءا

ووَدّ رجال لو فدَوْك وقلما تقبّل وُرّادُ الحِمامِ فِداءا

ألا إنّ قومى بعد بأسٍ وكثرةٍ قضوا بفنونِ الحادثات قضاءا

رَدوا بعد أن كانوا سدادَ عظيمةٍ وكانوا لأوجاعِ الزّمان شفاءا

وولّوا كما انقضّت نجومُ دُجُنّةٍ وقد أترعوا صُحفَ الرّواة ثناءا [4]

ولمّا مضوا يهوُون فى سَنَنِ الرّدى أحالوا صباح المكرُمات مساءا [5]

***

وقال: وكان «شاهنشاه ركن الدين جلال الدولة» [6] بن بهاء الدولة ركب فى ليلة عيد الفطر من سنة ٤١٩ هـ إلى مشهد العتيقة [7] وركب هو معه فراسله وهو فى المشهد مع أحد الخواص ورسم له نظم أبيات فى التهنئة بالعيد فلما عاد الى داره أنشأ بديهة:

يا مليك الورى ومن عقد اللـه بإقبالِهِ العزيز لواءا

---

(١) الخوار: الضعيف الجبان، وعجم العود عضه ليعلم صلابته، والنيوب: جمع الناب. والأباء (بالفتح) القصب، مفرده الأباءة. (٢) يعلونه: يسقونه، ويجتوى: يستكره، والترنيق: التكدير. (٣) آد: أثقل. (٤) الدجنة: الظلمة، وأترعوا: ملأوا.

(٥) السنن (بفتحتين). الطريق.

(٦) فى الأصل ركن الدولة بن جلال الدولة، من تحريف الناسخ. (٧) العتيقة: «قرية كانت بالجانب الغربى من بغداد قبل أن يبنى أبو جعفر المنصور مدينته وكانت تسمى: «سونايا» فلما بناها على مقربة منها سميت «العتيقة» بالتعريف لأنها كانت أعتق من مدينة المنصور، وقد بنى فيها مسجد للشيعة منسوب إلى الإمام على عليه السلام لأنه مر هناك فصلى فى موضع المسجد، وعرف أيضا بمسجد العتيقة ومشهد العتيقة ومسجد السوط ومشهد المنطقة كما هو معروف اليوم بالمنطقة بين بغداد والكاظمية، ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخه وياقوت الحموى فى معجم البلدان وابن عبد الحق فى مراصد الاطلاع» وهو الذى ذكر أنه كان فى أيامه قبل سنة ٧٣٩ يسمى مشهد المنطقة وليس هو بمسجد براثا كما ظن جماعة». (م. ج.)

والّذى أخجل المــــلوك قديماً وحــــديثاً تكرّماً ومضاءا
إنْ قرنّاهمُ إليك جميعــاً كنت صبحاً لنا وكانوا مساءا
أىُّ شىءٍ أبقيت ؟ ماكنتَ إلّا سابقاً أوّلا وكانوا وراءا
أنتَ أولىٰ بهم « بناصية » الفضــــل وأحرىٰ ولم يكونوا بِطاءا[1]
فهنيئاً بالعيــــد واستأنف الفِطْرَ بمـا شئتَ من سرورٍ وشاءا
وتيقَّنْ أنّ الصّيام الّذى ما زِلتَ فيـــه تجانبُ الأهواءا
رَفَعتْــــه لك الملائك حيثُ الـ ـعرش واُحتلّ قُلّةً عليـــاءا
فدعِ الفكر فى الأعادى فان اللّـــه يكفيك وحدَه الأعـــداءا
طالمـــا خاب من تعاطى بجهـلٍ واغـترارٍ أن يلمس الجوزاءا
إنْ أعدّوا غدراً فإنّك أعددْ تَ حلوماً « رزينةً » ووفاءا[2]
قد أساءوا واللهُ يُجزى سريعــاً من إلى محسنٍ صنيعاً أساءا
مارأينـا من المـــلوك أولى الحُنــكةِ إلّا من يَحْمَدُ الإبقاءا
أنتَ تجزى عفواً وصفحاً فإنْ « أُخْـــرِجْتَ »أجريتَ بالسيوف الدّماءا[3]
فى مقامٍ يَزْوَرُّ فيـــه نجاءٌ عن يمـــينٍ إذا طلبتَ نجاءا
ماترىٰ إنْ رأيتَ إلّا رءوساً « هابطاتٍ فى التُّربِ» أو أعضاءا[4]
ووجوهاً بلا حيـاء لدى الحرْ بِ ويقطرنَ يومَ سِلْمٍ حَيــاءا
وخيولًا يلبَسْنَ بالطّعنِ فى الأقْـــدامِ والضّربِ من نجيعٍ مُلاءا[5]
وضِراباً يستقدم النّصرَ من شَحْـــطٍ وطعناً يفرّجُ الغمّـاءا[6]

(١) فى الأصل : «بقاصية» ، محرفة . (٢) فى « ه » عذراً وفى الأصل : وزينة ، محرفة .
(٣) فى الأصل : أحوجت : محرفة . (٤) فى الأصل: «هابطات» « وفى «ه» هابطت فى التراب » محرفة . (٥) النجيع : الدم ، والملاء : جمع الملاءة وهى الثوب ذو لفقين .
(٦) الشحط : البعد .

فابقَ فينا مُمَلَّكاً ذِرْوَةَ الملك طويلاً حتى تَملَّ البقاءَا
واستمع منّى الثناء فما زال جميل قولى يفوت الثّناءَا[1]
كلّ مدحٍ وإن تأنّق ذو الإحسانِ فيه أرضٌ وكنتَ سماءَا

***

وله فى التسلية عن الشيب والاعتذار بحلوله :[2]

أماوىُّ إنْ كان الشباب الذى انقضت ... لياليه عنّى شاب منك صفاءَا
فما الذنبُ لى فى فاحمٍ حال لونه ... بياضاً وقد حال الظلام ضياءَا ؟
وما إنْ عهدنا زائلاً حان فقدُه ... وإنْ كان موقوفاً أزال إخاءَا
ولو كان فيما يُحدثُ الدّهرُ حيلةٌ ... أبَيْتُ على هذا المشيبِ إباءَا
فلا تُنكرى لوناً تبدّلتُ غيرَه ... كمستبدلٍ بعد الرّداء رداءَا
فإنّى على العهد الّذى تعهدينه ... حفاظاً لمّا أستحفظتنى ووفاءَا
مشيبٌ كفتقِ اللّيلِ فى مدلهمّةٍ ... أتاكِ يقيناً أوْ أزال مِراءَا
كأنَّ الليالِى عنه لمّا رَمَينى ... جَلَوْنَ صَداءً أو كشَفن غطاءَا
فلا تجعلى ما كان منك من الأذى ... عقاباً لِمَا لمْ آته وجزاءَا
وعُدّى بياض الرّأس بعد سواده ... صباحاً أتى لمْ أجْنِهِ ومساءَا
ولاتطلبى شيئاً يكون طِلابه ... وقد ضلّ عنه رائدوه عناءَا
فإنّكِ إنْ ناديتِ غِبَّ تلهّفٍ ... شباباً وقد ولّى أضعْتِ نداءَا

---

(١) « جيل » ساقطة من نسخة « هـ » .
(٢) وردت فى « الشهاب فى الشيب والشباب » طبعة الجوائب ص ٧٢ .

باب الهمزة المكسورة

وقال فى العتب :

لو أنكَ عرّجتَ فى منزلٍ يهون العزيزُ بأرجائِهِ
وبى من الموارِدِ لا يستفيقُ به القلبُ والجسم من دائِهِ
جفاه النعيم فما إنْ بِهِ لقاطنِهِ غيرُ بَأسائِهِ
فياقربَ ما بين إضحاكِهِ لسنٍّ وما بين إبكائِهِ
كأنّىَ فيه أخو قفرةٍ يُزجّى كَليلاتِ أنضائِهِ (١)
وسارٍ على سَغَبٍ فى القَواء بلا زادِهِ وبلا مائِهِ (٢)
وذو سَقَمٍ ملّهُ عائدو ه وفات علاجُ أطبّائِهِ
فقلْ للّذى ظنّ أنى حَفَلْـت بضوضائه يومَ ضوْضائِهِ
ومَنْ لا أبالى احتقاراً له بإصباحِهِ وبإمسائِهِ
نجوتَ ولكنْ بنقصٍ كما أجمّ الغديرُ لأقذائِهِ
وذمُّ الفتى مثلُ مدحِ الفتى لأشكالِه ولأكفائِهِ

***

---

(١) يزجّى : يسوق ، والكليلات : المتعبات ، والأنضاء . جمع النضو (بالكسر) وهو المهزيل من الإبل . (٢) السغب : الجوع ، والقواء (بالفتح) : القفر .

وقال عند توجه الوزير أبي علي [1] إلى « واسط » يودّعه :

وَلَمّا اُستقلّتْ بابنِ حَمْـدٍ رِكابُهُ وأشعرت نفسى من نواه « بنأْيِها » [2]
« ذَهَلتُ » فما أدرى ونفسى درِيّةٌ أفى أرضِها ودّعتُهُ أم سمائِهـا [3]
وقلتُ لحادِيهِ : هُبلتَ ! فإنّمـا رميتَ صحيحاتِ القلوبِ بدائِهـا
كأنّى وقد فارقته ابنُ « رَكِيّةٍ » رجاها فزَلّتْ كفُّه عن رِشائِهـا [4]
حرامٌ على عينى الكرى بعد بُعدِكم وحلٌّ لعينى أنْ تجود بمائِهـا
وكمْ عبرةٍ كفكفتُ منه تجمّلاً فلما أبَتْ مرّتْ على غُلَوائِهـا [5]
وعاذلةٍ « هبّتْ » تهوّن بينَكم وهيهات من سمعى قبول ندائِها [6]

***

وقال يعزّى أبا الحسن « علي شهفيروز » [7] عن أخيه، وكان صديقه :

ما نحن إلّا للفنـاء وإن طمعنا فى البقـاء
نُعطَى ويسلبُنا الذى أعطى التمتّعَ بالعطـاء
والموت داءٌ مالـه عند المداوى من دواء
والنـاس فينا كلّهم ما بين يأسٍ أو رجاء

---

(١) هو الحسن بن الحسين الرخجى، استوزره شرف الدولة البويهى سنة ٤١٣ هـ ولقبه « مؤيد الملك » وكان من عظماء الوزراء ، بنى بواسط سنة ٤١٤ مارستاناً عظيما ، وعزل فى هذه السنة بعد وزارة دامت سنتين وثلاثة أيام، وكانت وفاته « سنة ٤٣٠ » وله ترجمة حسنة فى المنتظم ج ٨ س٨ ، ص ١٣ ، ص ١٠٠ ، والكامل لابن الأثير فى سنة توليته وسنة عزله وسنة وفاته .والرخجى هذا غير أبى على الخطير وزير مجد الدولة بن فخر الدولة (راجع دستور الوزراء لخوندمير ص ١٢١ — (م. ج .) . (٢) فى الأصل « بنائها » (٣) درية . أصلها « دريئة » ثم سهلت الهمزة ، وهى حلقة يتعلم عليها الطعن . وفى نسخة (ش) « وقلت » بدل « ذهلت » و « ما » بدل « فما » .
(٤) الركية : البئر ، وفى (س ، ش) بكية ، وهى البئر القليلة الماء ، والذى أثبتناه أولى باستيعاب المعنى ، والرشاء : الحبل . (٥) الغلواء : الطيش . (٦) فى « هـ » « هوت » بدل « هبت » . (٧) كذا ورد فى الأصل .

أينَ الَّذين سَقَتْهُمُ الـــأيّامُ كاساتِ الرَّخاء ؟

وتملّـكُوا رِبَقَ الورى وعَلَوْا على قِمَم العَلاءِ ؟ (١)

وترى بعقْوةِ دارهِم مَجْنى الحمـــيّة والإباء

والساحبون على قِنـــا نِ الملكِ هُدّابَ المُلاءِ (٢)

والمرتوون من النعيم كما تَمَنّوْا والـــثّراءِ

والسائرون وحولهم أُسدُ الشّرى تحت اللواءِ (٣)

والهاجمون على الرّدى واليومُ يجرى بالدّماء

لم يقنعوا فى مَغْـــرَمٍ سيقوا إليه باللّقاء (٤)

من كلّ مملوءِ الأســـرّةِ والجبين من الحياء (٥)

تجرى يداه بكلّ ما يهوَى المؤمّلُ من سخاء

وتراه كالصّقر الّذِى لمح القنيصة من علاء

ما ضـلّ قطُّ وإنْ هُمُ غدروا به طُرقَ الوفاءِ

ورُموا إلى ظُلَمِ الصّفا ئحِ فى صباحٍ أو مساء (٦)

دخلوا ولـكنْ فى الذى لا يرتضون من الخلاء

ومتى دَعَوتَهُمُ فهمْ صُمّ المسامع من دعاء

وبَغَوْا نجـاءً حين سُـــدّتْ دونهم طُرُقُ النَّجاء

ونأَوْا كما اقترح الحِمـــامُ عن التنعّم والشّقاء

---

(١) الربق : جمع الربقة وهى حبل تربق به الشاة ، أى تربط . (٢) الهداب «كرمان» : من الثوب هدبه وهى الخيوط المتدلية منه ، والملاء (بالضم) : جمع الملاءة وهى الإزار .

(٣) اللواء : العلم . (٤) المغرم : الغرامة . (٥) الأسرة : جمع السرار (بالكسر) وهى الخطوط فى الوجه . (٦) الصفائح : حجارة عراض رقاق تسقف بها الدور وتبلط بها القبور ، واحدتها الصفيحة .

وتراهُمُ في ضَيّقِ الـ ـأقطار من ذاك الفضاء
وتطايروا بيد البِلىٰ خلف الجنادلِ كالهباء [1]
والقيظُ عندهُمُ وقد سُلبوا المشاعرَ كالشّتاء
ما في الرّدٰى ، ما في سوا هُ من التّنازع والمِراء
وإذا نظرت إلىٰ الحِما مِ فمـا لعينك من غطاءِ
خلِّ التعجّبَ من قذًى وخذ التعجّبَ من صَفاءِ [2]
يا قربَ ما بين الهنـا ءِ بمـا يسرّك والعزاء
خفّض عليك ودع تتبع ما مضٰى بيـد القضاءِ
وإذا بقيتَ فقل لنـا أيعيش مَيْتٌ بالبكاءِ ؟
والخوف صِرْفُ - رِيبَ غـيرُكَ - إنّما هو للنساءِ
وأخوك أفنـاه الّذى كان السبيلَ إلى الإخاءِ
أغراكَ مَنْ قِدْماً كَسا وحباكَ مُرتجعُ الحِباءِ [3]
ليس التهالكُ في المصيـبة بالحميم من الوفاءِ [4]
وسوى التجلّدِ في الشديـدة إنْ أتتك من العناءِ
وعلى التجاربِ بانَ نبـعٌ تجتنيـه مِنْ أباءِ [5]
وإذا بقيتَ فلا تلُمْ من خصّ غـيرك بالفناءِ
وسقىٰ الّذى وارَى أخا كَ من الثّرى سَحُّ الرّواءِ

---

(١) البلى (بالكسر) : الهلاك ، والجنادل : الصخور العظيمة . (٢) القذى : ما يعترض في العين من قش وغيره . (٣) الحباء (بالكسر) : العطاء . (٤) الحميم . الأخ الشقيق والصديق . (٥) الأباء (بالفتح) : القصب ، مفرده الأباءة .

صَخْبُ الترنّمِ حالكُ الـــقطرين مملوءُ الوعاءِ [1]
ولرَحْمَـــةٌ مصبوبةٌ خيرٌ له من فيضِ ماءِ

* * *

وقال فى الشيب [2] :

زُرتُ هنداً ومن ظلامِ قميصى، لا بوعدٍ ومن نجادٍ ردائى [3]
واعتنقنا وبيننا جَفنُ ماضٍ فى فَراشِ الرءوس أىُّ مضاءِ [4]
وتجافتْ عنـه وليس لهـا إنْ أنصفت عن جواره من إباءِ
إنّه حارس لنا غير أن لَيْـــسَ علينا من جُملةِ الرُّقباء
لكِ فى النّحرِ من عيونِ تميمٍ فاحسبيه تميمةَ الأعـداءِ [5]
هو ساهٍ عن الذى نحن فيـه من حـديثٍ وقبلةٍ واشتكاءِ
وَدَعينى طِوالَ هـذا التدانى ناعماً لا أخافُ غـير التنآئى
فلئن مسّ فيـه بعض عنـاء فعناهُ مُستَثمرٌ من عنـائى

---

(١) الحالك : المظلم .
(٢) قطعة أوردها الشيخ بهاء الدين العاملى فى كشكوله .
(٣) النجاد (بالكسر) : حمائل السيف . (٤) فراش الرءوس : عظام قحف الرأس الخفيفة . (٥) التميمة : خرزة أو ما يشبهها تعلق على الأطفال لوقايتهم من العين .

قافية الباء

باب الباء المضمومة

قال فى النسيب :

ولمّا التقينا والرّقيبُ بنَجْوةٍ ... وقد حان من شمس النّهار مغيبُ (١)
أبَحْنا الهوى ماشاء منّا ورُوِّيَتْ ... عيونٌ ظِماءٌ فى الهوى وقلوبُ
فلم تكُ إلّا ساعةً ثمّ زعزع الـ ... ـتّلاقى شمالٌ للنوى وجنوبُ
ولولا النّوى ما كان للدهر زلّةٌ ... ولا لِلَّيالى الماضياتِ عيوبُ

* * *

وقال فى الشكوى :

يقولون لى لِمْ أنتَ بالذُّلِّ راكدٌ ... فقلتُ لأنّى فى الحياة رَغوبُ (٢)
نَضَا العزَّ من أكنافهِ مَنْ تروقُهُ ... حياةٌ وتحْلَوْلى له وتَطيبُ (٣)
وعيشىَ بين الأغبياء غضاضةٌ ... ولى من عيوب الأقربين عيوبُ (٤)
وبين ضلوعى غيرَ أنْ لم أبُحْ به ... أوارٌ على فوتِ المنى ولهيبُ
وللدّهر عندى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... وإن لم يكن منّى العتابُ ذنوبُ
ولى كلُّ داءٍ قاتلٍ ثمّ ليس لى ... من الداء فى كلّ الرّجال طبيبُ

* * *

---

(١) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

(٢) كأنه ضمن قول زيد بن على « رضى الله عنه » : « ما أحب الحياة إلا من ذل » ، وقد كرر المرتضى هذا المعنى كقوله فى قافية الباء :

مالى إلى النلسوى المحر ... ص على الأموال ماب (م . ج .)

(٣) نضا : خلع ، والأكناف : جمع الكنف (بفتحتين) وهو الجانب .

(٤) الغضاضة : الذلة والمنقصة .

وقال فى النسيب :

إذا كنتِ أزمعتِ الرّحيل فإنّنا ستَرحل منّا أنفسٌ وقلوبُ
و إنْ تَبعدى عنّا فللعين أدمعٌ تصوب وللقلب المشوق وجيبُ (١)
وما لحياةٍ بعد فقدِكِ لذةٌ وليس لعيشٍ بعد بينِكِ طيبُ
ومن قال إنّ البين يُسلى «عن» الهوى جَهول بأسباب الغرامِ كَذوبُ (٢)

* * *

وقال فى النسيب :

مررنا على سِربِ الظّباء عشيّةً فلم يَهدْنا حتّى تقنّصنا السِّربُ
وكنّا نظنّ القربَ يَشفى سَقامنا فلم يك إلاّ كلٌّ أدوائنا القُربُ
وقالوا ألمّا تَنْهَ قلبك عن هوًى ؟ فقلت وهل لى بعد بينِهِمُ قلبُ ؟ !

* * *

وقال فى الغزل :

ضنّتْ عليك بوصْلها لكَ زينبُ وطلبتَ لمّا عزّ منها المطلبُ (٣)
وأرَتْكَ برقًا لامعاً من وعدها لكنّه برقٌ لَعَمْرُكَ خُلَّبُ (٤)
وتقول لى ـ جهلاً بأسبابِ الهوى ـ كيفَ الهوى والرّأس منك الأشيبُ ؟
والحبُّ داءٌ للرّجال تباعَدوا عن شيبةٍ . وشبيبةٍ وتقرّبوا

* * *

وقال فى النسيب :

لاتلمنى فإننى لهوى النّفس مطيعٌ فى حبّ من لايُحبُّ

---

(١) الوجيب : الخفقان والاضطراب . (٢) فى الأصل : « إلى » بدل « عن » ...
(٣) ضنت . (بالضاد) بخلت وشحت . (٤) الخلب : الذى لا مطر فيه .

قد جرت عادتى بأن أعشق البيـ ـضَ ، وتبـديل ما تُعُوِّدَ صَعبُ
إنمـــا تعذل الذى يلج العَذْ لُ إلى قلبـــه ومالِيَ قلبُ
وإذا لم يكن من الذّنب إلاّ أن قلبي يهوى فـــالىَ ذنبُ

✡ ✡ ✡

وقال فى غرضه له :

زَعازعٌ ثمّ نُـكْبُ خطبٌ لعَمْرُكَ صَعْبُ (١)
قولوا لمن هو مُغرًى بذى الرّياسةِ صَبُّ
أما تراها خَبـــوطاً تزلُّ طوراً وتكبو ؟
لهـــا عيوبٌ عليها يحبّها من يُحِبُّ
تبرّجَتْ ليس عنهـــا يوماً لعينيك حُجْبُ (٢)
تدنو وتنأى وتبـــدو طوراً هنـــاك وتخبو
وللدموع عليهـــا سَحٌّ وقَطْرٌ وسَكْبُ
كأنّهـــا جِـذْلُ راعٍ ومِنْ حواليـه جُرْبُ (٣)
رَوْحٌ لَعَمْرُكَ فيهـــا لـكنّ عقباهُ كَرْبُ (٤)
وكيف يُلتَـذُّ سِلْمٌ يَتلو أخـيراه حربُ ؟
من أين خِلٌّ وفىٌّ حُلوُ المذاقةِ عـذبُ
لا عُجبَ فيـهِ ولـكن فيـه لقلبىَ عُجبُ (٥)
كالسّيف ليس بنـابٍ والسّيف بالضرب ينبو
والطِّرف ليس بكابٍ والطِّرف بالرّكض يكبو (٦)

---

(١) النـكب : جمع النـكباء وهى الريح التى تهب منحرفة عن مهاب الرياح .
(٢) تبرجت : أظهرت محاسنها . (٣) الجذل (بالـكسر) : عود ينصب للجربى لتحتك به ، ومنه قول سعد بن عبادة « أنا جذيلها المحـكك » . (٤) الروح (بالفتح) : الراحة .
(٥) العجب : الغرور والـكبر . (٦) النابى من السيوف : غير القاطع ، والطرف (بالـكسر) : الجواد ، ويكبو : يعثر .

إيّاكَ إن كنت يوماً تُحبّ مالا يُحبّ
والضَّرع لادَرَّ فيه فليس ينفعُ حَلْبُ (١)
والرّزق يأتى شعوباً وإن خلا منه شَعبُ
ما اُجتُرَّ رزقٌ بحرصٍ سِيّانِ مشىٌ وَوَثْبُ
كم طائرٍ صُدَّ عنه وناله مَن يدُبُّ
ونال رَجْلٌ بطاءٌ منه وأخفق رَكْبُ (٢)
لو أنصفتنا اللّيالى وكان للدّاءِ طِبُّ
ما كان بغىٌ وغضبٌ ولا اُبتزازٌ وسَلْبُ
أقسمت بالبيتِ طافتْ به جحاجحُ غُلْبُ (٣)
سَرَتْ وأدنتْ إليه بهم جيادٌ ونُجبُ
شُعثٌ سغابٌ ومِنْ نحْ تِهِمْ ظِماءٌ وسُغبُ (٤)
ماضرّه وهو يُطوى إليه سَهبٌ فسَهبُ (٥)
وللملائك مِنْ حَوْ لِهِ حَفيفٌ وقربُ
أن لا يكون عليه للعين وشىٌ وعَصْبُ (٦)
وبالّذى هَرَقُوهُ من الدّماء وصبّوا (٧)
والبائتين بجَمْعٍ لهم أوارٌ وشبٌّ (٨)
جبّوا العلائقَ عنهم وإنّما الإثمَ جبّوا (٩)

(١) الدر (بالفتح) اللبن . (٢) رجل : جمع راجل وهو ضد الفارس . (٣) الجحاجح : جمع الجحجاح وهو السيد الكريم ، وغلب : جمع أغلب وهو غليظ الرقبة ويوصف به الشجاع .
(٤) الشعث : جمع الأشعث وهو المغبر الرأس ، والسغاب : جمع سغبان : هو الجائع .
(٥) السهب : الفلاة . (٦) الوشى : نوع من الثياب الموشاة أى المنقوشة ، العصب : ضرب من البرود (٧) هرقوه : صبوه . (٨) جمع ، بلا لام : « المزدلفة » ، بمكة المكرمة ، والأوار: لهيب النار . (٩) جبوا : قطعوا .

• لا ابتعتُ ذلاً بعزٍّ وفى يمينىَ عَضبُ
ولا أُقضّ على ما صنعتُه لِىَ جَنبُ
ولا تركتُ لساناً يقول لى لك ذَنبُ
أذلَّ ربّىَ قوماً لهم من الذُلّ شِربُ
رأوا قذًى لم يبالوا به فأغضوْا وعبّوا
قِيدوا ببارقِ نفعٍ كما يُقاد الأَجَبُّ[1]
كم ذا التمادى وعُمرٌ يجرى بنا ويَخُبُّ ؟
فإن عتبتُ على الدّهـرِ ضاع منّىَ عَتْبُ
أرعَى الأمانىَ عُمرى مرعًى لعمرُك جَدْبُ
وليس بالرّمح طَعنٌ وليس بالسّيفِ ضربُ
أبغى وما العودُ رَطْباً ما كان والعودُ رَطْبُ
وكان رأسىَ ليلاً مافيه للعين شُهْبُ
فالآن ليلىَ صبحٌ يَزْوَرُّ عنه المحبُّ[2]

* * *

وقال يمدح فخر الملك :[3]

سائلْ بيثربَ هل ثوى الرَّكبُ أم دون مثواهم به السَّهْبُ ؟[4]

---

(۱) الأجب : البعير المقطوع السنام من أثر الرحل وغيره .

(۲) يزور : ينحرف . (۳) فخر الملك : هو الوزير أبو غالب محمد بن على بن خلف الواسطى ، مولده بواسط سنة « ٣٥٤ » واستوزره بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ثم استوزره سلطان الدولة أبو شجاع فناخسرو ، وكان واسع النعمة فسيح مجال الهمة جم الفضائل والأفضال جزيل العطايا والنوال ، صنف له أبو بكر محمد بن الحسن الكرخى الحاسب الكتاب المعروف بالفخرى « بالجبر والمقابلة » و « الكافى » فى الحساب ، نقم عليه سلطان الدولة المذكور فحبسه ثم قتله فى سفح جبل قريب من الأهواز سنة « ٤٠٧ » ، وأخباره مستفيضة فى كتب التاريخ والتراجم . (م . ج .) . (٤) السهب : الفلاة .

ولقد كتمتهمُ هواى بهم   والحبّ داءٌ كظمه صَعْبُ

ياصاحبيَّ ومِنْ سعادة مَنْ   حملَ الصبابةَ أنْ له «صَحْبُ» (١)

لاتأخذا بدمى ، متى أُخذت   نفسى ؛ سواىَ فما له ذنبُ

من عند طرفى يوم زرتُكمُ   نفذَ الغرامُ وزارنى الحبُّ

وإذا رأيتُ الحسنَ عندكُمُ   دونَ الخلائق كيف لا أصبو ؟

يجنى علىّ ولا أُعاتبُه   مَن ليس ينفعُ عنده العَتْبُ

ويصدُّ عنّى غيرَ محتشمٍ   متيقّنٌ أنّى به صَبُّ

ووشى إليه «بسلوتى» مَذِقٌ   «نَغِلُ» المودّةِ صدقهُ كِذْبُ (٢)

وشجاهمُ أنى فضَلتُهمُ   وعلى الفضائل يُحسَدُ النَّدْبُ

أتَرَوْن أنى منكمُ كثِبٌ   هيهاتَ ماإنْ بيننا قُربُ (٣)

الغابُ يُضمرنى مكامِنُه   ماليس يُضمر مثلَه الزِّرْبُ (٤)

كلاّ ولا الأعضاءُ واحدةٌ   والرأس ليس يُعَدُّ والعَجْبُ (٥)

وإلى فخار الملك أصدِرُها   كَلِماً تسير بذكرها الكُتُبُ

وبها على أكوارِ ناجيةٍ   «نصَّ المنازل» عنَىَ الرَّكبُ (٦)

والكأس لولا أنها جذبت   «سُمّارَها» ماذاقها الشَّرْبُ (٧)

شبّوا سناها مفسدين لها   فكأنَّ مِسكَ لطيمةٍ شبّوا (٨)

---

(١) فى الأصل : «صعب» محرفة عن «صحب» .   (٢) لعلها «بصبوتى» والمذق : غيرالخالص فى وده ، وفى الأصل «نقل» «بالقاف» مصحفة عن «نغل» والنغل: الفاسد .

(٣) الكثب: القريب.   (٤) يضمرنى : يسترنى ويخفينى. الزرب: حظيرة المواشى أوعرين الأسد، والمراد المعنى الأول .   (٥) العجب (بالفتح) : أصل الذنب .

(٦) الأكوار : الهوادج ، والناجية : الناقة السريعة ، فى الأصل : «نطس الجنادل» والذى أثبتناه أقرب من الأصل ، فإنه يقال: «نصصت فلاناً إذا استقصيت مسألته عن الشىء حتى تستخرج ما عنده» فالركب قد نص أهل المنازل عن الكاظمة (م . ج .) .   (٧) فى الأصل «بسيائها» وما أثبتناه أنسب .

محرفة و الشرب (بالفتح) الجماعة يشربون .   (٨) اللطيمة : العنبرة التى لطمت بالمسك .

مـــلك إذا بصر الرّجال به ... عَنَتِ الوجـوه وقُبّـلَ التّربُ
و إذا احتبىٰ فى رجعِ مَظْلَمَـةٍ ... فوَقارُه لم يُمطِـــه الهَضْبُ
من ذا الذى نال السماء كما ... نالت يداك فـفـاته العُجْبُ ؟
ومن الذى ماحانَ موضعَـــه ... عُجمٌ «بذى» الدنيا ولا عُربُ ؟[1]
ومن الذى لمّـا علا قِمَمَ التّـدبير دان الشّرقُ والغربُ ؟
يامن تُعزّ بهزّ راحتِـــــهِ ... سُمْـرُ الرّماح وتفخر الحربُ
و يُضيء فى إظلام داجيـــةٍ ... مالا تضئُ لنـــا به الشُّهبُ
وإذا ذكرناه فـلا وَجَلٌ ... يُخشى ولا همٌّ ولا نَصبُ[2]
وتُذاد أدواء الزّمان به ... عنّـــا ويُطرد باسمه الجَدْبُ[3]
ولقد بلوك خـــلالَ مُعضلةٍ ... دَهَمَتْ يُقضُّ بمثلهـــا الجَنْبُ
حيث استرثّتْ كلُّ مُحــكَمةٍ ... من عَقــده وتزايل الشَّعْبُ[4]
ففرجتهـــا وعلى يديك ـ بلا ... بَشَرٍ يُعينك ـ نفّس الـكربُ
قد كان قبلك من له سِيَرٌ ... عوجُ المتــــون ظُهورها حُدْبُ
دَرَستْ فـــلا خبرٌ ولا أثرٌ ... مثلَ الهشيم هَفَتْ به النُّـكْبُ[5]
فالآن قد ساس الأمور فتًى ... بمراسهـــا وعلاجهـا طَبٌّ[6]
ألقتْ عصاها فهى آمنــــةٌ ... ولغــــيرها التخويف والرُّعبُ
ونأتْ فقرّبهـــا على عَجَلٍ ... من راحتيك الطّعن والضّربُ

---

(١) فى الأصل : « مدى » .

(٢) النصب (بالتحريك) : التعب ، وسكن الصاد للضرورة . (٣) تذاد . تطرد .

(٤) استرثت : بليت ، وتزايل : تباين ، وتباعد ، والشعب : (بالفتح) الصدع .

(٥) الهشيم : النبات اليابس المتكسر ، والنكب : جمع النكباء وهى الريح تهب منحرفة عن مهاب الرياح . (٦) الطب (بالفتح) : الحاذق .

قد عبَّ فيها الشاربون على ظمــإٍ ولولا أنتَ ماعبُّوا

وتلاعبــوا « فيما أبَرْتَ » لهم والجدُّ يوجـد بعده اللَّعِبُ [1]

وتراهمُ يتمعّــكون بهــا أشَراً كما يتمعّــك الجُربُ [2]

أنتَ الذى أوليت مبتــدئاً نِعَماً يطيش ببعضهــا اللبُّ [3]

وأتيتَ معتــذراً إلى زمنٍ فــكأنمــا لك عنده الذنبُ

ماأنسَ لاأنسَ اهــتزازَك لى واليومُ تُرفـعُ دونه الحُجْبُ

فى مجلسٍ لى فيــه دونهمُ سَعَــةُ المحــلّة منكَ والرُّحْبُ

وعلى الأسرّة منــك بدْرُ دُجًى لى منــه عنـد وساده القُربُ

فاسعدْ بهــذا « المِهْرَجانِ » ودُمْ أبداً تنـير لنـا ولا تخبو [4]

وتهنّــأْ الأيام آنفــةً فاليومَ فيك لأمّــه القربُ

وأطـالَ عُمرَ « الأشرفَين » لنـا وكفاهما ووقاهما الرَّبُّ [5]

حــتى ترى لهما الذى نظرتْ عينــاك منــك فإنّه حَسْبُ

☆☆☆

وقال فى الشيب [6] :

نصيبِيَ منكِ اليومَ هجرٌ وبِغضَةٌ ومالكِ إلاّ فى الوداد نصيبُ

وقلبُـكِ من حُبّى صحيح مسلَّمٌ وقلبىَ فيــه من هواكِ ندوبُ

---

(١) فى الأصل : « فيمن أثرت » وما أثبتناه معناه فيما أصلحت لهم من أمر الملك وذلك أولى من الإثارة أى الاستخراج (م . ج .) (٢) يتمعــكون : يتمرغون ، من معك الشىء إذا دلكه ، والأشر (بالتحريك) البطر . (٣) اللب : العقل . (٤) المهرجان . من أعياد الفرس وهى كلمة فارسية معناها (محبة الروح) . (٥) عنى بالأشرفين (على التثنية) الأشرف والأعز ابنى فخر الملك ، ولكنه ثناها تثنية التغليب . ذكرهما الثعالبى فى « تتمة يتيمة الدهر » ج ١ ص ١٧٩ » وذكر الأشرفين صاحب الوفيات استطراداً نقلا عن اليتيمة أيضاً (م . ج .) . (٦) وردت هذه القطعة « فى الشهاب » ص ٩٥ ط . الجوائب .

ورابكِ منّى ـ قبل أن تتبيّنى   بأنْ ليس لى أمرٌ عليه ـ مشيبُ
وعاقبنى ظلماً وكم من مُعاقَبٍ   وليس له عند الحسان ذنوبُ
وليس عجيباً شيبُ رأسى وإنما   صدودُك عن ذاك المشيب عجيبُ
هبيه نهاراً بعد ليلٍ وروضةً   تضاحك فيها النَّوْر وهى قَطوبُ (١)
ولاتطلبى شرخ الشّباب وقد مضى   فذلك شىءٌ ما أراه يثوبُ (٢)

✿✿✿

وقال فى يوم الغدير (٣) :

على مثل هذا اليوم تُحنىَ الرّواجب   وتُطوى بفضلٍ حِيز فيه الحقائبُ (٤)
حُبينا وأُمّرْنا به فبيوتُنا   لدُنْ قيل ماقد قيل فيه الأهاضبُ
وطارت بما نلناه أجنحةُ الورى   وسارت به فى الخافقين الرّكائبُ
وقال أناسٌ هالهم ما رأوا لنا :   ألا هكذا تأتى الرّجالَ المواهبُ !
ظفرتمْ بما لم نحظَ منه بنَهْلةٍ   ولذّت لكم دونالأنام المشاربُ (٥)
و بوّاكُمُ الشّعبَ الذى هو ساكنٌ   رسول له أمرٌ على الخلق واجبُ (٦)
فلما مضى من كان أمّرنا لكمْ   أتَتْنا كما شاء العقوقُ العجائبُ
فقل لأناسٍ فاخرونا ضلالةً   وهم غرباء من فخارٍ أجانبُ
متى كنتُمُ أمثالنا ومتى استوتْ   بنا و بكم فى يومِ فخرٍ مراتبُ ؟
فلا تذكروا قربى الرّسول لتدفعوا   مُنازعكم يوماً فنحن الأقارب

---

(١) النور (بالفتح) : زهر أبيض .   (٢) يثوب : يرجع .   (٣) يوم الغدير : هو اليوم الواقع فى الثامن عشر من ذى الحجة لعام حجة الوداع حين أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) إماماً وخليفة ووليا على المسلمين بقوله (ص) « من كنت مولاه فهذا على مولاه . . . الخ » وهو يوممشهور ، وفى كتب المؤرخين مسطور وقد ألف فيه العلامة الشيخ عبد الحسين الأمينى النجفى مؤخراً كتاباً قيما بعدة مجلدات .   (٤) الرواجب : قصب الأصابع واحدها : الراجبة .
(٥) النهلة : الشربة .   (٦) بوا كم وبوأ كم الشعب : أنزلكم فيه .

ومن بعد يوم «الطف» لا رحم لنا تئط ولا شعب يرجّيه شاعب [1]
وكنا جميعاً فافترقنا بما جرى وكم من لصيق باعدته المذاهب
ونحن الرءوس والشوى أنتم لنا ومن دوننا أتباعنا والأصاحب [2]
لنا دونكم « عبّاسنا » و « علينا » ومن هو نجم فى الدُجُنّة ثاقب [3]
ولو أننا لم ننهه عنكم أتتكم سِراعاً بنا مقانب وكتائب [4]
وقوم يخوضون الردى وأكفهم تُناط بِبِيض لم تخنها المضارب [5]
إذا طُلبوا لم يرهبوا من بسالة ومن طَلبوا ضاقت عليه المذاهب
فما بيننا سِلم ومن كان دهره يكتّم ضِغنا فى حشاه محارب [6]
وقيل لنا للحق وقت معيّن يفوز به باغ وينجح طالب
فلا تطلبوا مالم يَحِن بعد حينه فطالب مالم يقضه الله خائب
فإن دُوَل منكم مشين تبختراً زماناً فقد تمشى الطِّلاح اللواغب [7]
وإن تركبوا أثباج كل منيفة فكم حُطّ من فوق العَلية راكب [8]
فلا تأمنوا من نام عنكم ضرورة فقعٍ إلى أن يُمكن الوثب واثب [9]
كأنى بهن كالدبا هبّت الصبا به فى الفلا طوراً وأُخرى الجنائب [10]

---

(١) الطف : شاطىء النهر ، وأرض الطف أطلقت على كربلاء (فى العراق) التى شرفت بقتل سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام مع أهل بيته وأصحابه الأبرار ، وأطيط الرحم : حنينها ورقتها ، والشعب (بالفتح) : الصدع ، والشاعب : المصلح .
(٢) الشوى : الأطراف . (٣) الدجنة: الظلمة . (٤) المقانب : جمع المقنب (بكسر الميم) جماعة الفرسان إلى المئة ، والكتائب : جمع الكتيبة وهى الثلة من الجيش .
(٥) تناط : تعلق ، والمضارب : جمع المضربة، والمضرب وهى حد السيف من أعلاه أو نحو شبر من طرفه . (٦) الضغن (بالكسر) : الحقد .
(٧) الطلاح (بالكسر) : جمع الطلح (بالكسر) وهو البعير المهزيل، واللواغب : جمع اللاغب وهو المتعب . (٨) الأثباج : جمع الثبج (بفتحتين) وهو أعلى الظهر مما يلى الكتفين ، والمنيفة : العالية . (٩) المقعى : الجالس على إليتيه مع نصبّ فخذيه . (١٠) الدبا : صغار الجراد قبل أن يطير ، واحده الدباة ، والصبا (بالفتح) : ريح تهب من مطلع الشمس ، ويقابلها الدبور ، والجنائب : جمع الجنوب وهى ريحها .

يحكّون أطراف القنا بنحورهم كما حكّت الجذلَ القِلاصُ الأجاربُ [1]
أبيّون ما حلّوا الوهادَ عن الرُّبا وما لهمُ إلّا الذُّرا والغواربُ [2]
وكم منهمُ فى غمرةِ الحرب سالبٌ وكم فيهمُ فى حومة الجدب واهبُ
وإنى لأرجو أن أعيش إلى التى تحدّثنا عنها الظنونُ الصّوائبُ
فتُقضَى ديونٌ قد مُطِلْنَ وتنجلِى دياجِرُ عن أبصارنا وغياهبُ [3]
وتجرى مياهٌ كنّ بالأمس نُضَّباً وتهمى كما شئنا علينا السحائبُ [4]
وتُدرَكُ ثارات وتُقضَى لُبانةٌ وتُنجح آمالٌ وتُؤتَى مآربُ [5]

* * *

وقال فى الغزل :

أتنسيْن يالمياء شملكِ جامعاً وإذْ أنا فى صبغ الدُّجَى منكِ أقربُ؟ [6]
وقد لفّنا ضيق العناق وبيننا عتابٌ كعَرْفِ المسك أو هو أطيبُ [7]
وإذ علّنِى من ريقهِ ثم علّنِى على ظمأٍ مُستعذَبُ الرّيق أشنبُ [8]
كأنّ عليه آخرَ الليلِ قهوةً معتقةً « ناجودُها » يتصوّبُ [9]
أُحبّكِ يالمياء من غير ريبةٍ ولا خير فيما جاءه المتريِّبُ
ويُطربنى إنْ عنَّ ذِكرُكِ مرّةً ولستُ لشىء غير ذكراكِ أطربُ [10]

---

(١) الجذل : (بكسر الجيم) : عود ينصب للجربى لتحتك به ، والقلاص جمع القلوص وهى الناقة والأجارب جمع الأجرب « إذا كان اسماً لا وصفاً والقلائص مؤنثة فالخطأ فى الأجارب من وجهين (م. ج.) » (٢) الغوارب : جمع الغارب وهو الكاهل وهو أعلى الظهر مما يلى العنق كالشبح .

(٣) الدياجر كالغياهب وهى الظلمات مفردها ديجور . (٤) نضبا : جمع ناضب ، اسم فاعل من نضب الماء إذا غاض . (٥) اللبانة : الحاجة يريد الإنسان قضاءها ، والمآرب : جمع المأربة وهى الحاجة . (٦) اللمياء : الجارية تعلو شفتها سمرة مستحسنة ولمياء هنا علم .

(٨) العرف (بالفتح) : الرائحة وفى الأصل (العرق) بالقاف مصحفة .

(٨) علنى : سقانى ، والأشنب من الشنب وهو برودة الريق وطيبه .

(٩) القهوة : الخمرة ، والناجود : وعاء للخمر يوضع بين الشرب فيغترفون منه ، وفى الأصل « ناحورها » بالراء ، مصحفة : (١٠) عن : عرض .

وفى المعشر الغادين بدرُ دُجُنّةٍ عَلوقٌ بألبابِ الرّجال محبّبُ (١)
يَدِلُّ فلا تأبى القلوبُ دلالَه ويُلقِى بأسبابِ الرِّضا حين يَغضَبُ

* * *

وقال فى الافتخار :

مَنْ لداعٍ لا يجابُ وشفاء لا يُصابُ
ومُعَنًّى ماله عِنـــدَكمُ إلّا العــذابُ
فى الحشا منـــه ندوبٌ وزفيرٌ والتهـــابُ (٢)
ولقـــد قلت والمشـــغوف فى الأمر ارتيـاب
زالت الأرواح أم زا لت حُدوجٌ وقِباب ؟ !
يا حليف الهجر هلْ للـــحبلِ موصولاً إيابُ ؟
كنتَ لِى أرْياً فكم عِنـــدِىَ مذ فارقتَ صابُ (٣)
كيف أروى والبعيــدا تُ ثناياك العِــذابُ ؟
إنّ فى الأظعانِ قوماً أحضروا الشّوق وغابوا
وإذا عاتبتَ منهم مذنباً ضـــاع العتابُ
كلّ يومٍ لك بينٌ لم يَصِحْ فيـــه غرابُ
وبِعــادٌ من حبيبٍ لم يحن منـــه اقترابُ
وملالٌ من «خـــلِّ» ونبوٌّ واجتنـــابُ (٤)
حـــبّذا أيّامُ سَلْعٍ وسقاهنّ السّحاب (٥)

(١) الدجنة : الظلمة ، والألباب : العقول . (٢) الندوب : جمع الندب (بفتحتين) وهى ما بقى من آثار الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد .
(٣) الأرى : العسل ، والصاب : عصارة شجر مر . (٤) اطل الأصل « خليل » .
(٥) سلع : جبل بالمدينـة .

كيف شكواى زماناً كان لى فيه الشّبابُ ؟
وكرامٌ لهمُ منْ ورق العزّ ثيابُ
وثنايا فى ذُرا المجد على الرّاقِ صعابُ
لا يريبون وإمّا رابهم « يوم » أرابوا [(١)]
كلّما مرّ زمانٌ عَذُبوا فيه وطابوا
وإذا ما « نَكَل » القومُ عن الأمر وهابوا [(٢)]
وطما المدُّ الذى فيه من الموت عُبابُ [(٣)]
هجموه مثلما انقضّتْ من الجوّ عُقابْ [(٤)]
ثم سالت منهم بالطعن والضّرب شِعابُ [(٥)]
قلْ لحسّادى : أفيقوا فاتكم عندى الطِلابُ
عبتمُ من ليس فيه للذى عاب مَعابُ
وله عِرْضٌ نقىٌّ زالقٌ عنه السِّبابُ
عامر الرّبع وفى الأعراضِ ما شئتم خرابُ
من لكم مثلى إذا عنّ طِعانٌ أو ضِرابُ ؟ [(٦)]
ودفاعٌ ونزالٌ وسؤالٌ وجوابُ ؟
وغلابٌ لأعاديكم وما يرجى الغِلابُ ؟
وجذابٌ للذى يهوَوْن إنْ قلّ الجِذابْ ؟
والذى يهدِى إلى القَصْدِ وقدْ ضلّ الصّوابُ
فى مقامٍ ليس إلّا أُسُدٌ فيه وغابْ

---

(١) فى الأصل « يوما » .
(٢) لعل الأصل « نكص » أى أحجم ورجع .
(٣) العباب (بالضم) : معظم الماء .
(٤) العقاب : طائر من الجوارح .
(٥) الشعاب : بطون الوديان .
(٦) عن : عرض .

وجريحٌ وقتيلٌ لا يواريه التراب
لكمُ منّى ظُفُرٌ فى المُلمّاتِ ونابُ
وصباحٌ كلّما أظلمَ خطب وشهابُ
لستمُ السيفَ فلِمْ أنتمْ بلا سيفٍ قِرابُ ؟
ما استوى فى عَطَن القومِ صِحاحٌ وجِرابُ (١)
لا ولا عادلتِ النِّيبَ المسنّاتِ السِّقابُ (٢)
وإذا لم يكن الرِّسْلُ فما يُغنى الحِلابُ (٣)
ياخليلى إنّما الدّهرُ مجئٌ وذهابُ
وعطاءٌ خلفه منه ابتزازٌ واستلابُ
وسليمٌ ولَديغٌ ومُوقًّى ومصابُ
احذرِ الدّهر فللدّهر ازورارٌ وانقلابُ
ودعِ الحرصَ لقومٍ حُرِموا الرّشدَ وخابوا
ما إلى الذّلّ سوى الحرْ صِ على الأموالِ بابْ
كل شىء أنشأتْهُ تُربةُ الأرضِ تُرابْ
وإذا فزنا بصدقٍ من غنىٍّ فهو كِذابْ
واطلب العزَّ فما دو نَ مدى العزّ حجابُ
بأُناسٍ كلّما نو دوا لمعروفٍ أجابوا
ليس تُنسيهم عن الهمِّ حروبٌ وحِرابْ
وكنِ المُقدمَ فالمغبونُ فينا من يهابُ

* * *

---

(١) العطن (بفتحتين) مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء .
(٢) النيب : النوق المسنة ، والسقاب : جمع السقب (بالفتح) : وهو ولد الناقة .
(٣) الرسل (بالكسر) اللبن .

وقال فى النسيب :

حرامٌ على قلبى السلوّ وقد بدا　لعينىَ عند « الرّقمتين » قضيبُ (١)
قضيب قضى الله المقــــدّر أنه　إلى كلّ ألبابِ الرّجال حبيبُ
وما كان عندى أن قلبى يقوده　إليــــه ويُدعى نحوه فيجيبُ

* * *

وقال فى النسيب أيضا :

وفى النّفر الغادين وجهٌ أحبّـهُ　وما كل وجهٍ فى الرّفاق حبيبُ
ينوب منابَ البدر ليلةَ تمّــــهِ　ويُغنى غَنـاء الشّمسِ حين تغيبُ
ولمّـا دعانى للغرام أجبتُــــه　وما كان قلبى للـغرامِ يجيبُ
وماكنت إلاّ فيه للحبّ طائعاً　وما لسواه فى الفؤاد نصيبُ

* * *

وقال فى الشيب (٢) :

شعرٌ ناصعٌ ووجــهٌ كئيبُ　إنّ هــذا من الزّمان عجيبُ
يابياضَ المشيب لونُك إنْ أنْـ　ـصفَ رائيكَ حالِك غِربيبُ (٣)
صدّ من غيرأن يُمَلّ وما أنـــكر　شيئاً سواك عنّى الحبيبُ
يامضيئاً فى العين تسودّ منـــه　كلَّ يومٍ جوانحٌ وقلوبُ
ليس لى مُذْ حللتَ ياشيبُ فى رأ　سِىَ كرهاً ، عند الغوانى نصيبُ
ولَخيرٌ من لونك اليقَقِ المُشْر　قِ عندى وعندهنّ الشُّحوبُ (٤)

---

(١) الرقمتان : موضع ، والرقمة : جانب الوادى أو الروضة .
(٢) وردت هذه القطعة فى الشهاب للناظم (ص ٦١ و ٦٢) طبعة الجوائب .
(٣) الحالك : الأسود ، والغربيب : الشديد السواد .
(٤) اليقق : (بكسر القاف وفتحها) الشديد البياض .

رحنَ يدعونني « معيبـاً » وينبذ ن عهودي وأنت تلك العيوبُ [1]
كيف أخشى الرّقيبَ والشّيب في وجـ ـهى على الغـانياتِ منّى رقيبُ ؟

* * *

وقال ، وكتب بها إلى صديق له قدم من سفر

وهو الأستاذ الجليل أبو سعد علي[2] بن محمد بن خلف ، «وهي من أوائل قوله» :

حلّ ذاكَ الكِناسَ ظبْيٌ ربيبُ عاصتِ الصَّبْرَ في هواه القلوبُ [3]
غاض فيه حِلْمُ الوَقور وأكْدَتْ قُلُبُ الرّأْي واستُزِلّ اللّبيبُ [4]
يامحلاًّ أبلَتْه هوجُ اللّيـالي وغرامي بساكنيه قشيبُ [5]
واطمأنّتْ بكَ المحاسنُ حتّى شرّدَتْهـا عنّي وعنك الخطوبُ
طالمـا روّضتْ رُباكَ الغواني وتنوّرت والزّمان جديبُ [6]
وتمشّتْ بك السّحائب يجررْ نَ بُروداً تخيّرتْهـا الجنوبُ
جاد جَفْني ثراكَ وهو جَهامٌ وألَنْتَ الفؤادَ وهو صليبُ [7]
ساء عهدي لقاطنيك متى « أذْ ريتُ » دمعاً من مُقلتي لا يصوبُ [8]

---

(١) في الأصل : « نعيباً » بدل « معيباً » محرفة .

(٢) أصله من قرية نيرمان (بفتح النون) قرب همذان ولذلك عرف بالنيرماني والهمذاني ، وكان من جلة الكتاب الفضلاء والرؤساء والنبلاء ، وكان كاتباً بديوان بني بويه ببغداد وصنف لبهاء الدولة « المنثور البهائي » في مجلد ، وهو نثر كتاب الحماسة ، أثنى عليه الثعالبي في اليتيمة ثناء حسناً ، وعده من الشعراء البارعين ، وكانت وفاته سنة « ٤١٤ » هـ « فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ » ، وتصحف اسمه في تاريخ بغداد للخطيب « ج ١ ص ٥٢ » وذكره الباخرزي في الدمية في ترجمة ابنه « ص ١٠٢ » (م . ج .) .

(٣) الكناس (بالكسر) : موضع الظبي في الشجر يسكن فيه ويستتر ، والربيب أي المربوب بمعنى المربى ، وفي هـ (دبيب) محرفة . (٤) القلب (بوزن السرر) : جمع القليب أي البئر قبل أن تطوى أي قبل أن تبنى بالحجارة أو غيرها ، وقيل البئر العادية ، وإكداؤها : قلة مائها . (٥) القشيب : الجديد . (٦) تنورت : نبت فيها النور (بالفتح) وهو زهر أبيض ، والجديب المحل . (٧) الجهام (بالفتح) السحاب لا ماء فيه .

(٨) في « هـ ، س » « آويت » محرفة ، ويصوب : ينصب فيسق .

لستَ فرداً فيما دَهَتْه الليــالى   كل شىء فى كَرِّهِنّ سليبُ

أيها القادمُ الذى أَقْدَمَ الثّأْ   رَ لقلبٍ جنى عليــه المغيبُ

إن يكن شخصُك استمرّ به النــأْ   ىُ «. . . . . .» فى الفؤاد قريبُ[1]

لو « لِعَنْسٍ » رحلتُهــا ما بقلبى   عاقها عن مدى القِلاصِ اللّغوبُ[2]

لاتَـقِلنِى إنْ بعتُ غــيرَكَ وِدّاً   وَقَفَتْه عليك نفسٌ « عَروبُ »[3]

خُلُقٌ مرهفُ الحــواشى وعِرْضٌ   شامخٌ ما «دنت» إليه العيوبُ[4]

« روّقته » الأيامُ والخُلُقُ الأخــــلَقُ فينـــا مُمَنَّعٌ محجوبُ[5]

مدّ ضَبْعى إليك مجــدٌ وَساعٌ   وثرًى طيّبٌ وسِنْخٌ نجيبُ[6]

ومعالٍ « تـكنّفتْ » حومةَ العــزِّ طويلُ الـكِرام عنها رعيبُ[7]

إنّ وجــدى كما عهدتَ صريحٌ   ما بِخَلْقٍ سواكَ فيــه نصيبُ

ثقّفتــه الدّهور وهو رطيبٌ   وجلاه الزّمانُ وهو قشيبُ

جاد تلك العهودَ صوبُ عهادٍ   من ودادِى هامى الجفون سَـكوبُ

« نَلَنِيَ » القربَ قد أَملّنِيَ البُـعْــدُ وصلْ ذا الطّلوعَ طالَ الغُروبُ[8]

إنْ تجــدنى سَمْحَ القِيادِ فنِى قلْــب زمانى من حرِّ نارى وجيبُ[9]

---

(١) فى موضع النقط (نحبيك) وهى كلمة محرفة لم نهتد إلى معناها .

(٢) العنس (بفتح العين وتسكين النون) . الناقة الصلبة ، وفى (س) « لعيس » وهى الإبل البيض ، وفى (ش ، هـ) « بعنس » بالباء محرفة ، والقلاص : جمع القلوص وهى الناقة الشابة ، واللغوب : التعب.

(٣) لا تقلنى : من أقاله البيع أى أعفاه من الالتزام به ، وقد أراد إقالة العثرة ، وجود البيع لأنه جرى مع غير القليل (م . ج) ، والعروب (بالفتح) المرأة المتحببة الى زوجهـا ، وفى (س) « عزوب » مصحفـة .

(٤) فى (هـ ، س) « مارنت » .

(٥) روقته : من الترويق وهى التصفيـة . وفى (ش ، هـ) « زوقته » أى زينته ، ولعل الأصل « رققته » .

(٦) الضبع . العضد ، والسنخ (بالكسر) الأصل .

(٧) « تـكنفت» ساقطة من « هـ » والرعيب: المرعوب ، وفى « هـ » « رغيب » مصحفة .

(٨) فى (هـ ، ش) « ملنى » بدل « نلنى » محرفـة .

(٩) الوجيب : الاضطراب والخفقان .

كيف أُعطى الزّمانَ صَبْوَةَ قلبى   واعتزامى على هـــواى رقيبُ ؟
هان فى مقلتى الّذى راق فيــه   فــكأنّ الشّبابَ فيــه مشيبُ
سَدَلَتْ خبرتى سُجوفَ ابتسامى   قلّمـا يُعجب العجيبَ عجيبُ [1]
وكَفَتْنى تجــــارِبى نائباتٍ   ما أُبالى فى أىّ حينٍ تنوبُ
وبلوتُ الزّمانَ حتى لو ارتبْـ   ـتُ لـكشفتُ ما تُجنّ الغيوبُ [2]
ليس يدرى الورى بمــاذا غرامى   « ماتمارَوا فيــه » إلىّ حبيبُ [3]

* * *

وقال عقيب اجتماعه مع السيد الأجل عز الأئمة أبى سعد أحمد بن حمزة بن إبراهيم فى الدار العزيزة لمـا انتقل إليها فى فتنة الـكرخ [4] ، مستوحشاً لفراقه ومخبراً عما كان عليه من الأنس بمجاورته ومطاولته ومعدداً مارشحه الله تعالى من هذا البيت الـكريم من المصافاة والود والحقوق وذلك فى شهر ربيع الآخر فى سنة سبع عشرة وأربعمائة من الهجرة النبوية :

ليس للقلب فى السّلوّ نصيبُ   يوم رحنـا والبين منّـا رقيبُ [5]
ودّعتنى وزادُها طربُ اللهْـــــو   وزادى تلهّفٌ ونحيبُ
ورأتنى أُذرى الدموع فقــالت :   أبكاء أراه أم شُؤْبوبُ ؟ [6]
إنّمـا البين للبـــدور الْمُنــيراتِ   كسوفٌ وللشّموس غروبُ

---

(١) فى (هـ ، س) . « أسدلت » ، والثلاثى أفصح وأشهر ، والسجوف : جمع السجف (بالكسر) وهو الستـار .

(٢) تجن : تخفى .   (٣) ما تماروا فيــه : ما شكوا فيه وتجادلوا . وفى (هـ ، س) « ما تمادوا عنه » محرفة .   (٤) ذكر ابن الجوزى فى المنتظم « ج ٨ ص ٤١ » أن العيارين ببغداد انبسطوا سنة « ٤١٦ » هـ . انبساطاً أسرفوا فيه وخرقوا الهيبة السلطانية وواصلوا العملات « أى السطو » وأراقوا الدماء وأحرقت دار الشريف المرتضى على الصراة وقلع هو باقيها وانتقل إلى درب جبل وفى سنة ٤١٧ ، دخل العيارون الـكرخ فأحرقوا فيــه ونهبوه ومضى المرتضى مستوحشاً إلى دار الخلافة ، والتفصيل هناك . (م . ج .) .
(٥) أشار المرتضى إلى هذه القصيدة وذكر قسما منها فى « الشهاب ص ٨٣ ط . الجوائب) .
(٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

والنّوى كالرّدى ، وفقدٌ كفقدٍ غير أنّ غائبُ الرّدى لا يؤوبُ [1]

ولقد قالتُ المليحةِ والــرّأسُ بصبغ المشيب ظلماً خضيبُ

لا ترَيْهِ مجانباً للتصابِى ليس بِدْعاً صبابةٌ ومشيبُ

قلْ لمن حلّ فى الفؤاد وهل يسكنُ حَبّ الفؤاد إلّا الحبيبُ [2]

أين أيّامُنا اللّواتى تقضّين وفى القلب بعدهُنّ نُدوبُ [3]

واجتماعٌ نمحو بــه أثرَ الهــمّ ونحلو مذاقه ويطيبُ

تشمئزّ الأحزانُ منــه وتــزْوَرُّ إذا قار بته عنه الكُروبُ [4]

قمْ بنا نشكر الزّمان فلم يبقَ لنا فى الزّمان إلّا العجيبُ

ظلماتٌ مسودّةٌ وأمورٌ مشكلاتٌ يَحارُ فيها اللّبيبُ

وشؤونٌ تبيضّ منها شؤونٌ وانقلابٌ تسودّ منه قلوبُ [5]

وأراها بالظّنّ كالجمرة الحمــراء أذكى لها الأُوارَ مذيبُ

ووشيكاً يكون ذاك فما بَعْدَ شَرارِ الزّناد إلّا اللهيبُ

وكأنّى بها مُعرّقةَ الأوصال قد شفّها السُّرى والدُّؤوبُ [6]

وعليهنّ كلُّ أرْوَعَ لا يَرْ ويه إلّا التّخييمُ والتّطنيبُ [7]

إنْ عَنَتْ أزْمةٌ فكفٌّ وَهوبٌ أو عَرَتْ خَشيةٌ فنصلٌ ضَروبُ

ورجالٌ شُمُّ العَرانين وثّابون نحو الرّدى شبابٌ وشيبُ [8]

---

(١) لا يؤوب : لا يرجع . (٢) حب الفؤاد : سويداؤه .

(٣) الندوب : جمع الندب (بفتحتين) وهو ما بقى من آثار الجراح .

(٤) تزور : تنحرف . (٥) الشؤون الأولة الواردة فى البيت جمع الشأن وهو الحال والأمر العظيم ، ومعنى : الثانية : مجارى الدمع من العين ومفردها الشأن كذلك .

(٦) المعرقة : التى ذهب لحمها « من تعرق العظم إذا أكل ما عليه من اللحم » ، والأوصال : الأعضاء ، والدؤوب : التعب . (٧) الأروع : الحسن المنظر ، والتطنيب : نصب طنب الخيمة وهو الحبل الذى تشد به . (٨) العرانين : جمع العرنين وهو أعلى الأنف .

أينما ضاربوا ، فهام فَليقٌ ونجيعٌ من الكماة صبيبُ (١)
ليس منهم إلّا الغَلوب وما فيهم مدَى الدّهر كلّه مغلوبُ
أنت عزٌّ لنا فإن قيل فى غير ك هذا فالقول قولٌ كَذوبُ
وإذا مُيّزت سجايا أناسٍ بان عودٌ رِخْوٌ وعودٌ صَليبُ
ولَبَيتٌ حَلَلْتَ لم يُرَ فيه قطُّ إلّا نجابةٌ ونجيبُ
ووَلوعٌ بطيّب الذّكر لا يرضيه إلّا التجهيرُ والتّأويبُ (٢)
إنّ آلَ الأجلّ آلِى وشَعبى منهُمُ اليومَ تستبين الشّعوبُ
وهُمُ أُسرَتى ومِن سِرّ « موسى » بالموداتِ والصديقُ نسيبُ (٣)
وإذا حُصّل الودادُ تدانَى ذو بعادٍ وبان عنك القريبُ
قارَعوا عَنّىَ الخطوبَ وقدْ همّت وكادتْ تجني علىّ الخطوبُ
وتلافَوْا جرائرَ الدّهر حتّى ما لدهرٍ بهم إلىّ ذنوبُ (٤)
كم لهم دون نُصرتى نَهَضاتٌ ومقامٌ ضَنْك ويومٌ عَصيبُ
وعَصوفٌ يُكِنّني وركودٌ ومَجىءٌ يجيئنى وذُهوبُ (٥)
ودفاعٌ عنّى العدا ونِزاعٌ أرتضيهِ وهدنةٌ وحروبُ
لست أنسى حقوقَكم عندِىَ البيضَ إذا كان فى الزّمان الشّحُوبُ (٦)
واعتصامى بكم وأنتم لرَحْلى حَرَمٌ آمِنٌ ووادٍ خصيبُ
كم فرجتم من ضَيقَةٍ وكشفتُمْ كُرَباً لا يُطيقها المكروب
وتخلّصتُمُ ثراء رجالٍ من يد الفقر والبلاء يصوبُ (٧)

(١) النجيع : الدم ، وقيل دم الجوف خاصة . (٢) التأويب : الإعادة .
(٣) موسى : يعنى جده . (٤) الجرائر : الذنوب . (٥) يكننى : يسترنى ويضمنى .
(٦) الشحوب : التغير . (٧) تخلصتم هنا ، بمعنى استنقذتم وخلصتم .

لا مشتْ فى ديارِكم نُوَبُ الدّهــرِ ولا ارتبتُمْ بشىء يُريبُ
وإذا خِيفت الغيوبُ فلا خِيــفتْ عليكم مدى الزّمان الغيوبُ
وفداكم من الأذاة رجالٌ دَنِساتٌ ذيولهم والجيوبُ
كلّما أخفتِ السّعودُ عيوباً منهمُ استيقظتْ ولاحت عيوبُ

* * *

وقال يعزى الخليفة القادر العباسى عن ولده :

ما فى السُّلوّ لنا نصيبٌ يُطلبُ   الحزن أقهر والمصيبة أغلبُ
لكِ يارزيّةُ فى فؤادِىَ زفرةٌ   لا تُستطاع ومن جفونىَ صَيِّبُ (١)
قد كان عيباً أن جرى لِىَ مدمعٌ   فاليوم إن لم يجرِ دمعٌ أعيبُ
وَلَطالمَا كان الحزين مؤنَّبا   فالآن مُدّرع العَزاء مؤنَّبُ
طرقتْ أميرَ المؤمنين رزيّةٌ   والرُّزْء فينا طارقٌ لا يُحْجَبُ
لم ينجُ منها شامخٌ مترفِّعٌ   أو مَدخـلٌ مُتمَنّعٌ مُتصَعِّبُ
لو كان يُدفع مثلُها ببسالةٍ   لحمَى عواليها الكماةُ الغُلّبُ (٢)
الضّاربون الهامَ فى رَهَج الوغى   والسُّمْرُ تُلطخ بالنّجيع وتُخضبُ (٣)
والهاجمون على المنيّة دارَها   وقلوبُهم كالصّخر لا تتهيّبُ
قومٌ إذا حملوا القنا وتنمّروا   ركبوا من العَزّاء مالا يُركبُ (٤)
أو أقدموا فى معركٍ لم ينكُصوا   أو غالبوا فى مَبْرَكٍ لم يُغلبوا (٥)
رُزْءٌ بمُفتَقَدٍ أرانا فقــدُه   أنَّ العُـلا والمجدَ قَفْرٌ سَبْسَبُ (٦)

---

(١) الصيب : المطر . (٢) البسالة : الشجاعة ، والعوالى : الرماح ، وفى (س) غواليها ، والكماة : جمع الكمى وهو الشجاع المتكمى بسلاحه ، أى المتغطى به (المدجج) ، والغلب : جمع الأغلب وهو الشجاع الغليظ الرقبة . (٣) الرهج (بفتحتين) الغبار ، والسمر : الرماح ، والنجيع : الدم ، وقيل : دم الجوف خاصة .
(٤) العزاء : الشدة . (٥) نكص : أحجم ورجع . (٦) السبسب : القفر .

والأرض بعد نضارةٍ ما إن لها   إلاّ الأديمُ المقشعرُّ المُجدِبُ
والنّاس إمّا واجمٌ متخشّعٌ   أو ذاهلٌ خلع الحِجى مُتسَلّبُ (١)
إن يمض مقتبلَ الشّباب فإنّه   نال الفضائل لم ينلْها الأشيبُ
ورَعٌ نبا عنه الرّجال وعفّةٌ   لم يَستطعها النّاسك المتجنِّبُ
قلنا وقد عالوهُ فوق سريرِه   يطفو على قُلل الرّجال ويرسُبُ
ووراءَه الشّمُّ الكرامُ فناشِجٌ   يُذري مدامعه وآخرُ يندُبُ : (٢)
من ذا لوى هذا الهُمام إلى الرّدى   فأطاعه ؛ أم كيف قيد المُصْعَبُ ؟
صبراً أميرَ المؤمنين فلم نزلْ   بالصّبر من آدابكم نتأدّبُ
أنتم أمرتم بالسّلوّ عن الرّدى   وأريتمُ فى الخطب أين المذهبُ
وركبتمُ أثباجَ كلّ عظيمةٍ   إذ قلّ ركّابٌ وعزّ المركبُ (٣)
ووردتمُ الغَمراتِ فى ظلّ القنا   والطّعن فى حافاتها يتلهّبُ
حوشيتمُ أن تُنقصوا أنوارَكم   أو تُبخسوا من حظّكم أو تُنكبوا
وإذا بقيتم سالمين من الأذى   فدعوا الأذى فى غيركم يتقلّبُ
شاطرتَ دهرك «واجداً عن واجدٍ»   فغلبته والدّهرُ غيرَك يغلبُ (٤)
ماضرّنا وسيوفنا مشحوذةٌ   مصقولةٌ إن فُلّ منها المِضربُ
والشّمس أنتَ مقيمةً فى أفقها   وهدًى لنا من كلّ شمسٍ كوكبُ
وإذا البحور بقين فينا منكُمُ   مملوءةً فدعِ المذانبَ تنضُبُ (٥)

---

(١) الواجم : المحزون الساكت ، والحجى : العقل .   (٢) الناشج : الباكى .
(٣) الأثباج : جمع الثبج (بالتحريك) وهو من الحيوان أعلى الظهر مما يلى الكتفين
(٤) الواجد : الغاضب ، ولعلها فى الأصل « واحداً عن واحد » والواحد المتقدم فى العلم أو البأس وغيره . « أومأ الشريف المرتضى إلى بقاء أبى جعفر عبد الله بن القادر بالله وهو الذى استخلف بعد ذلك ، ولقب بالقائم بأمر الله . (م . ج .) .   (٥) المذانب : جمع المذنب وهو مسيل الماء فى الحضيض ، وتنضب : تنور فى الأرض وتجف .

ولئن وهى بالرُّزء منــا منـكبٌ فلقد نجا من ذاك فينا منـكِبُ
نجمان هـــذا طالعٌ إيماضـه مـلأ العيونَ وذاك عنّا يغرُبُ
أو نعمتان فهـــذه متروكةٌ مذخورةٌ أبداً وأخرى تُسلبُ
أصلٌ له غصنانِ هـــذا ذابلٌ ذاوٍ وهـــذا ناضرٌ متشعّبُ
أو صَعْدةٌ فُجِعَتْ ببعض كُعوبها ولها كعوبٌ بعد ذاك وأكعُبُ (١)
أو أجدَلٌ ماسُاءَ منـــه مِخْلَبٌ فاجتُثَّ إلاّ ناب عنه مِخلَبُ (٢)
ماذا التنافسُ فى البقاء وإنمـــا هو عارضٌ ماضٍ وبرقٌ خُلَّبُ (٣)
ذاق الحِمـــامَ مبذّرٌ ومُقتّرٌ وأتى إليـه مبغَضٌ ومحبَّبُ
فمعجّـلٌ لحمـــامه ومؤجّلٌ ومشرّقٌ بطلوعـه ومغرّبُ
ونُعـاتب الأيّامَ فى فُرُطاتهـــا لكنْ نُعاتب سادراً لا يُعتِبُ (٤)
لانافعٌ إلاّ ومنـــه ضـائرٌ أو مرغبٌ إلاّ وفيـه مُرهِبُ
ومتى صفا خلل الحوادث مشربٌ عذبٌ تـكدّر عن قليلٍ مشربُ
فَخراً بنى عمّ الرّسول فأنتمُ أزكى المغارس فى الأنام وأطيبُ
إرثُ النبىّ لـكم ودار مُقامِهِ والوحْىُ يُتلى بينـكم أو يُـكتبُ
والبُرْدُ فيـكم والقضيب وأنتم الـــأدنَوْن من أغصـانه والأقربُ

---

(١) الصعدة : القناة المستوية . (٢) الأجدل : الصقر ، واجتث : استؤصل .

(٣) العارض : الغمام المعترض فى السماء ،والبرق الخلب : المطمع الخادع الذى لا مطر فى سحابه .

(٤) الفرطات : جمع فرطة وهى مافرط منها من إساءة وأذى أو غيرها . يقال « اللهم اغفرلى فرطاتى ولا تؤاخذنى بسقطاتى » كما فى أساس البلاغة، وأنشد مؤلفها « أعنى الزمخشرى لنفسه » :

واغفر لعبد تاب من فرطاته ماكان منه فى الزمان الأول

والسادر : المتحير ، والمعتب : (بضم الميم وكسر التاء) الذى يعطى العتبى ، أى الرضا ، وفى الدعاء المأثور « إلهى لك العتبى حتى ترضى »

وأبوكُمُ سقى الأنامَ بسَجْلِهِ « وأحلّه » والعام عامٌ مُجدبُ (١)
خُتمت خلافته بكمْ وعليكُمُ إشرافُها أبدَ الزّمان مطنَّبُ (٢)
هى هَضْبةٌ لولاكمِ لاتُرتَقى أو صعبةٌ بسواكمُ لا تُركبُ
حكم الإلهُ بأنّها خِلَعٌ لكمْ لا تُنْتضَى وبَنيّةٌ لا تُخربُ (٣)
كم طامعٍ من غيركمْ فى نيلها فرَقتْ مفارِقَه السّيوف الوُثّبُ
ومؤمّلين وُلوجَ بعض شِعابها لم يبلغوا ذاكَ الرّجاء وخُيّبوا (٤)
جئناك نمتاح العزاء فهب لنا منك العزاء فمثلُ ذلك يوهبُ (٥)
وارفقْ بقلبٍ حاملٍ ثِقَلَ الورى والكَلْمُ يؤسَى والمضايقُ ترحُبُ (٦)
واسلكْ بنا سُبُلَ السلُوّ فإنّنا بك نقتدى وإلى طريقك نذهبُ

* * *

وقال فى العتاب :

أذمّ إليك كَلْماً ليس يؤسَى وداءً ليس يعرفه الطّبيبُ
ودهراً لايُصيخُ إلى نصيحٍ وعيشاً لا يَلَذُّ ولايطيبُ (٧)
وكم لِى من أخٍ أوليه نصحِى ومالى فى نصيحته نصيبُ
له منّى البشاشةُ فى التّلاقِى ولِى منه البَسارةُ والقُطوبُ (٨)
يَعيب تجنّياً والعيب فيه وقد نادت فأسمعتِ العيوبُ (٩)
ألا هرباً من الإخوان جمعاً فمالكَ منهمُ إلاّ النُّدوبُ. (١٠)

(١) السجل (بالفتح) : الدلو فيها ماء ، وقد كان العباس عم النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » ساق الحجيج بمكة شرفها الله تعالى ، وفى الأصل فى موضع « وأحله » « من أجله » عرفة .
(٢) إشرافها : علاؤها ، والمطنب : المشدود بالطنب وهو حبل الخيمة .
(٣) تنتضى : تنتزع . (٤) الولوج :الدخول . (٥) نمتاح : نطلب .
(٦) الكلم : الجرح ، ويؤسى : يعالج . (٧) يصيخ : يصغى . (٨) البسارة : العبوس ، والقطوب مثلها . (٩) التجنى : الافتراء . وتجنى عليه : ادعى عليه ذنبا لم يجنه .
(١٠) الندوب : أثر الجراح .واحدهاندب(بفتحتين) .

وَلولاهمْ لـمـا قَذِيتْ جفونى   ولا سِيقتْ إلى قلبى الكُروبُ (١)
ولا طُويتْ على أَوَدٍ قنـاتى   « وغلّس » فى مَفارِقىَ المشيبُ (٢)
ولاخرقت من الأيّام جلدى   أظافرُ لا تقلّمُ أو نيوبُ (٣)
ولا عرفتْ مساكِنىَ الرّزايا   ولا اجتازتْ على رَبْعى الخُطوبُ
ولمّا أن أبى حكمى وألْوى   وشبّتْ بيننا منه الحروبُ (٤)
وأخرسنى عن الشّكوى ومنه   لسانٌ لا يفـارقه كذوبُ
غفرتُ ذنوبه حـتّى كأنّى   عَلِقتُ به وليس له ذنوبُ

* * *

وقال من قصيدة مدح أباه بها :

ولِى صاحبٌ لايصحب الضّيمَ ربُّهُ   له فى دماء الدّارعين قِرابُ (٥)
وأسمرُ عسّالُ الكعوبِ سنانُهُ   رسولُ المنايا فى يديه كتابُ (٦)
إذا ما وَجَا أو داجَ قِرْنٍ مُصمّمٍ   أعاد مشيبَ الوجهِ وهوشبابُ (٧)
ملاَنِىَ فخراً أنّكَ اليومَ والدى   وأنّكَ طَوْدى والأنام شِعابُ (٨)
ألستَ من القوم الذين إذا دنَوْا   لحربٍ تدانتْ أرْؤُسٌ ورقابُ ؟
سيوفُهُمُ ألحاظُهم وقناتُهمْ   سواعدُهمْ مهما استحرّ ضِرابُ

* * *

(١) قذيت : أصابها القذى وهو مايعترض فى العين من قش وغيره . (٢) الأود : الاعوجاج ويريد بالقناة هنا قامته وظهره ، وغلس : دخل فى الغلس ، وهى ظلمة آخر الليل ، « ولعل الأصل «وأعنس» أى غير ، قال سويد الحارثى :

فتى قَبَلٌ لم تُعنس السنّ وجهه   سوى خُلسةٍ فى الرأس كالبرق فى الدجى

(م . ج) » . (٣) النيوب : جمع الناب . (٤) ألوى برأسه : أعرض وبحقه ذهب به . (٥) يعنى بالصاحب : السيف ، ورب الشىء : مالكه ، والدارع : لابس الدرع .
(٦) الأسمر العسال : الرمح اللدن المهتز . (٧) وجا (مخففة من الفعل المهموز وجأ) أى طعن وضرب ، والأوداج : جمع الودج وهو عرق فى جانب ثغرة النحر ، وهما ودجان يميناً وشمالا .
(٨) الطود : الجبل ، والشعاب : جمع الشعب (بالكسر) وهو الطريق فى الجبل وبطن الوادى .

وقال فى غرض له :

عجبتُ من الأيام كيف تروعني ... ومن عَزَماتِي تستمدّ النوائبُ
وكيف ارتجتْ عنـدى بلوغَ إرادةٍ ... وما مالَ منّى فى الغوايةِ جانبُ
لقد «هوّنتْ» صَرفُ الليالى بصيرتى ... وآنسُ شىء بالفؤاد المصائبُ (١)
إذا كنت أستعلِى بنفسٍ عزيزةٍ ... فلا قام أنصارٌ ولا «هبّ» صاحبُ (٢)
وربّ حسودٍ يزدرينى بقلبـه ... إذا رام نُطقاً أخرسَتْهُ المنـاقبُ
تسربل سربالَ الليالى وما درى ... بأنّ مكانى ما مشى فيـه عائبُ
وفارقتُ أخلاقَ الزّمانِ وأهلهِ ... فقـد عجبتْ أنْ لم تَنَلْنى المعايبُ
ومارستُ من أحوالهِمْ ما بطرفهِ ... أشاهـد ما تُفْضِى إليه العواقبُ
إذا لم يكن بالسّيف سعيُك للعُلا ... فلا دان مطلوب ولا ثار طالبُ
وكنتُ إذا حاولت قوماً تـفهّتْ ... حلومُهُمُ حتّى جَفَتْنِى السّحائبُ
كأنّ الرّدى ما حُمّ إلّا لِصَلْوتى ... ولا خُلقتْ إلّا لأجلى العجائبُ

* * *

وقال فى الفخر [والعتاب] :

عَشِقتُ العُلا لا أبتغى بَدَلاً لها ... ولا عوضاً والعاشقون ضروبُ (٣)
فمالِى بغـير المأثُرَات صبابةٌ ... ومالِىَ إلّا المأثراتُ حبيبُ (٤)
وأخطأتُ لمّا أن جعلتك صاحبى ... وذو الحزم يُخطِى مرّةً ويصيبُ
وأنت بعيـدٌ من مكانِ مودّتى ... وإنّ مزاراً بيننا لـقريبُ

---

(١) « هونت » كذا فى الأصل ، ولعلها « هذبت » وقد جاء بهذا المعنى للمرتضى فى آخر هـذا الباب قوله : « ومن لم تهذبه تجارب دهره فما ضره أن لاتكون تجاربه » .
(٢) فى الأصل « دب » فى موضع « هب » محرفة ، فالقيام للأنصار والهبوب للصاحب .
(٣) الضروب : الأشكال . (٤) المأثرات : المكرمات مفردها مأثرة (بضم الثاء وفتحها).

وما هي إلّا زلّةٌ أنا بعـــدها أعوج عليهـــا نادماً فأتوبُ
فيامنْ لعيني كلَّ يومٍ وليلةٍ قذاةٌ بهـــا أو للفؤاد كروبُ
ولولاه ما كانت لدهري جنايةٌ عليَّ ولا منـــه إليّ ذنوبُ
ولا مزّقتْ جلدي الغـــداة أظافرٌ ولا خرّقتْـــهُ للزّمان نيوبُ (١)
أجبْتُك لمّا أن دعوتَ اغترارةً وهيهات أدعى بعـــدها فأجيبُ

* * *

وقال في الحماسة :

تطالبني نفسي بمـــا غيرُهُ الرّضا وأيُّ الرّجالِ نفسُهُ لا تطالبُهْ ؟
وما زلتُ مغلوبَ الهوى وسفاهةٌ على عاقلٍ أنّ الهوى منـــه غالبُهْ
ولم تكُ إلّا في جميلٍ مآربي ومن ذا الذي لا تُستزَلُّ مآربُهْ (٢)
وأعلم أنّ المرء يطويه لَحْدُهُ ومنشورةٌ سقْطاتُه ومعـــايبُهْ
وليس بميْتٍ من مضى لسبيله ولمّا تمُتْ آثاره ومناقبُـــهْ
ومن لم تهذّبْه تجاريب دهره فما ضرّه ألّا تـكون تجاربُهْ
« وأقنع » من خِلّي « بظاهر » ودّه وليس بخلْيٍ ما تضمّ ترائبُهْ (٣)
وإنّيَ ممّنْ إنْ نبا عنـه منزلٌ نبا ونجتْ عنـه عجالاً ركائبُهْ
ولستُ بمستبقٍ صديقاً تجهّمتْ نواحي محيّاهُ أو ازورّ جانبُهْ
ولا عاتبٌ يوماً عليـــه فإنّمـــا صديقُك مَنْ صاحبتَه لا تعاتبُهْ
ولا خيرَ في مولًى يعاطيك بِشْرَه وفي صدره غِلٌّ تدبّ عقاربُهْ
ولا صاحبٌ لي إنْ كشفتُ ضميرَه وددْتُ وِداداً أنني لا أصاحبُهْ

---

(١) النيوب : جمع الناب . (٢) المآرب : المطالب ، مفردها مأربة ومأرب .
(٣) في الأصل : « وأتبع » بدل « وأقنع » و « بعناهر » بدل « بظاهر » تحريف وتصحيف . والترائب : عظام الصدر ، مفردها التريبة .

وفضلُ الفتى ما كان منه «وفضلهُ» ... على مجـــده ، آباؤه ومناسبُهْ (١)
خَلصت ُخلوصَ التبرِ ضوعف سبكُهُ ... وطاحتْ به أقذاؤه وشوائبُهْ (٢)
لِيَ الشاهقاتُ الباسقاتُ من الذُّرا ... وفى مَحتِدِى هاماتُه وغواربُهْ (٣)
وكم طالبٍ لِى فُتُّه وسبقتُهُ ... ولم ينجُ منّى هاربٌ أنا طالبُهْ
وراقبنى كلُّ الرّجالِ بســالةً ... وما فيهمُ مَنْ بتُّ يوماً أُراقبُهْ
وقد عــــلم الأقوام لمّا عرامُهُمْ ... من الدّهر خطبٌ لا تُرَدُّ مخالبُهْ
وضلّتْ وجوه الرّأى عنـه فلم تَبِنْ ... لراكبه بالرّغم أين مذاهبُـــــهْ
بأنِّىَ فيـــه الرّمحُ بل كـنانهِ ... أو السّيفُ لا تنبوعليـه مضاربُهْ
وكم موقفٍ فى نصرهم قمتُ وسْطَه ... وما زال مسدوداً علىَّ مهاربُهْ
وسيلٍ من الموت الزُّؤام حميتُهمْ ... شذاه وقد سالتْ عليهم مذانبُهْ (٤)

---

(١) فى الأصل « وفضله » . (٢) التبر : الذهب ، والأقذاء : الأوساخ جمع القذى .
(٣) المحتد (كمجلس) : الأصل ، والهامات : الرؤوس ، والغوارب الـكواهل ، وفى الأصل « محتد » (٤) المذانب : جمع المذنب وهو مسيل الماء فى الحضيض .

باب الباء المفتوحة

وقال يمدح أباه ويعرّض ببعض أعدائه : (١)

شُدَّ « غُروضَ » المطىَّ مُغتربا ... فـلم يَفُزْ طالبٌ وما دَأَبا (٢)
لا دَرَّ فى النّـاس دَرُّ مقتصدٍ ... يأخذ من رزقه الذى « اُقتربا » (٣)
يترك أن يحمِىَ الذّمارَ إذا ... ضِيمَ ويحمِى اللُّجَيْنَ والذّهبا (٤)
لله « درُّ » الإباء أعــوزه ... فى جانب الذُّلّ عــزُّه فنبا (٥)
وما مقامُ الـكريم فى بـلدٍ ... يُنفق فيـــه الحيـاء والأُدبا
مالِى أرى المَـكرُماتِ عاطــلةً ... والفضلَ خِلْوَ الفِنـــاء مُجتَنَبا
تفرّقٌ دائمٌ فإنْ عرضتْ ... دَنيّـــةٌ طير نحوها عُصَبا
هل لِىَ فى الدّهر من أخى ثقةٍ ... يحتقرُ الحـادثاتِ والنُّوَبا
ممتعضِ الأنفِ إنْ أهَبْتَ به ... شَنَنْتَ فى صحنِ وجههِ الغَضَبا (٦)
ربّ مقـــامٍ دَحْضٍ ثبتُّ به ... ولو خَطـــاه غيرُ الجواد كَبا (٧)
وساعةٍ للعيوب كاسيـــةٍ ... نفضتْ فيهـا من بُرْدِىَ الرِّيَبا (٨)
وحالكِ الجانبين مُلتبَسٍ ... أطلعتُ فيـــه كواكباً شُهُبا
وأزْمـــةٍ للّحوم عارقةٍ ... عقرتْ فى عُقرِ دارها السَّغَبا (٩)

---

(١) أورد الثعالبي فى تتمة اليتيمة بضعة أبيات من هذه القصيدة فلتراجع « ج ١ ص ٥٦ ط . طهران » . (٢) الغروض : جمع الغرض (بفتح الغين وتسكين الراء) وهو حزام الرحل وفى (هـ) « عروض » بالعين مصحفة . (٣) فى تتمة اليتيمة « قربا » .
(٤) اللجين : الفضة . (٥) أعوزه : تعذر عليه ، ونبا : جفا .
(٦) المتمعض : الغاضب ، وممتعض الأنف كناية عن الأنفة والإباء . (٧) الدحض: الزلق.
(٨) الريب : الشكوك . (٩) الأزمة : الشدة والضيق ، وعرق العظم : أزال ما عليه من اللحم ، وعقر الدار : ساحتها ، والسغب : الجوع .

ومُقْتِرٍ برّح الزّمانُ بـه   سبقتُ فيـه إلى اللُّها الطّلَبا (١)

وصاحبٍ يمترِى النّوافلَ فى   ودّى ولم يقتضِنِى الّذى وجبا (٢)

يرضَى بسُخطِى على الزّمان فإنْ   رضيتُ يوماً عن صرفه غَضِبا

كأنّما الضِّغنُ بين أضلُعِهِ   يُضرم ناراً إذا أقول خبا

لَا يَنْتُهُ كى يرى الجميلَ ولَمْ   أنحَتْ بكفّى من عودِه النَّجَبا (٣)

وكنتُ إمّا مثقفاً خَطَلاً   منــه وإمّا مداوياً جَرَبا

وكم سقانى الطَّرْقَ الأُجاج فجـازيتُ   زُلالاً تخاله ضَرَبا (٤)

لا تعظنِى بالزّمان معرفـةٌ   قد ضاق بِى مرّةً وقد رَحُبا

أىُّ خطوبٍ لم تَشفِنِى عِظَةً   وأىُّ دهرٍ لم أفنِـه عَجَبا ؟!

ساعاتُ لهوٍ تمرّ مسرعـةً   عنّا وتُبقى العنـاء والتَّعَبا

لا تطمعُ النّفسُ أنْ تمتّعَ بالـآتى   ولا تستردَّ ما ذهبا

وكلّ حىٍّ منّا يجاذب حَبْـلَ العمرِ   أيّامَه لو انجذبا

وكيف يرجو الحياةَ مقتنصٌ   يُغرم منها ضِعفَ الذى كسبا ؟!

إنِّىَ من معشرٍ إذا نُسِبوا   طـابوا فروعاً وأنجبو حَسَبا

لا يجـد الذمّ فى حريمهمُ   مسعًى ولا العـائبون مُضطرَبا

إذا رضـوا أوسعوا الورى نعمـاً   أو سَخِطوا أوسعوهمُ نُوَبـا

أو ركبوا الهولَ قال قائلهم :   أكرمُنـا من حيـاتَه وهبـا

---

(١) المقتر : المعسر والفقير ، واللها (بالضم) : جمع اللهوة . وهى العطية (وبالفتح) جمع اللهاة وهى اللحمة المشرفة على البلعوم وتطلق على الفم مجازاً .

(٢) يمترى : أى يستأدى ويستخرج ، من مرى الناقة أى مسح ضرعها لتدر اللبن والنوافل جمع النافلة وهى هنا ماخرج عما تستوجبه الصداقة من الحقوق فهى زيادة على الفريضة والواجب فى ذلك . (٣) النجب : لحاء الشجر . (٤) الطرق : الماء الذى خاضت فيه الإبل وبالت وبعرت ، والأجاج : الملح المر ، والضرب : العسل .

كلّ جرىءِ الجَنان إنْ هتفتْ يوماً به حومةُ الوغى وثبا (١)
ومدّ فيها ذراعَ قَسْوَرَةٍ تردّ صدرَ القناة مُختضَبا (٢)
إلى متى أحمل الهموم ولا أُلقى مدَى الدّهر بالغاً أرَبا ؟
تَزْوَرُّ عنّى الحقوق معرضةً متى أرُمْهنّ فُتْننى هَرَبا
نهضاً إليها إمّا علوتُ لها دَفّىْ ركوبٍ أو مركبا حَدِبا
إنْ لم أثِرْها مثل القطا الكُدْرىّ لا تعرف إلاّ الرّسيمَ والخَببا (٣)
تنصاع مثلَ النّعام جافلةً تترك أقصى مُرادها كَثِبا (٤)
فلا دعوت « الحسين » يُحرز لى حُرَّ المعالى يومَ الفخار أبا
قرْمٌ إذا حفّت الخطوبُ به نَزّعْن عن آخذٍ لها أُهَبا (٥)
مجتمع الرّأى ينهنّ وكمْ شعبن آراء غيره شُعَبا (٦)
يأبى وتأبى له حفيظتُهُ « يركب أمراً إلاّ إذا صَعُبا » (٧)
أو يبتغى فى نجاح حاجته إلاّ ظُبا البيض والقنا سَبَبا
وكم له من غريب مأثُرَةٍ تُعجب من ليس يألف العجبا
يكون قولُ الذى تأمّلها : ليس المعالى ونيلُها لَعِبا
مكارمٌ لاتزال غالبةً على محلّ الفخار من غَلَبا
لايرهب الواصف البليغ وإنْ أفرط فيها عيباً ولا كَذِبا
وأنت فى كلّ يومِ معركةٍ تُمطِر من سُحب نقعها العَطَبا (٨)
إمّا جبيناً بالتّرب منعفراً أوْ وَدَجاً بالنَّجيع مُنسكبا (٩)

(١) الجنان (بالفتح) القلب ، وحومة الوغى : محل القتال . (٢) القسورة : الأسد .
(٣) الكدرى : ضرب من القطا . (٤) تنصاع : تتفرق ، والكثب : القريب .
(٥) القرم : الشجاع ، والأهب: جمع الأهبة وأهبة الحرب عدتها . (٦) شعبن : صدعن.
(٧) الحفيظة . الحمية وكان يستطيع أن يقول « ركوب أمر إلا إذا صعبا » الا أن تركيبه مألوف عندهم (م . ج) » . (٨) النقع : غبار الحرب ، والعطب : الهلاك . (٩) الودج (بفتحتين) عرق فى المنحر وهما ودجان ، والنجيع الدم ، وقيل دم الجوف خاصة .

أوْ لِمَّةٌ نشَّرَتْ غدائرُها   على نواحِي قناتِها عَذَبا [1]
لولاكَ كانت جدّاء حائلةً   تُمسحُ أخلافُها ولا حَلَبا [2]
ومن عجيب الزّمان أن يدّعى   شأوَكَ فَسْلٌ لم يعدُ أن كَذِبا [3]
لم يدر والجهلُ من سجيّتِهِ   أنّكَ أحرزتَ قبله القَصَبا
وأنّه لايكون رأساً على الأ   قوامِ من كان فيهم ذَنَبا
ووصمةٌ فى الرّجال أن يطأوا   عَقْبَ امرىء كان بينهم عَقِبا
أو يتبعوا ساعةً من الدّهرِ من   كان لمن شئتَ تابعاً حَقِبا [4]
وإنْ جرَوْا كنتَ أنتَ غُرّتَهم   سَبْقاً وكان الحِزامَ واللَّبَبا [5]
وقد درى كلُّ مَن له بصَرٌ   أنّكَ سُدتَ «العجيم» والعَرَبا [6]
[و] قُدتَهمْ ناشئاً ومنتهياً   ونُبْتَ عنهم تكهّلاً وصِبا
وإنْ دَجَوْا كنت فيهِمُ قبساً   أو خمدوا كنتَ فيهِمُ لَهَبا [7]
وإن علا بينهم تشاجُرهمْ   سللت للقولِ مِقْوَلاً ذَرِبا [8]
يأتى بفصلٍ من الخطاب لهمْ   يقطع ذاكَ اللَّجاجَ واللّجَبا
كَلَهْذَمِ الرّمح عند طعنته   والسّهمِ أصْمَى والسّيف إن ضربا [9]
وكنت فيهم ممّن «يحاولهمْ»   حِصناً حصيناً ومَعْقِلاً أشِبا [10]

* * *

(١) اللمة (بكسر اللام) : الشعر المجاوز شحمة الأذن فإذا بلغ المنكبين فهى جمة (بالضم)، والغدائر : خصل الشعر ، والعذب (بفتحتين) جمع العذبة وهى طرف الشىء كعذبة العمامة وغيرها.
(٢) جداء . ليس فى ضرعها لبن ، والحائلة : المتغيرة ، والاخلاف جمع الخلف (بالكسر) وهو . الضرع.   (٣) الشأو : الغاية ، والفسل: الرذيل لامروءة له .
(٤) الحقب : المؤخر أو الردف كالحقيبة   (٥) اللبب (بالفتح) . سير يشد فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل .   (٦) فى «س» الأعجام .   (٧) دجوا : أظلموا ، والقبس : الشعلة .   (٨) المقول (كمنجل): اللسان ، والذرب : الفصيح.   (٩) اللهذم: الماضى من السيوف أو الأسنة .   (١٠) فى «هـ» ممن يجاولهم « بالجيم ، وما أثبتناه هو الراجح ، والأشب: الوعر أو المحصن .

وقال يتشوق نجداً :

«أُحِبُّ ثرى نجدٍ» ونجدٌ بعيدةٌ ألا حبّذا نجدٌ وإن لم «تفِدْ» قُربا [1]

يقولون نجدٌ لستَ من شعب أهلها ـ وقد صدقوا ـ لكنّنى منهمُ حُبّا

كأنّى وقد فارقتُ نجداً شقاوةً فتًى ضلّ عنه قلبه «يبتغى قلبا» [2]

* * *

وقال فى معنى عرضه له «وهى من أوائل قوله» :

أما آن للسّلوان أن يردع الصّبّا ولا لدنوّ الهجر أن يُبعد الحبّا

لقد أنكر الدّهر العثور صبابتى وقد كان ألقىْ مهجتى للهوى خزبا

ولمّا وقفنا للوداع انتضتْ لنا يدُ البين بدراً مزّقت دونه السُّحْبا [3]

فأبصرتُ عرساً بين بُرديه مأتمٌ وأوليت برًّا عاد «غند النّوى» ذنبا [4]

وقد كنت أخشى وثبة الدّهر بيننا ونحن من الإشفاق نتوعر العَتْبا

فكيف وقد خاض الوشاة حديثنا وأضحَوْا لنا من دون «أترابنا» صَحبا [5]

سقى الله أكنافَ اللوى «مُرَجّجِنَةً» سحاباً يظلّ «الهضبُ من جوده خَضْبا» [6]

وأطلق أنفاس «النّسيم» بجوّه فكم كَبِدٍ حرّى تَهَشُّ إذا هبّ [7]

فعهدى به لا يهتدى البين طرْقَه ولا تطرق الأحزانُ من أهله قلبا

حَمَتْهُ اللّيالى عن مطالبة الرّدى ولم أدرِ أنّ الدّهر يجعله نَهْبا

---

(١) فى (س) «أحب إلى نجد» لعلها محرفة عن «أحن إلى نجد» وفى تتمة اليتيمة «ج ٢ ص ٧٤» كما أثبتناه عن نسخة «ه»، وفى «ه» «تكن» وفى «ش» «يكن» بدل «تفد». (٢) فى التتمة «ينشد القلبا». (٣) انتضت: استخرجت. (٤) فى «ه» «عنك النأى» وفى (س) «يوم النوى» وفى (ش) «عنك لنا» وما وضعناه الصحيح. (٥) فى (ه) «اسوتنا» بدل «اترابنا» وفى (ش) «اسرتنا». (٦) مرجحنة: ثقيلة، وفى (ه) «من علة» محرفة عن مرجحنة، والخضب: الخضر، وفى «ه» «الهضم من جوده هضبا» محرفة: وفى (س) «من دونه خصبا» وفى (ش) مثلها. (٧) فى (س) «الخزامى» بدلى «النسيم» وهو نبت طيب الرائحة.

ومن ذا الّذى لا يفتق الدّهر رَتْقَه ... ولا تُنزل الدنيا بساحته خَطْبا ؟!
بربِّك يامزجى المطيّة هل رعتْ ... رِكابُك فى سفح الحِمى ذلك الرَّطْبا[1] ؟
وهل كَرِعَتْ من ذلك الحىّ كَرعةً ... فقد طالما شرّدتَ عنّى به كَرْبا ؟
وهل لعبت أيدى السيول بحَزْنه ... وهل «سَفَت الأرواحُ» من سهله التُّربا[2] ؟
غرامى بأهل الجِزْع منك بنجوةٍ ... ولو جُزته أعيا الرّكائب والرَّكْبا[3]
شربتُ خليطَ الودّ منهم ومَحْضَه ... فلستُ أبالى إن سقوا غيرىَ الضَّرْبا[4]
وفيهنّ بيضاء العوارض لم تلُثْ ... خِماراً ولم تعرف منا كبُها العَصْبا[5]
أحبُّ هواها من سَرارةِ مهجتى ... حمًى لو حَمَتْه همّتى لم أكن صبّا[6]
فإنْ تكن الأيّام «أمْحَلْنَ» وصْلَنا ... فإنّ بقلبى من تذكّرها خِصْبا[7]
عذيرىَ من مُستَعذِبٍ صابَ بِغْضَتى ... «وقد وردت» خيلُ الصَّرَى منهلاً عَذْبا[8]
«تحكّمَ» منه الضِّغنُ لمّا رعيته ... رياضَ حلومٍ لم يكن نبتها عُشْبا[9]
كأنّ الليالى كافلاتٌ بعمره ... فإن قلت قد شابت ذوائبُه شبّا
إلى كم أغضّ الطّرف منه على القذى ... وأهنأُ من حلمى قلائصَه الجرْبى[10]
وهبْتُ له صبرى على هَفَواته ... ولولا عطائى ما تملّكها كسبا

---

(1) المزجى: السائق. (2) فى (س) «سفت الأرواح» وفى (هـ) «سبت الأدواح»، والحزن من الأرض: ضد السهل. (3) الجزع (بالكسر) منعطف الوادى، وموضع، والنجوة: كالربوة زنة ومعنى. (4) الضرب: العسل. (5) العوارض: الأسنان فى مقدمة الفم. (6) سرارة الشىء: خالصه. (7) فى (هـ) «اعلن» محرفة عن أمحلن.

(8) صابه: أعطاه الصاب وهو عصارة شجر مر، والبغضة (بالكسر): أشد البغض، والمعنى فى البيت، أنه أضمر وأخفى بغضه، وصاب أيضا لغة فى أصاب، وفى (هـ، ش) فى موضع «وردت» «ودعان» محرفة، والصرى (بالفتح والكسر مع القصر): الماء يطول مكثه.

(9) فى النسخ «تحلم» محرفة عما أثبتناه، والضغن (بالكسر): الحقد. (10) هنأ: طلى بالهناء وهو القطران، والقلائص: جمع القلوص وهى الناقة الشابة.

وأُقسم أنّى لو مددتُ له يدى ... لطال على حَوْباءةٍ تسكن الجنبا[1]

أيا حاسدى كسب العُلا اكتسب العُلا ... فإنّ المعالى ليس تأخذها غصبا

ركبتُ له والخيالُ « منك » بريثة ... وأخصبَ فى رَبْعِى وكنتَ له جَدْبا[2]

وقلّبتُ أطراف القنا فى طِرادِه ... وقلبُك فى شُغلٍ بتقليبها القُلْبا[3]

إذا المرء لم تستصحب الحزمَ نفسُهُ ... أقامت « سجاياه » على نفسه إلْبا[4]

وليس ينال المجد إلّا ابن همّةٍ ... أبَتْ أنْ يكون الصّعبُ فى نفسه صعبا

وكم لائمٍ فى المجد لا نصحَ عنده ... جعلتُ جوابى عن ملامته تبّا

يلوم على أنّى أحنّ إلى النّدى ... وليس لمن عابَ النّدى عندِىَ العُتبى[5]

وما المال إلّا ما سبقت به ردًى ... فأعطيته أو ما شفيت به صبّا

وعندى لمن رام ابتلائِىَ همّةٌ ... ترى بُعْدَ طُرْقِ المَكْرُماتِ هو القربا

« مُهذَّمَةٌ » لا يخطب الهزلَ جِدُّها ... ولا تملأ الرّوعاتُ ساحتَها رُعبا[6]

لها شفرة لا يَكْهَمُ الدّهرُ غربَها ... ولن تتركَ الأيامُ فى شفرةٍ غَرْبا[7]

وليلٍ كأنّ البدرَ فى جَنَباته ... أخو خَفَرٍ يُدْنِى إلى وجهه سِبّا[8]

خرقتُ حواشيه بخرقاءَ جَسْرةٍ ... ترى الصّدق فى عينيك ما وجدتْ كِذْبا[9]

مسهّدةٌ لا يطعمُ النومَ جَفنُها ... ولا تبلغُ الغاياتِ من صبرها العُقبى

إذا ما استمرتْ فى « الشّكيم تلوكه » ... كسا مشفراها عاريات الرُّبا عُطْبا[10]

---

(١) الحوباء : النفس. (٢) فى (ش) « منه » فى موضع « منك ». (٣) القنا : الرماح ، والقلب (بضم القاف وتسكين اللام) : من الاسورة ما كان قلداً واحداً اى مفتولا من طاق واحد لا من طاقين . يعنى أن قيه كان مشغولا بامرأة تقلب القلب ، ويجوز أن يكون الاصل « بتقليبه القلبا » . (٤) فى (هـ) (شجاياه) ، والإلبا : جمعا . (٥) العتبى : الرضا.

(٦) المهذمة من السيوف : القاطعة ، وفى (هـ) (مهزمة) بالزاى مصحفة وفى (ش) (مهزهة) محرفة . (٧) كهم السيف : كل ولم يقطع فهو كهام كغمام ، والغرب من السيف : حده .

(٨) الخفر (محركة) : الحياء ، والسب (بالكسر) : الثوب الرقيق . (٩) الخرقاء : الحمقاء ، والجسرة : الناقة القوية . (١٠) الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، وفى النسخ « الرسيم » وفى (س) « تلوله » بدل « تلوكه » ، والعطب : اسم جنس للعطبة وهى القطعة من القطن ، شبه ما يخرج من فم الناقة الذى هو الزبد (بالفتح) أو اللغام بالقطن ، على أن الشكيم للفرس لا للناقة .

أقول إذا أفنى الدءوب تجـمّدى ... ألا ربّ تصديع ملـكت به الشّعبا [1]

ولا بدّ لى من نهضـة فى لبـانة ... أميتُ القنـا فيها وأُحيِي به النّحْبا [2]

فإن أبلغ القُصوى ، فشيمةُ ماجـد ... وإن تنبُ أسيافى فلن أدع الضّربا [3]

* * *

وقال عند قدوم بعض أصحابه من سفر طويل :

ياسقىْ الله « ليلتى » ليـلة السّبْـ ... ـت زُلالاً لا بل سقاها شرابا [4]

ليلةٌ قرّبت بعيـداً وأعطتْ ... مُتَمَنًّى وأقـدمتْ غُيّـابا

وارتجعنـا زماننـا وكأنّا ... بعد شيب منّا ارتجعنا الشّبابا

* * *

وقال وقد سأله الوزير أبو على الحسن بن « حمد » [5] عمل قصيدة عنه يذكر فيها الملك السعيد بهاء الدولة « بحقوق » [6] دولته ويتبرأ إليه من قروف أعدائه :

إياباً أيهـا المولىْ إيابا ... فعبدٌ إنْ أساء فقد أنابا [7]

أطاعك والشّبـابُ له رداء ... فكيف تراه إذ خلع الشّبابا ؟

وكان على الهُدى حَدَثاً فأنّىْ ... تظنّ به الضّلالة حين شابا ؟

أبَعْدَ نصيحة فى الغيب غِشّ ؟ ... أحَوْراً بعد كَوْر وانقلابا ؟ [8]

ألا قل للأُلىْ زمّوا المطـايا ... وعالوها الهوادجَ والقِبابا [9]

وقادوا الخيـل عارية الهوادِى ... وماأوْكَوْا من العَجَلِ العِيابا : [10]

---

(١) الدءوب (بضم الدال) : التعب . (٢) اللبانة : الحاجة يريد الإنسان قضاءها .

(٣) نبا السيف : كل ولم يعمل فى الضريبة .

(٤) فى (ه ، س) « ليلتى » ساقطة . (٥) فى (ه) بعد « حمد » (أدام الله علوه).

(٦) بعد « بحقوق» وفوقها بقليل فى (ه) لفظة (بخدمته) كأنها تصحيح لها . (٧) أناب : رجع . (٨) الحور : الرجوع والنقصان بعد الزيادة ، والكور : الزيادة .

(٩) زموا : شدوا الأزمة . (١٠) الهوادى من الخيل : أعناقها ، وأوكوا العياب: شدوا على رأسها بالوكاء ، وهو حبل تشد به القربة وغيرها ، والعياب : جمع العيبة وهى وعاء فى جلد يوضع فيه المتاع كالجراب .

خذوا منّا التحيّة واقرءوها — وإن لم تسمعوا عنها جوابا
على ملكٍ تنزّه أن يحابى — وأغنته المحامد أن يُحابى[1]
ولمّا أن تحجّب بالمعالى ، — على أعدائه رفع الحجابا
وقولوا للّذين رضوا زماناً — فردّهم الوشاةُ بنا غضابا
عدتنا عن دياركم العوادى — وراب من « الزّيارة » ما أرابا
فلا جوٌّ نَشيم به بروقاً — ولا أرضٌ نشمّ لها ترابا[2]
وما كنّا نخاف وإن جنينا — بأنّ الهجر كان لنا عقابا
أقيلونا الذّنوب فإنّ فيكُمْ — وعندكُمُ لجرمكُمْ متابا
ولا تستبدعوا خطأ الموالى — فإنّ العبد يُبدع إنْ أصابا
بعُدنا عنكُمُ ولنا أعادٍ — يزيدهُمُ تباعدنا اقترابا
فَرَوْنا بالشّفار فما أكلّوا — لهم فى فَرْينا ظُفراً ونابا[3]
وكنّا إذ أمنّاهُمْ علينا — رُعاةَ البَهْم إذْ أمنوا الذّئابا[4]
أيا ملك الملوك أصخْ لقولى — أُجلّكَ أن يكون لكُمْ عتابا
« تُسكّنُنِى » المهابةُ عنه طوراً — ويؤمننى وفاؤك أن أهابا[5]
ولولا أنّ حلمَك عِدْلُ رَضْوى — فَرَقْتُكَ أن أُراجعك الخطابا[6]
خدمتك حين أسلمك «الأدانى» — وخلّى الجارُ نُصرتنا وهابا[7]
وكنتُ أخوض فيما ترتضيه — على الأعداء أيّاماً صعابا
أخاف الموت قدّاماً وخلفاً — وأرقُبُه مجيئاً أو ذهابا

---

(١) يحابى : يدارى . (٢) نشيم : نرى . (٣) الفرى : الشق .
(٤) البهم : البهائم . (٥) فى « هـ » « تشكينى » مصحفة . (٦) رضوى : اسم جبل ، وفرقتك : خفتك . (٧) فى (س) « الأوالى » بدل « الأدانى » .

وأكرع من عدوّك كلّ يوم ... وما استسقيته صَبراً وصابا (١)
وكم جذب السُّعاة عليك ضَبْعِي ... فما أوسعتَهم إلاّ جِذابا (٢)
ألا لا تغبنَنّ الحلمَ رأياً ... صواباً فى امرىء غَبِنَ الصّوابا
وقلْ للمجلبين علىّ مهلاً ... فقد أدركتُمُ فيه الطِّلابا (٣)
أسُخطاً بعد سُخطٍ وازوراراً ... ونأياً بعد نأيٍ واجتنابا ؟!
وأنتَ أريتنا فى كلّ باغٍ ... غفرتَ ذنوبه العَجَبَ العُجابا
فما لِى لا تُسوّينِي بقومٍ ... رَقَوْا فى كيد دولتك الهضابا ؟!
ودرّوا بعد ما رشحوا فأضحَوا ... وقد ملأوا من الشّرِّ الجرابا
هنيئاً ياملوكَ بنى بويهٍ ... بأنّ بهاءكُمْ ملك الرّقابا
وحاز الملكَ لا إرثاً ولكنْ ... بحدّ السيف قسْرًا واغتصابا
ولمّا أن عوى بالسيف كلبٌ ... وجرّ إلى ضلالته كلابا
وظنّك لاهياً عنه ويُرمى ... قديماً بالغباوة من تغابى
رأى ليناً عليه فظنّ خيراً ... ويلقَى اللّينَ منْ لمس الحُبابا (٤)
دَلفتَ إليه فى عُصَب المنايا ... إذا « أمّوا » طعاناً أو ضرابا (٥)
وجوهاً فى ندًى تُلْفَى رِقاقاً ... وعند ردًى تلاقيها صِلابا
وأبصرها على « الأهواز » شُعثاً ... تخال بهنّ من كَلَبٍ ذُآبا (٦)
عليها كلّ أروعَ شمّريٍّ ... يهاب من الحميّة أن يَهابا (٧)

---

(١) الصاب : عصارة شجر مر . (٢) الضبع : العضد ، وجذابا : بعداً . (٣) المجلب : المتوعد بالشر ، والجلبة (بالفتح والتحريك) الأصوات المختلفة كاللغط . (٤) الحباب (بالضم) الحية . (٥) فى بعض النسخ «هموا» (٦) الشعث : جمع الأشعث وهو مغبر الرأس ، «والذآب أشبه بأن يكون مصدر ذئب يذأب إذا صار كالذئب دهاء وافتراسا . (م . ج) » .
(٧) الأروع : الشهم .

«فولّى» فى رهيطٍ كان «دهراً» يمنّيهم فأوردهم شرابا (١)
وتحسبهم وقد زحفوا ليوثاً فلمّا «أجفلوا» حسبوا ذئابا (٢)
أعدّهمُ له صحباً فكانوا هنالك فى منيّته صِحابا (٣)
فأصبح لايرٰى إلاّ ابتساماً وأمسٰى لايرٰى إلاّ انتحابا
وبات معلقعاً فى رأس جذعٍ إهاباً لو تركتَ له إهابا (٤)
وحلّق شاحب الأوصال حتّى عُقابُ «الجوّ» تحسَبُه عُقابا (٥)
تعافُ الطّير جيفتَه وتأبىٰ عراقتَه وإن كانت «سِغابا» (٦)
وما تركَ انتقامُك فيه لمّا سطوتَ به طعاماً أو شرابا
فدُم ياتاج ملك بنى بُويهٍ تخطّاك المقادِرُ أن تُصابا
ولا ملك الأنام سواك مولًى ولا قصدوا سوى نعماك بابا
«وضلّتْ» نائبات الدّهر جمعاً شِعابَك أن تلمّ بها شِعابا (٧)
وطابت لى حياتك ثمّ طالتْ فخير العيش ما إن طال طابا (٨)

* * *

وقال «أدام الله علوه» وقد كاتبه الوزير أبو على «أدام الله تأييده» من واسط بخبر الأمير أبى الغنائم (رحمه الله) ارتجالا وبعث بها إليه:

إذا لم تستطعْ للرزء دَفْعاً فصبراً للرزّية واحتسابا

---

(١) فى (س) «نولى» بدل «فولى»، و «حيناً» بدل «دهراً».
(٢) فى (س) «أخلفوا» بدل «أجفلوا» وأجفلوا: هربوا مسرعين. (٣) يريد أنهم تعاونوا على هلاكه بعد أن كانوا له أصحاباً. (٤) الإهاب: الجلد. (٥) الشاحب: المتغير اللون، والأوصال: الأعضاء. وفى (هـ) «الحق» بدل «الجو» محرفة. والعقاب: من الطيور الجوارح. (٦) تعاف: تتحامى وتكره. وعراقته: أكله، من عرق العظم وتعرقه إذا أزال ما عليه من اللحم، وسغابا: جياعاً. (٧) فى (ش) «ظلت» بدل «ضلت» محرفة. (٨) هذا البيت غير موجود فى نسخة (ش).

فما نال المنى في العيش إلاّ غبيّ القوم أو فطنٌ تغابى
هيَ الدّنيا نغرّ بها خدوعاً ونوردُها على ظمأٍ سرابا
وهذا الدّهر يُصبح ثمّ يُمسى يقود إلى الرّدى منّا صِعابا
وهل أحياؤنا إلاّ ترابٌ بظهر الأرض ينتظر التّرابا
صدعتَ بما كتبتَ صميمَ قلبى على عجلٍ فلم أطقِ الجوابا
فلو أنّى استطعت حملت وحدى ولم أهب الأذى عنك المصابا
وغيرك من نعلّمه التعزّى ونُذكره ـ وقد ذهل ـ الثّوابا
فلو حابى الزّمان سواك خَلْقاً لكان سبيل مثلك أن يُحابى

* * *

وقال في الغزل :

على شجر الأراكِ بكيتُ لمّا مررتُ به فجاودتُ السّحابا (١)
وكم ناديت فيه من حبيبٍ عهدتُ به فلم أسمع جوابا
فواهاً للأراك مقيلَ صبٍّ فقدتُ به الأحبّة والشّبابا (٢)
وأكنافاً لغانيةٍ رحاباً وأفناناً لناعمةٍ رطابا (٣)
وسقياً للأراك مساء يوم نزلتُ به فطبت له وطابا

* * *

وقال في غرضه :

إذا ساءلتَني فخذ الجوابا فكم فتح الكلام عليّ بابا
عتبتَ وما اجترمتُ إليك جُرماً فأحملُ فيه منك ليَ العتابا

---

(١) الأراك : شجر طويل تتخذ من فروعه وعروقه المساويك . (٢) المقيل : موضع القيلولة وهو النزول للاستراحة ظهراً . (٣) الأكناف : النواحى ، والأفنان : جمع فنن ، وهو الغصن ، ويقصد بها هنا الأصابع .

وما كنتُ استربتُ وإنْ أرتنى — صروف الدّهر عندك ما أرابا
فجئت وقد تخذتك لى خليلاً — بجرمى أو حرمت بك الصّوابا
ولو أنّى قطعتك لم أعنّفْ — ولم أقرع لقربى منك نابا
ولمّا أن ظمئت إليك يوماً — وردتُ ولم أردْ إلّا السّرابا
فإنْ تشحط فما أهوى اقتراباً — وإنْ ترحل فما أرجو « إيابا »(1)
ولستَ بمُبصرٍ منّى رسولاً — ولستَ بقارئٍ عنّى كتابا
ألا قبح الإلـهُ وجوه قومٍ — أذلّوا فى طلابهمُ الرّقابا (2)
أراقوا من وجوههم حياءً — وما أخذوا به إلّا ترابا
وهمْ من لؤمهم فى قعر وهدٍ — وإن رفعوا بدورهم القبابا
ومن يك عارياً من كلّ خيرٍ — فما يغنيه أن لبس الثيابا

***

وقال فى غرضه أيضاً :

فى كلّ يومٍ أرى عجيباً — جرّ على مفرقى المشيبا
ومن خطوبٍ يزنّ قلبى — شبتُ وما آن أن أشيبا
أرى بغيضاً إذا تمنّتْ — عيناىَ أن تُبصر الحبيبا
مالىَ ياقومُ والليالى — يغمزْن لى عودىَ الصّليبا
يُرحلننى عن قرا « أمونٍ » — أردت وحدى لها الرّكوبا (3)
ولم أعفْ سلمها فلم ذى — تشبّ ما بيننا الحروبا ؟!
وكلّما تُبن من ذنوبٍ — إلىّ جدّدنها ذنوبا

(1) فى (س) « جوابا » بدل « إيابا » محرفة .
(2) قبحه الله : نحاه عن الخير فهو مقبوح .
(3) فى الأصل « أمور » محرفة عن « أمون » وهى الناقة المأمونة العثار .

كأنني مخطئٌ بشيء ما كنتُ إلاّ به مصيبا

***

وقال يرثي الحسين عليه السلام في عاشوراء سنة ٤٢٩ هـ :[1]

من عذيري من سَقامٍ لم أجدْ منهُ طبيبا
وهمومٍ كأُوارِ النّار يسكنّ القلوبا
وكروبٍ ليتهنّ اليومَ أشبهْنَ الكروبا
وخطوبٍ مُعضلاتٍ بتن يُنسين الخُطوبا
شيّبتْ منّيَ فَوْدَيَّ ولم آتِ المشيبا[2]
ورمتْ في غصنيَ اليَبْسَ وقد كان رطيبا
بانَ عنّي وتناءىٰ كلّ من كان قريبا
وتعرّيت من الأحباب في الدّنيا عُزوبا[3]
وسقاني الدّهرُ من فرقةِ مَن أهوى ذَنوبا[4]
* إنّ يومَ الطفّ يومٌ كان للدّين عصيبا[5]
* لم يدعْ في القلب منّي للمسرّاتِ نصيبا
إنّه يومُ نحيبٍ فالتزمْ فيه النّحيبا
عُطَّ تامورَكَ واتركْ معشراً عطّوا الجيوبا[6]
واهجر الطيب فلم يتركْ لنا عاشور طيبا
* لعن الله رجالاً أترعوا الدّنيا غُصوبا[7]

---

(١) أورد ابن شهرآشوب في المناقب « ج ٤ ص ١٠٣ » خمسة أبيات من هذه القصيدة ، وقد أشرنا هنا على الأبيات المذكورة بعلامة (*) . (٢) الفود : ناحية الرأس مما يلي الأذن .
(٣) العزوب : الاعتزال . (٤) الذنوب (بالفتح) : الدلو الكبير . (٥) العصيب : الشديد المؤلم . (٦) عط : شق ، والتامور : غشاء القلب . (٧) أترعوا : ملأوا ، والغصوب : الظلم .

* سالموا عجزاً فلمّا قدروا شنّوا الحروبا
في المعرّات يهبّون شمالاً وجنوبا [1]
كلّما ليموا على عيبهمُ ازدادوا عيوبا
ركبوا أعوادنا ظلماً وما زلنا ركوبا
ودعونا فرأوا منّا على البُعد مجيبا
يقطع الحزْن ويطوي في الدّياجير السُّهوبا [2]
بمطيّ لا يبالين على الأيْن الدُّءوبا [3]
لا ولا ذُقنَ على البعد كلالاً ولُغوبا [4]
وخيول كرئال الدوّ يهززن السَّبيبا [5]
فأتونا بجموع خالها الراءون رُوبا [6]
بوجوه بعد إسفار تبرقعن العُطوبا [7]
فنشبْنا فيهم كرْهاً وما نهوى النُّشوبا [8]
بقلوب ليس يعرفن خفوقاً ووجيبا
ولقد كان طويلُ الباع طعّاناً ضروبا
بالظُّبا ثم القنا يَفْرى وريداً وتريبا [9]
لا يرى والحربُ تُغلى قدرُها منها هُروبا

(١) المعرات : الآثام . (٢) الحزن من الأرض : ضد السهل ، والدياجير : الظلمات ، مفردها الديجور ، والسهوب : جمع السهب وهى الفلاة. (٣) الأين: التعب ، والدءوب: السعى . (٤) الكلال : الملل ، واللغوب: التعب . (٥) الرئال : جمع الرأل ، وهو فرخ النعام ، والدو : المفازة ، والسبيب : شعر عرف الفرس أو أذنبه . (٦) الروب : القطع من الليل ، مفردها الروبة . (٧) العطوب: الهلاك . (٨) النشوب : التعلق .
(٩) يفرى : يشق . والتريب والتريبة : عظام الصدر .

فجرى منّا ومنهم عَنْدَمُ الطّعن صبيبا [1]
وصَلينا من حريق الطّعن والضّرب لهيبا
كان مرعانا خصيباً فبهمْ عادَ جَديبا
لم نكنْ نألف لولا جورُهم فينا خُطوبا
لا ولا تُبصر عينٌ فى ضواحينا نُدوبا [2]
طلبوا أوْتار « بَدْرٍ » عندنا ظُلماً وحُوبا [3]
ورأوا فى ساحة الطّف وقد فات القليبا [4]
قد رأيتمْ فأرونا منكُمُ فرداً نجيبا
أو تقيّاً لا يُرائى بتقاهُ أو لبيبا
كلّما كنّا رُءوساً للورى كنتم عُجوبا [5]
ما رأينا منكم بالحقّ إلّا مُستريبا
وصدوقاً فإذا فتّشته كان كَذوبا
وخليعاً خالياً عنْ مَطمعِ الخير عَزوبا [6]
وبعيداً بتخازيهِ وإن كان نسيبا
ليت عُوداً من غَشومٍ حقّنا كان صليبا

(١) العندم: حصارة صمغية حمراء وتسمى لدى العطارين « دم الأخوين » ويطلق العندم على البقم (بضم الباء وتشديد القاف المفتوحة) وهو خشب ذو صبغة حمراء .
(٢) الندوب : جمع الندب (بفتحتين) وهو أثر الجراح . (٣) الأوتار : جمع الوتر (بكسر الواو) وهو الثأر ، وبدر : اسم بئر بها سميت واقعة بدر الكبرى المعروفة فى الإسلام ، والحوب : الكذب والبهتان . (٤) القليب : البئر ويقصد بها هنا قليب بدر السالف ذكرها . (٥) العجوب : جمع العجب وهو العقب أو العجز .
(٦) الخليع : المستهتر (بفتح التاءين) غير المبالى ، والعزوب : البعيد .

وبودّى أنّ منْ يأْ صِلُنا كان ضريبا (١)

فى غـدٍ ينضُبُ تيّا رُ لـكم فينا نُضوبا (٢)

ويقىءُ البـاردَ السّلْـسالَ من كان عَبوبا (٣)

ويعودُ الخَلَقُ الرّثُّ من الأمر قشيبـا (٤)

والّذى أضحْى وأمسْى ناكباً يُضحِى نـكيبا

آلَ ياسينَ ومَنْ فَضـلُهُمُ أعيْا اللّبيبا

أنتُمُ أمْنِى لدَى الحشـر إذا كنتُ نخيبا (٥)

أنتُمُ كشّفتُمُ لِى بالتّباشير الغُيوبا (٦)

كم رددتمْ مِخلَباً عـنّى حديداً ونيوباً (٧)

وبكم «أنجو» إذا عُو جِلتُ موتاً أن أنوبا (٨)

وإليـكم جَمَحانى ماحدا الحادون نيبا (٩)

وعليـكم صـلَواتى مَشهـداً لِى ومغيبا

ياسقَى اللهُ قبـوراً لـكم زِنَّ الـكثيبا

حُزْنَ خيرَ الناس جَدًّا وأباً ضَخْماً حسيبـا

لَقِىَ اللهَ وظنَّ الـنـاسُ أن لاقىْ شعوبا

وهو فى الفِرْدَوسِ لمّـا قيل قد حلّ الُجبوبا (١٠)

✿ ✿ ✿

---

(١) يأصلنا : يستأصلنا ، والضريب : المضروب . (٢) ينضب : يغور فى الأرض .
(٣) العبوب : الشروب . من عب الماء إذا شربه بملء فيه .
(٤) القشيب الجديد . (٥) النخيب : الخائف . (٦) التباشير : البشارات .
(٧) الحديد : الحاد ، والنيوب : جمع الناب . (٨) « أنجو » كذا وردفى الأصل ولعلها « أرجو » وأنوب : أرجع . (٩) الجمحان : القصد والركوب ، والنيب : النوق .
(١٠) الجبوب : جمع الجب وهى الحفرة .

وقال فى الشيب :

ليس المشيبُ بذنبٍ فلا تعُدّيه ذنبا
غُصِبتُ شرخَ شبابى بالليل والصُّبح غَصْبا
فشبّ شيبُ عِذارى كما اشتهى الدّهر شبّا
إنْ كنتُ بُدِّلت لوناً فما تبدّلت حبّا
أو كنت بوعدتُ «جسماً» فما تباعدتُ قلبا (١)
فكلّما شاب رأسى نما غرامى وشبّا
يامُرّةَ الظُّلم طَعْماً وحُلْوَةَ الظَّلْمِ شِرْبا (٢)
رضِى مُحِبُّكِ قَسْراً بأنْ تزوريه غِبّا (٣)
وما يبالِى - وسِلْمٌ واديكِ - مَنْ كان حربا (٤)

✿ ✿ ✿

وقال فى النسيب :

أسْخَطْتَنِى فرضيتُ من كَلَفٍ ولرّبما رضِىَ الّذى غَضِبا
وبَسَمْتَ يومَ البين من عَجَبٍ فأريتَ من بَرْدِ اللَّمَى شَنَبا (٥)
وظلمتَ فى هجرى بلا سببٍ ولقد طلبتَ «فلم تجد» سببا (٦)
ولقد وهبتُ فما رجعتُ لكم قلبى وكم رجع الذى وَهَبا
وبلغتُمُ عندِى مآربكم عفواً ولم أبلغ بكم أَرَبا

---

(١) فى الأصل «حسبا» محرفة. (٢) الظلم (بالفتح) : بريق الأسنان.
(٣) الغب فى الزيارة : فى كل أسبوع أو بين فترة وأخرى، ومنه الحديث «زر غبا تزدد حبا».
(٤) يعنى أنه لا يعبأ بمن كان حرباً له مادام واديها سلماً له.
(٥) اللمى : سمرة فى الشفة مستحسنة، والشنب (بالتحريك) : حدة الأسنان، وقيل برد الريق وعذوبته. (٦) «كان المرتضى يستطيع أن يقول بدل «فلم تجد» «فلم ترى» ويحول الأبيات إلى خطاب الأنثى (م . ج)».

وأعَنْتُمُ عمداً وعن خطإ ‏ غِيَرَ الزّمان عليّ والنُّوَبا (١)
ووصِبْتُ منكم ثمّ من يدكمْ ‏ طولَ الزّمان ولم أكن وَصِبا (٢)
وإذا التفتّ إلى سمائِكُمُ ‏ تَهْمِى عليّ وتُمطِرُ العَجَبا
ألفيتُ صفوى كلَّه كَدِراً ‏ ووجدتُ جِدّى كلَّه لَعِبا

* * *

وقال فى الشيب :

صدّ عنّى كارهاً قُرْ ‏ بى وإن كان حبيبا
ورأى فى الفاحم الجَعْـ ‏ ـدِ من الرّأسِ مشيبا
كشهابٍ غابتِ الشُّهْـ ‏ ـبُ ويأبىٰ أن يغيبا
أو كنارٍ تخمُد النّا ‏ رُ ويزداد لهيبا
كنتُ عُرياناً بلا عيـ ‏ ـبٍ فأهدىٰ لى عيوبا
قلتُ ما أذْنَبتُ بالشّيـ ‏ ـب إليكم فأتوبا
هو داءٌ حلّ جسمى ‏ لم أجدْ منه طبيبا
لم تجدْ ذنباً ولكنْ ‏ أنتَ لفّقتَ ذنوبا

* * *

وقال فى غرضه عرضه :

عادت إلىّ بغيضةٌ فتودّدت ‏ هيهات من جعل البغيض حبيبا
عادت إلىّ لخلت أن شبيبتِى ‏ خُلِستْ وأبدلها الزّمان مشيبا
فكأنّنى أبصرتُ منها بغتةً ‏ يوم الوصال من الحبيب رقيبا

---

(١) غيرالزمان: صروفه ، والنوب : جمع النائبة ، وهى المصيبة وما ينوب الإنسان.
(٢) الوصب (محركة) : المرض .

وودِدتُ أنَّ طلوعها مقليّةً ... مشنيةً فى الناس كان غروبا [1]

قد كنتِ لى داءً ولـكن لم أجـدْ ... من داء سُقْمِك فى الرّجال طبيبا

ولحبّذا زمنٌ مضى ما كان لى ... قربٌ إليكِ وكنتُ منكِ سليبا

ياليت من قدَرَ التلاقى بيننـــا ... جعل الفراقَ من اللّقاء قريبا

زمنٌ إذا قاطعتِنـــا ؛ مُتَبَسِّمٌ ... ضافٍ وإن واصلتِ كان «قطوبا» [2]

وكأنّ قلبى وهو غـير مُقَلْقَلٍ ... مُلِئتْ بقُربك حافتاه وجيبا [3]

لو لم تـكونى فى الزّمان عجيبةً ... ما أبصَرتْ عيناىَ فيـه عجيبا

وخلوتُ عمرى كلَّه من ذنبه ... فجعلتُ منكِ له إلىَّ ذنوبا

وخَلَفْتِ فى جلدى ولم يكُ دهرَه ... إلّا السّليمَ جرائحًا ونُدوبا [4]

ولقيتُ فيكِ من العناء غرائبًا ... وأخذتُ من أدهى البلاء ضروبا [5]

وتركتِ قلبى لا يفيق كآبةً ... وجفونَ عينى لا تملّ نحيبا

وكأنّنى لمّا أخذتُكِ كارهًا ... قَسْمى حُرمتُ وما أخذت نصيبا

لو كنتِ عيباً واحداً صبرتْ له ... نفسى ولـكن كنتِ أنتِ عيوبا [6]

* * *

وقال فى غرضه له :

لا تَسَلْنِى عمّا أراه فإنّى ... كلَّ يومٍ أرى بعينى عجيبا

كلّ داءٍ فى القلب منّى وفى الجـــسم على أنّنى عَدِمتُ الطّبيبا

---

(١) المقلية : المبغضة من القلى وهو البغض ، ومشنية ومشنوءة مثلها . (٢) فى الأصل «طاف» و (غروبا) والسياق والمعنى يستلزم ما وضعناه . والقطوب : العابس . (٣) الوجيب : الخفقان والاضطراب . (٤) الندوب : جمع الندبة (بالتحريك) وهى ما بقى من آثار الجراح . (٥) الضروب : الأشكال . (٦) اقول : ما أشبه هذا الوصف على بعض نساء هذا الزمان البغيضات اللاتى يتركن أزواجهن لأتفه الأسباب ثم يعدن مكرهات أو مكروهات .

أتمنّى لو بات منّى بعيداً كلُّ من كان فى جوارى قريبا
ياخليلى على الرّخاء وفى البؤ سِ أصخْ لى أشكو إليك الخطوبا
وسهاماً أصَبْنَ جسمى فلمّا لم تضِرْنى أصبن منّا القلوبا
لا أرى إذْ رأيت إلّا مَعيباً وهْوَ مَعْ ذاكَ طالبٌ لى عيوبا
ومِلاءٌ من الذُّنوب سجاياهُ وينعَى بُطْلاً علىّ الذُّنوبا

* * *

وقال فى غرضه :

قرنْتُك بِى والله يعلم أنّنى أرَدْتُ بكَ الحسْنى فصدتُ المُخيّبا
وما كنتُ فيما جئتُ أوّلَ صادق أساءوا به ظنًّا فكانَ المكذَّبا
فلا تطمعوا من ذى حجًى بنظيرها فكلُّ امرىءٍ يُدعَى إلى مثلها أبَى

* * *

وقال فى غرضه أيضاً :

قولوا لمن غلط الزّمان به فأناله ما لم يكنْ حَسِبَهْ
لا تفرحنّ بما أتاك به فالدّهرُ يسلُبُ كلّ ماوَهبَهْ
إنّ الزّمان أراد طُرفَتَنا فأرى بما أعطاكَهُ عجَبَهْ

باب الباء المكسورة

قال فى الغزل [والعفة] :

بِأَبِي زائراً أتانِيَ لَيْلاً ... سارقاً نفسَه من البوّابِ
ما ثَنَـــاه عنّى تَقَضِّى شبابِي ... وهْوَ فى وجْنتيه ماءُ الشّبابِ
باتَ بينى و بينـــه خَشيَةُ اللّـــهِ وخوفُ العذابِ يومَ العذابِ
لم أزِدْهُ شيئاً و بين ضلوعى ... كلُّ شوقٍ على مليحِ العِتابِ
ثمّ ولّى كما أتى أرِجَ الأخبـــارِ فى النّاس طيّبَ الأثوابِ
عالمًا أنني و إنْ كنتُ أهوا ... هُ فغيرُ الحرامِ منـــه طِلابى
ولقد جاءنى وما كان فى نفْـــسِيَ إسعافُهُ ولا فى حِسابى
غـــير أنّى عَففْتُ حتّى كأنّى ... لا أُباليهِ أو بغَيْرِيَ مابِى

* * *

وقال فى مثل ذلك :

يا ليلةً لمّا نأى بَدرُها ... عن أُفقِهِ بات إلى جَنْبى
ضجيعَ جسمى وغرامِى به ... ضجيعُ أسرارِيَ فى قلبى
وزارنى واللّيلُ مُستخلِكٌ ... غضبانَ ملآنَ من العَتْبِ
كأنّ ما يُجرِمه من يدى ... أو الّذى يُذنبُهُ ذنبى
فلم أزلْ أجعل خـــدّى له ... تُرْباً لِرِجْلَيْهِ على التُّربِ
حتّى اُنثنى يضحك عن لؤلؤٍ ... رَطْبٍ ثوى فى مشربٍ عَذْبِ

وقال لى حسبُك مما أراى   فقلتُ أوْ ترضَى فما حسبِى

☆☆☆

وقال يرثى صديقاً كان له (١)

ألا ياَلقومِى لاعتنانِ النّوائبِ   وللغُصنِ يُرمْى كلَّ يومٍ بشاذِبِ (٢)
وللنّاسُ إمّا ظاعنٌ حان يومُهُ   وإمّا مقيمٌ لاجتراعِ المصائبِ
وزَوْرُ المنايا إنْ حميناه جانباً   أتانا كأنْ لمْ نَحْمِ من كلّ جانبِ
يُعطُّ علينا كلَّ سَرْدٍ مضاعفٍ   ويخطو إلينا كلَّ بابٍ وحاجِبِ (٣)
وكم هاربٍ مِنْ أنْ يلاقِيَهُ الرّدى   « مُغذٍ » ولكنْ لانجاءَ لهاربِ (٤)
نُقلِّ اعتباراً فى الزّمانِ تغابياً   وأبصارُنا مملوءةٌ بالعجائبِ
ونصبو إلى وِرْدِ الحياةِ وصرفُها   يذودُ بنا عنها « ذِيادَ » الغرائبِ (٥)
نُبلينا من الدّنيا بِخِلفٍ مُجدَّدٍ   وإن درّ أحياناً بأيدى الحوالبِ (٦)
ونَظْمأ إلى مالا يزال يُذيقُنا   لُعابَ الأفاعِى أو شِيالَ العقاربِ (٧)
وخلٍّ تولّى الموتُ عنّى بشخصِهِ   تولّى ممتدِّ النّوى غيرِ آيبِ
كأنّىَ لمّا صكّ سمعى نَعِيُّهُ   صُككتُ بمسنونِ الغِرارينِ قاضبِ (٨)
وفارقنِى من غيرِ شىءٍ أرابَهُ   وصدٌّ « المقاصِى » غيرُ صدِّ المعاتبِ (٩)
طواه الرّدى طىَّ الرِّداءِ وعُطِّلتْ   مغانِى الحجى « منه » وغُرُّ المناقبِ (١٠)

---

(١) أورد الثعالبي فى (تتمة اليتيمة ج ١ ص ٥٥) ثلاثة أبيات من هذه القصيدة .
(٢) الاعتنان : الاعتراض ، والشاذب : القاطع .   (٣) يعط : يشق .
(٤) المغذ : المسرع ، وفى (هـ ، ش) « معد » مصحفة .
(٥) يذود بنا : أى يذودنا والباء زائدة ومعناها يطردنا ويدفعنا ، وفى (هـ) « ذياب » بدل (ذياد) محرفة .   (٦) الخلف (بالكسر) : الضرع ، والمجدد : الذى ذهب لبنه .
(٧) شيال العقارب : أذنابها ، مفردها شولة (كشوكة) .   (٨) صك سمعى ، طرقه بشدة ، والغراران من السيف : حداه .   (٩) المقاصى : المباعد ، وفى (س ، ش) « المقضى » (بالضاد) وفى (هـ) « المنصى » بالصاد .   (١٠) المغانى : جمع المغنى وهو المنزل ، والحجى : العقل ، وفى تتمة اليتيمة « عنه » بدل « منه » .

خليليَّ قوما فاندبا مَنْ بقربهِ نَبَوْتُ زماناً عن سماعِ النوادبِ

وبالهَفتِي منه على ذِى مودّة بريء الأديمِ من قروفِ المعايبِ

نسيبىَ بالودّ الصحيح وأقربى وصاحبىَ الأدنى إذا ازورّ صاحبى

ومَنْ كنتُ لا «أُفضى» له بخليقة ولا أشتكى منه اعوجاجَ المذاهبِ[1]

مَذاقٌ كما يحلو الشِّهادُ لذائق وصنوٌ كما يصفو الشرابُ لشاربِ

ولما بلوتُ الأصدقاءَ ووُدَّهم خلصتُ إليه من خلالِ التجاربِ

فأعلقتُ قلبى منه ملءَ جوانحى وأعلقتُ كفّى منه ملءَ رواجبى[2]

شققنا له فى التُّرب بيتاً كأنما شققناه مِنْ وجدٍ به فى الترائبِ

وهِلْنا عليه من جوانبِ قبرِه ثرَى طابَ ما مسَّ طيبَ الضرائبِ[3]

أيا ذاهباً بقيتُ للحزنِ بعدَه ألا إننى حزناً عليك كذاهبِ

تُوُفِّيتَ دونى غير أنك هالكٌ توفيتَ آمالى وغلتَ مطالبى[4]

فأصبحتُ فردَ الشخصِ لولا تلهفى يزور بسارٍ من همومٍ وساربِ[5]

ولَوْ أنَّ غيرَ الدهرِ رابك بالردى تجلّنا إليه بالقنا والقواضبِ

ودافع عنك الضيمَ حتى «يزيغه» رجالٌ رجالٌ من لوىّ بن غالبِ[6]

إذا ما دُعوا طاروا إلى حومةِ الوغى على كلّ «معروقِ الجناجنِ» شازبِ[7]

جريئون ركّابون إمّا تنمّروا رقابَ المنايا أو ظهورَ المعاطبِ[8]

---

(١) أفضى له : تشكى من سوء خلقه ، وفى النسخ «أقضى» بالقاف مصحفة. (٢) الرواجب : قصب الأصابع. (٣) الضرائب : السجايا . (٤) غلت : أذهبت . (٥) السارى : المستتر كالسارى ليلا ، والسارب : الظاهر ، ومنه قوله تعالى : «مستخف بالليل وسارب بالنهار» .

(٦) يزيغه : ينحيه ويزيله ، وفى (س) «يريعه» بالعين المهملة ، ورجال الثانية بمعنى راجلين أى ضد الراكبين . (٧) جاء فى الأصل «مفروق الجناحين» وهى محرفة عما أثبتناه إذ لا يلائم المقام ، والمعروق المزيل الذى ذهب لحمه ، والجناجن : مايظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر ، واحدها (الجنجن) بوزن البرقع ، والشازب : الضامر .

(٨) المعاطب : المهالك .

وكم لهُمُ فى باب كلّ عظيمةٍ — قراعُ أكفٍّ أو زِحامُ مناكب ؟
سقَى الله قبراً كنتَ حشوَ ضريحِهِ — غزيرَ الحوايا مستهلّ الهيادِبِ (١)
تَقَعقَعُ فى جوّ السّماء رعودُهُ — ويوقِدُ فيه البرقُ نارَ الُحباحِبِ (٢)
وإنْ مزّقتْ عنه الشّمال برودَه — على عَجَلٍ حاكتْه أيدى الجنائبِ
ومالِىَ أستسقِى الغمامَ لقبرِهِ — وقد نُبْتُ عنه بالدّموعِ السّواكبِ

***

وقال فى الافتخار ووصف الأسر والحية بملح :

عتابٌ لدهرٍ لا يَمَلُّ عتابى — وشكوى إلى مَنْ لا يردّ جوابى
وأطلبُ ما أعيا الرّجالَ طِلابُه — فيا للحِجى كم ذا يكون طِلابى ؟ !
وبِى ما أذودُ النّاسَ عن باب علمِهِ — وكلُّ أُساتى جاهلون بما بِى (٣)
فلِى كَبِدٌ تَصلَىْ بغير خريدةٍ — ولِى جسدٌ يبلىْ بغير كَعابِ (٤)
إذا لم « أُرَغْ » عند الغوانِى تغزّلاً — فمثلُ مشيبى بينهنّ شبابى (٥)
ولو كنتُ يوماً بالخِضاب موكّلاً — خضبتُ لمن يخفَىْ عليه خضابى
فإن تعطِنِى أولى الخضاب شبيبةً — فإنّى أُخيراه بغير شباب
وأين من الإصباح صِبغةُ غَيْهبٍ — وأين من البازىّ لون غُرابٍ ؟!
وقد قلّصتْ خَطْوِى الليالى وشمّرتْ — برَوْحاتها من جيئتى وذهابى
وكم ظفر الأقوامُ فى البيض كالدُّمى — « بفُوفِ المنىْ منهنّ لابثياب » (٦)

---

(١) الحوايا : جمع الحوية أى الشىء المحوى ، وغزير الحوايا السحاب الممتلىء ماء أراد « سقاه الله ماء الغزير الحوايا » على سبيل المجاز بالنقص ، والهيادب : جمع الهيدب وهو ذيل السحاب المتدلى . (٢) الحباحب (بالضم) ذباب يطير بالليل يلتمع كالنار .

(٣) أذود : أطرد ، والأساة: جمع الآسى وهو الطبيب . (٤) الخريدة : الفتاة العذراء المحجبة ، والكعاب (بالفتح) : الجارية ناهدة الثديين . (٥) أرغ (بضم الهمزة على المجهول) مثل لم أرد وزنا ومعنى ، وفى الأصل « أرع » بالعين المهملة مصحفة . (٦) فى الأصل « بفوق المنى منهن لابشباب » ، والدمى جمع الدمية وهى الصورة من العاج أو غيره كالصنم ، والفوفة قشرة الحبة ، وفوف المنى كناية عن القلة .

وليَ هممٌ لمّا طمحْنَ إلى العُلا ... طمحْنَ كثيراتٍ وقلَّ صِحابى

فمِنْ عذبِ أزوادِ النّزاهةِ مطعمِى ... ومن ماء أحواض العَفاف شرابى

فأىّ بلادٍ ماخرقتُ فِجاجها ... وفى أىّ أرضٍ لم تدُرَّ سحابى ؟

وأىّ صديقٍ لم تُصبه مثوبتى ... وأىّ عدوٍّ لم ينله عقابى ؟

أُريدُ الغنىٰ من غير ماجانب الغنىٰ ... فسيبِىَ لايُصمى وسيفِىَ ناب

وفى راحتى أسعٰى ومن دون راحتِى ... ركوبُ شِماساتِ المتون صِعابِ (١)

وربّ أُناسٍ جارِعِى مُرّ بِغِضّتِى ... وأضلعُهم ملأىٰ «بخبّ ضَبابِ» (٢)

بطيئين عنّى ناكصين عن التى ... رَقيْتُ إليهــا من قِلالِ هضابِ

ولمّا جرَوْا يرجون سَبْقى إلى العُلا ... مضيتُ ولمّــا يلحقوا بترابى

يريدون أن أشقى برَجْع خطابِهمْ ... ومنْ فيهم يستطيعُ رَجْعَ خطابى؟

وودّوا ـ وأنّىٰ ما يودّون ـ أنّهم ... أصابوا معاباً لِى وأين معــابى ؟

ومذْ أخطأوا بابَ الصّواب ونكّبوا ... عن الرّشدِ باتوا حاسدين صوابى

وقد صَفِرتْ من كلّ مجدٍ أكفُّهمْ ... ولم تخلُ من مجدٍ حَوَتْهُ وِطابى (٣)

ولمّا تناهبنا النّدى جئتُ راكباً ... سنامَ النّدى فى كلّ يومِ نِهابِ

وقد علموا أنّى على غيرِ ريبةٍ ... تُلَطُّ سُجوفى ثمّ يُغلَق بابى (٤)

وإنّى وأدناسُ الزّمان كثيرةٌ ... مررتُ فلم تعلقْ بهنّ ثيابى

وما كان جارى والقِرى يستفزّه ... مَروعاً وقد وافىٰ بنبحِ كلابى

ولا طارِقِى يرجو ثوابِىَ عائداً ... بعسرٍ ولايُسرٍ بغيرِ ثواب

فقلْ للعدىٰ كونوا جميعاً بنجوةٍ ... إذا ماج تيّارى وجُنّ عُبابى

---

(١) الشماسات: جمع قياسى لشماس وهو الجماح أراد ذوات الشماسات . (٢) فى الأصل « بعبء ضباب » والخب والضباب يستعار للاحقاد . (٣) صفرت : خلت ، والوطاب جمع الوطب وهو فى الأصل سقاء اللبن . (٤) تلط : تسدل ، والسجوف : الستائر.

ولاتأمنوا والشرّ ينتجُ بالأذى ... وقد سَحَّ وَدْقٍ أنْ تسيل شِعابى [1]
ووثبـــة مفتول الذّراع قُصاقِصٍ ... يساعد ظُفراً فى الصّريع بناب [2]
هجومٍ على الأقران لم يثن كيدَه ... كمىٌّ بإقدامٍ ولا بهِباب [3]
تبوعٍ « لحوقٍ » فى يديه طِلابه ... وما كلّ باغٍ فائزاً بطِـــلابِ
ثوى الغابَ مرهوبَ المكانِ وما الرّدى ... يلاقيـــه إلاّ فى خبيئة غاب
ترى حوله أسلابَ قومٍ ولم يكنْ ... ليحفِلَ فى منْ « بزّه » بسِلاب [4]
وما لحظُهُ إلّا كنجمَىْ دُجُنّةٍ ... ولا بطشــــه إلاّ كمثل حِرابِ
له زفرةٌ من فوق جنب صريعهِ ... كما صُكّ صُلْبٌ يابسٌ بصِلابِ
حكتْ زفرةَ المغلوب حزناً وخيبةً ... وما هى إلاّ زفرةٌ لغِــــلابِ
ونهشـــةَ مسموم اللِّثاثِ لعابُهُ ... خَروقٌ إلى الأراداء كلَّ حجاب [5]
تراه لصوقاً بالتّراب كأنّه ... قطيعٌ طريحٌ أو سقيطُ حِقاب [6]
له مَلْمَسٌ لَيْنٌ وحشو. أديمِهِ ... خشونةُ « فرّاء» لكلّ إهاب [7]
يسدّ على السّارى الطريقَ مجرُّهُ ... وآثارهُ يحمين كلّ. نِقابِ [8]
كأنّ عليه « جبّةً » وهو صائفٌ ... وفى القرِّ عُريانٌ بغيرِ ثيابِ [9]
يمُجّ سِماماً فى اللّديغِ كأنّه ... لُغامُ نياقٍ أو نضيح حِبابِ [10]

---

(١) الودق : المطر . (٢) قصاقص : نعت يطلق على الشجاع أو القصير المتين والمراد الأول . (٣) السكمى : المدجج بالسلاح ، والهباب (بالكسر) النشاط والسرعة .
(٤) فى الأصل « بزة » ، والبزة : (بالكسر) : السلاح وبالفتح : السلب وبغير تاء : الثوب ، وبزه : غلبه وبه يستقيم المعنى كما أثبتناه . (٥) اللثاث : جمع اللثة (بالكسر) .
(٦) القطيع : السوط المنقطع طرفه ، والحقاب : مثل الحزام تشده المرأة على وسطها .
(٧) فى الأصل (فرات) محرفة عما أثبتناه أى الممزق ، والإهاب (بالكسر) الجلد .
(٨) مجره : موضع جره أى زحفه ، والنقاب: جمع النقب وهو الطريق فى الجبل .
(٩) فى الأصل (يمنه) محرفة عن «جبة» . (١٠) اللغام : الزبد يخرج من أفواه الإبل ، والحباب : جمع الحب (بالضم) وهو الجرة الكبيرة أو الخابية .

وما مشيُهُ إلاّ تعضّنُ نِسْعَـــةٍ ... تَلوّى على كوماء ذاتِ هِباب (١)

خُبابٌ بأعلى الواديين طريقُـــهُ ... وما الموت إلّا فى طريق حُباب (٢)

يَصمّ عن الرّاقى ويَحذرُ ظامئاً ... لدانٍ إلى مطواه كل وِثاب ؟ (٣)

فشالكِ تشكّاه بغير تَعِـــلّةٍ ... وماضٍ توخّاه بغير إياب (٤)

سل البارق العلوىّ ليلة « شُمتَهُ » ... وأعشى الكَرى ركبى معاوِر كابى (٥)

ألستُ وقد خامَ الكماة عن الرّدى ... لبستُ طعانى نحوه وضِرابى (٦)

عشيّـــةَ هاب الدّارعون تورُّدى ... هناكَ وهمّ الطاعنون جنابى (٧)

إلى أن رأوْا سيفى ورمحىَ فى الطُّلى ... بغير أنابيبٍ وغير ذُبابِ (٨)

وما حيلتى أن كنتُ فى سرّ أُسرتى ... ولم يشركوا فى صفوتى ولُبابى ؟

ولم أكُ يوماً قانعاً فى فضيــــلةٍ ... بأصلى ولا فى مَحتِدٍ بنصابى (٩)

وكنتمْ وهاداً هابطاً ثمّ أنتمُ ... تسامون فى العلياء أهلَ رواب

وهيهات أن تستصبحوا فى دُجُنّةٍ ... بغير مصابيحٍ وغـــير شهاب

وهل فيكمْ إلاّ مَلومٌ مُفنّـــدٌ ... ببذلِ أساةٍ أو بمنع ثواب ؟ (١٠)

وهل درّ يوماً خيرُكمْ وهو نازحٌ ... بشىءٍ سوى مسحى له وعِصابى (١١)

صحبتُـكُمُ جهلاً بكم وملأتُ منْ ... عهودكمُ وهْىَ الضعاف عِيابى (١٢)

وإنْ فُتّـكُمْ فضلاً فكم فات قبلكمْ ... سَبوقٌ على بُعد المدى لكوابِ (١٣)

* * *

(١) التعضن : التثنى ، والنسعة: قطعة الجلد المضفورة، وفى الأصل « نسعه » ، والكوماء : الناقة عظيمة السنام ، والهباب : النشاط فى السير . (٢) الحباب : الحية . (٣) الراقى: صانع الرقية وهى العوذة ، والمطوى من الحية الانثناء كالطية ، والوثاب: الانقباض، ووأب : غضب . (٤) التعلة: التجنى، وما يتعلل به . (٥) « شمته » : وفى الأصل « سمته » . أى نظرته.

(٦) خام : نكص وجبن . (٧) الدارعون : لابسو الدروع ، والتورد : طلب الورد ، (٨) الطلى : الرقاب ، والذباب من السيف : الحد . (٩) المحتد (كمجلس) الأصل ، والنصاب بمعناها . (١٠) مفند : مكذب ، والأساة : ما يؤاسى به من مال وغيره .

(١١) النازح : البعيد والعصاب . شد فخذ الناقة لتدر . (١٢) العياب : جمع العيبة (بالفتح) وهى وعاء من جلد كالجراب . (١٣) الكوابى : جمع الكابى وهو العاثر .

وقال يمدح فخر الملك[1]:

أعلى العهد منزلٌ بالجناب كان فيه متى أردتُ طلابى ؟
المغانى تلك المغانى فهل فيـ ـهن ما قد عهدتُ من أطرابى[2] ؟
ليست الدار بعد أن توحش الدا ر ترى « غيرَ » جندلٍ وترابِ[3]
وإذا لم يعدْ نحيي على الرَّبـ ـعِ حبيباً فليس يُغنى انتحابى
حرُّ قلبٍ إذا تمكّن من قلـ ـبِ المُعَنَّى حماهُ بَرْدُ الشّبابِ
والمعانى من لمْ يَقُدْه إلى اللّو عةِ يوماً تفرّقُ الأحبابِ
والمطايا يوم السّقيفةِ ما رُحِّـ ـلْنَ إلّا تعمّداً لعذابى
إنّ نُعماً وكان قلبِيَ فيما ألِفتْهُ موكَّلاً بالتّصابى
سألتنى عن الهوى فى ليالٍ ضاع فيهنّ من يدىّ شبابى
فمتى ما أجبتُها بسوى ذكـ ـرِ مشيبى فذاك غيرُ جوابى
صار منى مثلَ الثّغامة ما كـ ـانَ زماناً مُحْلَوْلِكاً كالغرابِ[4]
ليس يبقى شيبى على شأنه الـ ـأولِ فى كَرِّ هذهِ الأحقابِ
مَنْ عذيرى من المشيب وقد صا رَ بُعَيْدَ الشّباب من أثوابى ؟

---

(١) أشار الناظم إلى هذه القصيدة فى « الشهاب طبعة الجوائب ص ٧١ » وفى طيف الخيال ط مصر ص ٨٥ » أورد الشطر الأول من مطلعها وثلاثة أبيات لم ترد فى أصل الديوان وهى :

حىّ بالرّقمتين زَوْرًا توخّـ ـاكَ بعد هدأة الأصحاب
زارنى والرُّقاد منّى ومنهمْ داخل فى العيون فى كلّ بابِ
زورةٌ زُوِّرت عَلَيَّ ولوكا نت يقيناً (لما)[1] شَفَتْ بعضَ مابى

(٢) المغانى : جمع المغنى وهو المنزل ، والأطراب: جمع الطرب . (٣) فى الأصل « بعد » بدل « غير » والظاهر أنها محرفة (٤) الثغامة : مفرد الثغام وهو نبت جبلى ينبت أخضر ثم يبيض . والمحلولك : المسود .

---

(١) كذا فى الأصل ولعلها (حقا) .

وشفانى فى غـــير ما دافه الساقى وراء المشيب من أوصابى (١)
أيها الراكب المغذ على وجنا ء مثل العلاة كالحرف ناب (٢)
ليس يدنو منها الكلال ولاتنـ ـفك عن عجرفية وهباب (٣)
لاتعن الركاب تطلب مانلـ ـناه عفواً صفواً بغير ركاب
أنا فى حوزة الهمام فخار الـ ـملك كالنجم فى أعز جناب
فى محل كالبحر إن كنت ظمآ ن وإن رابنى العدا كالغاب
بالغــاً ما أردته من زيادا ت عليه ما كن لى فى حساب
شغل اللحظ بى ولم يصغ إلا لندائى من بينهم وخطابى
قد سمعناه قائلا فسمعنا نطقه وارداً بفصل الخطاب
ورأينا نواله فرأينا سبلاً ليس مثله للسحاب (٤)
وبلوناه فى الوغى فأصبنا ه ضروب اليدين يوم الضراب
فى مقام ضنك تجول به الخيـ ـل على أرؤس هوت ورقاب
ولأنت الذى أعاجيبه فى الدهـ ـر كلت عنها قوى الالباب
طلبوا شأوه وأين من الأوشا ل سيل يجئ ملء الشعاب ؟
وتمنوا مكانه لا بأسبا ب وأنى در بغير عصاب ؟ (٥)
وإذا عنت الضرائب للأسيا ف بانت قواطع من نواب (٦)
ما أبالى إذا رضيت عن الطا عة منى بالمحفظين الغضاب (٧)

---

(١) داف الدواء : خلطه بالماء ، والأوصاب : الأمراض .

(٢) المغذ : المسرع فى السير ، والوجناء : الناقة القوية ، والعلاة (بالفتح) ، الجبل ، والحرف من كل شيء طرفه ، والنابى : المرتفع البارز . (٣) العجرفية : من العجرفة وهى الخرق والحماقة ، والهباب : السير السريع. (٤) السبل (بفتحتين): المطر قبل أن يصل الى الأرض .

(٥) الدر : اللبن، والعصاب : شد فخذى الناقة لتدر . (٦) عنت : عرضت ، والضرائب والضريب هنا : ماتضربه بسيفك ، والنابى من السيوف : غير القاطع . (٧) المحفظين : المغضبين من الحفيظة وهى الغضب .

وإذا ما رأيتَ منّي صواباً فحقــيرٌ عمّاهُمُ عن صوابي
ولئنْ أظلموا بعيني فمــا أحفِـــلُ ظَلْماءَهمْ وأنت شِهابي
وإذا كنتَ لي شراباً فمــا تُخــدَعُ لي مُقلةٌ بلمعِ سرابِ
لا أبانَ الزّمانُ فيك انثلاماً لا ولا همَّ ما ترى بانقــلابِ
وأتاكَ النّيروزُ بالسّعد واليُمــنِ ونيلِ الأوطار والآراب
وإذا ما مضى يعود ولا أخــلاكَ من جَيئةٍ له وذهاب
في زمانٍ يُنسِي زمانَ التّصابي ونعيمٍ يُسـلِي نعيمَ الشّبابِ

***

وقال يمدحه أيضا : (١)

أدِرْ أيّها السّاقي الكؤوسَ على صَحْبي وَدَعْنِيَ ظمآناً في غيرها نَخْبِي (٢)
وإنْ كنتَ تبغي بالمـدامةِ نشوةً «فعندِيَ» ما يُوفِي على نشوةِ الضَّرْبِ (٣)
أبَيْتُ الهـوى دهراً ولمّا عرفتُهُ عرفتُ مطاعَ الأمر مُغتفَرَ الذّنبِ
وهيّمَ إطرابَ الفؤادِ أوانِسٌ خَلَعْنَ إلى ذاك المُمنَّعِ من حبّي

---

(١) جاء في طيف الخيال ط مصر : ذكر الشطر الأول من مطلعها وخمسة أبيات لم ترد في هـذه القصيدة وهي :

فيا طيفَها ألّا طرقتَ رحالنا ونحن على الأذقان في جانب الشَّعْبِ
نشاوى كأنّا ساوَرَتنا زجاجةٌ مضرّجَةُ النّاجود داميةُ السَّكْبِ
بنا من هوى لُقياكِ كَرْبٌ نُجِنُّهُ فلو زرتِنا نفّستِ من ذلك الكَربِ
وما ضرَّ مَنْ يأبى زيارةَ مقلـتي مجاهرةً لو زار مستخفياً قلبي؟
ومن ضنَّ في لقيايَ بالصّدق مُسرفاً على مُرتجيهِ كيف يبخلُ بالكَذِبِ؟!

(٢) نخبي : شربي ، والنخب (بالفتح) مصدر والشربة من الخمر يشربها الرجل لصحة حبيبه .
(٣) الضرب : العسل . وفي الأصل « فعند » والياء ساقطة من « فعنديَ » .

عَلَوْنَ النَّقا يوماً بأوفى من النَّقا ... ولُثْنَ على أبهى من العَصْبِ بالعَصْبِ (١)
ونادَمْننا وهْناً بمنعرج اللوى ... فضوَّأْنَ للسارين داجيةَ السُّهْبِ (٢)
وعانقْنَ قُضباناً من الرَّنْدِ مرّةً ... بأيدٍ سِباطٍ هنّ أندى من القَضْبِ (٣)
وناعمةِ الأطراف حالٍ ودادُها ... مكانَ شَغافِ القلب من حبّةِ القلبِ (٤)
دعاني قبولٌ خَلَّفَتْهُ إلى الصِّبا ... وما كلُّ من تمّتْ محاسنُهُ يُصْبي
خُلِقتُ كما شاء الصديقُ مُحكَّماً ... عليَّ خليلي نازلاً في هوى صَحْبي
وذمّ رجالٌ أنني غيرُ مُعْجَبٍ ... فيا عَجَباً ماذا يفيدهُمُ عُجْبي ؟ (٥)
« ولو » أنني أزهى بشيء مُنِحْتُه ... زهيتُ بفخر الملكِ في العُجْمِ والعُرْبِ (٦)
حياتيَ منه بالمحلّ الذي به ... يُحَسِّدُني قومي ويَغبطني شَعْبي
وأرْكَبني أثباجَ كلّ فضيلةٍ ... مُمَنَّعةِ الأرجاء محميّةِ الغَرْبِ (٧)
ففي خُلقِهِ ذاك المُفَتَّحِ مرتعي ... ومِنْ لفظهِ ذاك المشرَّف لي عَشْبي
وكم جهد الأعداء فيما يسوءني ... فما خوّنوا أَمْني ولا ذَعْذَعوا سِرْبي (٨)
رضينا عن الدنيا وأنتَ تركتَنا ... بلا سَخَطٍ في ذا الزمان ولا عَتْبِ
وجُدْتَ ولم تُسْأل بكلّ نفيسةٍ ... وقبلك قومٌ لا يدرّون بالعَصْبِ (٩)
شربنا أُجاجاً منهمُ وتنازحوا ... عن المورد المورود والمنهل العذبِ
وما نلتَــه إلّا بحقٍّ أتيتَه ... وكم نيلتْ العظمى من الأمر بالغصبِ

---

(١) النقا (بالقصر): كثيب الرمل، والعصب الأولى: ضرب من البرود، والثانية مصدر من اعتصب. (٢) الوهن: وقت منتصف الليل. ومنعرج اللوى: منعطف الرمل، والداجية: المظلمة، والسهب: الفلاة. (٣) الرند: شجر طيب الرائحة، والقضب: الأغصان المقطوعة. (٤) شغاف القلب: غشاؤه المبطن له من الداخل، وحبة القلب: سويداؤه. (٥) العجب (بالضم): الكبر والزهو. (٦) الزهو: كالغرور والعجب. وفي الأصل: « لولا » بدل « لو » مزيدة سهواً من الناسخ. (٧) الثبج: من كل شيء وسطه وأعلاه والظهر أيضاً. والأرجاء: النواحي. والغرب: الحدة والجموح. (٨) ذعذعوا: فرقوا، والسرب: القطيع من الظباء وغيرها. (٩) العصب هنا: شد فخذي الناقة لتدر.

حلفت بمن ضحّت منى يوم نحرهمْ   وما عقروا من أمّ سَقْبٍ ومن سَقْبِ (١)
وبالنّفرِ الثّانين عُقْلَ رِكابِهمْ   على عَرَفاتٍ يبتغون رضا الرّبِّ
لقد نال فخرُ الملك ما شاء من عُلاً   حَلَلْنَ على أعلىٰ محلٍّ من السُّحْبِ
فتًى لم يزلْ يغـــدو بعِرْضٍ مُمَنَّعٍ   ومالٍ مُذالٍ لا يُفيق من النّهْبِ (٢)
ولم يرضَ سهلَ الأمرِ « يرطب مسّه »   ولم تلقَهُ إلّا على مركبٍ صَعْبِ (٣)
ورام مداه المُترفون وإنّمـــا   يرومون ما رام الوِهادُ من الهَضْبِ
فللّهِ أيّامٌ مضين قطعتَها   بلا سَأَمٍ منهـــا على ضُمَّرٍ قُبِّ (٤)
ولا ظِلَّ إلّا ما تُنِىء لك القَنا   ولا زادَ إلّا نُجعةُ الطّعنِ والضّربِ (٥)
تَصول بعضْبٍ فى يديك وخلفَه   من الرّأى ما أمضَى وأقضَى من العَضْبِ
فصفوُكَ لا يُبلَىٰ بشىءٍ من القذَى   وخِصْبُكَ لا يُمنَى بشىءٍ من الجَدْبِ
وطاولتَ أعماراً طِوالاً فطُلْتَها   وأربيتَ حتى نِلتَ مالم ينلْ مُربِ (٦)
ولا زال هـــذا العيد يتلوه مثلُهُ   تعاقُبَ أنواءِ السّحاب على التُّربِ
ألا مَنْ معيني مِن خليلٍ أعدُّهُ   على شكر نعماء أتتنى بلا كسبِ؟
تجشّم خير الناس طرًّا عيـــادتى   فجاء بمـــا حسبى به شرفًا حسبى
ولم يعرفوا شكراً لها ولربّما   فلم يُعلّمونا كيف نشكر فى الكُتْبِ؟
فإنْ أعْىَ عن شكرٍ لها من صنيعةٍ   فذلك من ذنب البلاغةِ لا ذَنبى

☆ ☆ ☆

---

(١) أم سقب : الناقة ، وسقب : ولدها .   (٢) المذال : المهان والمباح .
(٣) كذا فى الأصل « يرطب مسه » ولعلها مصحفة عن « يركب متنه » .
(٤) الضمر : الضامرات ، والقب : الضوامر أيضاً جمع الأقب والقباء ، والقبب : دقة الخصر .
(٥) النجعة : الذهاب فى طلب الكلأ ، والاسم من الانتجاع وهو الاستمراء من الطعام أو الشراب
(٦) أربيت : ازددت .

وقال فى غرضه :

أيا صاحِبى إنْ لم تــكنْ فى شديدتى   كفيلاً بها دونى فلستَ بصاحبى
ولو لم تــكنْ خير الأُلىٰ تجمعُهمُ   بَنانِىَ لمْ أضمُمْ عليك رواجبى (1)
ذخرتك لى فى النّائباتِ ومنْ يكنْ   صديقاً صدوقاً فهْوَ ذُخرُ النّوائبِ
وما ضرّ والقربُ المؤلّفُ بيننــــا   ودادٌ لنا أنْ لم تــكنْ من أقاربِى
أجِرْنِىَ إمّا بالقواضب والقنــــا   أوِ الرّأى إنْ خَطْبٌ أناخ بجانبى
وكنْ قَبَسِى إنْ كان قومٌ دياجِرِى   وكنْ صادقى إنْ كان دهرِىَ كاذِبى
وقمْ واكفِنِى إن كنتَ تسطيع هذِهِ   حلولِىَ مغلوباً بوادِى العجائبِ

* * *

وقال يرثى فخر الملك بربه :

ألا هل لما فات من مطلبِ   وهل عن ردَى المرء من مَهرَبِ ؟
وهل لامرىء يبتغيــــهِ القضا   ءُ من مُستجارٍ ومن مذهبِ ؟
عذيرِىَ من حادثات الزّمانِ   أجُدُّ لهنّ ويلعبْنَ بى
يُثلّمْنَ من حَنَقٍ مَرْوَتى   ويرعَيْنَ من نَهَمٍ خُلّبى (2)
وإمّا بَرِحْنَ فنى طيّهنّ   ما شئتَ من تعبٍ مُتعِبِ
وإنْ هنّ صفّينَ لى مشرباً   رجَعْنَ فرنّقنَ لى مَشْربى (3)
فكم ذا أُعلّلُ « بالمُبْرِضاتِ »   وأُخدَعُ بالبارق الخُلّبِ (4)
وأعدى بأدواء هــذا الزّمانِ   عَدْوَى المُصحّ من المُجرَبِ

---

(1) البنان : رءوس الأصابع ، والرواجب : عقودها مفردها راجبة .
(2) المروة : الصخرة ، والخلب من السحاب: البارق الخادع لا مطر فيه . وفى الأصل « حلبى » مصحفة.
(3) رنقن : كدرن .   (4) المبرضات : من البرض (بفتح الباء وتسكين الراء) وهو الماء القليل ، وفى الأصل « المرضات » محرفة ، والبارق الخلب : مضى تفسيرها .

ولو كنتُ أعجبُ من حادثٍ عجبتُ من الحادث الأقربِ
أتانى على عُـــدَوَاء الدّيارِ لواذعُ من نبإٍ مُنصِبِ (١)
فإنّ نجيع لخـــار الملو كِ سِيط هنالك بالأثلَبِ (٢)
وإنّ أُسامـــةَ ذا اللِّبدَتيْ نِ صُرِّع عن خُدَعِ الأذؤُبِ (٣)
غُلبتمْ بنقضِكُمُ عهـــدَهُ ومن غالَبَ الغَدْرُ لم يغلِبِ
بأىِّ يدٍ قُدتمُ غِرَّةً خِزامةَ ذا المُقرَمِ المُصْعَبِ ؟ (٤)
وكيف ظفِرتُمْ وبُعدُ المنا لِ بينكُمُ بسنا الكوكبِ ؟
وكيف عَلِقتُمْ على ما بكمْ من العَجْزِ بالحُوّلِ القُلّبِ (٥)
وأينَ يمينُكُمُ والعُهو دُ تطايحن فى نَفنفٍ سَبْسَبِ (٦)
وأصبح ملكُكُمُ بعـــدَه بغير ذراعٍ ولا مَنكِبِ
وما كنتُ أخشىٰ على الأفْعوا نِ مدى الدّهرمن حُمَةِ العقربِ (٧)
أمِنْ بعد أن قادها نحوَكمْ نَفوراً مُحرَّمـــةَ المركبِ
وأولجهـــا بين أبياتـــكمْ وليس لهـــا ثَمّ من مرغَبِ
ودافع عنهـــا لغير القوىّ كلَّ شديدِ القُوى مُحرِبِ (٨)
تُجازونَهُ بجزاءِ العـــدوِّ وتَجزونه أُسوَةَ المُـــذنِبِ

---

(١) العدواء (كأمراء) : البعد ، والمنصب : المتعب. (٢) النجيع : الدم ، وسيط خلط ، والأثلب (بفتح اللام وكسرها) : التراب والحجارة أو فتاتها ، وقد مرت ترجمة فخر الملك وكيفية قتله فى هامش الصفحة ٣١ من هذا الديوان. (٣) أسامة : من أسماء الأسد ، واللبدتان : مثنى اللبدة (بالكسر) وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد.

(٤) الغرة (بالكسر) : الغفلة ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام ، والمقرم (بفتح الراء) : البعير الذى لا يحمل عليه ولا يذلل.

(٥) الحول : القلب : ذو التبصر والحيلة فى الأمور ، ومنه قول الإمام على عليه السلام: « قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله ». (٦) النفنف : المهوى بين جبلين أو مهوى البئر ، والسبسب : القفر. (٧) حمة العقرب : إبرتها. (٨) المحرب : الشجاع الشديد فى الحرب.

ولو رابه منكمُ ما أرا ... بَ شآكمْ ولكنّه لم يَرِتَبِ (١)
خذوها تلذُّ لكمْ عاجلاً ... وآجلُها غيرُ مُستَعذَبِ
ولا ترقبوا غير وَدْقِ الحما ... م وشيكاً من العارِضِ الصَّيِّبِ (٢)
ففى الغيب من ثاره فيكمُ ... شفاءٌ لأفئدةٍ وُجَّبِ (٣)
ألا غنّيانى بقرع السّيو ... ف فما غيرُها أبداً مُطربى
وحُثّا علىَّ كؤوسَ النّجيعِ ... سواء شربتُ ولم أشربِ (٤)
ولا تمطُلا ثاره إنّه ... فتًى حرّم المَطْلَ فى مَطلبِ
كأنّى بها كجبالِ الحجا ... زِ يُقبلنَ أو قِطَعِ الغَيهبِ (٥)
عليهنّ كلُّ شُجاعِ الجَنا ... نِ إذا رُهبَ الهولُ لم يَرهَبِ
لأسيافهم فى رءوس الكُما ... ةِ مَحتَمةُ القُضُبِ اللُّهَّبِ (٦)
ولمّا مررنا على رَبْعِهِ ... خرابَ الأنيس ولم يَخربِ
تبدّل بعد عجيج الوفو ... دِ بحاجاتهم صَرَّةَ الجُندُبِ (٧)
ومن سابغاتٍ ملأْن الفِناء ... من القزّ أردية العنكبِ (٨)
بكينا على غَفَلاتٍ بِهِ ... سُرِقنَ وعيشٍ مضى طيّبِ
وقلنا لما كان صعبَ المَذالِ ... من سَبَلِ العين لا تَصعُبِ (٩)
أيا دارُ كيف لبستِ العَفاء ... وماء النضارةِ لم ينضُبِ ؟ (١٠)

---

(١) شآكم : سبقكم. (٢) الودق: المطر، والعارض: الغمام المعترض فى السماء ، والصيب : الممطر.
(٣) الوجب : الخافقة . (٤) حثا : تابعا، والحث السرعة ، والنجيع: الدم . (٥) الغيهب: الظلام . (٦) الكماة : جمع الكمى وهو الشجاع المدجج بالسلاح ، والقضب : السيوف الرقاق .
(٧) الصرة : الصوت ، والجندب (بالضم) حيوان صغير كالجراد كثير القفز والوثوب
(٨) السابغات : الواسعات ، والفناء (بالكسر) الساحة ، والقز : الحرير ، والعنكب : ذكر العنكبوت . (٩) المذال : السماح ، من مذلت نفسه بالشىء إذا سمحت به، والسبل (بالتحريك) المطر ومن العين دمعها . (١٠) العفاء : الدروس ، وينضب : يغور فى الأرض .

وكيف نسيتِ الذى كان فيكِ   من العزّ والكرم الأرحبِ ؟
وكيف خلوتِ من القاطنين   وغربانُ بينك لم يَنعَبِ ؟
وأين مكامنُ ذاكَ الشجاع   ومربضةُ الأسدِ الأغلبِ ؟
وأين مواقفُ وِلْدانِهِ   ومُزدَحمِ الجند فى الموكبِ ؟
ومجرى سوابقِهِ كالصّقورِ   جابن صباحاً على مَرْقَبِ (١)
أيمضى وأسيافُهُ ما فَتِئْن   بالضّرب والسُّمرُ لم تُخضَبِ ؟ !
ولم تُعجِل الخيــلُ مذعورةً   إلى مَرغَبٍ وإلى مرهبِ ؟
ولم يُستلبْ بالرِّماح الطِّوا   لِ فى الرَّوع واسطةُ المِقْنَبِ (٢)
ولو عَلِمَ السّيفُ لمّا علا   كَ حالَ كليلاً بلا مَضرِبِ
وبُدِّل من ساعدٍ هزّه   لحتفك بالسّاعد الأعضبِ
تعامَه قومٌ سقوكَ الحِمامَ   فما فيهمُ عنك مِن مُعرِبِ (٣)
فلو عن رداكَ سألناهمُ   أحالَ الحضور على الغُيَّبِ
ألِفْتَ التكرّمَ حتّى غفلـ   ـتَ عن جانب الحاسد المُجلِبِ
ولم تَمتـــد المنعَ للطّالبين   فجُـــدْتَ بنفسك للطُّلَّبِ
فإن تكُ ياواحداً فى الزّمانِ   ذهبتَ ففضلُك لم يذهبِ
وإنْ حجّبوكَ بنشجِ الصّفيحِ   فغرُّ مساعيك لم تُحجَبِ (٤)
سلامٌ عليك وإن كنتَ ما   سلمتَ من الزّمن الأخيبِ
وواهاً لأيّامك الماضياتِ   مُضِىَّ السّحابةِ عن مُجدِبِ
فما بِنْتَ إلّا كَبين الحياةِ   وشرخِ الشّباب عن الأشيبِ
ولا خيرَ بعدك فى الطيّباتِ   فما العيشُ بعدك بالطيّبِ

(١) جابن : صحن ، ومنه الجابة (بالتحريك) وهى الصياح والصوت ، والمرقب : الموضع المشرف يكون فيه الرقيب . (٢) المقنب : جماعة الفرسان الى المئة . (٣) تعامه : تحير ، والمعرب فى الكلام : المفصح المبين . (٤) الصفيح : الحجر .

حرامٌ عليَّ اكتسابُ الإخاء ... فمثلَ إخائك لم أكسِبِ
ولستَ ترانِيَ فيمنْ ترا ... هُ إلّا على نجوَةِ الأجْنَبِ [1]
ولستُ به طالباً غيرَه ... فقدْماً وجدتُ ولم أطلُبِ

* * *

وقال يرثى نقيب العباسيين أبا الحسن [2] محمد بن على الزينبى

وتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٢٧ هـ :

ألا بكّهـا أمَّ الأسى والمصائب ... بدمعك سحًّا بين سارٍ وساربِ [3]
وعاصِ الّذى لم يُهمِ ماءَ جفونِهِ ... على فقدِ ماضٍ أو على إثْرِ ذاهبِ
ولا تُغرِنِي بالصَّبْرِ والصَّبرُ ماله ... طريقٌ إلى ما فى الحشا والتّرائبِ
تلومُ على مابى وأنتَ مُسَلَّمٌ ... وقدجبَّ هذا الرُّزء دونك غاربِى [4]
وإنّىَ مَبْلوٌّ بما لم تُبَلْ بِهِ ... فلا تُبلِنى فيـــه بلومِ المعاتبِ
وما مسّنى فيما مضى مُشبهٌ بِهِ ... ولا مرّ شاجٍ لى شجاهُ بجانبى [5]
مصابٌ هوى بالشمِّ مِن آل هاشمٍ ... وضَعْضعَ ركناً من لُؤَىّ بن غالبِ
ولم يمض إلاّ بالشَّواة عن الشّوى ... ولم يرضَ إلاّ بالطُّلى والذوائبِ [6]
وناعٍ نعىٰ نفسى ولم يدرِ أنّه ... نعـاها فأغراها بلَدْمِ ترائبى [7]
ولم أشفِ مابى من جوًى ومضاضةٍ ... بقرعِ جبينى أوعضيض رواجبى [8]
تمنّيتُ لمّـا أن أتىٰ وهو صادِقٌ ... على الرّغمَ منّى أنه كان كاذبى

---

(١) النجوة : كالربوة نزنة ومعنى . والأجنب : الغريب ، والصعب : القياد .

(٢) هوأبو الحسن محمد بن على الزينبى نقيب العباسيين توفى بداء الصرع فى سنة « ٤٢٧ » وقلد ابنه أبو تمام ما كان إليه « المنتظم لابن الجوزى . ج ٨ ص ٩٤ » وقد مرذكر آل الزينبى فى مقدمة العلامة الشبيبى . (ر. ص.)

(٣) ام الأسى : كناية عن العين ، والسارى : السائر ليلا ، والسارب : الظاهر .

(٤) جب : قطع ، والغارب : الكاهل وهو مابين الكتف والعنق.

(٥) الشاجى : المحزن والشجوة الحزن . والشجا : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٦) الشواة : جلدة الرأس والشوى : الأعضاء والطلى : الرقاب ، والذوائب : جمع الذؤابة وهى ضفيرة الشعر المرسلة .

(٧) الترائب : عظام الصدر .

(٨) الرواجب : عقود الأصابع مفردها الراجبة .

نسيبيَ بالودّ الصّحيح «وفضلة» | على ودّنا مابيننا من مَناسِبِ (١)
وماضرَ من كان القريبَ مودّة | مقربةً أنْ لم يكن من أقاربي
عطلتُ اصطباري عنه لمّا فقدته | عليـه ولم أقنع بعطّ جلابي (٢)
ولمّا توُفّي « الزينبيُّ محمّدٌ » | وسارت بما لاقاه أيدى الرّكائبِ
نفضتُ من الخلّانِ كَفِّيَ بعدَهُ | ولوّيتُ عن دار الأخوّة جانبي
وغاضتْ دموعي في الشّؤون فلمْ تسِلْ | على الذّاهبين بعده والذّواهبِ (٣)
فلا مُطمِعٌ من سائر النّاس مُطمِعي | ولا رائبٌ من بَنْوةِ الدّهر رائبي
وإنّ ودادى بعـده لمْ تَنفسه | وحاصَ امتراقاًمن أكفِّ الخواطِبِ (٤)
فلا تُدنِني يوماً ديارَ مَسَرةٍ | ولا تغشَ بِي إلّا بيوت المنادِبِ
فمن ذا الذى يرجو البقاء ونحنُ في | يمين الرّدى طوعاً وأيدى المعاطِبِ (٥)
نُساقُ إلى المكروه من كلِّ وُجهةٍ | ونُلوى عن المحبوب لَيَّ الغرائبِ
ونطوى كما تطوى البُرود بحفرةٍ | مُطمّمةٍ أعيتْ على كلّ هاربِ
فثاوٍ بها طولَ المدى غيرُ راحلٍ | وماضٍ إليها بالرّدى غيرآئبِ
ونُعدى بداء الموتِ ممّنْ أصابه | وعدوى المنايا غيرُ عدوى الأجاربِ (٦)
ولم يَعرَ جلدى كلّما ذرّ شارقٌ | لرامي المنايا من سهامٍ صوائبِ
فيثلمُني من لا أراه بناظرى | ويجرحنى من ليس لى بمحاربِ
وما غرّنى منها سلامةُ سالمٍ | فكمْ سالمٍ من حولِهِ ألفُ عاطِبِ
فإنْ تبقِني الأيّامُ بعدك للأسى | عليك وحزنى فانضٌ غير ناضِبِ

---

(١) في الأصل « وفضله » والفضلة : الزيادة . وقد مر له في هذا المعنى قوله :

وفضل الفتى ما كان منه وفضلةٌ | على مجده آباؤه ومناسبه

وله أيضاً : ودعِ الأصولَ فإنمـا | هى فضلةٌ لك إنْ نُسبتا

(٢) عطلت : شققت ، والجلابب : الثياب .

(٣) الشؤون : مجارى الدمع من العين . (٤) حاص : انهزم ، وامتراقا : خروجاً . ومنه في الحديث الشريف في صفة الخوارج « أنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » .

(٥) المعاطب : المهالك . (٦) الأجارب : يريد جمع الأجرب والصواب جمعها على جرب .

فإنّيَ قوسٌ مالهـــا منك أسهُمٌ ... ونصلُ قِراعٍ مالَهُ من مَضارِبِ

ونارٌ بلا صالٍ وضيفٌ بلا قِرًى ... وليلٌ بهيمٌ ماله من كواكِبِ (١)

فإنْ لم يكن شوكُ القَتادِ من الأسَى ... عليك فراشاً لي فشَوْلُ العقاربِ (٢)

أبادَ الرّدى أهلي وأفنَى معاشِري ... وفرّق ما بيني وبين عصائبي

وعاث زمانى فى قبيلى وتارةً ... يُذَعْذِعُ ما بينى و بين أصاحِبى (٣)

وأسمعنى فى كلّ يومٍ وليلةٍ ... نشيجَ البواكى أو حنينَ النّوادبِ

وأعرَى يمينى من إخاءٍ شريتُهُ ... وأعددْتُهُ ذخراً بسومِ التجارِب

كأنّيَ عَوْدٌ فى يديهِ مُذَلَّلٌ ... تجذّبُهُ للعَقْرِ أيدى الجواذِبِ (٤)

له مَنسِمٌ من كلّ فِهْرٍ مُشجَّجٌ ... «ويَبلَى» قَراه كلَّ يومٍ براكب (٥)

ومن عَجَبٍ أنّى طرحتُك فى الثرى ... بمَلْعَبَةٍ بين الرّياح الجنائبِ (٦)

ووسّدْتُكَ البَوْغاءَ من بعـــد بُرْهةٍ ... توسّدتَ فيها طالعاتِ الكواكب (٧)

فإنْ تخفَ عنّا فى التراب فإنّمـــا ... خفيتَ وقد أطلعتَ غُرَّ المناقبِ

وإن تَبْلَ فى قعر الضّريح بغَيْهبٍ ... فقد طالما بيّضتَ سود الغياهبِ (٨)

وإن تُضحِ محبوساً عن النُّطق بالرّدَى ... فما زلتَ فى الأقوام أوّلَ خاطِبِ

وما أنصف الأقوامُ خلَّوْكَ فى الثرى ... وراحوا إلى أوطارهمْ والملاعِبِ

وما جانبوك عن قِلاهمْ وإنّمـــا ... تناءَوْا جميعاً عن بعيدٍ مجانِبِ (٩)

هُمُ أودعوكَ التّربَ عمداً وَوَدَّعوا ... على رغمهم خيرَ اللّحَى والحواجِبِ (١٠)

---

(١) الصالى : من يوقد بالصلاء (بالكسر) وهو موقد النار . (٢) شول العقارب وشيالها : أشواكها ومفردها شولة . وفى الأصل «شوك» والأنسب ماوضعناه . (٣) عاث : عبث وأفسد ، ويذعذع : يفرق . (٤) العود : (بالفتح) الجمل المسن . (٥) المنسم (كمجلس) : الخف ، والفهر : الحجر ، والقرا (بالفتح والقصر) : الظهر وفى الأصل « نبكى » بدل (يبلى) محرفة . (٦) الجنائب : جمع الجنوب . (٧) البوغاء : التربة الرخوة . (٨) الغياهب : جمع الغيهب وهو الظلام . (٩) القلى (بالكسر) البغض . (١٠) فى الأصل . (غير اللحى) فى موضع « خير اللحى » .

فإنْ حملوا صَعْباً عليك فطالمـــا ... تحمّلْتَ عنهم مُضْلِعاتِ الصّعائبِ (١)

وإنْ أسعفوكَ بالنّحيب توجّعاً ... فمن بعــدِ أن أسعفتَهمْ بالحرائبِ

فقدْتُك فقدى مِقْوَلِى يومَ حاجتى ... إلى القولِ أوْ سيفى غداةَ التضّاربِ (٢)

ولم يُعيِنِى إلّا الّذى يطرقُ الفتى ... وإلّا فإنّى غالبٌ كلَّ غالبِ

وكم سَلَبٍ أجرى الدّماءَ جفونَنا ... ولم تجنهِ فينـــا يمينٌ لغاصِبِ

فلا أرَبٌ فى الدّهر إلّا محوتَه ... فبِنْ بالُمنى عنّا وكلَّ المآربِ

أياذاهباً ولّىْ وخلّفَ بعـــدَه ... علىَّ من الأحزان مِلْءَ جوانبى

وأخطرَنى من بعد أنْ كان لى حِمًى ... وأفردنى من بعد أنْ كان صاحبى

وُهبتَ لنا ثُمّ ارتُجعتَ إلى الرّدى ... فما لى انتفاعٌ بعـــدها بالمواهبِ

فإنْ لم أكنْ مَيْتاً كما أنتَ ميّتٌ ... فـما لِىَ فى عيشى نصيبٌ لراغبِ

وإنْ حجّبوكَ عن لقائىَ بالثّرى ... فما حَجَبوا حزنى عليك بحاجبِ

وإن تمضِ صِفْرَ الكفّ من كلّ ثروةٍ ... فقد بِنتَ صِفْراً من جميع المعايِبِ

بقلبِىَ نارٌ من فراقك ليتهـــا ... ولا بدّ منها اليومَ نارُ الُحباحبِ (٣)

ومن أين لِى من بعده بَدَلٌ بهِ ... وأين بديلٌ عن زُلالٍ لشاربِ ؟

فتًى أقفرتْ منه ديارُ مودّتى ... وخُولستُ أحبابى بهـا وحبائبى

وفارقنِى لاعن مـلالٍ وِصالِهِ ... وكم مللٍ لى من لصيقٍ مصاقِبِ (٤)

وقال خليلى حزنُك اليومَ مُسرفٌ ... كأنّ عليك الحزنَ ضربةُ لازِبِ (٥)

لَعمْرُ اللّواحى إنّها لمصيبـــةٌ ... ولـكنّها ليست كباقى المصائِبِ (٦)

---

(١) المضلعات من الأمور : الشدائد ، وأصل الضلع الدرج ، والصعائب : جمع الصعبة من النوق .
(٢) المقول : اللسان . (٣) الحباحب : ذباب يطير فى الليل كأنه نار له شعاع كالسراج .
(٤) المصاقب : المجاور والقريب . (٥) ضربة لازب : أى لازم محتم .
(٦) اللواحى العواذل .

وقد نابَكمْ ما نابَكمْ فتأمّلوا ... أمرَ لكمْ مِثلٌ لها فى النّوائبِ ؟

أعِنّى على ما بِى. وإلاّ فخلّنِي ... فلستَ وما ثِقْلِي عليك بصاحبِ

ولا تُسلِنِي عمّا مضى بالّذى ترى ... فقد حِيزَ عنّى خير ما فى حقائبى[1]

ولو أنّ غيرَ الموت ضامك وحدَه ... دفعناه بالبيض الرّقاق المضارِب

ومُدّتْ إليه من رجالٍ أعزّةٍ ... طوالِ الخطا أيدى القنا والقواضبِ

إذا ركبوا لم يرجعوا عن عزيمةٍ ... وإن غضبوا لم يحفِلوا بالعواقِبِ

هُمُ أطعموا سُغبَ الصّوارم والقنا ... طعاناً وضرباً من لحومِ الكتائبِ[2]

وما عُظِّموا فى النّاس إلاّ بحقّهمْ ... وما قُدِّموا فى القوم إلاّ بواجِبِ

وهمْ أخجلوا بالجدْب كلَّ مجاودٍ ... وهمْ غلبوا فى الحرب كلَّ محاربِ

عليك سلامٌ لا انقطاع لوَبْلِهِ ... يجود وإنْ ضنّتْ غِزارُ السّحائبِ[3]

ولا زِلتَ مطلولَ الثّرى أرِجَ النّدى ... تضوعُ ذَكاءً من جميعِ الجوانِبِ[4]

وإنْ مسّت الأرواحُ تربَك مسّةً ... فمرّ نسيمِ المُعْيِياتِ اللّواغِبِ[5]

وأوْلجَك اللهُ النعيم ولا تكنْ ... بجنّاته إلّا عَلِيَّ المراتبِ

* * *

(١) الحقائب : جمع الحقيبة وهو كالجراب يحتقبها الراكب. (٢) السغب: الجياعى ، والكتائب : جمع الكتيبة وهى الثلة من الجيش . (٣) الوبل : المطر ، وضنت : بخلت .

(٤) المطلول : الذى أصابه الطل وهو المطر الخفيف ، والأرج : ذو الرائحة العطرة، وتضوع: تفوح ، والذكاء : سطوع الرائحة .

(٥) فى الأصل : « اللواغب » : جمع اللاغب وهو المتعب ، وما وضعناه أنسب .

وقال يرثى الأمير عنبر «الملكى»[1] الخادم[2]

وقد توفى سنة «٤٢٠» هـ:

أىُّ فتًى وورِى فى التُّربِ ... قضَى ولم أقضِ به نَحْبى ؟[3]
زوّدنى بعــــد فراقى له ... ماشاءت الأحزانُ من كربِ
قلتُ لرَكْبٍ قال لِى إنه ... ذاق الرّدى أرجلتَ من رَكْب
ولا رَعَتْ عيسُك فى منزلٍ ... نزلتَه شيئــــاً من العُشبِ
ولا يزلْ فوكَ وقد قال لىْ ... ماقال مملــــوءًا من الترب
قد ضرّنى الصّــدقُ فمنْ ذا الّذى ... ينفعنى ياقومُ بالــكذبِ ؟
نعيتَ ـ لا بوعدت من سيّءٍ ـ ... أفضلَ من قلبى إلى قلبى
رمحى الّذى يفرى نحورَ العدَى ... وفى جـــلادِى هوَ لِى عَضبى
فــكمْ له دونِىَ من موقفٍ ... آمننى فيـــه من الرُّعبِ
ولم يكن لى وهْوَ فى قبضتى ... على المــنى شىءٌ من العتْبِ
ماقنعتْ إلّا به همّـــتى ... ولم أقلْ إلّا به حسبى
وعاضَنى من حَرجٍ ضيّقٍ ... علىَّ بالإفساحِ والرُّحبِ
هو الرّدى يأخذ من بيننـــا ... إذ همّ مَنْ شاء بلا ذنْبِ
وليس يُسطـــاع دفاعٌ له ... بالطّعنِ بالرُّمح ولا الضّرب
إنْ يبغِ محجوباً فمــا إنْ له ... مِن دونه شىءٌ من الحُجْبِ

---

(١) فى الأصل «الملكى» والصحيح «المــلكى» نسبة إلى الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة وكان يكنى أبا المسك ويلقب بالأثير وقد بلغ مبلغا لم يبلغه أمثاله المماليك حتى صار أصحاب الأطراف يقبلون رجله ويترجلون عند لقائه وينفذ حكمه فيما ينفذ فيه حكم الملوك ، انحدر إلى بغداد طمعاً فى تملكها معونة للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن عضد الدولة فتوفى فى مشهد «الــكحيل» سنة «٤٢١» (المنتظم ج ٨ ص ٥٢ ، والــكامل فى حوادث ٤٢٠ وغيرها) . (م . ج .) .

(٢) الخادم : اصطلاح معناه المملوك الخصى ، قال السمعانى فى «الأنساب» الخادم اشتهر بها الخصيان الذين يكونون فى دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد . (م . ج) .

(٣) قضى نحبه : مات .

أو شاء أن يأخذ ذا هَضْبَةٍ عالـــيةٍ فهو بلا هضْبِ
بزّ اليمـــانيّين تيجانَهمْ من دونها أردية العَصْبِ [1]
واستلّ من كسرى بإيوانهِ أطواقَه الُحرّ مع القُلْبِ [2]
ولم تزلْ تدخـــل رُوّادُهُ من مُضَرٍ شِعْباً إلى شِعْب
وشرّدتْ أصحابَه بطشـــةٌ منـــه بهمْ فهْو بلا صَحْبِ
ولفّهمُ لفًّا بأيدى القنـــا لفَّ الصَّبا للغصُنِ الرَّطْبِ
كأنّهمْ تزهر أجـــدانُهمْ ذوائبٌ خرّتْ من الشهب
وكم سطا فيهمْ بأُسْدِ الشّرٰى ومُطعمِى الأضيافِ فى الَجدْبِ
قل لامرئٍ يطمع فى خُلدِهِ فهْوَ غَفولٌ آمنُ السِّرْبِ
ليس كما قدّرتَه إنّمـــا خُلقتَ للتّربِ من التُّربِ
لاترجُ أن تَنْجُوَ مشياً وقد بغـــاك باغٍ واسعُ الوثْبِ
تنـــال كفّاه إذا مُدَّتا من كان فى بُعدٍ وفى قُرْبِ
ياناثيـــاً عنّى ومن مُنيتى أنْ بِعتُ بُعدى منه بالقُربِ
كم لك عندى من أيادٍ مضتْ بيضاً وإن كنتَ من الشُّحْبِ [3]
واللّيل كالصّبحِ لنفع الورٰى والسُّمرُ كالبيضِ لدَى الحربِ
وماجرٰى فى النّـاس شئٌ لهمْ مجرٰى سواد العينِ والقلبِ
والقزُّ فى الصُّفرةِ مخلوقةً خيرٌ لباغيـــهِ من العُطبِ [4]
فافخرْ على القومِ الأُلٰى سُوِّدوا فى الشّرق إنْ شئتَ وفى الغربِ
فليس فيهمْ كلُّهمْ واحـــدٌ سادَ جميعَ العُجْمِ والعُرْبِ

---

(١) بز : استلب ، والعصب : ضرب من البرود . (٢) القلب (بالضم) : السوار من العاج أو الفضة تلبسه المرأة . (٣) الشحب : جمع الشاحب وهو متغير اللون ، يعنى أن المرثى كانت أفعاله بيضاً وإن كان جلده أسود ، لأنه كان حبشياً أسود . (٤) القز : الحرير ، والعطب : القطن ، يعنى أن المرثى وإن كان أسمر اللون كالقز إلا أنه أغلى من القطن الذى هو أبيض.

لا تألفِ السُّوءَ ولا بِتَّ فى ناحيةِ القـــذفِ ولا الثَّلْبِ
ولا تعُجْ باللّهوِ فى خــلْوَةٍ ولا مزجتَ الجدَّ باللّعبِ
وكلّما نِلتَ بهــــا رُتبةً حَمَيْتَ فيها جانبَ الُجنبِ (١)
كم كنتَ للأملاكِ كهفاً وكمْ حَمَيتَهمْ بالمُلك من خَطْبِ
وكم تلافيتَ بتفـكيرةٍ صافيـــةٍ شَعْباً من الشَّعْبِ
كانوا ومن رأيك «آراؤهُمْ» مثلَ رَحًى دارتْ على قُطْبِ (٢)
قد دَرّت الدّنيـــا لهمْ مرّةً وأىُّ درٍّ ليس بالحَلْبِ ؟
كم ذا تداركتَ اعوجاجاً لهمْ على ظهورِ الضُّمَّرِ القُبِّ (٣)
يطوين يحملن الرّدَى للعدَى سَهْباً من الأرضِ إلى سَهْبِ (٤)
وكلّما زاحَمْنَ فى غمــرةٍ شوكَ القنا السّمر على إرْبِ (٥)
كُسينَ أجلالاً بنسجِ القنـــا من النجيعِ الأحمرِ العَصْبِ (٦)
سقَى الذى أصبحتَ رهناً به من الثَّرَى أنديةُ السُّحْبِ
ولا سمعنا لخريقٍ بــــه صوتاً ولا زَعزَعَةَ النُّكْبِ (٧)
ولا يزلْ تنضحُ حافاتُهُ من الحَيَا بالباردِ العَذْبِ (٨)
حتّى يُرَى من بين أجداثِهِمْ رَيّانَ مَلآنَ من الخِصْبِ
فليس مُلقًى فى الثّرى ميتاً موسّدَ الكفِّ على الجنْبِ

---

(١) الجنب (بالضم) مخففة من الجنب (بالتحريك) وهو الغريب والبعيد . (٢) فى الأصل : « لروادهم » بدل (آراؤهم) محرفة . (٣) الضمر : جمع الضامر وهو الهزيل ، والقب : جمع الأقب والقباء أى دقيق الخصر كالضامر . (٤) السهب : الفلاة .
(٥) الإرب : الغائلة والحاجة . (٦) الأجلال : جمع الجل (بالضم) الذى يوضع على ظهر الدابة وهو معلوم ، والعصب : ضرب من البرود يصبغ بالحمرة ، وشبه ما تنسجه القنا من الدم بالعصب . (٧) الخريق : الريح الباردة السريعة ، والنكب : جمع النكباء وهى الريح تهب منحرفة عن مهاب الرياح . (٨) الحيا (بالقصر) : المطر .

مَنْ طار فى الآفاق ذِكْرٌ لهُ ... وسار بالأقلامِ فى الكتبِ
فالحقُّ بمن سمّى لنا نفسه ... بأنه يعفو عن الذّنبِ
فما أتتْ كفّاكَ من سيّءٍ ... يضيقُ عنهُ كرمُ الرّبِ

* * *

وقال فى الافتخار [وذم الأعداء] :

إذا سارتْ بنا خُوصُ الرِّكابِ ... ورُحنا بالهوادج والقِبابِ (١)
دعى مالا يردّ عليكِ شيئاً ... وقومِى فانظرى مِنّى إيابى
فإنْ فُجِعتْ يمينُكِ بى ارتحالاً ... فقد فُجعتْ يمينى بالشّبابِ
فما يُجدى زفيرى إذ « توالىٰ » ... ولا يُغنى بكائى وانتحابى (٢)
ذعَرْتُ به المَها وأرَقْتُ لمّا ... لبستُ قميصَه ماء التّصابى
ونكّب عاذلى عن دارِ عَذْلِى ... فتاركنى وأقصرَ عن عتابى
فلستُ أحنّ والبيضاء عندى ... إلى البيضاء والرُّودِ الكَعابِ (٣)
ولا تقتادنى بُرَحاء وجْدِى ... إلى ذاتِ القلائدِ والسِّخابِ (٤)
فقلْ لصقيلة الخدّين حُسناً ... دعينى من ثناياكِ العِذاب
فمالى فوق جيدِكِ من عِناقٍ ... ومالى من رُضابِكِ من شرابِ (٥)
ولالى منكِ والشّعرات بيضٌ ... بُعَيْدَ سوادِها غير اجتنابِ
نِقابكِ والبعادَ اليومَ منّى ... فقد صار المشيبُ بها نِقابى
ضَللتُ عن الهُدىٰ زمناً بسودِى ... فأرشدنى المشيب إلى الصّوابِ

---

(١) الخوص : جمع الخوصاء والأخوص ، وهو الغائر العين من أثر التعب أو الهزال .

(٢) فى الأصل « تولى » بدل « توالى » أى تتابع . (٣) الرود : الشابة الحسنة وأصل الوصف مهموز ، والكعاب (بفتح الكاف) : الجارية الكاعب وهى الناهدة الثديين .

(٤) البرحاء (بضم الباء وفتح الراء) : الشدة ، والسخاب : القلادة من القرنفل والسك (السك بوزن الدر : نوع من الطيب) . (٥) الجيد . العنق ، والرضاب (بالضم) : الريق أو لعاب العسل .

أَلَمْ ترنى مقيماً فى سِراعٍ إلى خطإٍ بطاءٍ عن صوابِ
طعامى فيهمُ وعــــدٌ خَلِيٌّ عن الجدوى وشربى من سَرابِ
لهمْ غدرٌ بجارِهِمُ ومــــكْرٌ به خافٍ ولا مكرُ الذِّئابِ
وقد مزجوا دَهاءً بالتّـــداهى كما خلطوا الغبـاوة بالتّـغابى
وحبُّهُمُ الذى لا أرتضيــــهِ فأنفقُ فيـــه من جِدّى لِعابى
فقل لمعاشرٍ رجموا حِمـــامى أرونى من ينوب لـكمْ منابى ؟ [1]
ومن يشفيــكُمُ كَلِمــاً وكلْماً لدى غَمراتِ خطبٍ أو خطابِ؟ [2]
وقد طرد الرّدى عنــكمْ قِراعى كما طرح النّـدى فيــكمْ سحابى
فأين حضيضُــكمْ من رأسِ نِيقِى ومِن أوشالكمْ أبداً عُبابى ؟ [3]
وما للعــار فى طَرَفِى مجالٌ وأنتمْ فى يَدَىْ عارٍ وعابِ
فلا تستوطنوا إلاّ وِهاداً فإنّ لغـــيركمْ قُلَلَ الرّوابى
ومِمّـا ضرّمَ الأعـــداء ناراً حلولى من قريشٍ فى اللّبابِ
وأنّ إلى نبيٍّ أو وصيٍّ نُسبتُ فمن له مثــلُ انتسابى ؟
وفى بيتى النبُوّةُ ما عَـدَتْنِى وقانونُ الإمامةِ فى نِصابى [4]
أجلْ عينيك فى مجدى تجِـدْنى وَلَجْتُ إلى العلا من كلّ بابِ
فما طُوِيتْ على لَعِبٍ ثيـــابى ولا حُدِيَتْ إلى طَرَبٍ رِكابى
هو الزّمنُ الّذى يُدْنى ويُنئِى ويُقعِى حين يُقعِى للوِثابِ [5]
جمعتمْ يابنى الدّنيـا حطـاماً يُرى من بعدكمْ بيدِ النِّهابِ

---

(١) رجموا حمامى : ظنوه واقعاً كأن لهم آربا فيه .   (٢) الـكلم (بفتح الـكاف وتسكين اللام) : الجرح .   (٣) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ، والأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل ، والعباب : الماء الـكثير .
(٤) النصاب : الأصل .   (٥) يقعى ، من الإقعاء وهو الجلوس على الإليتين مع نصب الفخذين .

وقد أذللتُ ما أعززتموهُ   فدأبُكمُ بنى الدّنيا ودابى [1]
لقد طلب العدٰى منّى معاباً   فما وجدوا ـ وقد جهدوا ـ معابى
ولا رجّوا ولا حذروا جميعاً   سوى عُقبٰى ثوابى أو عقابى
ومن ذا كان للخلفاء مثلِى   وقد مسّتْ أسِرّتَهم ثيابى ؟
وقد عتبوا علىَّ وليس يخلو السعدُوُّ ولا الولىُّ من العتاب
فما طرحوا لذى أرَبٍ سؤالى   ولاتركوا « جوابى »عن خطابى [2]
ومالِى بينهمْ إلّا ليالٍ   عذُبْنَ وغير أيّامٍ طِيابِ
وكمْ يومٍ نصرتُهُمُ وفرْشى   قَرا الجُرْدِ المطهّمةِ العِرابِ [3]
كأنى « شامخٌ » فى رأس طَوْدٍ   وفى الإسراعِ فوق قطاةِ جابِ [4]
وفى كفّى صقيلٌ لا بصقلٍ   له عهدٌ طويل بالقِرابِ
إذا حمّلتُهُ كفّى فى هِياجٍ   فويلٌ للجماجمِ والرّقابِ !
وقد جمجمتُ عمّا فى ضميرى   فإنْ بُقّيتُ قلتُ ولمْ أحابِ [5]

* * *

(١) الدأب : العادة ، وحذفت الهمزة فى الأخيرة للخفة .

(٢) الأرب : الحاجة ، ولعل الأصل « جواباً » بدل « جوابى » .

(٣) القرا : الظهر ، والجرد : جمع الأجرد وهو من الخيل القصير الشعر السباق ، والمطهمة : الجميلة التامة الخلق ، والعراب : العريقة فى العروبة .   (٤) فى الأصل « شامخاً » خطأ ، والطود : الجبل ، والقطاة هنا : الظهر ، والجاب وأصله الجأب بالهمز : هو الغليظ من حمر الوحش .

(٥) جمجم : أخفى ، والمحاباة : المداراة .

وقال يرثي غريب بن «مقن»[1] وتوفي شهر ربيع الآخر سنة ٤٢٥ :

أتمضي كذا أيدي الرَّدى بالمصاعبِ ... وتذهب عنّا بالذُّرى والغواربِ[2]
وتُستلَبُ الآسادُ وهيَ مُلظَّةٌ ... بأخياسهنّ من أعزّ المسالبِ[3]
وتُؤخذ منّا من وراء سُجوفنا ... بلا رأيِ بوّابٍ ولا إذنِ حاجبِ
وتُقنص فينا روحُ كلِّ محاربٍ ... أبيٍّ جريءٍ وهو غير محاربِ
أياصاحبي إنْ كنتَ في إثرِ من مضى ... على مثل حالاتي فإنّك صاحبي
دعِ الفكرَ إلّا في الحِمامِ ولا تُقِمْ ... مع الحرصِ في دار الظّنونِ الكواذبِ
وإنْ كنتَ يوماً بالحديثِ مُعلِّلاً ... لسمعي فحدّثني حديثَ النّوائبِ
فلي شُغُلٌ عمّنْ أقامَ بمنْ مَضى ... وعن معجباتٍ رُقْننَا بالعجائبِ
وناعٍ لسيف الدّين أضرمَ قولُه ... ولمْ يدنُ ما بين الحشا والتّرائبِ
وجاء بصدقٍ غيرِ أنّي إخالُهُ ... خداعاً لنفسي ، إنّه قولُ كاذبِ
فأثكلني طيبَ الحياةِ وضمّني ... إلى جانبِ الأحزانِ من كلِّ جانبِ
فيالك من رُزءٍ أزارَنيَ الأسى ... وعرّف ما بيني وبين المصائبِ !
ولولاه لمْ أغضِ الجفونَ على قذًى ... ولا لانَ للوجدِ المبرّحِ جانبي
أُساقُ إلى الأحزانِ من كلِّ وُجهةٍ ... كأنّي ذلولٌ في أكفِّ الجواذبِ

---

(١) في الأصل : «محمد» والصحيح «مقن» بالميم والقاف والنون ، وكنيته أبو سنان ولقبه سيف الدولة وهو من أمراء عقيل ، وأصحاب الإمارة العقيلية التي نشأت في ظل الدولة البويهية على دجلة شمالي بغداد حتى جاوزت الموصل ، ذكره ابن الأثير غير مرة آخرها في سنة وفاته «٤٢٥» وقال إنه توفي بكرخ سامراء وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالأمر من بعده عماد الدين أبو الريان سالم «الكامل لابن الأثير» وذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء «ج ٢ ص ١٠٣» وابن خلكان «ج ١ ص ١٧٢» استطراداً (م . ج) .

(٢) المصاعب : جمع المصعب وهو الفحل الممتنع الظهر من الركوب ، والغوارب : الكواهل .

(٣) ملظة : مقيمة ، والأخياس : جمع الخيس (بالكسر) وهو عرين الأسد .

فلا مَطعمٌ فينـــا يطيبُ لطاعمٍ ... ولا مشربٌ منّا يَلَذّ لشاربِ
فقل لسيوف الهند من بعد فقده : ... تناهَيْنَ ما فيكنّ ضربٌ لضاربِ
وقلْ لطوال الخطّ يُرْكَزْن فالذي ... سَقَتْكُنّ يمناهُ مضى غيرَ آئبِ (١)
وقل لجيـــاد القُودِ لستنّ بعد ما ... تولّى جديرات بركبة راكبِ (٢)
وقل للمغيرين الذين تعوّدوا ... زِحامَ العوالى فى صدور الكتائب :
دعوا ما أُلِفْتُمْ من قراعٍ فقد مضى ... بحكم الرّدى منكم قريعُ المقانبِ (٣)
وقل للسّراة النازعين إلى الغِنَى ... فهمْ أبداً ما بين سارٍ وساربِ : (٤)
أقيموا فلا نارٌ تَوَقَّدُ للقِرى ... ولا راحةٌ مفجورةٌ بالمواهبِ
فتًى أوحشتْ منه المكارم والعُلاَ ... ولمّا قضى عُطّتْ جيوبُ المناقبِ (٥)
وكم لك من يومٍ لدغت كُماتَه ... بشوك العوالى لا بشوك العقاربِ
وحيٍّ خبطتَ الليلَ حتى ملكتَهُ ... على آلفاتٍ للصّعاب شَوازبِ (٦)
تراهُنّ يقضمنَ الشّكيمَ كأنّمـــا ... لَبِسنَ بنسجِ الطّعنِ حُمْرَ الجلابِبِ (٧)
وحولك طلاّعون كلَّ ثنيّـــةٍ ... إلى المجد حلاّلون شُمَّ المراقِبِ (٨)
إذا عزموا لم يرجعوا من عزيمةٍ ... وإنْ أقدموا لم ينظروا فى العواقِبِ
وفقدُ الصَّديقِ المحضِ صعبٌ فكيف بى ... وفقدى صديقاً من أجلِّ أقاربى ؟
ويؤلمنى أنّى تركتكَ مفرداً ... بمَدْرَجةٍ بين الصَّبا والجنائبِ (٩)

(١) الخط : (بالفتح) موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية .
(٢) القود : جمع القوداء والأقود وهو من الجياد ما طال ظهره وعنقه .
(٣) المقانب : جمع المقنب وهى جماعة الفرسان الى المئة .
(٤) السارى . السائر ليلا ، والسارب : الظاهر . (٥) عطت : شقت .
(٦) الشوازب : جمع الشازب وهو الضامر الخشن . (٧) الشكيم : جمع الشكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام ، والجلابب : جمع الجلباب وهو الثوب .
(٨) الثنية : العقبة ، والمراقب : جمع المرقب ، وهو الموضع المرتفع يكون فيه الرقيب .
(٩) المدرجة : الطريق ، والصبا (بالفتح) : ريح تهب من مطلع الشمس ، والجنائب : جمع الجنوب وهى الرياح الجنوبية .

يُطاع بهـــا أمرُ البِلىٰ فى معاشرٍ [أبَوْا] أن يطيعوا غالباً بعد غالبِ[1]
وما منهُمُ إلّا الذى نال رتبـــةً سَمتْ وعلتْ عن كلّ هذى المراتِبِ
فإنْ يُـكسَفوا فى غَيْهَبٍ من قبورهمْ فقـــد ضوّءوا دهراً ظلام الغياهبِ
وإنْ قُبضتْ منهمْ أكفٌّ عن النّدىٰ فقد بُسطتْ دهراً لهمْ بالرّغائبِ
وإنْ جَثَموا بالتُّربِ طوعَ حِمامِهمْ فـكم جرّروا فينا ذيولَ المواكِبِ
ألا سقّيانى دمعَ عينىَ بعـــدَهُ ولا تُسمعانى غيرَ صوتِ النّوادبِ
سقى اللهُ ما أصبحتَ فيه من الثّرى زُلالَ التّحايا عن زلالَ السّحائبِ
ولا زال منضوحاً بعفوٍ ورحمـــةٍ ورَوْحِ الجنانِ من جميع الجوانِبِ
فقد طُوِيَتْ منـــه الصفائحُ عَنْوةً على سامقِ الأعراقِ ضخم الضّرائبِ[2]

***

وقال فى الوعظ :

كلَّ يومٍ غريبةٌ للخطوبِ وعجيبٌ يُنسيك كلَّ عجيبِ
حَيرةٌ كالضّلالِ فى غَسَقِ اللّيـــلِ بلاصاحبٍ ولامصحوبِ[3]
وازورارٌ عن الهدى لحليمٌ كسفيهٍ ومخطىءٌ كمصيبِ
وعيونٌ مملوءةٌ من دموعٍ وقلوبٌ محشوّةٌ من وجيبِ[4]
وذنوبٌ من الزّمان فقد عشـ ـتُ طويلاً وماله من ذنوبِ
«ورمتنى» أحداثُ هذى اللّيالى إذْ رمتنِى بمُصمِياتِ القلوبِ[5]
فى مليكٍ أسطو به وحميمٍ أو خليلٍ أو صاحبٍ أو نسيبِ

---

(١) البلى (بالكسر) : الهلاك و [أبوا] ساقطة من الأصل وهى من إضافتنا الضرورية .
(٢) الصفائح : حجارة عراض رقاق تصفح فيها القبور مفردها صفيحة ، والأعراق جمع العرق وهو الأصل ، والضرائب : الطبائع أو السجايا مفردها الضريبة .
(٣) الغسق : (بالتحريك) : الظلام .   (٤) الوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٥) « ورمتنى » كذا فى الأصل ولعلها « ودهتنى » (م . ج) والمصميات : القاتلات .

عُجْ على هذه الدّيار [التى] ليـــس لداعٍ بأهلها من مُجيبِ[1]
دخلتْ هذه الرّزايا اقتساراً بين قلبى و بين كلّ حبيبِ
واستبدتْ دونى بكلّ نفيسٍ وتناءتْ عنّى بكلّ قريبِ
و إذا ما شكوتُ ما بِى فشكـــواى إلى كلّ مثقلٍ مكروبِ
«غَرَضٌ» بالزّمانِ يَكْلِمُ بالأظـــفار منه وتارةً بالنّيوبِ[2]
يتهنّا بالعيشِ وهو على ما ليس يهوى منها لقاء شَعوب

* * *

وقال وكتب بها إلى الوزير أبى المعالى[3] ابن عبد الرحيم
عند عوده من سقى الفرات[4] :

لم يبق لى بعـــد المشيب تصابى ذهب الشّباب و بعده أطرابى
فالآن ما أرجو وصالَ خريدةٍ يوماً ولا أخشى صدودَ كَعابِ[5]
ياصاحبى قد عاد عذلك ظاهراً فالشّيبُ أعذلُ منك فى أحبابى
قد نابت الحسون والسّبع التى لِى بعدها فى العذلِ عن أصحابى[6]

---

(١) [التى] من زيادتنا الضرورية . (٢) الغرض: الحاجة والشوق، وفى الأصل (عرض) مصحفة ، ويكلم : يجرح ، والنيوب : جمع الناب « وليس فى هذا البيت. والذى بعده قران (م . ج) » .
(٣) المعروف أن كنيته « أبو سعد » وهو عميد الدولة والكفاة محمد بن أبى القاسم الحسين بن على بن عبد الرحيم ، أصله من براز الروز « بلد روز » ، وكان جده على بن عبد الرحيم من عمال عضد الدولة البويهى، ولى عميد الدولة الوزارة للملك جلال الدولة بن بهاء الدولة البويهى سنة « ٤١٩ » وعزل وولى بعد ذلك خمس مرات ، ثم توفى فى جزيرة ابن عمر سنة « ٤٣٩ » وكان عالماً بالحساب والأدب ألف كتاباً فى أخبار الشعراء نقل منه ياقوت وغيره ، وكان يحضر مجالس العلماء ويسمع الحديث ، وكان مهيار الديلمى قد وقف شعره عليه وعلى إخوته وأهله ، ترجمه ابن الجوزى فى المنتظم « ج ٨ ص ١٣٤ » والكامل فى سنة وفاته وغيرهما ، (م . ج) .
(٤) سقى الفرات : البلاد التى يسقيها الفرات وخصوصاً الكوفة وما حولها .
(٥) الخريدة : الجارية العذراء ، والكعاب (بالفتح) والكاعب : الجارية الناهدة الثديين .
(٦) من هذا البيت يعلم أن المرتضى نظم هذه القصيدة سنة ٤١٢ حيث كان مولده سنة ٣٥٥ .

فلربّما حابى العذول فــلم يلُمْ   والشّيبُ فى الفَوْدين ليس يحابى [1]
لا تخشَ منّى أن أنقّبَ عن هوى الـــبيض الأوانس والمشيبُ نِقابى [2]
بلغ المشيب مآرباً ومآرباً   منّى ولم أبلغ به آرابى
ورجوتُ منه شفــاءَ داءٍ كامنٍ   فازددته وَصَباً إلى أوصابى [3]
قد كان شافِعِيَ الشّباب إلى الدُّمى   والشيبُ بعد فراقه أغرى بى
فرباعهنّ سوى رباعِيَ فى الهوى   وجنابهنّ هناك غيرُ جنــابى
ولقد عَمَرتُ مراساً من قبــلهِ   فأعاد لى رُسُلى بغير جوابِ
لا ذنبَ عندى منــه إلّا أنّه   كان السّفير لفرقةِ الأحبابِ
ولقد عتبت على التى صَرَمَتْ وقد   وصلَ المشيبُ وما أفاد عتابى [4]
ياجملُ كيف نزعتِ حبلَكِ من يدى   لمّا نزعتُ من الصّبا أثوابى ؟ [5]
فقطعتِ وصلكِ لا لجرمٍ كان لى   وإلى وصالكِ جيئتى وذهابى
ساق الذى بعث النّوى قلبى كما   ساق الحُداةُ ضُحًى «بِطاء» رِكابِ [6]
فمتى سألتَ عن الفؤاد فإنّه   قد سار بين هوادجٍ وقِباب
ياطالباً يجتابُ كلَّ تنوفــةٍ   تُدمى ظهورَ العيس خيرَ جنابِ [7]
والشمسُ فى الجوزاء راميــةٌ إلى   تلك المرامى كلّهــا بلُعابِ
عُجْ بالوزير أبى المعــالى أينُقِى   واجعلْ إليــه غيبتى وإيابى [8]
واقطعْ به ـ كى لا أسافرَ ـ أنسُعى   واعقِرْ له ـ كى لا أريمَ ـ رِكابى [9]

---

(١) المحاباة : المداراة ، والفودان : جانبا الرأس ممـا يلى الأذنين .
(٢) أنقب : أفحص ، والنقاب (بالـكسر) : القناع .   (٣) الوصب (محركة) المرض .
(٤) صرمت : قطعت .   (٥) ياجمل : مرخم ياجميـلة .
(٦) فى الأصل « مطاء » بدل « بطاء » محرفة .
(٧) يجتاب : يقطع ويجتاز ، والتنوفة : الفلاة ، والعيس : الإبل البيض مع شقرة،مفردها المذكر أعيس والأنثى عيساء .   (٧) الأينق : جمع الناقة .   (٩) الأنسع : جمع النسع (بالـكسر) وهو سير من جلد مضفور تشد به الرحال ، وأريم : أفارق .

فهو الّذى قد كنتُ عمرى أبتغى ... وأرومُ مقترحاً على أنصابى [1]

وإذا « بلغن بِىَ » المُنى موفورةً ... فشعابُ غيرِ المُدلجين شعابى [2]

لِى من ودادك واصطفائك رتبةٌ ... حُبٌّ أتيــهُ به على أحبابى

وإذا ملأتَ من الثنـاء مسامعى ... فكأنْ ملأتَ من « الثّراء عيابى » [3]

وإذا رضيتَ فقد حظيتُ فإنّنى ... أرضى بأن ترضى وذاك طِلابِى

لِى كلَّ يوم من جميلك مِنّــةٌ ... غرّاء تأتينِى وتقرعُ بابى

وكرامةٌ لم يدنُ منها مُكْرِمٌ ... عبقتْ بها دون الأنام ثيابى

كرّمتَنى فملكت منى رِبْقَةً ... تأبى انعتاقاً يومَ عِتْقِ رِقابِ [4]

وتركتنِى وقفاً عليكَ إقامتِى ... وإلى ديارِك موئِلِى ومآبى

كم لى إليك شفاعةٌ مقبولةٌ ... ونداء مسموعِ النّداء مُجابِ

فمتى أردتُ جعلتُ قولى رائداً ... فى نيل موهبةٍ وصرفِ عِقابِ

فلقد كُفيتُ وفى يديك معونتى ... ولقد غَلبتُ وأنت من أحزابى

ومتىْ ضَحيتُ ففى ذراك أظلّتى ... وإذا ظمئتُ فمِنْ نَداك شرابى

وأنا الّذى لك بالولاء مواصِـلٌ ... فاغفرْ لذاك زيارةَ الإغبابِ [5]

سلْ عن بسالتِهِ خفاجَةَ. والظّبا ... فى راحتيهِ تُمطّ كلَّ إهابِ [6]

والطّعنُ يَثنى كلَّ من شابتْ له ... تلك المفارق من دمٍ بخضابِ

وتوهّموا جهلاً بأنّكَ كالأُلىٰ ... شُلّوا بأرماحٍ لهمْ وحِرابِ [7]

حتّى رأوْكَ مصمّماً فتساهموا ... طُرقَ الفِرارِ بقفرةٍ كذئابِ

---

(١) الأنصاب : الغايات . (٢) المدلجون : السائرون ليلا ، وفى الأصل « بلغنى » بدل « بلغن بى » محرفة . (٣) فى الأصل « من الثرا أعتابى » محرفة ، والعياب : جمع عيبة وهى الوعاء . (٤) الربقة : حبل فيه حلق كالعرى تربق به «أى تشد» المواشى .

(٥) الإغباب فى الزيارة : أن تكون بين فترة وأخرى وقد مضى تفسيرها .

(٦) تمط : تشق . (٨) شلوا : طردوا .

شرّدتهم فخيامهم منبوذة　　من غير إعماد ولا إطناب
وسلبت أنفسهم ولم تحفل بما　　أبقت مصارعهم من الأسلاب
لله درّ شجاعة بك أمكنت　　نصل الأعاجم من طُلى الأعراب (١)
ولقد لففتهم بهم فكأنما　　حضّضت بين ضراغم فى غاب (٢)
واليوم لا ينجيك من أهواله　　إلاّ الطّعان وصدق كلّ ضراب
فالضّرب فى هاماتهم منثورة　　فوق الثّرى والطّعن فى الأقراب
هدرت زماناً بالفرات فحولهم　　فاليوم مافيهم طنين ذباب
أمّا بنو عبد الرّحيم فإنّهم　　حدّ الرّجاء وغاية الطّلاب
لم يسكنوا إلاّ القلال ولم يُرَوْا　　والنّجم إلاّ فى رءوس هضاب
مافيهم إلاّ النّجيب لأنّه الـ　　ـبيت الملئ بكثرة الأنجاب
القائلين الفصل يوم تخاصم　　والواهبين الجزل يوم رغاب
ومزاحمين لهم على راياتهم　　رجعوا وقد نكصوا على الأعقاب
لن يصلحوا «قُرُباً» لصون سيوفهم　　وهم السّيوف لنا بغير قراب (٣)
لا خير فى أسل بغير عوامل　　فينا ولا سيف بغير ذباب (٤)
ليس الرّياسة بالمُنى أو بالهوى　　لكنّها بركوب كلّ صعاب
لاتقربوا بذنابكم طلعاً عن النّـ　　ـسلان والعسلان ليث الغاب (٥)
وإذا الجياد جرين لم تحفل وقد　　عنّ التسابق بالهجين الكابى (٦)
وصوارم الأسياف عند ضريبة　　ما كنّ يوماً كالكليل النابى

---

(١) الطلى : الرقاب مفردها الطلية . (٢) حضضت : حرضت والتشديد للمبالغة ، والضراغم : الأسود مفردها الضرغام . (٣) قربا : جمع قراب ، وفى الأصل « قربى » عرفة : (٤) الأسل : الرماح ، والعوامل : صدورها مما يلى السنان ومفردها عامل ، والذباب : حد السيف . (٥) النسلان (بالتحريك) : مصدر نسل إذا أسرع فى مشيه ، والعسلان مثله ، وهو عسال نسال (على زنة بقال) أى سريع العدو ، وطلعاً (بالتحريك) مثلها الخيل .
(٦) عن : عرض ، والهجين من الخيل : التى ولدته برذونة من حصان فهو غير أصيل ، والكابى : العاثر .

خذها فإنْ بُقِّيتُ شيئاً آنفاً ... تسمعْ لها ماشئْتَ من أتراب [1]
واسمـــعْ كلاماً لم يُحَكْ شِبْهٌ له ... ملآنَ بالإحسانِ والإطرابِ
روضاً ولـكنْ ليس يجني زَهرَه ... إلاّ يمينك مالكَ الآدابِ
وإذا المسامعُ أنصفتْ لم تقتنصْ ... إلاّ كلامي وحـدَه وخطابي

* * *

وقال فى الغزل :

عنّ النساء لنا على وادى مِنىً ... فاصطادنى منهنّ بعضُ الرّبرَبِ [2]
بجمال مُتّشحٍ بأرديةِ الصِّبا ... غضٍّ وبهجةِ رَوْنقٍ لم تنضُبِ [3]
وطلبتُ منه وِصالَه ُفحرِمْتُهُ ... ومضى بمهجةِ عاشقٍ لم يُطلَبِ
وشربتُهُ بجوارحى لـكنّنى ... من عَذْبِ طِيبِ وِصالِهِ لم أشربِ
وَسرقتُه من بين من عاينتُه ... فى الوادِ والرّقباء لايدرونَ بِى

* * *

وقال فيه أيضاً :

يا حبّذا مَنْ زارنى ... مِن بعد صدٍّ واجتنابِ
نشوانَ فى أعطافهِ ... طَرَبُ الشّبيبةِ والشّبابِ [4]
وشكوت لمّا أنْ شكوْ ... تُ إلى نَفورِ القلبِ نابِ
مُستَنزِرٍ منّى الجوْى ... مُستحقرٍ لعظيمِ ما بِى

---

(١) الأتراب : الأمثال والنظراء ، وأصلها جمع الترب الذى هو اللدة (بالـكسر) أى الذى يولد مع غيره فى يوم واحد .
(٢) عن : عرض ، والربرب : القطيع من بقر الوحش .
(٣) المتشح : المرتدى ، ولابس الوشاح (بالـكسر أو الضم) وهو كالمنطقة مرصع بالجوهر أو اللؤلؤ تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .
(٤) نشوان (كسكران) وزناً ومعنى ، والأعطاف : جمع العطف (بالـكسر) وهو الجانب ، ومن الرجل من لدن رأسه إلى وركيه .

أجللتهُ أو خِفتهُ فكفيتهُ ثِقَلَ العتابِ
وقنعتُ منـه بزَوْرَةٍ عَرَضتْ ولم تكُ فى حسابى
جاءتْ بلا طَلَبٍ وكمْ صفوٍ تكدّرَ بالطِّلابِ
لو عنَّ لى فى نيلهـا طمعٌ لبعتُ بها شبابى

* * *

وقال فى الغزل والشيب : (١)

عجبتِ لشيبٍ فى عذارِىَ طالعاً عليكِ وما شيبُ الفتى بعجيبِ
ورابكِ سودٌ خُلْنَ بيضاً وربّما يكون حُؤولُ الأمرِ غيرَ مُريبِ
وما ضرّنى والعهدُ غيرُ مُبدَّلٍ تبدُّلُ شَرْخِى ظالماً بمشيبِى
وما كنتُ أخشى أن تكون جنايةُ الـمشيبِ برأسى فى حسابِ ذنوبى
فلا عيبَ لى إلا المشيبُ وحبّذا إذا لم يكن «شىء» سواهُ عيوبى (٢)

* * *

وقال فى الغزل :

ماذا « يَضيرُكِ » هندُ من حُبّى وإذا قربتُ إليكِ من قربى؟ (٣)
لا تعجبى مِن صبوتى بكُمُ فالحسنُ أين رأيتـه يُصبى
ورباعكمْ أنّىٰ أفارقهـا وبها غديرى العذبُ أو عُشبى؟
ولو استطعتُ كتمتُ حُبّكُمُ للضَّنِّ عن قلبى وعن صحبى (٤)
ومِن الغرائبِ أنّنى أبداً سِلْمٌ لمنْ هو ظالماً حربى
كم ليلةٍ نادمتُ فيك وأنتِ فى سِنَةِ الرُّقاد موائلَ الشُّهبِ (٥)

---

(١) وردت هـذه القطعة فى الشهاب أيضاً « ص ٧٣ ط . الجوائب » .
(٢) فى « الشهاب « شيئاً » خطأ . (٣) فى الأصل « يضرك » (٤) الضن : البخل .
(٥) السنة : أول النوم والنفوة الخفيفة . قال الشاعر :
وسْنانُ أقصدَه النُّعاسُ فرنّقتْ فى عينِهِ سِنَةٌ وليس بنائمِ

متقلباً طولَ الدّجى أسِفاً ... كالصّلِّ من جنبٍ إلى جنبِ [١]

ما تعلمين وأنتِ ناعمـــةٌ ... مَنْ بات فيكِ معانقَ الكربِ

وأردتُ أن أسلو وذا عَجَبٌ ... لو كان قلبى بالهوى قلبى

وعذلتِ منّى من له أُذُنٌ ... صمّاء عن عَذْلٍ وعن عَتْبِ

ومتى يكنْ ذنبى هواكِ فلا ... غفرَ الإلَهُ ـ وأنتِ لى ـ ذنبى

أخشى لسانِى أنْ يبوحَ بما ... أشكوهُ فى جِـدٍّ وفى لِعْبِ

فلِسانُ مَنْ عُرِفتْ بلاغتُهُ ... أمضَى ـ إذا ماقال ـ من عَضْبِ

* * *

وقال يرثى أحد قوم من بنى عمومته : [٢]

بَلَغْنا ليلةَ « الشِّعبِ » ... مجالاً مُنيةَ الحبِّ [٣]

تلاقينا كما شئنـــا ... بلا علمٍ من الرّكبِ

وطيفٍ طاف فى ظَلْمَيـــا ... ء والإصباحُ فى الحُجْبِ

جفَتْ عينى وجاءتْ فى ... دُجَى اللّيل إلى قلبى

وزالتْ غبَّ ما زارتْ ... وما قلتُ لها حسبى

وولّتْ لم تُنِلْ شيئاً ... من الغُنْمِ سوى حبّى

فياشعباً تعانقنـــا ... به بوركتَ من شِعبٍ !

ولا قُرِّبتَ من جَـدْبٍ ... ولا بوعدتَ من خِصْبِ

فكمْ فيكَ لباغى نَفَـــلِ الأحبابِ من إرْبِ ! [٤]

---

(١) الأسف : الحزين . (٢) ذكر منها شىء فى « الشهاب ص ٨٣ » وفى « طيف الخيال ص ٩٩ و ١٠٠ » . (٣) فى طيف الخيال « الشعف » بالغين وهو موضع بالبادية بين المدينة والشام . (٤) النفل (بالتحريك) : العطاء ، والإرب : الحاجة .

ومِنْ ظبيٍ غـنيٍ فيــك بالحسنِ عن القُلْبِ [1]
كفاه لؤلؤا منــــه لباسُ اللؤلؤ الرّطْبِ
وأطرافٌ خضابُ اللـــهِ أغناهنّ عن خَضْبِ
ولمّــــا رأت الحسنا ءُ فى رأسِيَ كالشُّهبِ
وبيضاً كالظُّبا البيـــض وما يصلحن للضّربِ
تُجُنِّيتُ بــــلا جُرمٍ وعوقبتُ بلا ذَنبِ [2]
وحادتْ عن مقرٍّ كا نَ فيــه بقرُ السِّرْبِ
وعاتبتُ ولــكنْ قلّــــما ينفعنِي عتبِي
فقلْ للُمنعم المـــلاّ نِ من كِبْرٍ ومن عُجْبِ
ومن يُركِبُهُ الحرصُ قَرا صَعْبٍ من الصّعبِ [3]
ومَنْ تنقلُهُ الأطما عُ من شرقٍ إلى غربِ
دعِ « الأسفارَ » للرّزقِ فما الأرزاق بالـكسبِ [4]
يجىءُ الدَّرُّ أحياناً إلى الظامِى بلا حَلْبِ [5]
وكم هجرٍ من الوصالِ وكم جِدٍّ من اللّعبِ
خفِ الدّهرَ فإنّ الدّهـــرَ ذو أخْــذٍ وذو سَلْبِ
فإنْ أغنىٰ فللفقرِ وإنْ أقعى فللوثْبِ [6]
سَقَى اللّهُ الأُلىٰ كانوا يدُرّون بلا عَصْبِ [7]
يجودون بما ضَنَّتْ به أوعيةُ السُّحْبِ

(١) القلب : (بالضم) : السوار من عاج أو غيره .
(٢) تجنيت : تجنى على أى جعل لى ذنب ولا ذنب لى . (٣) القرا : الظهر .
(٤) فى الأصل « الأساد » محرفة عن « الأسفار » . (٥) الدر : اللبن .
(٦) أقعى : جلس على أليتيه ونصب فخذيه . (٧) العصب : شد فخذى الناقة لتدر .

وَيعطون بلا مَنٍّ ولا كَدٍّ ولا نَصْبِ
وفرّاجين كشّافين للغُمَّةِ والكربِ
نَبَوْا عن مطرحِ الفحشاءِ والفحشاء قد تُنبي
ولم يُصْبَوْا بشنعاءَ وفى الشّنعاء ما يُصبي (١)
ولم يُعْدَوا طِوالَ الدّهر من أنيابهِ الجُربِ (٢)
ولا كانوا لكلٍّ النّاس إلاّ موضعَ القُطبِ
بأعراضٍ نقيّاتٍ من «التّقريف والثّلبِ» (٣)
يرون اليومَ ذا نحسٍ إذا كان بلا شَغْبِ
ولا حَفْلَ لهمْ بالمالِ لا يجنوه بالعضْبِ
لهمْ فى كلِّ نكراء حُلومٌ لَسْنَ للهضْبِ
وأيمانٌ خلقن الدّهرَ للطّعن وللضّربِ
وللنّفعِ وللضّرِّ وللدّفعِ وللذّبِّ
وألبابٌ لدى الرّوعِ بلا شىء من الرُّعبِ
فيومُ السِّلمِ فيهن كيومِ البأسِ والحربِ
وأغنوا بالنّدى الغَمْرِ عن الأنواء والعُشبِ (٤)
وجاءوا ساعةَ الذُّعْرِ على المُضْمَرَةِ القُبِّ (٥)
وفى أيديهمُ كلٌّ طويلِ المُرتقىٰ صُلبِ

(١) الصبو : الميل ، ومنه الإصباء الإمالة أو الإيلاع ، والشنعاء : الفحشاء .
(٢) الأنياب : جمع الناب وهى الناقة المسنة .
(٣) التقريف : العيب والاتهام ، والثلب : العيب والتنقص ، وفى الأصل « التفريق والسلب » محرفة .
(٤) الغمر : الكثير ، والأنواء : مساقط النجوم المشعرة بنزول المطر .
(٥) المضمرة : الضامرة « وهى صفة من اضمر اضمراراً ولكن هذا الفعل لم تستعمله العرب وإن كان يشفع له بعض القياس فهو مثل احول احولالا (م.ج .) » ، والقب : جمع الأقب والقباء وهى الضامرة البطن .

تراه يدع الأوزا دَ فى سَكْبٍ على سَكْبِ[1]
ويرمى من دم الجوف الـــثرى بالأحمر العَصْبِ[2]
إذا ما خَفوا وجــه الـــثرى أردية العَصْبِ[3]
وفاحــوا عَبَقَ المسكِ على بُعدٍ ومن قُربِ
ولم يَرْضَوْا سوى التجر ير الأذيالِ والسحب
رأيتَ المجــد محمولاً على كلِّ فتًى نَدْبِ[4]
مضــوا عنى فلا لـــذَّةَ لى بالباردِ العذبِ
ولا غمضَ ولا أرضَ لِعَيْـــنَىَّ وللجنبِ
وقد كنتُ بهمْ دهراً رَخِىَّ البــالِ والقَلبِ
بنفسى مَن نأى عنى وما إنْ ملَّ مِنْ قُربى
قضى من قبل أن أقـــضِىَ فيــه وله نَحْبى
ولمــا أن نقلنــاهُ على الرغمِ إلى التُّربِ
وأضجعناهُ فى غـــبرا ءَ مَلساءَ على الجنبِ
بلا صوتٍ يناجيــهِ سوى زَعزعةِ النُّكْبِ
دفنـــا العضب فى الأرضِ وكم فى الأرض من عَضْبِ[5]

***

وقال فى النسيب :

نظرتُ إليها والرقائبُ حولهـــا فأعرضتُ خوفاً من عيون الرقائبِ
ولم تكُ إلاّ نظرةً ثمَّ لفتــةً كنُغْبَةِ ظمآنٍ من الطّيرِ لاغبِ[6]

(١) « الأوزاد : جمع الوزيد مستعمل فى لغة العتب منذ القرن الثـانى للهجرة « الحـكماء ص ٢٥٦ » وإن لم يرد فى كتب اللغة . (م . ج .) » .
(٢) العصب : ضرب من البرود يعصب فيصبغ بالحمرة ثم يحاك فيـكون، وشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .
(٣) لحفوا : غطوا ، والعصب : الاعتصاب
(٤) الندب: السيد الشريف .
(٥) العضب : السيف .
(٦) النغبة : كالجرعة وزناً ومعنى ، واللاغب : المتعب .

رأى الماءَ لايسطيع رَيًّا وإنّما ... رأى الماءَ والقنّاصَ من كلّ جانبِ

ولى مطلبٌ لكنّنى لا أنالُهُ ... وكم عاقتِ الأقدارُ دون المطالبِ

أرى الزّاد ممنوعاً وعَذْباً كأنّهُ السّـ ... ـلافُ ولكنْ لايَذُلُّ لشاربِ (١)

وكم صَدّ مِقْداماً وثَبّطَ ماضياً ... على عزمِهِ جهلٌ بما فى العواقِبِ

* * *

وقال فى الشيب :

صَدّتْ وما كان الّذى صدّها ... إلّا طلوعُ الشّعَرِ الأشهبِ (٢)

زار وكَمْ من زائرٍ للفتىٰ ... حلَّ بواديهِ ولم يُطلبِ

ركبته كُرْهاً ومن ذا الّذى ... أركبه الدّهر فلم يركبِ ؟

كأنّه نارٌ لباغى القِرَى ... أضرمها القومُ على مَرْقَبِ

أو كوكبٌ لاحَ على أُفقِهِ ... أو بارقٌ يلمعُ فى غَيْهَبِ (٣)

لحى ـ وقد أصبحت جاراً له ـ ... زادِى ودمعى وحدَه مشربى

وإنّنى فيه ومن أجلِهِ ... مُعاقبُ القلبِ ولم يُذنِبِ

وليس لِى حظٌّ وإن كنتُ مِنْ ... أهلِ الهوىٰ فى قَنَصِ الرّبْرَبِ (٤)

وما رأينا قبلَه زائراً ... جاء إلينا ثُمّ لم يذهبِ

* * *

وقال فى غرضه :

« لاتَلُمنِى » فليس لى ... علمُ مافى المغيّبِ (٥)

كيف أدرى وما ذهبْـ ... ـتُ من البعدِ مذهبى؟

أنا أعشَى لَدَى المطا ... لب عن نُجحِ مطلبى

---

(١) السلاف : الخمر . (٢) الأشهب : الأبيض الناصع . (٣) الغيهب : الظلام .

(٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش . (٥) فى الأصل « لاتسمنى » محرفة .

لو علمتُ الّذى أعو دُ به قبـــل مركبى

لم أدعْ من بصيرةٍ ضرراً أنْ تمرّ بى

ولـكُنتُ الغنيَّ عنْ نَدَمٍ أو تَعَقُّبِ

وَلَمـا كانـ ظافراً بىَ يومـاً مؤنّبى

لا ولا كان للقـــذا ةِ « لمامٌ » بمشربى[(١)]

* * *

وقال فى الشيب :

تصدّين عنّى للمشيب كأنّما صرفتُ شبابى أو دعوتُ مشيبى

وكيف سُلوِّى عن حبيبٍ إذا مضى فلا متعـــةٌ لى بعدهُ بحبيبِ

كأنّىَ « رَبْعٌ » بعده غيرُ آهلٍ ووادٍ جناه القطرُ غير خضيبِ[(٢)]

فلا تنذلى عندى الشّباب فإنّنى بكائى عليه وحـــدَه ونحيبى

* * *

وقال فى الغزل :

على كلّ حالٍ أنتِ قاسيةُ القلبِ فلا عَذَلى يُجدى علىّ ولا عَتْبى

ولم أنسها يومَ الفراقِ ووجهُها يضئْ لنـــا خلف البراقع والُحجْبِ

تقول ألا رفقاً بقلبك فى الهوى فقلتُ وهل لى يومَ بينكِ من قلبِ ؟

ولولا الهوى ماخار «للعَجْمِ» مَعْجَمى ولا لانَ يوماً فى أنا ملِكمْ صَعبى[(٣)]

فإن كنتمْ تعصون أمرِى تجنّياً فأعْصى لأمرى منـكمُ أبداً قلبى

* * *

---

(١) فى الأصل « لماماً » خطأ . (٢) فى الأصل « ربيع » محرفة .

(٣) خار : ضعف ، وعجم العود : عضه ليعلم صلابته ، وفى الأصل « للعزم » بدل « للعجم » محرفة .

وقال فى النسيب :

حملتُمْ كما شئتمْ على كاهلِ الهوى ... وأرشــــدتُمُ نارَ الغرامِ إلى قلبى
ولـمّـــــا دخلتمْ بالهوى فى جوانحى ... بمـــا جَنَت العينان لَانَ لـكم صعبى
فإن لم يـكنْ شِعبُ اللّوى ملتقًى لنـا ... فـــلا باركَ الرّحمانُ فى ذلك الشِّعبِ
[وإن]لم يكنْ تُربٌ به « مضجعاً »لنا ... فلا اجتازت الأنواء فى ذلك التُّربِ [1]

* * *

وقال يفخر ويذكر أعداءه :

بنِى الحفيظـــةِ هل للمجد من طلبٍ ... ليس الطّعان له من أنجحِ السّببِ ؟[2]
هزّوا إلى الحمــــدِ عِطْفَىْ كلِّ سَلْهَبَةٍ ... تَبُذُّ كلَّ سِراعِ الخيل بالخَبَبِ [3]
أُحبُّ كلَّ قليلِ الرّيثِ فى وطنٍ ... مقسّمَ الفـكر بين الـكور والقَتَبِ [4]
إمّا على صَهواتِ الخيل موطِنُهُ ... أو دارُهُ فى ظهور الأينُقِ النُّجُبِ [5]
إنّى وأصدقُ قولٍ ما نطقتُ بهِ ... أرعى من الوُدِّ ما أرعى من النّسَبِ
ما عاقنى الحلمُ عن باغٍ عَنِفْتُ بهْ ... ولا نسيتُ الرّضا فى موطن الغَضَبِ
ولا خلطتُ بيأسٍ عن غنًى طمعاً ... ولا مزجتُ عُقارَ الجدِّ باللّعِبِ [6]
ألستُ إنْ عُدّ هــــذا الخلقُ خيرَهُمُ ... لم يبرحوا بين جَدٍّ لى وبين أبِ ؟
ما للنجوم التّى بانتْ تطـالعنـــــا ... من كلِّ عالٍ «علا» كلَّ الورى حَسَبِ [7]

---

(١) [وإن] ساقطة من الأصل وضعناها لاقتضاء الوزن والسياق لها، وفى الأصل « مضجع » خطأ .

(٢) الحفيظة : الحمية والأنفة والغضب . (٣) العطف (بالكسر) الجانب، والسلهبة : الطويلة من الخيل والجرشة ، وتبذ : تغلب ،والخبب : ضرب من العدو. (٤) الريث : التأنى (ضد العجل) ، والـكور : الرحل ، والقتب (بفتحتين) : الإكاف (البرذعة) على قدر سنام البعير .

(٥) الصهوات : الظهور ، والأينق : جمع الناقة ، والنجب : الأصائل .

(٦) العقار (بالضم) الخمر . (٧) فى الأصل « على » .

فقل لمن ضلّ مغروراً يفـــاخرنى ... ومالَه مثلُ نَجْمى لا ولا عَرَبى

أليس بين نبيٍ مُرسَلٍ خُتِمَتْ ... بهِ النبيّون أوْ صِهرٍ له نسبى ؟

بنى المخلّف ما استَنْتمْ مراتبنا ... حتّى صفحنا لكمْ عن تلكُم الرّتبِ

أَلِفْتُمُ الحلمَ منّا ثمّ طاب لكمْ ... لَمّالا اشرأبّت » إليكم أنفُسُ الغضَبِ (١)

لولا دفاعِيَ عنكمْ يومَ أمْطَرَكمْ ... نوءُ السّما كينِ أشفيتمْ على العَطَبِ (٢)

كمْ عندكمْ وبأيديكم لنـــا سَلَبٌ ... لـكنّه لو علمتمْ ليس كالسَّلَبِ

ملأتُمونا عقوقاً ثمّ نحن لكمْ ... طولَ الزّمانِ مكانَ الوالدِ الحَدِبِ

عَمَرْتُ ظاهركمْ جُهدى فكيف بما ... أعيا علىّ لكمْ من باطنٍ خَرِبِ ؟

وكمْ رضيتُ ولـكنْ زدتُكمْ سَخَطاً ... وليس بعد الرّضا شيءٌ سوى الغَضَبِ

وما تأمّلتُ ما بينى وبينَكُمُ ... إلّا رجعتُ كظيظَ الصّدرِ بالعجبِ (٣)

* * *

وقال فى العتب :

ما أرتبتُ منكمْ على مرِّ الزّمانِ فلِمْ ... ملأتُمُ اليومَ أضلاعى من الرِّيَبِ ؟

وقد صَدَقْتُكمْ حتّى رأيتُ لكمْ ... وما كذبتُكمْ حظّاً من الكَذِبِ

ما خيرَ لِي فى اختيارى وُدّكمْ وَزَرْ ... آوِى إليه ولا أنجحتُ فى الطّلبِ (٤)

وكنت منكمْ قريباً قبل غدركمْ ... فصرتُ أبْعَدَ من جِدٍّ إلى اللّعِبِ

فـــلا تُدِلّوا بإثراء أُتيحَ لكمْ ... لا خيرَ بعد افتقارِ العِرْضِ بالنَّشَبِ (٥)

---

(١) اشرأبت : مدت أعناقها ، وفى الأصل « اشرأبتم » محرفة . (٢) النوء : السحاب أو مساقط النجوم المثمرة بنزول المطر ، والسما كان كوكبان أحدهما يسمى الأعزل والآخر يسمى الرامح ، والعطب : الهلاك . (٣) الكظيظ : الممتلىء . (٤) الوزر : (بفتحتين) الملجأ والمعقل . (٥) تدلوا : تجترئوا ، والنشب : المال .

ما ضرّكمْ لو وهبتمْ لِي جميلَكُمُ فأيُّ شيء من الإجمالِ لم أهَبِ
قد كنتُ أحسبكمْ والظنُّ مَطْمَعَةٌ عزًّا لذِي الذُلِّ أو حِرْزاً لذِي العَطَبِ
حتّى صحبتُكُمُ جهلاً بخبرِكُمُ ثمّ اختبرتُ فكنتمْ شرَّ مُصْطَحَبِ
فليتكمْ ماعرضتمْ لى مودّتكم وليتنى كنتُ مدعوّاً فلمْ أُجبِ
وطالمـــا غِبتمُ عن نفعِكمْ خوَراً وكنتُ منهُ قريبَ الدّار لم أغبِ [1]
إنَّ الّذى أعوجَّ من بعد استقامتِـــهِ وانسلَّ من وَطَرِى فيـــه ومِنْ أرَبِى
نفضتُ من وُدِّه كفِّى وقد صَفِرَتْ وعدتُ من داره أمشى إلى العَقِبِ [2]

☆ ☆ ☆

وقال فى الشيب [3]:

يقولون لى لِمْ أنتَ للشّيب كارهٌ فقلتُ طريقُ الموتِ عند مشيبى
قَرِبتُ الرّدى لمـــا تجلّلَ مَفرِقى وكنتُ بعيداً منه غيرَ قريبِ
وكنتُ رطيبَ الغصنِ قبل حلولِهِ وغُصنِىَ لمّا شبتُ غـــيرَ رطيب
ولم يكُ إلّا عن مشيبِ ذوائبى جفـــاء خليلٍ وازورارُ حبيبِ
وما كنتُ ذا عيبٍ وقد صرتُ بعده تُخَطُّ بأيدى الغانياتِ عيوبى
فليس بكائِى للشّبابِ وإنّمـــا بكائِى على عُمْرٍ مضَى ونحيبِى

☆ ☆ ☆

وقال فى الطيف :

فديتُهُ من زائرٍ زارنى واللّيـــل مُسْوَدُّ الجلابيبِ

---

(١) الخور (بفتحتين) الضعف والجبن . (٢) صفرت : خلت . (٣) وردت هذه القطعة فى (الشهاب ص ٨٦) .

زار وفيـــه كلّ ما « ينبغى » في النّاس من حُسنٍ ومن طِيبِ [1]
ولم يَضِرْها أنّهـــا زورةٌ لعازبِ الآراء مكذوبِ [2]
باطلةٌ رَوّتْ انـــا غُلّةً والحقّ لم يأتِ بمطلوبِ [3]
لولا الـكرى ما جاد لى بالمُنى معشّقٌ يعشقُ تعـــذيبى
وكيف لا أهوى لذيذَ الـكرى محبّباً جاء بمحبوبِ ؟

* * *

وقال فى الشيب [4] :

نَبَتْ عينـــا أُمامةَ عن مشيبى وعدّتْ شيبَ رأسى من ذنوبى
وقالتْ لو سترتَ الشّيبَ عنّى فـكم أخفَى التّسترُ من عيوبِ
فقلتُ لها أُجانُ صريح وُدّى وإخلاصى عن الشَّعَرِ الخضيبِ
ومالكِ يا أُمامُ مع اللّيالى إذا طاولْنَ بدٌّ مِنْ مشيبِ
وما تدليس شيبِ الرأس إلّا كتدليس الودادِ على الحبيبِ
فلا تلْحَيْ عليـــه فذاك داء عَياءٌ ضلّ عن حيلِ الطبيبِ
وإنّ بَعيدَ شيبكِ وهو آتٍ نظيرُ بياض مفرقىَ القريبِ
فإنْ تأبَىْ فتومى ميزى لِى نصيبَكِ فيه «يوماً» من نصيبى [5]

* * *

وقال فى الفخر :

أضَنّ بنفسى عن هوى البيضِ كلّما تيقّنتُ أنّ الحبَّ ذلٌّ لصاحِبهْ [6]

---

(١) فى طيف الخيال « نبتغى » والقطعة وردت فيـه (ص ١٠٢) . (٢) العازب : البعيد . (٣) الغلة (بالضم) : العطش. (٤) وردت هذه القطعة فى « الشهاب ص ٨٥ ». (٥) فى الأصل « عفواً » ورجحنا ما أثبتناه عن « أدب المرتضى » لعبد الرزاق محي الدين « ص ٢٠٩ » . (٦) أضن : أبخل .

ولا خُدِعتْ عيني بضوءِ وميضِهِ ولا مُطِرَتْ أرضى بماء سحائبِهْ

وسيرِىَ فى كُورِ المَطيَّةِ موجِفاً على شاحطِ الأقطار هافٍ براكبِهْ[1]

أقَرُّ لعينِي من عناقِ مُهَفْهَفٍ أبيتُ سوادَ الليلِ بين ترائبِهْ[2]

ولمّا سقانى الدّهرُ صِرْفاً صروفَهُ كرِعتُ شراباً لا يَلَذّ لشاربِهْ[3]

فلا تطلبا عنــدى النجاة فإنّنى أروحُ وأغدو فى إسارِ عجائبِهْ[4]

---

(١) الكور : الرحل ، وموجفاً : مسرعاً ؛ والشاحط : البعيد ، والهافى : المسريع فى السير .

(٢) مهفهف : دقيق الخصر (الممشوق) . (٣) الصرف : الخالص ، وصروف الدهر : نوائبه . (٤) الإسار : القيد .

قافية التاء

باب التاء المضمومة

قال فى الموعظة والاعتبار :

لا تقربنَّ عَضيهةً إنّ العضائهِ مُخزياتُ (١)
وأجعلْ صلاحَكَ سَرْمَداً فالصّالحاتُ البــاقياتُ
فى هــذه الدّنيا ومَنْ فيهــا لنا أبداً عِظاتُ
إمّا صروفٌ مقبلا تٌ أو صروفٌ مُدبِراتُ
وحوادثُ الأيّــام فيــنا آخــذاتٌ مُعطِياتُ
والذُّلُّ موتٌ للفتى والعزُّ فى الدُّنيا الحياةُ
والذُّخرُ فى الدّارين إمّــا طاعةٌ أو مأثَراتُ
يا ضيعةً للمرءِ تدعو هُ إلى الهُلْكِ الدُّعاةُ
تغــترُّهُ حتّى يزو رَ شِعابَهنَّ الطيّباتُ
عِــبَرٌ تمرُّ وما لها منّا عيونٌ مُبصراتُ
أين الأُلىٰ كانو بأيــدينا حصولاً ثم ماتوا ؟
من كلّ مَنْ كانت له ثمراتُ دجلةَ ، والفُراتُ
ما قيــل نالوا فوق ما يهوون حتّى قيــل فاتوا
لم يُغنِ عنهمْ حين هــمَّ بهمْ حِمامُهُمُ الحُماةُ
كَلاّ ولا بيضٌ وسُمــرٌ عارياتٌ مُشرَعاتُ

---

(١) العضيهة البهتان والإفك .

نطقوا زماناً ثمّ ليـــسَ لنُطقِهِمْ إلّا الصَّماتُ
وكأنّهُمْ بقـــبورهِمْ سَبَتوا وما بِهِمُ سُباتُ [1]
من بَعد أنْ ركبوا قَرا شُزُرٍ وجُرُدٍ هُمْ رُفاتُ [2]
سلموا على صلحِ الأسنّـــة والظُّبا لمّا استماتوا
ونَجَوْا من الغمّاء لمّـــا قيلَ ليس لهمْ نجاةُ
فى موقفٍ فيـــه الصوا رمُ والذّوابلُ والـكُماةُ [3]
وأنامَهُمْ من حيثُ لم يخشوا لَحَيْنِهُمُ المماتُ [4]
وطَوَتْهُمُ طيَّ البرو دِ لهُمْ قبورٌ مُظلماتٌ
فهُمُ بهـــا مثلُ الهشيـ ـمِ تعيثُ فيه العاصفاتُ [5]
شُعْثٌ وسائدُهُمْ بهـــا من غـــير تـكرمةٍ عَلاةُ [6]
قلْ للّذين لهُمْ إلى الـــدّنيـــا دواعٍ مُسمعاتٌ
وكأنّهمْ لم يسمعوا ماذا تقولُ النّاعيـــاتُ
أو ماتقولُ لهمْ إذا اجــــتازوا الدّيارُ الخاليـــاتُ
فالضّاحـــكاتُ وقد نعمـــنَ بهنَّ هنّ الباكياتُ
حتّى متىٰ وإلىٰ مـــتىٰ تأوى عيونَـكُمُ السّناتُ ؟ [7]
كم ذا تعرِّجُ عنـــكُمُ أبدَ الزّمانِ الموعظاتُ ؟ [8]

---

(١) السبات هنا : النوم خفيفاً كان أو ثقيلا، والسبات يكون بمعنى الراحة ومنه قوله تعالى « وجعل نومكم سباتاً » أى راحة وجماماً. (٢) القرا: الظهر. (٣) الصوارم : السيوف، والذوابل: الرماح مفردها ذابل، الـكماة : جمع الـكمى وهو الشجاع المدجج بالسلاح. (٤) الحين (بفتح الحاء): الهلاك.
(٥) الهشيم: النبات اليابس المتكسر، وتعيث : تفسد، والعاصفات: الرياح. (٦) الشعث: جمع الأشعث والشعث (كـكتف) وهو متلبد الشعر مغبره ، والعلاة : حجر يجعل عليه الأقط وأراد به مايوضع تحت رأس الميت . (٧) السنات : جمع السنة (كهبة) وهى النعاس أو أول النوم .
(٨) . تعرج : تعدل .

كم ذا وُعظتمْ لو تكو ... نُ لكمْ قلوبٌ مصغياتُ ؟
نكمُ عقولٌ معرضاتٌ ... أو عيونٌ عاشياتُ
عُجْ بالدّيار فنادِها ... أين الجبالُ الرّاسياتُ ؟
أين العطاةُ على المكا ... رِمِ للعواذِلِ والأُباةُ
تجري المنايا مِنْ روا ... جِبِهِمْ جميعاً والصِّلاتُ [1]
وإذا لَقُوا يومَ الوغى ... أقرانَهُمْ كانتْ هَناةُ [2]
والدّهرُ طوعَ يمينِهِمْ ... وهُمُ على الدّنيا الوُلاةُ
أعطاهُمُ متبرعاً ... ثمّ استردّ فقال : هاتوا
كانتْ جميعاً ثمّ مزّ ... قَ شملَ بينِهِمُ الشّتاتُ [3]
فَكَفُّهُمْ من بعد أنْ ... سُلِبوا المواهبَ مقفِراتُ
وسيوفُهُمْ ورماحُهمْ ... منبوذةٌ والضّامراتُ [4]
أمِنوا الصباحَ ومالهمْ ... عِلْمٌ بما يجْنِي المماتُ
ورماهُمُ فأصابهمْ ... داءٌ تعزّ له الرُّقاةُ [5]
وسهامُ أقواسِ المنو ... نِ الصائباتُ المُصْمياتُ [6]
مات النّدى من بيننا ... بمماتِهِمْ والمكرُماتُ

* * *

وقال في غرضه :

قلْ للّذين إذا دعَوْا ... يوماً إلى شَطَطٍ : أبيتُ [7]

(١) الرواجب : جمع الراجبة وهى قصبة الأصبع أو مفصل سلاميات الأصابع .
(٢) الهناة : الداهية . (٣) البين هنا الوصل ؛ وهو من الأضداد . (٤) الضامرات : الخيول الضامرة . (٥) الرقاة : جمع الراق وهو قارىء الرقية (كدمية) وهى العوذة .
(٦) المصميات : القاتلات . (٧) الشطط : مجاوزة القدر فى كل شىء .

وإذا أمرتهم نأتــى إذ أمرتهم نهيت
لكم الوهاد وليس لي إلا مع العيوق بيت (١)
كم ذا ضللتم في طريـــق للمكارم واهتديت؟
ولكم كفيتكم الملـــم وليس كاف إذ «ونيت» (٢)
ولكم جنيتم فافتديـــت وما فديتم لو جنيت
وحرمتم من لو أتا ني يوم مسغبة قريت (٣)
وأبحتم حرما لكم لو كان يحمى بي حميت
لا تطمعوا فيما بلغـــت وما أتيتم ما أتيت
وتجنبوا معى الدها ء فلو دهيتكم دهيت
قوموا أروني منكم بعض الجميل فقد أريت
وفعلت ضد فعالكم لما غدرتم بي وفيت
لا تهدموا ما قد بنا ه لكم كرام وابتنيت
إني فعول إذ أقو ل وإن خلقت فقد فريت (٤)
ولئن عصيت فللذى يدعو إلى سمة عصيت
وإذا جزيت على القبيـــح بمثله فقـــد اعتديت
وإذا حويت فللتكر م ما ملكت وما حويت
ما سرني أني خرقـــت إهاب جسمي واشتفيت
خـــذها فلولا أنها كانت على عجل مضيت

(١) العيوق بفتح العين وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .
(٢) في الأصل « وفيت » الظاهر أنها محرفة عما أثبتناه يعني أنه لم يكن بينهم من يكفيهم الملم لما وني عن إغاثتهم. (٣) المسغبة : الجوع ، وقريت : أضفت .
(٤) خلقت هنا بمعنى قددت والقد قبل القطع ومنه قول الحجاج : « ما خلقت الا فريت وما وعدت إلا وفيت » وفي الأصل « حلفت » مصحفة ، وفريت : شققت وقطعت .

وإذا « اختصرتْ » فإنني «رويت» جهدي أو غَطَيْتُ (١)
وإذا ستَرتْ فمن يقدّرُ أنني [أهلي] عنيتُ (٢)

✿ ✿ ✿

وقال في النسيب:

أدلّتْ بحسنٍ خُوّلتْ ولو أنّها أدلّتْ بإحسانٍ إلينا عذرتُها (٣)
وقد رُزقتْ منّي مودّة مهجتي ولكنّني منها الغَداةَ حُرِمتُها
وقطّعت الأسبابَ بيني وبينها ولو كنتُ خِلْواً من هواها قطعتُها
ولمّا رأتْ ثِقلَ العتاب تجرّمتْ عليَّ ذنوباً عندها ما عَلِمْتُها (٤)
تعاقبُ مَنْ لم يُجرها في ضميرِهِ ولو أنّها [مرّت] عَلَيَّ غفرتُها (٥)
وملّتْ وما طال التزاورُ بيننا ولو أنني طاولتُها ما مَلِلْتُها

✿ ✿ ✿

(١) في الأصل « احتقرت » محرفة وفي الأصل « وريت » بدل « رويت » والظاهر أنها محرفة عما أثبتناه ، ورويت : أي تزودت ماء ومنه يوم التروية ليناسب « غطيت » وغطى الماء يغطى أي غزر وكثر . (٢) في الأصل « أعنى » ولم نجد لها معنى مناسبا .

(٣) أدلت : وثقت بإفراط واعتزت . (٤) تجرمت : ادعت وتجنت . (٥) ورد في الأصل « منها » في موضع « مرت » والسياق يقتضي ماوضعناه أو مايؤدى معناه .

باب التاء المفتوحة

قال فى النسيب :

قالتْ ضَننتَ علينا بالدّموع وقد ... سرنا ودمعُك منهلٌّ إذا شيتا [1]
فقلت لم تدرِ عينى بالفراقِ فــلَمْ ... تمطِرْ عليه لأنّى كنتُ مبهوتا [2]
ما ضرّ من نعتُهُ بالحسنِ مشتهرٌ ... لو كان بالحسنِ والإحسان منعوتا
والزّادُ منكِ فإنْ لم تبذلى سَرَفاً ... فقــد رضيتُ إذا لم تسرفى القوتا
فقد بتتِ فلا بذلٌ ولا عِـــدَةٌ ... حبلاً لوصلِكِ لِى ما كان مبتوتا [3]

* * *

وقال يعزى الوزير مجد الدين فى موت أبيه ويرثيه :

أجرِ المدامعَ كيف شيتا ... فلقد دهيتُ بما دُهيتا
وإذا رُميتَ فإنّما ... لم تُرْمَ وحدَكَ إذ رُميتا
وقذى العيونِ يجولُ فى ... كلٍّ النّواظِرِ إنْ قُذِيتا
ومتى عَرِيتَ من التجلّدِ عنــــد حادثةٍ عَرِيتا
منْ ذا المعينُ على مُصا ... بٍ فادحٍ هجم البيوتا ؟
ما كان شملى بعـــدَهُ ... إلّا الصّديعَ بهِ الشّتيتا
تأبى أضالِعِىَ المقيـــلَ وجَفْنُ عينىَّ المبيتا [4]

(١) ضنت : بخلت . (٢) المبهوت المتحير . (٣) بتت : قطعت ، والمبتوت : المقطوع .
(٤) المقيل : النوم عند القيلولة وهو وقت الظهر .

يامجدَ دينِ اللهِ والــــقَرْمَ الّذى فاتَ النّعوتا

خلِّ التفجّعَ جانباً وتَسلَّ عنهُ بما حُبِيتا [1]

ودعِ الشّجا عَمْداً لِمَا أولى الإمامُ وإنْ شُجيتا [2]

ولئنْ سخطتَ فلمْ تزلْ نعماؤهُ حتّى رضيتا

وسقاكَ من إفضالهِ وجماله حتّى رَوِيتا

ونهاكَ عن جزعٍ فلا تجزعْ فدعْهُ كما نُهيتا

وإذا نُــكبتَ فلا تشكَّ فطالمــا دهراً وُقيتا

ومتى شكوتَ فإنّمـــا تعطى الّذى يهوى الشّموتا

وإذا «قُريتَ» أسىً فقدْ مّاً بالمسرةِ ما «قُريتا» [3]

واصبرْ فإنْ شقّتْ عليــــك فإنْ صبرتَ فما رُزِيتا

وانظر مَنِ المفريكَ والــــفاري أديمكَ إذْ فُريتا [4]

وأتيتَ لــكنْ «قالْ» لنا منْ أىّ ناحيةٍ أُتيتا ؟ [5]

وعلى فراقِ حبائبٍ وأقاربٍ منّا غُذِيتا

لولا اليقينُ بأنّكَ الــــفخْمُ الدّسيعةِ ما اُحْتُبيتا [6]

للهِ مُفتقــــدٌ إذا نُشِرتْ محاسنُهُ عُنيتا

هو أوّلٌ وتلوْتَهُ فى الباذخاتِ كما تُليتا

وإذا علوتَ به علىٰ قممِ الأنامِ فما عُليتا

وإذا تشابهتِ الرّجا لُ عُلاً ومأثُرةً وَصِيتا

---

(١) حبيت : أعطيت ، مأخوذ من الحبوة وهى العطاء . (٢) الشجا : الحزن .

(٣) فى الأصل « قرنت » بدل « قريت » مصحفة ، وقريت : أضفت . (٤) فرى وافرى : شق ، وقال الــكسائى « أفرى الأديم قطعه على جهة الافساد ، وفراه قطعه على جهة الاصلاح .

(٥) فى الأصل « من » فى موضع « قل » ولا يتسق الــكلام بهــا والظاهر تحريفها عنها .

(٦) الدسيعة : الجفنة الــكبيرة والمائدة الــكريمة والعطية الجزيلة .

لم يُدعَ تفضيلاً له ... من بينهمْ حتّى دُعِيتا

كَلِمٌ وأنت « إساؤُه » ... لما مضَى عنّا بقِيتا [1]

وكأنّه سَقياً له ... ما مات لمّا أن حَيِيتا

« لم يعدُنِي » بلْ خصّني ... خَطْبٌ به فينا عُرِيتا [2]

وإذا عُرفتُ بِشِركتِي ... لَكُمُ فَمُطلقاً أو سُكوتا

وإذا علمتُ بما أرد ... تَ له البيانَ فقد كُفِيتا

وهو الزّمانُ فميّتٌ ... ما كان يخشَى أن يموتا

ومزوّدٌ طولَ البقا ... ء وما يرجِّى أن يبيتا

فمتى رُفِعْتَ به هَبَطْـ ... تَ وإن يئِسْتَ فقد رجيتا [3]

ياراحلاً لو كان يُفْـ ... دَى من ردًى أحدٌ فُدِيتا

خَلّى الدّيارَ لأهلِها ... وثوَى البَسابِسَ والمُروتا [4]

أعززْ علىّ بأنْ أرا ... كَ وكنتَ ذا لَسَنٍ صموتا

تَزوِى الوجوه عن الّذى ... أمسيتَ فيه وما قُلِيتا [5]

وتردّ عن واديك أعـ ... ـناقُ المطىّ وما أُجتُوِيتا [6]

لم تَنعَ إلّا بَهجتِى ... ومسرّتى لمّا نُعِيتا

---

(١) الإساء (بكسر الهمزة) : الدواء ، وفى الأصل « أساته » وهى جمع الآسى أى الطبيب ، وما وضعناه أنسب . (٢) فى الأصل « لم يعرنى » والظاهر تصحيفها ، ولم يعدنى أى لم يتجاوزنى ، وعراه واعتراه أى غشيه . (٣) رجى يرجى (كرضى يرضى) لغة فى « رجا يرجو » « عن الليث وذكره ابن سيده » . (٤) البسابس : جمع البسبس وهو البر المقفر الواسع ، والمروت : جمع المرت (بفتح الميم وتسكين الراء) وهو من الأرض الجرداء لانبات فيها . (٥) قليت : بغضت من القلى وهو البغض . (٦) اجتويت : كرهت ، واجتوى البلد كره الاقامة به وإن كان فى نعمة ، واجتوى الشىء كرهه .

قد كنت تشفى إن دُويتَ   وقد دُويت فما شفيتا[1]
وإذا تبقَّتْ ما أثرا   تك فى الزّمان فما فَنِيتا[2]
لا غُـــيِّرت منك المحا   سِنُ فى التّرابِ ولا بُلِيتا
ولئنْ مُحيتَ عن العيو   نِ فعنْ قلوبٍ ما مُحيتا
وإذا سقى الله القبو   رَ فمنْ مَراحِمِهِ سُقيتا
وإذا هُجِرنَ فلا هُجِرْ   تَ مدَى الزّمان ولا جُفيتا

* * *

وقال فى الأدب :

لا تفخرَنْ إلاّ بنفْــــسك يوم فخرٍ إن فَخَرْتا
ودعِ الأصول فإنّمــا   هى فضلةٌ لك إنْ نُسبتا
ماذا يضرُّك أوْ يعزُّكَ إنْ خبُثْنَ لمْ وطِبْتا[3]
كلاّ وليس بنافعٍ   إنْ هنّ طِبْنَ إذا خبُثْتا
ومتى عزمتَ على مُوا   قعةِ القبيح فقد فَعَلْتا
وكأنّ شيئاً مُحزناً   لك لم يُصبْكَ إذا صبرتا
واُخبرْ ولا تصحبْ من الــإخوانِ إلّا « مَنْ » خَبَرْتا[4]
فأخوكَ مَن هو فى يَمِيــنِكَ إنْ قَعَدْتَ وإنْ قَصدْتا
ويسرُّه إنْ دبّ مكـــروه إليـــه إذا سَلِمْتا
وهو المصـــابُ إذا تَمدّ   تهُ الخطوبُ إذا أُصِبْتا

---

(١) دويت : أصابك الداء .   (٢) الأثرات (بفتح الثاء وضمها) : جمع الأثرة وهى المكرمة.
(٣) يعزك : يسوءك . وفى الأصل « يغرك » مصحفة .   (٤) فى الأصل « ما » .

وإذا أصاب الدّهرُ غـيرَكَ بالسّهامِ فقد وُعِظْتا
وإذا أمنتَ وأنتَ فى طُرُقِ الحِمامِ فما أمِنْتا
وإذا بَخِلْتَ بمالِ غيـرك «أو» قَتَرْتَ فقد غلطتا[1]
وإذا حبوتَ بكلٍّ ما فوقَ السَّدادِ فما بَخِلْتا[2]

(١) فى الأصل «إن» فى موضع «أو»، وقترت: ضيقت فى النفقة.
(٢) حبوت: أعطيت والسداد (بفتح السين): الكفاف.

باب التاء المكسورة

وقال فى الغزل :

سقى اللهُ يوماً نلتُ فيه على المُنى　　وكنت عليها الدّهرَ أسبلُ عَبْرتى
وواصل مَنْ ماء الشّبيبةِ مِلْؤهُ　　ولم ينهَهُ عنّى مشيبى وكِبْرَتِى
وكان التّلاقى فيـــه غيباً مُرَجَّمًا　　وجاء بلا وعدٍ فروّيتُ غُلّتى (١)
فإنْ تكُ منه عِلّتِى وفراقُهُ　　فقد طردتْ منه الزّيارةُ عِلّتى

* * *

وقال وكتب بها إلى الوزير أبى الفرج محمد (٢) بن جعفر بن فسانجس :

ماضرّ طيفَكِ لو والَى زياراتى　　ما بين تلك المحانى والثّنيّات ؟ (٣)
والرّكبُ عنّا مشاغيلٌ « بأينِهِمْ »　　من الدّءوب وإرقالِ المطيّاتِ (٤)
صَرْعَى كأنّ زجاجاتٍ أُدِرْنَ لهمْ　　فهمْ لعينيك أحياءٌ كأمواتِ
إنْ حرّم الصّبحُ وصلاً كان يَجذلُنا　　فهْو الحلالُ بتهويمِ العشيّاتِ (٥)

(١) الغلة : العطش .　　(٢) من أسرة فسانجس التى نبغت فى أيام بنى بويه ، وأبو الفرج هذا هو ذو السعادات وزير الملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، أخباره فى المنتظم « ج ٨ ص ١١٦ ، ١٢٩ » وفى الكامل لابن الأثير فى حوادث السنين ٤٣١، ٤٣٧، ٤٤٠ » قبض عليه الملك المذكور سنة ٤٤٠ » ومات فى شهر رمضان منها عن عمر مقداره أربعون سنة ، قيل أرسل إليه من قتله فى السجن ، وكان أديباً مترسلا شاعرا . (م . ح .) .
(٣) المحانى : جمع المحناة والمحنية (بفتح الحاء وتسكين النون) منعطف الوادى ، والثنيات : جمع الثنية وهى الطريق فى الجبل أو العقبة .　　(٤) أينهم : أبعدهم ولعلها « بأينهم » والأين : التعب ، والدءوب : الجد فى السير ، والإرقال : الإسراع .　　(٥) يجذلنا : يفرحنا من الجذل وهو الفرح ، والتهويم : هز الرأس من النعاس ، وأراد به الليل لمقارنة النعاس لليل .

وكم أتانى وجُنحُ اللّيلِ حُلّتُـهُ … من لم يكن فى حسابى أنّه يأتى

وزار فى غير ميقاتٍ وكم لُوِيَتْ … عنّا زيارتُهُ فى كلِّ ميقاتِ

وقد « رأيتمْ » وقد سار المطىُّ بكمْ … كيف اصطبارى على تلك المصيباتِ [1]

وكم ثنيتُ لِحاظى عن هوادجكمْ … وفى الهوادج أوطارى وحاجاتى ؟

وقلت لا وجدَ فى قلبى « لِلائمِهِ » … والقلبُ تحرقهُ نارُ الصّبابات [2]

قلْ للّذين حَدَوْا فى يوم رِحلتِهمْ … خُوصاً خمائصَ أمثالَ الحنيّات [3]

« مذكّراتٍ فلا سَقْبٌ لهنّ ولا … كُرِعْنَ يوماً بنشوان الوليدات» [4]

لهنّ والرّحلُ يعلُوْ لِى « مناسِجَها » … إلى السّباسبِ شوقًا كلُّ «حتّاتِ» [5]

وكمْ وَلَجْنَ شديداتٍ صَبَرْنَ بها … حتّى نجون كراماً بالحُشاشاتِ [6]

فإنْ بُعِثْنَ إلى نيلِ المُنى رُسُلاً … كفَلْنَ منك بتقريبِ البعيداتِ

مَنْ فيكُمُ مُبلغٌ عنّى الوزيرَ إذا … بلّغتموه سلامى والتحيّاتِ ؟

ومن سعود الورى ثمّ البلاد به … لم يَظلموا «إذ» دعوه ذا السّعاداتِ [7]

---

(١) فى الأصل « رأيت » والظاهر أنها محرفة عن رأيتم . (٢) فى الأصل « للائمة » والأنسب ما وضعناه ، والصبابات : الأشواق . (٣) الخوص : جمع الأخوص والخوصاء من النوق غائرة العينين ، وخمائص : ضامرات البطون ، والحنيات : جمع الحنية وهى القوس .

(٤) كذا البيت فى الأصل ولعل الأصل « مذمرات » اسم مفعول من ذمرها ، ومن معانيه أدخل يده فى حيائها لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ ـ والفاعل « المذمر » (بكسر الميم)ولكن أراد ذمرها بمعنى حثها حثاً شديداً وهو قياسى ، ولعل « نشوان » محرفة عن « نشوار » والنشوار هو بقية علف الدابة بعد أكلها ولعله استعاره لـوِردها ، ذهاباً إلى قول الشاعر: « علفتها تبناً وماء باردا » ويجوزأن يكون الأصل « كسعن يوماً بنشوار الوليدات » والسقب : ولد الناقة والبيت غير متسق المعانى بهذه الصورة ولعل الصحيح ما ذكرناه (م . ج .) .

(٥) الرحل : مركب البعير أصغر من القتب ، والمناسج : جمع منسج وهو موضع القتب من ظهر الدابة . والسباسب : جمع السبسب وهو القفر ، ولعل البيت « فيهن والرحل . . . و . . . كل حتات » (بالتاء) والحتات : السريع العدو . (٦) ولجن : دخلن ، والحشاشات : جمع الحشاشة وهى بقية الروح فى المريض أو الجريح . (٧) فى الأصل « إن » فى موضع « إذ » .

قولوا له ليتنى كنتُ الرّسولَ وما ... أدّى إليك سوى لفظى رسالاتى

لله درُّكَ فى مُستغلَقٍ حَرِجٍ ... أسمعتَ فيــه بفرحاتٍ وفُرجاتِ

وفاحمٍ مُدْلَهِمّ لاضيــاء به ... نزعتَ عنه لنا أثواب ظُلماتِ

وفى يديك رسولٌ منك تُرسلهُ ... متى أردتَ إلى كلِّ المنيّــاتِ

مثلَ الرِّشاء يُرى منــه لمبصرهِ ... تغضُّنُ الرُّقمِ يقطعن التّنوفاتِ (١)

حلفتُ بالبُدْنِ يرعين الوَجيف ولا ... عهدٌ لهنَّ برَىٍّ من غماماتِ (٢)

يردنَ بيتاً به الأملاكُ ساكنةٌ ... بنيّــةً فَضَلَتْ كلَّ البنيّاتِ

والطائفين حواليْهِ وقد « سَدَكوا ... به » تقاءً بمسحاتٍ ولثمــاتِ (٣)

وما أراقوه فى وادى منى زُمَراً ... عند الجمارِ من الكُومِ المسنّاتِ (٤)

وأذرُعٍ كسيوفِ الهندِ ضاحيةٍ ... يَقذفن فى كلِّ يومٍ بالحصيّاتِ

والبائتين بجَمْعٍ بعدأن وقفوا ... على المعرّفِ لكنْ أىَّ وَقْفاتِ (٥)

وجاوزوه خفافاً بعد أن ذبحــوا ... حتى أتوه بأجرامٍ ثقيــلاتِ

محا النضارةَ من صَفْحاتِ أوجههمْ ... ذاك الذى كان محواً للجريراتِ (٦)

لأنتَ من دونِ هذا الخلقِ كلِّهِمُ ... أحقّ فينــا وأولى بالموالاةِ

قُدْنى إليكَ فما يقتادنى بشرٌ ... إلا فتًى كان مأوًى للفضيلاتِ

وأشددْ يديك بما ناولتَ من مِقَتِى ... ومن غرامى ومن ثاوِى مودّاتى (٧)

---

(١) الرشاء : الحبل ، والتغضن : التقبض ، والرقم : جمع الأرقم وهو الحية ، والتنوفات : جمع التنوفة وهى المفازة .   (٢) البدن : النوق ، والوجيف : ضرب من السير .

(٣) سدكوا به : أقاموا به ولم يفارقوه من سدك بالأمر إذا لازمه ولم يفارقه وأولع به فهو سدك ، وفى الأصل « سدلوا فيه » والمعنى لايتسق الا بما ذكرناه .

(٤) زمراً : جماعات ، والجمار : من مناسك الحج وجمرات المناسك : هى الجمرة الأولى والوسطى وجمرة العقبة ، والكوم : جمع الأكوم والكوماء من الجمال الضخم السنام .

(٥) جمع : « بلا لام » المزدلفة بمنى ، والمعرف (بتشديد الراء المفتوحة) : موقف بعرفات .

(٦) الجريرات ، جمع الجريرة وهى الذنب أو الخطيئة .   (٧) مقتى : محبتى ، والمقة على زنة ثقة : المحبة ، والفعل ومق .

أنا الّذى لا أحول الدّهرَ عن كَلَفِى ... بمن كلفتُ ولا أسلو صبابالى
لاتخشَ منّى على طول المدى زللاً ... فكلُّ شىء تراه غير زلاّتى
سيّانِ عندى ولا منٌّ عليه به ... مَغنىُ الأذى ومقرّاتُ اللّذاذاتِ (١)
أشكو إلى الله أشواقى إليك وما ... فى القلبِ من حرّ لوعاتٍ ورَوْعاتِ
وإنّنى عاطلٌ من حَلْى قُربِكَ أوْ ... صِفرُ اليدين خلىٌّ من زياراتى
ولو رأيتك دون النّاسِ كلِّهِمُ ... قضيتُ من هذه الدّنيا لُباناتى (٢)
لاتحسبوا أنّنى لم ألقَــــهُ أبداً ... فإنّنا نتــــلاقىْ بالمودّاتِ
وكمْ تلاقٍ لقومٍ مِنْ قلوبهُمُ ... كما أرادوا على بُعــد المسافاتِ
والقربُ قربُ خبيثاتِ الصّدور وما ... تحوى الضمائرُ لاقربُ الحلاّتِ
إنّى الصديقُ لمن كنتَ الصديقَ له ... ومن تُعادِى له منّى معــاداتى
وأنتَ من معشرٍ تُروْى فضائلُهمْ ... سادوا علىْ أنّهمْ أبناء ساداتِ
البالغين من العَلْياء مااقترحوا ... والقائمين بصَعْباتِ المُلمّــاتِ
ويشهدون الوغى من فَرْطِ نجْدَتهمْ ... والرّعبُ فاشٍ بألْبابٍ خليّاتِ
كأنّ أيديَهُمْ فى النّــاس ماخُلقتْ ... إلاّ لبذل الأيادِى والعَطِيّاتِ
مُقَدّمين على كلٍّ الأنامِ عُلاً ... مُحكّمين على كلٍّ القضيّاتِ
فإنْ تَقِسْهُمْ تَجِدْهمْ منزلاً وبناً ... طالوا النّجومَ التى فوق السّماواتِ
قد فقْتَهُمْ بمزيّاتٍ خُصِصْتَ بها ... هــــذا على أنّهمْ فاقوا البريّاتِ
ولم تزلْ مُنجباً فيمن نَسَلْتَ كما ... أخَذتَها لك من أيدِى النجيباتِ
وكنتَ فضلًا ودِيناً يُستضاء به ... خلطتَ للمجدِ أبياتاً بأبياتِ
إنّ الرّئيس الّذى راسَ الأنامَ بما ... حواه من فضلهِ قبلَ الرّياساتِ

---

(١) المغنى : المنزل . (٢) اللبانات : الحاجات مفردها اللبانة .

فإنْ تجمّـل قومٌ في وزارتهمْ   فأجْمَلَتْ [فيك] أدراعُ الوزاراتِ [(١)]

جاءتكَ عفواً ولم تبعثْ لها سبباً   ولا بسطتَ إليها قبضَ راحاتِ

(٢)

. . . .

وقد أتانيَ فيما زارني خَـبرٌ   فطالَ منه قُصارى كلَّ ساعاتي

سقاني أمرَّ من تأسيهِ « واستلبتْ »   يُمناهُ من بقَري لذّاتِ هَجْعاتي [(٣)]

إن اضطجعتُ فمنْ شوكِ القنا فُرُشي   وإنْ مشيتُ فواطٍ فوقَ جمَراتِ

قالوا اشتكى مَنْ يودُّ النّاسُ أنّهمُ   كانوا الفداءَ له دون الشكاياتِ

ولم أزَلْ مشفقاً حتى علمتُ بما   أنالَهُ اللهُ من ظلِّ السلاماتِ

وبشّروا بالعوافي بعد أن مُطِلَتْ   بُشرى ولكنّها لا كالبشاراتِ

والحمدُ للهِ قد نلتَ المرادَ وما   أُلتَسعيدُ إلاّ الذي نالَ الإراداتِ

فعِشْ كما شئتَ من عزٍّ يطيفُ بهِ   للهِ جيشٌ كثيفٌ من كفاياتِ

ولا بُليتَ بمكروهٍ ولا قَصَرتْ   منك الأناملُ عن نيلِ المُحبّاتِ

« فلم » تكنْ مُغْنِتاً من ذا الورى بشراً   فكيف تُبلى من الدنيا بإعْناتِ ؟ [(٤)]

✿ ✿ ✿

وقال يفخر ويذم الزمان :

هل عائدٌ ينفعُ من عِلّتي   أو مُسْعِدٌ ينقعُ من غُلّتي ؟ [(٥)]

أو عادلٌ ينصفني حُكمهُ   من جورِ هذا الزّمنِ المُعْنِتِ ؟ [(٦)]

---

(١) [فيك] ساقطة من نسخة الأصل أضفناها لاقتضاء الوزن والسياق لها ، وأدرع : جمع درع المرأة وهو قميصها الذي تلبسه في البيت استعارة للوزارة .   (٢) في موضع النقط البيت الآتي وهو غامض المعنى ولعله محرف :

فهي التي لك أمساك بها ولها   وفضلة فيك من أبناء فضلات

(٣) في الأصل « واستلمت » وما وضعناه الصحيح .   (٤) المعنت : المكلف غيره بالمشقة ، من العنت وهي المشقة وفي الأصل « ولا تكن » وما وضعناه أنسب .   (٥) ينقع : يروى أو يسكن ، والغلة : العطش .   (٦) المعنت : الشاق والجائر وقد مر تفسيرها.

أسعى ولا أدرى إلى مُنيَتِي | وإنما أسعى إلى ميتتى
كم نعمةٍ آلتْ إلى نِقمَةٍ | وفَرْحَةٍ حالت إلى «تَرْحَةٍ»(١)
وغِبْطَةٍ لمّا استوتْ للفتى | ونال منها سُؤْلَهُ ولّتِ
إنْ كان زاد الدّهر فى فِطْنَتِي | فبالّذى أنقصَ من فِطْرَتى
أو قوّمتْ أيّامُهُ خِبْرَتى | فبالّذى طَأْطأ من صَعْدَتِى(٢)
يُقِرُّ عَيْنَىَّ بما فقدُهُ | بعد قليلٍ مُسبِلٌ عَبرتى
فى كلّ يومٍ أنا فى وقعةٍ | مَعْ نُوَبِ الدّهر وفى خُطّةِ
بينا تراه مُسلِفاً قِرّتى | حتّى تراه مُتلِفاً قِرّتى(٣)
يولِجُ حرمانى على مُنْيَتِي | خَبْطاً وإيلامِى على لَذّتى(٤)
فليتَهُ لمّا طوى عزمَهُ | بِنيّتى لم يُعطِنى عِيشَتِي
لولاىَ كان الدّهر من أهلِهِ | بغير أوضاحٍ ولا غُرّةٍ(٥)
وقد درى الأقوامُ أنّى امرؤٌ | أواصلُ الصدَّ عن السَّوْأَةِ
لا أضمرُ السّوءَ لذى «خُلّةٍ» | ولا أُرى فى طُرُقِ التُّهمَةِ(٦)
ولم تقُدْنى فى حبال الهوى | محاسنُ البَهْكَنَةِ الطَّفْلَةِ(٧)
ذو عَزْمةٍ ما «نَشَزتْ» ساعةً | واحدةً عن رِبْقَةِ العِفّةِ(٨)
ولا ترى ميلاً إلى جانبٍ | لا فى رضاً منّى ولا سَخْطَةِ
لا فرقَ بُعداً من ركوب الهوى | بينىَ فى الكِبْرَةِ والشِّرّةِ(٩)

---

(١) الترحة : ضد الفرحة ، وفى الأصل « ترحتى » والياء من زيادات الناسخين .

(٢) الصعدة : القناة المستوية . (٣) قرتى : قرارى ، والقرة: الاستقرار والرضا .

(٤) يولج : يدخل . (٥) الأوضاح : جمع الوضح وهو البياض ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس . (٦) فى الأصل « خلوة » بدل « خلة » عرفة . (٧) البهكنة : الشابة الغضة . (٨) فى الأصل « نشرت » مصحفة عن نشزت اى بعدت ، وأصل النشز المرتفع من الأرض ، والربقة : الحلقة تشد بالحبل وتربق بها « أى تشد البهيمة .

(٩) الشرة (بالكسر) : نشاط الشباب .

فجانـــبُ الجدِّ به صَبوَتِي وجانبُ الهَزْل به نَبْوَتِي [1]
كم لِيَ فى مُرِّ ثمارِ الهوى من فكرةٍ رُضْتُ بها صَعْبتِي
فالذُّلُّ للنفسِ إذا ـ ماعَصتْ والعزّ للنفسِ إذا ولّتِ
فقــلْ لحسّادِيَ لازِلتُمُ فى حَسَدٍ ثاوٍ على نِعمَتى
لا تعضِهونى بالّذى فيكمُ فقدْ أمنتمْ أبداً عَضْهتِي [2]
الذّنب لِي عندكُمُ أنكمْ عجزتمْ عمّـــا حَوَتْ قدرَتى
وأنّنى قد كنتُ من دونكمْ أعقِرُ للأضيافِ فى الأزْمةِ
والطّارقُ النـازل أدنى إلىّ زادِيَ من أهلِي ومِن أُسرَتى
وكلّ داعٍ بى إلى نُصرةٍ سابقَـــةٌ دعوتَهُ نُصرَتى
لو جهدوا ما شربو من « عَلٍ » إلاّ الّذىأسْأَرْتُ من فضلتِي [3]
ولا رأَوْا قطُّ بأيديهمُ فضيلةً منِّيَ ما غُلَّتِ [4]
وكم بغَوْا دهراً فلم يظفروا مِنِّى فى المَزْلَقِ بالعَثْرةِ
ليستْ يدى مِنّيَ مردودةً وليس لِي رِجْلِيَ إن زلّتِ
إنْ تفقدونى تفقدوا منكمُ فرّاجَ ذاك المُبْهَمِ المُصْمَتِ
حقّرَ شأنى أنّنِي ضــائعٌ عنــدكُمُ أبكى على ضيعتى
أقتــاتُ غيظى فإذا عِفْتُهُ خرجتُ من غيظٍ إلى عِفَةٍ
بين أُناسٍ أنَا ما بينهُمْ فى كَمدٍ باقٍ وفى حَسْرةٍ
خــيرُهُمُ شرُّ أمرىءٍ فى الورٰى وحيُّهُمْ بالنُّوكِ كالميِّتِ [5]

---

(١) الصبوة : الشوق والميل ، والنبوة : الانحراف والعدول .

(٢) تعضهونى : ترمونى بالعضيهة التى هى البهتان والإفك .

(٣) فى الأصل « على » وأسأرت : أبقيت من السؤر وهو البقية من زاد وغيره وفى الأصل « فضلة » .

(٤) غلت : ربطت بالغل (بالضم) وهو طوق من حديد تطوق به اليد .

(٥) النوك (بضم النون وفتحها) : الحمق وسخف العقل .

أنفقُ فيما لستُ أرضى بهِ ... شرْخَ شبابى وشَبا مَيْعَتى (١)

دعْ جانبَ الذلِّ لمنْ حلَّهُ ... فما به شىء من الخيْرَةِ

ولا تُقِمْ فى منزلٍ تغْتَلِى ... بهِ الأراذيل على العِلْيَةِ (٢)

ولا مكانٍ يستوى عنــدَهُ ... دَرادِقُ الذَّوْدِ مع الجِلّةِ (٣)

مَلِلْتمونى والمُنى رَغْدَةٌ ... إنْ كَثُرتْ فى معشرٍ مُلّتِ

وقد علمتمْ أنَّ أموالكمْ ... تضحِى وتُمْسى فى حِمى جُرْأتى

سددتُ عنهنَّ فروقَ الرَّدى ... بالطّعنةِ الفَوْهاء والضّربةِ

والخيلُ تنجو كسروبِ القطا ... أو نَعَمٍ فى غُرْبةٍ شُلّتِ (٤)

يَحفِزُها الطّعنُ فلو سامَها ... دُخولَ خرقٍ ضيّقٍ مرّتِ

وفى القنــا تُبدِل أجلادَها ... مسودّةَ اللّوْنِ بمُحمَرّةِ

فوق قرا ضامرةٍ « جَسْرَةٍ » ... ما شدّت الرّيحُ كما شَدّتِ (٥)

ذاتِ وَقارٍ يوم سِلْمٍ فإنْ ... رأت بعينيهــا وغًى جُنّتِ

هلْ أنهلْتُها علقاً مائراً ... إلّا يدى فى الرَّوْعِ أو علّتِ ؟ (٦)

فى موقفٍ دَحْضٍ كأنّ الفتى ... مُستوقَفٌ فيه على جَمْرةِ (٧)

تبتلُّ أرجاءُ لهُ يَبْسةً ... رشائشَ الطّعن إذا بَلّتِ (٨)

---

(١) شرخ الشباب : أوله وعنفوانه ، والشبا : الحد ، والميعة من الشباب : معظمه .

(٢) الاراذيل : جمع « الرذل » لأن جمعه أراذل مثل الأقاويل جمع أقوال وهذا جمع قول ، وعلية القوم (بالكسر) ساداتهم وشرفاؤهم . (٣) الدرادق : جمع الدردق وهو الصغير من الإبل ، والذود : جماعة الابل مابين الثنتين إلى الثلاثين وقيل غير ذلك ، والجلة من الابل : عظامها جمع الجليل . (٤) شلت : طردت . (٥) القرا : الظهر ، وفى الأصل « حرة » محرفة. والجسرة : هى الناقة القوية ، وشدت : أسرعت . (٦) أنهلتها : سقتها ، وأول الورد نهل وثانيه علل ، وعلقاً : دماً ، ومائراً : متحركا ، والروع : الحرب .

(٧) دحض : زلق . (٨) الأرجاء : الجوانب ، والرشائش : جمع الرشاش ظاهراً ولكنه على تقدير رشاشة ، ونصب بنزع حرف الجر وهو الباء والأصل برشائش .

لاتُدنِنِي من عاقدٍ أنفَـــهُ ملآنَ من تِيهٍ ومن نَخْوَةِ (١)
مُدامِجٍ همّتُهُ كلُّهـــا مصروفةٌ فى نصبِ أُغلوطةِ (٢)
ليس عن الغىِّ لهُ عَرْجَـــةٌ ولا له فى الرّشد من نهضةِ (٣)
فلن ترانى أبداً راغبـــاً فى خَرِقٍ يزهدُ فى رغبتى (٤)
وما أبالى بعد خُـــبْرِ بهِ صرّح أو صمّمَ فى خُلّتِى
سأركب الهَــول فإمّا على شامخـــةٍ أو أكرم الموتةِ
فربّمـا نلتُ الّذى أبتغى مجتهـــداً أو برِئتْ ذمّتى

* * *

وقال يعتذر من أضمر له خلاف ما أظهر :

رميتَ فمـــا أصميتنى وتراجعتْ إليك سهامٌ أخطأتنى فأصْمَتِ (٥)
وحاولتَ تشتيتى فعدتَ تفضّلاً من الله خَزْياناً بشملٍ مُشتّتِ
ولمـــا بدا لى منك أنْ لامودّةٌ تناكصتُ أبكى من ضَياع مودّتِى
فمـــا لِيَ منـــك اليومَ إلاّ مضرّةٌ ومالك منّى غيرُ محضِ المبرّةِ
وكم لك عنـــدى زلّةٌ ما جزيتُها حِفاظـاً وإبقاءً عليـك بِزلّةِ
وإنّ أمرءًا يُهـــدِى القبيحَ لقومِـهِ صحيحٌ كذى سُقمٍ وحيٌّ كميّتِ

* * *

(١) عاقد أنفه : متكبر ، والتيه : الضلال ، والنخوة : الكبر . (٢) المدامج : المداجى والمداهن . (٣) عرجة : انحراف وميل . (٤) الخرق : الأحمق .
(٥) أصميتنى : رميتنى فأصبتنى فقتلتنى .

وقال فى غرضه له :

أرى عزّةً من بين أثناء ذلّةٍ ... وعجزاً أراناهُ الزّمانُ لقدرةِ
وكم ذا رأينا والعجائب جمّةٌ ... زجاجةَ سعدٍ صدّعتْ نحسَ صخرةِ
خذوها و إنْ لم تعلموا كيف أخذُها ... ولا كيف جاءت نحوكمْ إذ ألمّتِ (١)
ولا تحسبوها فى قنيص احتيالكمْ ... فقد خرجتْ عن أن تُنال بحيلةِ
وعنّتْ لكمْ والمطلُ عنها بنجْوَةٍ ... ولم تأتكمْ كُرهاً ولا هى عنّتِ (٢)
ولم تكُ إلاّ مثلَ نُغبَةِ طائرٍ ... وقبْسةِ عجلانٍ ولمحةِ نظرةِ (٣)
فلا تغمصوها نعمةً إنْ تؤمِّلتْ ... بعين الحجى أوفتْ على كلِّ نعمةِ (٤)
وأعطوا الّذى أعطاكمُ فوق سومكمْ ... رضاهُ ولا تُدنوا له دارَ سَخْطةِ
فإنّ الذى يكسو على العُرْى قادرٌ ... ولا منيةٌ فى الدّهر إلاّ كخيبةِ
وقولوا لمن حاباكمُ وأراكمُ ... بأنّكمُ نِلتمْ مُناها بمُنيَةِ
ألا هنّ صُنعٌ من عزيزٍ مُقدِّرٍ ... أخوذٍ على أيدى الرّجالِ موقِّتِ (٥)
ولا تأمنوا أمراً بغير رويّةٍ ... لديهِ ولا « رأيٍ » عليهِ مُبيَّتِ (٦)
وما هى إلاّ زلّةٌ من زمانكمْ ... فحتّى متى يأتى الزّمانُ بزلّةِ ؟
وما كان ما قد كان عن سببٍ له ... علمناهُ لكنّ المقادير جُنّتِ
فإنْ وَفَتِ الأقدارُ عابثةً لكمْ ... فكمْ من وفاء بعده شرُّ غدرةِ

* * *

---

(١) ألمت : نزلت . (٢) عنت : عرضت ، والنجوة : البعد .
(٣) نغبة كجرعة وشربة (بالفتح والضم) وزناً ومعنى .
(٤) تغمصوها : تكفروها من غمص النعمة إذا لم يشكرها .
(٥) الموقت الذى يجعل للشىء وقتاً كالمقدر والمحدد للوقت . (٦) فى الأصل « مرأى » فى موضع « رأى » والظاهر تحريفها ، والمبيت من الأمر : المدبر ليلا ، ومنه قوله تعالى « إذ يبيتون ما لا يرضى من القول » .

وقال يرثى جده الحسين عليه السلام ويستنهض المهدى عليه السلام لثأره فى الأنام :

قف بالدّيار المقفراتِ لعبتْ بهــــا أيدى الشّتاتِ
فــكأنهنّ هَشائمٌ بمرور هُوجِ العاصفاتِ (١)
فإذا سألتَ فليس تسـ ـألْ غــيرَ صُمٍّ صامتاتِ
خُرْسٍ يُخَلْن من السّكو تِ بهنّ هام المصغيــاتِ
عُجْ بالمطايا النـــاحلا تِ على الرّسومِ الماحلاتِ
الدّارســاتِ الفانيــا تِ شبيهةً بالباقيــاتِ
وأسأل عن القتـــلى الألىٰ طرحوا على شطِّ الفراتِ
شُعْثٌ لهمْ جُثَمٌ عصيـ ـنَ على أكفِّ الماشطاتِ
وعهودُهن بعيـــدةٌ بدهانِ أيدٍ داهنــاتِ
نسج الزّمانُ بهمْ سرا بيلاً بحوك الرّامساتِ (٢)
تُطوٰى وتُمحٰى عنهمُ محواً بهطلِ المُعصراتِ (٣)
فهمُ لأيـــدٍ كاسيا تٍ تارةً أو مُعرّياتِ
ولهمْ أكفٌ ناضرا تٌ بـــين صُمٍّ يابساتِ
ما كنّ إلّا بالعطـــا يا والمنـــايا جارياتِ
كمْ ثَمَّ من مُهَجٍ سَقيـ ـنَ الحتفَ للقومِ السّراةِ (٤)

---

(١) الهشائم : جمع الهشيمة وهى الشجرة اليابسة ، وهوج العاصفات : الرياح الشديدة العاصفة .
(٢) السرابيل : كل مايلبس من قيص أو درع ، والرامسات : الرياح الدوافن للآثار الطامسة لرسوم الديار .   (٣) تطوى : تخفى ، والهطل:الانسكاب ، والمعصرات : السحائب الممطرة .
(٤) المهج : جمع المهجة وهى دم القلب ، وسراة القوم وسرواتهم : أشرافهم .

ومثقّفٍ مثلِ القنـــا ةِ أتى المنيّةَ بالقناةِ
أو مُرهَفٍ ساقت إليـ ـهِ ردًى « شفارُ » المُرهَفاتِ[١]
كرهوا الفرار وهم علىٰ « أقتادِ نُجُبٍ » ناجياتِ[٢]
يَطْوِينَ طيَّ الأتْحَمِيِّ لهنَّ أجوازَ الفلاتِ[٣]
وتيقّنوا أنّ الحيــا ةَ مع المذلّةِ كالمماتِ
ورزيّةٍ للدّيـ ـن ليـ ـستْ كالرّزايا الماضياتِ
تركتْ لنا منها الشَّوَىٰ ومضتْ بما تحت الشَّواةِ[٤]
يا آل أحمـــدَ والذيـــنَ غـــداً بحُبِّهِمُ نجاتى
ومنيّتِي في نصرهمْ أشهىٰ إليَّ من الحياةِ
حتّى متى أنتم علىٰ صَهَواتِ حُدْبٍ شامصاتِ ؟[٥]
وحقوقُـكمْ دونَ البريّـــةِ فى أكفٍّ عاصياتِ
وسروبُـكمْ مذعورةٌ وأديمُكمْ للفـــارياتِ[٦]
ووليّكمْ يُضحِى ويُمـ ـسِى فى أمورٍ مُعضلاتِ
يُلْوَىٰ وقد خبط الظّلا مَ على اللّيـــالى المُقمراتِ
فإذا اشتكىٰ فإلىٰ قلو بٍ لاهيـــاتٍ ساهياتِ

---

(١) المرهف (بتشديد الهاء وتخفيفها) من الرجال : لطيف الجسم ، ومن السيوف الرقيق الحد ، والمرهفات : السيوف المرهفة ، وفى الاصل « شفاه » بدل « شفار » .

(٢) فى الأصل « اقتاد أنجب » والقتد هو خشب الرحل ولعله « أقتاب » جمع قتب وهو الرحل بكماله ، إلا أنه كان يستعمل « الأقتاد » كما يجيء فى أول قصيدة ثانية من الديوان ، والنجب (بضم النون والجيم): جمع النجيب وهو من الابل كريمها السريع ، وسكنت الجيم للتخفيف ، والناجيات : جمع الناجية مثل النجب .

(٣) الأتحمى : نوع من الثياب ، وأجواز الفلا : طرقها ، والفلاة : القفر .

(٤) الشوى : جمع لغوى للشواة وهى جلدة الرأس والشوى الأعضاء أيضاً.

(٥) صهوات: جمع صهوة وهى مقعد الفارس من الفرس ، والشامصات : النافرات أو الشامسات .

(٦) السروب : جمع السرب وهو القطيع من الغنم وغيره واستعاره لجماعاتهم ، والأديم: الجلد ، والفاريات : الشاقات من فرى الأديم أى شقه .

وإلى عصائبَ ساريا تٍ فى الدَّآدِى عاشياتِ [1]
غرثانَ إلَّا من جوًى عُريانَ إلَّا من أذاةِ
وإذا استمدَّ فمن أكفّ بالعطايا باخلاتِ
وإذا استعان على خطو بٍ أو كروبٍ كارثاتِ
فبكلِّ مغلولِ اليدين هناكَ مفلولِ الشَّباةِ [2]
قل للأُلىٰ حادوا وقد ضلُّوا الطَّريقَ عن الهُداةِ
وسَرَوْا على شُعَبِ الرَّكا ئبِ فى الفلاةِ بلا حُداةِ
نامتْ عيونُكُمُ ولٰ كِنْ عن عيونٍ ساهراتِ
وظننتُمُ طولَ المدىٰ يمحو القلوب من التِّراتِ [3]
هيهاتَ إنَّ الضِّغنَ تو قِدُهُ اللَّيالى بالغَداةِ [4]
لا تأمنوا غضَّ النَّوا ظرِ من «قلوبٍ» مُرصِداتِ [5]
إنَّ السّيوفَ المُعرَيا تِ من السّيوف المُغمَداتِ
والمثقلاتِ المُعيِيا تِ من الأمور الهيِّناتِ
والمُصميات من المقا تِلِ هنَّ نفسُ المخطئاتِ [6]
وكأنّنى بالكُمتِ ترْدِى فى البسيطةِ بالكُماةِ [7]
وبكلِّ مِقدامٍ على الـأهوالِ مرهوبِ الشَّذاةِ [8]

---

(١) عصائب وعصب : جماعات ، والساريات : السائرات ليلا ، والدآدى : جمع الدأداة وهى آخر ليالى الشهر المظلمة . (٢) المغلول : المقيد بالغل (بالضم) ومفلول الشباة : منثلم الحد .
(٣) الترات (بالكسر) : جمع الترة وهى الذحل والثأر . (٤) الضغن : الحقد .
(٥) « من قلوب » كذا ورد فى الأصل ولعلها « فى عيون » ، والمرصدات : المترقبات من الترصد وهو الترقب والرصد بفتحتين هو الحارس والمراقب يستوى فيه المفرد والجمع .
(٦) المصميات : الراميات المصيبات . (٧) تردى : تعثر يقال ردت الخيل تردى رديا ورديانا أى رجمت الأرض بحوافرها فى عدوها ، والكمت : جمع الكميت وهو من الخيل أو الإبل بين الأشقر والأدهم ، والكماة : جمع الكمى وهو الشجاع لابس السلاح . (٨) الشذاة : بقية القوة والشدة .

قَرِمٍ فلا شِبَعٌ له إلّا بأرواحِ العُداةِ (١)
وكأنّــهُ متنــمّراً صَقْرٌ تشرّف من عَلاةِ (٢)
والرّمح يفتق كلَّ نجــلاء كأردانِ الفتاةِ (٣)
تهمى نجيعــاً كاللُّغا مِ على شدوقِ اليَعْمَلاتِ (٤)
تُوسى ولـكنْ كَلْمُها أبـداً يبرِّح بالأُساةِ (٥)
حتّى يعود الحقُّ يَقْـظاناً لنــا بعد السِّناتِ (٦)
ولــكمْ أتى من فُرجَةٍ قد كان يُحسب غـير آتِ
ياصاحِبي فى يوم عا شوراء والخَدِبِ المواتى
لا تسقِنِي بالله فيــهِ سوى دموعِ الباكياتِ
ما ذاك يوماً صيّباً فاسمحْ لنا بالصيّباتِ (٧)
وإذا ثَــكِلْتَ فلا تزرْ إلّا ديار الثّاكلاتِ
وتنحَّ فى يومِ المصيــبةِ عن قلوبٍ ساليات
ومتى سمعتَ فمِنْ عويــلٍ للنساء المُعْوِلاتِ
وتداوَ من حزنٍ بقلــبِكَ بالمراثى المحزناتِ
لا عُطّلتْ تلك الحفا ئرُ من سلامٍ أو صلاةِ

---

(١) القرم : من اشتدت شهوته الى اللحم ، والعداة : جمع المعتدى . (٢) تشرف : تطلع وأشرف ، والعلاة : الجبل . (٣) نجلاء : واسعة . (٤) نجيعاً : دما ، واللغام : زبد أفواه الابل ، والشدوق : الأفواه ، واليعملات : نجب النوق مفردها يعملة .
(٥) تؤسى : تعالج . والكلم : الجرح ، والأساة : جمع الآسى وهو الطبيب .
(٦) السنات : جمع السنة وهى أول النوم أو الفتور الذى يتقدمه . (٧) صيباً : ممطراً ، والصيبات : السحب الممطرة .

وسُقين من وكْفِ التحـــيّةِ عن وكيفِ السّارياتِ[1]
ونُفِحْنَ من عَبَقِ الجِنا نِ أريجُهُ بالذّاكياتِ[2]
فلقــد طَوَيْن شموسَنا وبُـــدورَنا فى المشكلاتِ

✿ ✿ ✿

وقال فى العز :

إذا شئتَ أنْ تلقى الهوانَ فلُذْ بمن يُرَجّى لنفعٍ أو لدفعِ مضرّةِ
فهامُ الرّجالِ الآنفينَ عزيزةٌ وإنْ حُمّلتْ مَنّاً لذى المنّ ذلّتِ
وعدٍّ عن الأطماعِ فهْىَ مَذلّةٌ ولو خالطتْ شُمَّ الجبالِ لخرّتِ
فويلٌ لنفسٍ حُلِئَتْ عن مرامِها وويلٌ لنفسٍ أُعطيتْ ما تمنّتِ[3]
وليس بخافٍ قبحُ حرصٍ على غنًى ولـكنْ عقولٌ بالضّراعةِ جُنّتِ[4]

✿ ✿ ✿

وقال يشكر الله تعالى اسمه :

عثرتُ ولولا انتياشُ الإلهِ لـكنتُ صريعَ ردى عثرتى
وأخرجنِى اللهُ من قعرها وقد كنتُ صرتُ إلى اللُّجّةِ
على حينَ ساءتْ بنفسى الظّنونُ وأشرفتُ منها على الخُطّةِ
وكان العدى يبصرون الّذى تصــوّره لَهُمُ بِغضتِى
ولمّـا كفانى الّذى خِفتُــهُ وقد كنتُ فى وَسَطِ الخيفةِ
أتانى بقـــدرته آيةً علمتُ بهـــا سَعَةَ القدرةِ

---

(١) الوكف والوكيف : تقاطر المطر ، والساريات : السحب . (٢) والعبق : مصدر من عبق به الطيب أى لزق ، والأريج : توهج ريح الطيب . (٣) حلئت : طردت .
(٤) الضراعة : التذلل .

فيا رافعاً بِى ويا مُنعماً ... علىَّ بمــــا لم تَنَلْ مُنْيتِى !
ويامن رغبتُ إلى نصرِهِ ... فما ردّنى عنـــــه بالخيبةِ !
وياعاصماً لِى من الموبقاتِ ... وما كنتُ أطمعُ فى عصمتى !
ويا معطياً فوق ما أبتغى ... بلا طَلَبٍ وبلا بُغيةٍ !
ويا فارجاً ظُلُماتِ الخطوبِ ... وليس سبيلٌ إلى الفُرجة !
شكرتُك لا بالغاً ما مننتَ ... ولـكنْ بلغتُ مدى «بُغيتى»[1]
وما لِىَ شكرٌ ولا أهتدى ... إليهِ على قَدَرِ النِّعمةِ

***

وقال فى غرضه له :

يقولون قد قرّتْ ولم تبقَ نزوةٌ ... فقلت أرى فى طيّها نزواتِ[2]
فلا تجمعوا فى يومكمْ شملَ معشرٍ ... يكونُ غداً ياقومُ طوعَ شتاتِ
وما المُهمِلُ المغرورُ إلّا الّذى يُرى ... نَؤومَ الدّجى عن طالبٍ لتِراتِ[3]
حفيًّا بتزويقِ اللّسانِ مُنَمِّقاً ... ولـكنّه عن أنفسٍ كَدِراتِ

***

وقال فى الغزل :

هجرتُكِ خوفَ أقوالِ الوشاةِ ... وهجرُكِ مثلُ هجرانِ الحياةِ
وأنتِ كرامةً عنـــدى كعينى ... وما تنجو العيونُ من القَذاةِ

---

(١) فى الأصل « منيتى » بدل « بغيتى » . (٢) النزوة : الوثبة .
(٣) الترات (بالكسر) : جمع الترة وهى الثأر .

ولولا الحبُّ ما سهلت حُزونى ... ولا لانتْ بأيديكمْ صَفاتى (١)
وقالوا قد عشقتَ فقلت عِشقٌ ... كما اقترح الهوى فمن المؤاتى ؟ (٢)
بنفسى من إذا ما رمتُ وصفاً ... لحسنٍ فيه أعيَتْنى صفـاتى
ولو أغنى عن العشّاق شىءٌ ... ودافع عنهمُ أغنتْ حُمـاتى

* * *

وقال فى الشيب (٣) :

أمِنْ بعد ستّينَ « قد جزتُها » ... تعجّبُ أسماء من شيبتى (٤)
وأعجبُ من ذاك لوْما كَبِرْتُ ... ولم ينزل الشّيبُ فى لِمّتى
فإن كنتِ تأبيْنَ شيبَ العذار ... فكمْ خيّبَ المرء من مُنْيَةِ
وإنْ أنتِ يوماً تخيّرتِ لى ... فشيبىَ أصلحُ من ميتتى
فلا تغضبى من صنيع الزّمانِ ... فما لكِ شىءٌ سوى الغضبةِ

* * *

وقال فى الغزل (٥) :

أنكرتْ ليلةَ اعتنقنا حسامى ... وهو مُلقًى بينى وبين الفتاةِ
إنْ يكن عائقاً يسيراً عن الضمّ ... فما زال واقياً من عُداتى
هو قِرْنٌ صفوٌ ولا بُدّ فى كـلّ ... صفاءٍ نناله من قذاةِ (٦)
وانتفاعٌ وما رأينا انتفاعاً ... أبدَ الدّهر خالياً من بَذاةِ (٧)

(١) الحزون : الأراضى الحزنة اى الغليظة مفردها حزن (بالفتح) والصفاة : الحجارة الصلدة .
(٢) المؤاتى : المطيع والموافق . (٣) هذه القطعة وردت فى « الشهاب » ص ٩٨ .
(٤) فى الشهاب « جاوزتها » بدل « جزتها » . (٥) أورد هذه القطعة الشيخ بهاء الدين العاملى فى كشكوله نقلا من كتاب « من ضاجع محبوبه وهو مرتد سيفاً » للمرتضى نفسه .
(٦) القرن (بالكسر) : الكفؤ ، والقذاة : من القذى وهو القذر او مايعترض فى العين من قش وغيره (٧) البذاة : المكروه .

قافية الثاء

قال فى غرض له من الفخر :

قفـــا بى على تلك الطّلول الرّثائث ... مُحِينَ بنَسْجِ المُعصراتِ المواكثِ [1]

ولا تسألوا عن إصطبارِ عهدتُمـــا ... فقـد بانَ عنّى بانتهاكِ الحوادثِ

كأنّ فؤادى بالنّوى لعبتْ بــــهِ ... نيوبُ أسودٍ أو مخالبُ ضابثِ [2]

أُجوِّلُ فى الأطلالِ نظرةَ عابثٍ ... وما أنا حزناً واشتياقاً بعابثِ

كأنّى وقد سارتْ مطىُّ خدوجِهِمْ ... ألاطِمُ موجَ اللُّجَّةِ المتلاطِثِ [3]

فللّهِ حِلمى يومَ مرّتْ رِكابُنـــا ... على مَجَالٍ منها برِمْثِ العناكِثِ [4]

وودّ فؤادى أنّهنّ روائثٌ ... وهُنّ بما يُحفِزْنَ غيرُ روائثِ [5]

جَحدتُ الهوى لمّا سُئلتُ عن الهوى ... وكمْ غِرّةٍ من ذى شَجًى فى المباعثِ [6]

وآليتُ خوفَ الشرِّ ألّا أُحبَّكمْ ... وتلكَ لعمْرُ اللهِ حِلفةُ حانثِ [7]

بنى عمّنا لا تطمعوا فى لِحاقنـــا ... فكمْ بينَ أسماكِ السُّهى والكثاكثِ [8]

سبقناكُمُ عفواً ولم تلحقوا بنـــا ... على جُهْدِ مجهودٍ ولَهْثَةِ لاهِثِ [9]

وقِدْماً عَهِدتُمْ دَفْعَنا عنكمْ وقدْ ... عُضِضتُمْ بأنيابِ الخطوبِ الكوارثِ [10]

---

(١) الرثائث : الباليات ، والمعصرات : السحب الماطرات . (٢) النيوب : جمع الناب ، والضابث : القابض قبضاً شديداً . (٣) الخدوج : الهوادج ، والمتلاطث : المتلاطم .

(٤) الرمث (بالكسر) : مرعى للابل ، والعناكث : جمع العنكث وهو نوع من النبت .

(٥) روائث : مبطئات ويحفزن : يحثثن . (٦) الغرة (بكسر الغين المعجمة) : الغفلة ، والشجى : الحزن ، والمباعث : جمع المبعث وهو محل الانبعاث . (٧) الحانث : الحالف فى يمينه والآثم . (٨) الكثاكث : جمع الكثكث وهو التراب وفتات الحجارة .

(٩) اللاهث : المتعب المجهد من عطش أو غيره . (١٠) الكوارث : الشدائد .

ونحن على إمّا جيــــادٍ ضوامرٍ ... وإمّا على أقتادِ خُوصٍ دلائثِ (١)
وما زِلتُمُ مستمطرِين سحائــــباً ... بنصركُمُ مابين تلك الهثاهثِ (٢)
فَخَرتُمْ بغيرِ الدّينِ فينا وإنّما ... فخرتُمْ بأنسابِ لِئامٍ خبائثِ
وإنّ لكمْ أطمارَ ذُلّ كأنّهـــا ... من الشّينِ أطمارُ النّساءِ الطّوامِثِ (٣)
وقلتُمْ بأنّا الآمرون عليكُمُ ... وذاكَ بأسبابٍ ضعافٍ نكائثِ (٤)
وما ضرّنا أنّا خَلِيّون من غِنًى ... وكمْ شَبِعٍ يهفو بهِ غَرْثُ غارثِ (٥)
قعدتُمْ عن الإجمالِ فينا بباعثٍ ... وقُمنا به فيكمْ بلا بعثِ باعثِ (٦)
وما غرّكمْ إلاّ التغافلُ عنكُمُ ... على ظالمٍ منكمْ لدينا وعائثِ (٧)
فأُقسمُ بالبيت الّذى جوّلتْ به ... أخامص أقوامٍ كرامٍ مَلاوثِ (٨)
وبالبُدْنِ فى وادِى مِنى يومَ عقرِهمْ ... يُقَدْنَ إلى أيدٍ هناك فوارثِ (٩)
تَخــــالُ رِياطَ الفاتقين نحورَها ... برشٍّ دمٍ منها غُلالَةَ طامثِ (١٠)
ومَنْ بات فى جَمْعٍ كليلاً من الوَجا ... إلى شُعُثٍ من السُّرى وأشاعثِ (١١)
لنحنُ بنشر الفخرِ أعبقُ منكُمُ ... وأسمقُ منكمْ فى الجبالِ اللّوابثِ (١٢)
لنا السّلَفُ الأعلى الّذى تعهدونَهُ ... علقنا بهِ من وارثٍ بعد وارثِ

---

(١) الخوص : جمع الأخوص والخوصاء وهو غائر العينين ، والدلائث : جمع الدلثاء وهى الناقة المسرعة . (٢) الهثاهث : كالهنابث مفردها هثهثة وهنبثة وهى الأمر الشديد والاختلاط فى القول أو العمل . (٣) الأطمار : جمع الطمر (بالكسر) وهو الثوب الخلق ، والطوامث: جمع الطامث وهى الحائض . (٤) نكائث : جمع نكيثة أى منقوضة .

(٥) الغرث : الجوع ، والغارث : الجائع . (٦) الإجمال : الترفق فى الطلب .

(٧) العائث : المفسد . (٨) الملاوث : الشرفاء ، مفردها ملاث وملوث .

(٩) البدن (بضم الباء وتسكين الدال أو ضمهما معاً : جمع بدنة (بفتح الثلاثة مع تحريكها) وهى الناقة ، والفوارث : جمع الفارث والفارثة كالفارىء والفارئة وهما القاطع والقاطعة والشاق والشاقة . (١٠) الرياط : جمع ريطة وهى كل ثوب يشبه الملحفة يلبسها الجزارون لوقاية ملابسهم ، والغلالة (بالضم) : الثوب ، والطامث : الحائض . (١١) جمع (بلا لام) : المزدلفة وهى موضع بمِنى ، والوجا : الحفا أو أشده ، والشعث : جمع الأشعث إذا سمى به وهو مغبر الرأس . (١٢) أسمق : أطول ، واللوابث : الرواسى .

هُمُ أوسعوا فى النّاسِ ضمنَ أكفّهمْ … وهمْ أوسعوا فى الأزْمِ جوعَ المفارثِ (١) .
وهمْ ورثوا آباءهمْ مآثِرَاتِهِمْ … وأنتمْ من العليــاء غيرُ مَوارثِ
وهمْ نزّهوا أولادَهمْ بأواخرِ … وشِنْتُمْ قديماً كانَ منكمْ بحادثِ
ونحن غداةَ الجذْبِ خيرُ مَخاصبٍ … ونحن غـداةَ الرّوعِ خـيرُ مَغاوثِ
وأطعنُ منـكمْ للــكلَى بمثقّفٍ … نضمّ عليهِ بالطّوالِ الشّوابثِ (٢)
وأضربُ منـكمْ للرءوس لدى وغًى … وأوْهبُ منـكمْ للهجانِ الرواغثِ (٣)
لنـا فى النـدَى سَحٌّ وهَطْلٌ ووابلٌ … وكيف لـكمْ فيه بقَطْرِ الدثائثِ ؟ ! (٤)
وما خَزِيَتْ منّـا رؤوسٌ بريبـةٍ … تُـكشّفها فى النّاسِ نبثةُ نابثِ (٥)
فـكيف لـكمْ نَـكْثٌ بنا ومِنَ أجلِنا … ولمْ تُبتَـلَوْا « منّا » بنَـكْثةِ ناكثِ (٦)
فلا تـكسِفوا أنوارَنا بظلامـكمْ … ولا تعـدِلوا أصقارَنا بالأباغثِ (٧)
خذوا من كلامى اليومَ زفرةَ زافرٍ … وأنّةَ مَـكروبٍ ونفثةَ نافثِ

—»»»«««—

(١) الأزم : جمع لغوى أى اسم جنس جمعى للأزمة وهى الشدة والقحط ، ولعل أوسعوا الثانية « وسعوا » أى أطاقوا وتحملوا بالاطعام والاغاثة ، والمفارث : المجاعات . (٢) المثقف الرمح ، والشوابث : جمع الشابث أى المتعلق . (٣) الهجان من الابل : الكرام البيض يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع ، والرواغث : جمع الراغثة والراغث للمؤنث وهن الرواضع .
(٤) الدثائث والدثاث : المطر الخفيف . (٥) النابث : النابش .
(٦) الناكث : الناقض للعهد ، وفى الأصل « منه » فى موضع « منا » محرفة .
(٧) الأباغث : جمع الأبغث وهو من طير الماء ، « ولم يسمع « أصقار » جمعاً لصقر » وهو ضعيف فى القياس على ادعاء أبى حيان التوحيدى لـكثرته (م . ج) » .

قافية الجيم

باب الجيم المضمومة

قال يرثى أبا محمد الحسن [1] بن محمد بن المسلمة :

كم ذا سرى بالموتِ عنّا مُدْلِجُ ... أبكى اشتياقاً بى إليه وأنشِجُ [2]
وأوَدُّ أنّى ما تعرّى جانبى ... منّى ولم يُخرجْهُ عنّى مُخرِجُ
وكذا مضى عنّا القرونُ يكبُّهمْ ... خَطْبٌ أخو سَرَفٍ وصَرْفٌ أعوجُ [3]
خَدَعَتْهُمُ الدنيـا برائقِ صِبْغِها ... واقتادَهُمْ شوقاً إليها الزِّبْرِجُ [4]
فتطامحوا وتطاوحوا بيـد الرّدى ... وتقوّموا ثُمّ انثنَوْا فتعوّجوا
وكأنّهمْ لمّـا عموا بظلامِ أرْ ... ماسٍ لهمْ ما أشرقوا أو أبلجوا [5]
لم ينجِهمْ وقد التوى بهمُ الردى ... وإليهِ يُمْضَى او عليهِ يُعرَّجُ [6]
وهو الزّمانُ فمُسْمِنٌ أو مُهزِلٌ ... آلَ الحياةِ ومحزنٌ أو مُبهِجُ

---

(١) « هو الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمر بن خالد بن الرفيل ، ولد ببغداد سنة « ٣٦٩ » من أسرة مشهورة وعنى بطلب الحديث ، وزكى عند قاضى القضاة وصار من الشهود المعدلين ، وكان ينزل درب سليم من الجانب الشرقى من بغداد ، وروى الحديث عن محمد بن المظفر الا أنه روى يسيراً ووصفه الخطيب البغدادى بالصدق ، توفى ليلة الثالث من صفر سنة « ٤٣٠ » ، وهو والد أبى القاسم على بن الحسن المعروف بابن المسلمة الملقب رئيس الرؤساء وزير الخليفة القائم بأمر الله « تاريخ بغداد للخطيب ج ٧ ص ٢٨٠ ، ج ١١ ص ٣٩١ ، « المنتظم ج ٨ ص ١٠٠ » ، والمسلمة التى نسبوا إليها هى جدتهم حيدة بنت عمر أسلمت سنة « ٢٦٣ » كما فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثى. (م.ج.) » .

(٢) المدلج : السائر ليلا ، وأنشج : أغص بالبكاء . (٣) القرون : جمع القرن (بفتح القاف وتسكين الراء) : أهل الزمان ومن قارنك فى السن، وجمع القرن (بالكسر) : وهو الشجاع ، وصرف الدهر : نوائبه . (٤) الزبرج : الزينة . (٥) الأرماس : القبور ، وأشرقوا : دخلوا فى شروق الشمس ، وأبلجوا : دخلوا فى بلوج الصبح . (٦) التعريج : الإقامة .

وَمسلِّمٌ لاْ يَبْتَلِي « وَمُسالِمٌ » ... ومُوادِعٌ لا يختلي ومُهَيِّجُ (١)

والمرءُ إمّا راحلٌ أو قد دنا ... منه وما يدرى الرّحيلُ المزعجُ

بينــا تراه فى النّدىّ « مُنشّراً » ... حتّى تراد فى الحفيرة يُدرَجُ (٢)

تسرى به نحو الرّدى طولَ المدى ... بيضٌ وسودٌ كالرّكائب تَهدِجُ (٣)

وإذا الرّدى كان المصير فما الأسى ... منّا على نشَبٍ وثوبٍ يَنْهَجُ ؟! (٤)

لولا المقادِرُ قاضياتٌ بينــــنا ... خَبْطاً لما سبق الصحيحَ الأعرجُ

ياناعِيَ ابنِ محمّدٍ ليتَ الّذى ... خبّرتَنيهِ عن الحقيقــة أعوجُ

أفصحتَ لا أفلحتَ بالنبإ الّذى ... للقلبِ منــه توقّدٌ وتوهّجُ

ولَطالما ضنّ الرّجال بمثـلِ ما ... صرّحتَ عنه فجمجموا أو لَجْلَجُوا

ياذاهباً عنّى ولى من بعده ... قلبٌ به متلهّبٌ متــأجّجُ

أعززْ علىّ بأنْ أراكَ مُسَرْبَلاً ... بالموتِ تُدفن فى الصّعيد وتُولَجَ (٥)

فى هُوّةٍ ظلمــــاءَ ليس لداخلٍ ... فيها على كرّ اللّيالى مَخْرَجُ (٦)

بينى وبينك شاهقٌ لايُرتَقَى ... طولًا وبابٌ للمنيّة مُرْتَجُ (٧)

ويُصَدُّ عنك القاصدون فمــا لهمْ ... أبداً على شِعْبٍ حَلَلْتَ مُعرَّجُ

كم ذا لنا تحت التّراب أناملٌ ... تندَى ندًى وجبين وجهٍ أبْلَجُ (٨)

من أين لى فى كلّ يومٍ صاحبٌ ... يرضاهُ منّى الدّاخل المُتَوَلِّجُ

---

(١) فى الأصــل « ومسلم » مكرورة وما وضعناه أنسب ، والموادع : المصالح ، ويختلى : يجز الحلى (بالقصر) وهو النبت مادام رطباً ومعناه يتأصل . (٢) الندى : النادى « ومنشراً » كذا ورد فى الأصل أى مفرقاً على الفاعل المضعف وإن كان الفعل ثلاثياً ليقابل به يدرج أى يطوى ، ويجوز أن تكون « منشداً » ، ويجوز أن تكون منشراً أى حياً على المفعول من أنشره أى أحياه ، ومنه قوله تعالى « ثم إذا شاء أنشره » أى أحياه ، أو من النشرة وهى الانبساط ومنه الحديث الشريف « الركوب نشرة والطيب نشرة والنظر الى الخضرة نشرة ».

(٣) البيض والسود : كناية عن الأيام والليالى ، وتهدج : تسرع . (٤) النشب (بالتحريك) : المال ، وينهج : يبلى . (٥) مسربلا : مرتديا ، والصعيد : التراب ، وتولج : تدخل . (٦) الهوة : الحفيرة . (٧) مرتج : مغلق . (٨) أبلج : مضىء .

هيهاتَ فرَّ من الحِمامِ مغامِرٌ ... حيناً وكَعَّ عن الحِمامِ مُدَجَّجُ (١)

وكَرَعْتُ منك الودَّ صِرْفاً صافياً ... ولِـكَمْ نرى وُدّاً يُشابُ ويُمزَجُ (٢)

لا تُسْلِنِي عنهُ فتسليـــةُ الفتى ... عمّن به شَغَفُ الفؤادِ تهيّـجُ

ولَـكَمْ غطا منّي التجمّلُ في الحشى ... من لاعِجاتٍ في الأضالعِ تَلْعَجُ (٣)

فاذهبْ كما شاء القضاء وكن غداً ... في القومِ إمّا سُوِّدوا أو تُوِّجوا

لَهُمُ بأفنيةِ الجِنانِ مساكنٌ ... طابتْ مساكنُها وظلٌّ سَجْسَجُ (٤)

وسقى ترابَكَ كلُّ مُنخرِقِ الـكُلَى ... يسري إذا ماشئتَهُ أو يُدْلِجُ (٥)

للرّعد فيـــه قعاقعٌ وزماجِرٌ ... والبرق فيـــه توهّجٌ وتموّجُ

والنَّوْرُ في حافاتِهِ مُتفتّحٌ ... والأُقحوانُ بجـــانبيهِ مُفَلَّجُ (٦)

وإذا سقاكَ اللهُ من رحماتِهِ ... فَلأَنْتَ أسعدُ من أتاهُ وأفلجُ (٧)

* * *

وقال في الافتخار :

أعلى الرّكائبِ سارتِ الأحداجُ ... والبين ماعنه هناكَ مَعاجُ ؟ (٨)

لاتطلبوا « منّي » السلوَّ فليس مِنْ ... حاجي ولي في مَنْ ترحّلَ حاجُ (٩)

قالوا اصطبرْ والصّبرُ ليس بزائلٍ ... مَنْ عنـــدد بالغانياتِ لجاجُ

ودواءُ أمراضِ النّفوسِ كثيرة ... والحبُّ داءٌ ليس منـــه علاجُ

بيني وبين تجلّدي وتمـــاسكي ... والعيسُ ترحّلُ للفراقِ رِتاجُ (١٠)

---

(١) كع عنه كعاً وكعوعاً وكعاعة : جبن وضعف وفشل ، والمدجج: لابس السلاح . (٢) يشاب: يخالط. (٣) لاعجات: محرقات . (٤) ظل سجسج : لاحر فيه ولا برد . (٥) يسرى : يسير ليلا ، والإدلاج : السير أول الليل . (٦) النور (بالفتح) : الزهر لاسيما الأبيض والواحدة نورة ، والأقحوان : نبت طيب الرائحة قيل هو الريحان ، ومفلج : مفتح وأصل الفلج تباعد مابين الأسنان . (٧) أفلج : أكثر فلجاً أى فوزا وظفرا . (٨) الأحداج: جمع الحدج وهى (الهوادج) والبين : الفراق ، والمعاج : الإقامة . (٩) فى الأصل « عنى » مصحفة عن « منى » ، والحاج : جمع الحاجة . (١٠) التجلد : التصبر . والعيس: الابل ، والرتاج : الباب العظيم المطبق وفيه باب صغير .

هُمْ أوقدوا نارَ الهوىٰ فى أضالِعِى ... بفراقهمْ يومَ الرّحيلِ وهاجوا
فى ساعةٍ ما إنْ بهــا إلّا جوًى ... يُضنِى وسيلُ مدامعٍ ثجّــاجُ [1]
عاجوا علينا بالوَداعِ وليس لِى ... صبرٌ عليـــهِ فليتهمْ ماعاجوا [2]
وسَرَوْا بمُسْوَدٍّ بهيمٍ مالهمْ ... إلّا وجوهُ البيضِ فيه سراجُ
وإذا هُمُ بالرغمِ منّـــا أدلجوا ... أودىٰ المُتيَّمَ ذلك الإدلاجُ [3]
ولقد نعىٰ وَصْلِى لكمْ وبكى به ... قبلَ الفراقِ الناعقُ الشّحّاجُ [4]
نادىٰ فأزعجَ كلَّ من لم يأتِهِ ... لولاهُ إقلاقٌ ولا إزعاجُ
لِمْ شِرْبُكُمْ عندى النّميرُ وعندكمْ ... شِرْبِى على الظّما الشّديد أُجاجُ ؟ [5]
وإذا ضَنِنْتُمْ بالعطاء فليتَـــهُ ... ما كان إقتارٌ ولا إحواجُ ؟ [6]
والبُخلُ مِلْءُ بيوتكمْ فمتى يُرىٰ ... يثرى ويَغْنىٰ منكمُ المحتــاجُ
وأنا الفصيح فإن شكوت إليكُمُ ... جَنَفَ الغرامِ فإنّنى اللّجلاجُ [7]
وفلاحُ قلبٍ لايُرجّى بعدما ... وَلِيَتْ عليــه الطّفلةُ المِغْناجُ [8]
أقسمتُ بالبيتِ الحرامِ وحولَهُ ... للزّائريهِ من الوفودِ ضُجاجُ
« عَرَقَتْهُمُ » حتّى أتَوْهُ هُزّلاً ... بيدٌ عِراضٌ دونَهَ وفجاجُ [9]
وِمِنىً وبُدْنٍ ماصُرِعْنَ بتُربهـــا ... إلاّ لتُبزلَ عنـدَه الأوداجُ [10]
والمَوْقِفَيْن عليهما وإليهمـــا ... طَلَبَ «النَّجاءَ تزاحَمَ» الحُجّاجُ [11]

---

(١) ثجاج : سيال . (٢) عاجوا : مروا أو أقاموا .
(٣) أودى : أهلك والإدلاج مر تفسيرها . (٤) الشحاج : هو الغراب لشحيجه أى صياحه ويشركه فيه البغل . (٥) النمير : الناجع من الماء عذباً كان أو غير عذب، والأجاج: الملح المر . (٦) ضننتم . بخلتم . (٧) الجنف (بالتحريك) : الميل ، واللجلاج : الثقيل اللسان المتردد فى الكلام . (٨) المغناج : المتدللة . (٩) عرقتهم : أهزلتهم مستعار من عرق العظم إذا أزال ما عليه من اللحم ، وفى الأصل « عرفتهم » (بالفاء) مصحفة .
(١٠) تبزل : تشق ، والأوداج : جمع الودج وهو عرق فى جانب ثغرة النحر . (١١) فى الأصل « النجاء تزاحم » مصحفة عما أثبتناه .

لولايَ لم يكُ للنّدى سيلٌ ولا ... فى الرّوع إلجامٌ ولا إسراجُ
ماضرّني أنْ ليس فوق مفارقي ... تاجٌ ومن فضلِي علىَّ التّاجُ
وأنا الغبينُ لئنْ رضِيتُ بأن تُرى ... فوقِي العيوبُ وتحتِيَ الهِملاجُ (١)
وبأنْ تَقِلَّ مكارمٌ مِنّى ولى ... ثَمَرٌ كثيرٌ سائغٌ وخَراجُ
والضّاحكون بيومِهِمْ مافيهِمُ ... إلاّ الّذى هو فى غدٍ نشّاجُ (٢)
دعْ مَن يكون جمالَهُ وفخارَهُ ... فى الفاخرين الوَشْيُ والدّيباجُ (٣)
فثيابُ مِثلي يومَ سِلْمٍ عِفّةٌ ... وثيابُ جسمى فى اللّقاء عَجاجُ
قلْ للأُلىٰ سَخِطوا الجميلَ فمالهمْ ... يوماً إلى كسبِ العُلاَ مِنهاجُ
لو شِئتُمُ أن تعلموا لعلمتمُ ... علمى فليس على العلوم سياجُ
ما فيكمُ لولايَ لو أنصفتمُ ... دخّالُ كلِّ كريهةٍ خرّاجُ
كلُّ النضائلِ فى يدَىَّ وما لكمْ ... منهنّ أفرادٌ ولا أزواجُ
ومعالِمِى خضرُ الذّوائبِ لم يَبِنْ ... فيهنّ إخلاقٌ ولا إنهاجُ (٤)
ولقد ظهرتُ فليس يُخفِي شُهرتِي ... فى النّاسِ إدراجٌ ولا إدماجُ
وعَشِيتُمُ مِنّى وفوق رءوسكمْ ... بالرّغمِ يلمعُ كوكبى الوهّاجُ
فالمكرُماتُ عقيمةٌ منكمْ ولى ... منهنّ فى كلِّ الزّمان نِتاجُ
ما فيكُمُ صفوٌ ولكنْ أنتمُ ... كَدَرٌ لصفوٍ فى الورى ومزاجُ
قوموا أرونى تابعاً فرداً لكمْ ... ودعوا الّذى « أتباعُهُ »الأفواجُ (٥)
والنّقصُ ملتحفٌ بكمْ مافيكمُ ... عنه المحيصُ ولا له إفراجُ

---

(١) الهملاج : البرذون الحسن السير . (٢) النشاج: البكاء (كبقال) ، والنشيج: هوالبكاء.
(٣) الوشى : نوع من الثياب الموشاة أى المنقوشة ، والديباج : ثوب الحرير .
(٤) المعالم : العلامات يستدل بها على الطريق ، والإخلاق (بالكسر) : الإبلاء وخلق الثوب بلى فهو خلق (بفتحتين) ، والإنهاج مثله . (٥) فى الأصل « تباعه » والأنسب ما أثبتناه .

حتّى سويعاتُ السّرورِ قصيرةٌ … فيكمْ ووضعُ الحاملاتِ خِداجُ (١)

وإذا رضيتمْ بالخطاءِ فلا ارتوى … «صادٍ» ولا امتلأتْ لكمْ أعفاجُ (٢)

من لي بخِلٍّ يستوى لِيَ عنده … يُسرى وعُسرى والغِنى والحاجُ

وإذا عرَتني فى الزّمانِ شديدةٌ … فهو المكشِّفُ كَرْبَها الفَرّاجُ

ما يستوى جَذْبٌ وخِصْبٌ لا ولا … وَشَلٌ وبحرٌ فائضٌ عجّاجُ (٣)

بِتْنا ونحن المُعرِقون تَمودنا … بين العِدى وتسوقنا الأعلاجُ (٤)

ما وِرْدُنا فى الدّهرِ إلّا رَنْقةٌ … ولنا الإضاعةُ فيه والإمراجُ (٥)

لا خيرَ فى هامٍ بغيرِ أزِمّةٍ … فينا وسَجْلٍ ليس فيه عِناجُ (٦)

ومن الضرورة أن يكون مع الثرى … النَّدبُ الخفيفُ إذا علا الهِلباجُ (٧)

ما حقُّ مِثلِي وهو ممّن قولُهُ … يسرِى إلى الآفاقِ منه لِهاجُ

***

وقال فى النسيب :

سقى دارَها حيث استقرتْ بها النّوى … من المزنِ مخروقُ المَزادِ خَدوجُ (٨)

وكنتُ إذا ما سرتُ قصداً لغيرِها … أميلُ إلى أبياتِها وأعوجُ

فلِي من جوًى فيهنّ رَنّةُ عاشقٍ … ولى أدمعٌ تجرى دماً ونشيجُ

فإنْ تلحَني يوماً وقلبُك طيّعٌ … خَلِيٌّ فلِي قلبٌ بهنّ لَجوجُ

---

(١) الخداج : الولادة قبل الأوان . (٢) فى الأصل « صدأ » فى موضع « صاد » وهو العطشان ، والأعفاج : الأمعاء مفردها عفج (بفتحتين) . (٣) الوشل : الماء القليل ، والعجاج عكسه . (٤) المعرق : الكريم الأصل ، والأعلاج : جمع العلج ومن معانيه الرجل الضخم من كفار العجم . (٥) الرنق : الكدر ، والإمراج : الإختلاط .
(٦) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء ، والعناج : حبل أو سير يشد فى أسفل الدلو ثم يشد الى العراقى . (٧) الندب : السيد الكريم ، والهلباج : العاجز والنذل أو السافل .
(٨) المزاد : جمع المزادة وهى وعاء من جلد واسع يوضع فيه الماء ، والخدوج : غير المحتفظ بما فيه .

حلفتُ بربِّ الواقفين عشيّـــةً ... على عرفاتٍ والمَطِيُّ وُلوجُ (١)
وبالبُدْنِ تهوِى نحو جَمْعٍ خِفافُها ... من الأَينِ منهـا راعفٌ وشَجيجُ (٢)
وما عقرودُ فى مِنى مِن مُسِنَّةٍ ... لهـــا بين هاتيك الجمارِ خَديجُ (٣)
وبالبيتِ لاذ المُحرمون برُكنِه ... وطاف به بعد الحجيج حجيجُ
ولمّا قضَوْا أوطارَهم منـــه ودّعوا ... وأرزاقُهمْ من ضيقهنَّ فرُوجُ
لَحُبُّك من قلبى كقلبى كرامـةً ... فليس له عُمْرَ الزّمان خُروجُ
فإن عَذَلوهُ زِيدَ شجْواً وهاجَـهُ ... على وجْـــدِهِ مالا يكاد يَهيجُ
وكيف يفيـد العَذْلُ والعذلُ ظاهِرٌ ... وحبُّك ما بين الضّلوع وَلوجُ ؟

✿ ✿ ✿

وقال ملغزا :

ونجلاءَ لا ترْقا لهـا الدّهرَ دمعةٌ ... لها بين أطباقِ الضّلوعِ نشيجُ (٤)
تُضيِّقُ رَتقاً مابهـا من تفتّقٍ ... وتُفرِجُ فيما ليس فيه فُروجُ (٥)
فلاَ دارُها فى ساعةِ النأى تَنْتَنِي ... ولا بُرؤُها فيما يعوج يعوجُ (٦)
تَصَمُّ عن الرّاقين منهــا كأنّها ... مُصِرٌّ على عَذْلِ اللّحاةِ لَجوجُ (٧)
تُفادِى وتُخشَى بالسِّبارِ فَسَبْرُها ... دَخولٌ إلى أعماقهـا وخَروجُ (٨)
لهـا فغْرَةٌ إنْ شاءَ يوماً وُلوجَهـا ... خَروقٌ لهـا بالرّمحِ فهو وَلوجُ (٩)

✿ ✿ ✿

---

(١) الولوج : جمع الوالج وهو الداخل . (٢) البدن : جمع البدنة (بالتحريك مع الفتح) وهى الناقة أو البقرة المسمنة ، وجمع (بلا لام) : موضع بمنى (المزدلفة) ، والأين : التعب ، والراعف : من خرج من أنفه الدم ، والشجيج : الجريح . (٣) الجمار : موضع تلقى فيه الجمرات بمنى والحصيات يقذفن فى الجمار ، والخديج : ولد الناقة يلقى قبل أوانه .

(٤) ترقا : من الفعل رقأ المهموز وسهلت الهمزة للخفة ورقأ الدمع : جف وانقطع ، والنشيج : البكاء . (٥) الرتق : ضد الفتق . (٦) يعوج : يبقى . (٧) الراقى : قارىء الرقية وهى العوذة . (٨) تفادى : تحامى ، وفى الأصل « تمسى » بدل « تخشى » مصحفة ، والسبار : فتيلة تجعل فى الجرح ، وسبر الجرح : قاس غوره بالمسبر أو المسبار ، وهو ميل يقاس به عمق الجرح . (٩) الفغرة : الفوهة .

باب الجيم المفتوحة

وقال فى غرضه :[1]

أَمِنْكِ الشَّوقُ أرَّقنِي فهاجَا ... وقد جَزَعتْ ركائبُنا النّباجا[2]
وطيْفُكِ كيف زارَ بذاتِ عِرْقٍ ... مضاجعَ فِتْيةٍ وَلَجوا الفِجاجا[3]
تَطرَّقَنا ونحن نُخالُ ألّا ... يعوجَ بنا من البلوى فعاجا[4]
فأوْهَمَنا اللِّقاءَ ولا لقاءٌ ... وناجَى لو بصدقٍ منه ناجَى
ألَمَّ بنا وما رَكبَ المطايا ... ولا أسرَى ولا أَدْلجَ أَدّلاجا[5]
ومُعتَكِرِ الغدائرِ باتَ وَهْنًا ... يُسقِّيني بريقتِه مُجاجا[6]
أضاءتْ لى صباحتُهُ فكانتْ ... وجُنحُ الليلِ ملتبسٌ سِراجا
ومنتسبٍ إلى كرمِ البوادِى ... خبَرْتُ فكان ألأمَ مَنْ يُفاجا
غذاهُ اللؤمَ صِرْفًا والداءُ ... فضمَّ إليهِ من صَلَفٍ مِزاجا
وكفٍّ لا تُمَدُّ إلى جميلٍ ... كأنَّ بها وما شنجتْ شناجا[7]
عدانِى بالطفيفةِ من حقوقى ... وأطبقَ دون « ضَفَّتِىَ » الرِّتاجا[8]

---

(١) أشار إلى هذه القصيدة فى طيف الخيال وأورد الشطر الأول من مطلعها وأربعة أبيات منها ص ٨٠ و ٨١ .

(٢) جزعت : قطعت ، والنباج : قرية بالبادية . (٣) ذات عرق : موضع بالبادية (ميقات العراقيين) . (٤) تطرقنا : من الطروق وهو الإتيان ليلا ، ويعوج : يقيم ، وفى طيف الخيال « لجاجا » بدل « فعاجا » محرفة . (٥) أسرى : سار ليلا ، والادلاج (بتشديد الدال) : السير آخر الليل أو أول الليل كله كما أن الإدلاج (بتسكين الدال) من أدلج هو السير أول الليل . (٦) المعتكر : شديد السواد ، والغدائر : جمع الغديرة وهى الضفيرة أو الذؤابة المتدلية من شعر الرأس ، والمجاج (بضم الميم) : العسل وما يمجه الفم من الريق . (٧) شنجت اليد وتشنجت : تقبضت ولم تنشرح . (٨) عدانى : ظلمنى ، والضفة (بالفتح) والضفف : الحاجة وفى (ه) « ضبعنى » وفى « ش » « صبعنى » وكلتاهما مصحفتان والرتاج : الباب العظيم .

وقد حاجَجْتُهُ فيهـــا مبيناً   فمـــا أرعَى مسامعَهُ الحِجاجا
يَلَجُّ وكم أدال اللهُ ممَّنْ   علىٰ غُلَوائِهِ ركب اللَّجاجا [1]
ألا قلْ للأجادِلِ من بُوَيْهٍ   أرىٰ أَوَداً شديداً واُعوجاجا [2]
ومُثقَلَةً كؤوداً « لاترادىٰ »   وداهيةً صمـــوتاً لا تُناجىٰ [3]
ديارُكُمُ لـكمْ قولًا ويَجْبِى   سواكمْ من جوانبِهـــا الخَراجا
وفى أرجاءِ دِجْلَةَ مؤْبِداتٌ   وأدواءٌ تريد لهـــا علاجا [4]
رعانا بَعْدكمْ من كان يرعَى   على الفِيطانِ إبلًا أو نِعاجا [5]
وذُءبانٌ تخطّفُ كلَّ يومٍ   لـكمْ ما خفَّ من نَعَمٍ «وراجا» [6]
فمن عنّا يبلّغـــكمْ خطوباً   إذا ذُكِرتْ يَصَمُّ لها المُناجِى ؟
تَملّـــكنا ببُعْدِكُمُ الأعادى   وعاد نميرُنا مِلْحاً أُجاجا [7]
فمـا نرجو « لتِيهَتِنا » رشاداً   « ولا نرجو » لضَيْقتنا اُنفراجا [8]
وإنَّ بنا وما يدرِى المعـــافىٰ   شجًى فى الصّدر يعتلج اعتلاجا [9]
وإنَّ السّرحَ تحميـــهِ أسودٌ   فلا دَرّاً نصيبُ ولا نِتاجا [10]
ونحن وغيرُكمْ والٍ علينـــا   كظالِعةٍ تطالبُ الرّواجا [11]

---

(١) الغلواء (كأمراء) : الـكبر .   (٢) الأجادل : الصقور مفردها أجدل ، والأود (بالتحريك) : الاعوجاج .   (٣) الـكؤود : الصعبة ، ولا ترادى : لا تصاب من ردى الرجل الحجر بمعول إذا ضربه به ليـكسره ولم ينكـسر ، وفى «س» لاتداوى وما وضعناه أنسب كما فى «ه» .   (٤) المؤبدات والأوابد : الدواهى .
(٥) الفيطان : جمع الفوط وهو المطمئن من الأرض .   (٦) « وراجا » كذا فى النسخ ولعله « وداجا » وهو جمع لغوى لداجة وهى الحاجة الصغيرة فهو معطوف على المحل أو هو من « الوداج » وهو عرق فى العنق فيكون الأصل « ماخف وداجه من النعم » (م . ج .) .
(٧) النمير من الماء : الناجع عذباً كان أو غير عذب ، والأجاج : الملح المر .   (٨) فى (ه) « لغيبتنا » فى موضع « لتيهتنا » « وما ندعو » فى موضع « ولا نرجو » .   (٩) الشجى: الحزن ، واعتلاجه فى الصدر كثرته واشتداده .   (١٠) السرح : ما يسرح من شياه وإبل والدرّ : اللبن .   (١١) الظالعة : العرجاء ، والرواج : الجد والسرعة .

وَمَنْ ضربَ القليبَ ببطنِ سَجْلٍ ... ولم يشدُدْ إلى وَذَمٍ عِناجا (١)
أرونا النِّصْفَ فيمنْ « جارَ » دهراً ... فإنّ بنا إلى الإنصافِ حاجا (٢)
فإنّكمُ الشّفاء لكلِّ داء ... ويأبى كَيْكمْ إلاّ نِضاجا
وصونوا الدّوْلةَ الغرّاء ممّنْ ... يُداجي بالعداوةِ أو يُداجي (٣)
« يريم » كصلِّ رَمْلةِ بطنِ وادٍ ... فإمّا فرصةٌ هاجتْهُ هاجا (٤)
ولاتنتظّروا في الحرب منهمْ ... تماماً طالما نُتِجَتْ خِداجا (٥)
فما زالوا متى قُرِعوا صخوراً ... مُلَمْلَمَةً وإنْ صُدعوا زجاجا
لعلِّي أن أراها عن قريبٍ ... على الزّوراء « تمترق » العجاجا (٦)
عليها كلُّ أرْوَعَ من رجالٍ ... كرامٍ طالما شهدوا الهياجا (٧)
تراهمْ يولغون ظُبا المواضي ... ويُرْوُونَ الأسنّةَ والزِّجاجا (٨)
وتلقاهمْ كأنّ بهمْ أُواماً ... إلى أن يَنْزلوا بدمٍ وِداجا (٩)
فدونَك ياشقيقَ اللؤمِ قولاً ... يسوءك ثمّ يوسعنا ابتهاجا
وخذْ ماهِجتَ من كَلِمٍ بواقٍ ... فما حقُّ المُفوَّهِ أن يُهاجا (١٠)

* * *

---

(١) القليب: البئر غير المزبورة ، والسجل : الدلو ، والوذم (بفتحتين) : السيور التي بين آذان الدلو وأطراف العراق والواحدة منها وذمة ، والعناج : حبل أو سير يشد في أسفل الدلو ثم يشد إلى العراق وقد مر تفسيره . (٢) في (س) « جاء » مصحفة عن « جار » . (٣) يداجي : يداري . (٤) يريم : يقيم وفي النسخ « يرم » . (٥) الخداج : الولادة قبل الأوان . (٦) تمترق ، كذا في « هـ » وفي « س » « تخترق » في موضع « تمترق » والمعنى واحد . (٧) الأروع : الشجاع ، والهياج : الحرب . (٨) يولغون : يسقون من ولغ في الاناء إذا شرب ، والأسنة : الرماح ، والزجاج (بالكسر) : كعوب الرماح من أسفل وتكون من حديد ، مفردها زج (بالضم) . (٩) الأوام : العطش والوداج : عرق في النحر .
(١٠) المفوه : المنطيق .

باب الجيم المكسورة

وقال يفتخر :

بِرِباعكمْ يا أهلَ يثربَ حاجتي ... وعليكمُ دون الأنامِ مَعاجي (1)

ومتى أدّلجتُ إلى زيارةِ أرضكمْ ... حَذرَ الوشاةِ فحبّذا إدْلاجي (2)

كَمْ فيكمُ لِمَنِ الهوى من شأنِهِ ... من مَبْسَمٍ رَتِلٍ وطَرْفٍ ساجِ (3)

ومُحَكَّمٍ في الحسنِ يُسكرَ عنده ... كأسُ الهوى صِرْفاً بغيرِ مزاجِ

ماذا على مَن ضنّ دهراً بالنّدى ... لو كان يوماً ضَنّ «بالأحداجِ» (4)

«ويسوءني» وهو الذي في كفّهِ ... ماشئتُ من جَذَلي ومن إبهاجي (5)

ويذودني وبيَ الصّدى عن عَذْبِهِ ... فإذا سقاكَ سقاكَ كلَّ أجاجِ (6)

وَصْلٌ كعشواءِ الظّلامِ تردّداً ... وقطيعةٌ تجري على مِنهـــاجِ

ياقاتلَ اللهُ اللواتي باللـــوى ... أوْرَطْنَنا حُبّاً وهُنّ نواجِ

«مازلن» بالرّجلِ الصحيحِ من الهوى ... حتى تعايا فيه كلُّ علاجِ (7)

ياصاحبيَّ تنظّرا بأخيـــكما ... أنْ تستثيرا العيسَ بالأحداجِ

«حتّى» ألتَوتْ هامُ الكواكبِ مُيّلاً ... والفجرُ في عَقِبِ الدّجى كسراجِ (8)

«وأبي» الظّعائنِ يومَ رُحْنَ عشيّةً ... والبينُ شاهدُنا بغيرِ خِلاجِ (9)

---

(1) المعاج : الإقامة . (2) الإدلاج : السير أول الليل . (3) الرتل : المتناسق المنتظم ، وساج : فاتر . (4) ضن (بالضاد) : بخل ، والأحداج : الهوادج وفى «هـ» « بالأحواج » بدل « الأحداج » مصحفة . (5) فى «س» « ويسومنى » فى موضع «ويسوءنى» محرفة ، والجذل: الفرح والسرور . (6) يذودنى : يطردنى ، والصدى: العطش ، والأجاج : الملح المر . (7) فى «هـ» « ما ضن » لعلها محرفة عن «ماضفن» أى نزلن أو عما اثبتناه . (8) فى (هـ) «حين» فى موضع « حتى » عرفة . (9) فى «س» « بأبى » فى موضع « وأبى » ، والبين : الفراق ، وبغير خلاج : بغير شك .

لقد احتوين على قلوبِ معاشرٍ　　خفّتْ كما خفّ القطينُ الناجى (1)
ودّعْننا من غــــيرِ علمٍ بالّذى　　أودَعْننا من جاحِمٍ وهّاجِ (2)
والرّكبُ بين مغيّضٍ كَمَدَ الهوى　　فى لُبّهِ أو مُعْوِلٍ « بِنشاجِ » (3)
يذرى دماً من عينهِ « فـكأنّه »　　يبـكى أحبّتَهُ من الأوداجِ (4)
وأنا الّذى استوطنتُ ذُرْوَةَ هاشمٍ　　وحَلَلْتُ من عدنانَ فى الأثباجِ (5)
الضّاربين الهامَ فى يومِ الوغى　　والقائلين الفصْلَ يومَ حِجاجِ
والزّاحمين « ترفماً » وتنزّهاً　　للطالعات دُجّى عن الأبراجِ (6)
والساحبين إلى ديارِ عدوّهمْ　　أذيالَ كلِّ « مُعضَّلٍ » رَجْراجِ (7)
كالبحر تلتمعُ الأسنّةُ والظُّبـــا　　فى قعرِهِ بَدَلاً من الأمواجِ
يحوى رجالاً لا يبالون الرّدَى　　إلا ردًى فى غــــيرِ يومِ هياجِ
نبذوا الحياةَ « وأمْرَجوا » أرواحَهمْ　　بين المنايا أيّما « إمراجِ » (8)
وأتَوْا على صَهَواتِ جُرْدٍ ضُمّرٍ　　ملأى من الإلجامِ والإسراجِ (9)
أكلَ الغوارُ لحومَها وتعرّقتْ　　أوصالَها أنيابُ كلِّ فجاجِ (10)
فأتتْ كما شاء الشّجاعُ خفائفاً　　مثلَ القِداحِ تُجيلهُنّ لحاجِ (11)

---

(١) خفت : ارتحلت ، والقطين : المجاور.　　(٢) الجاحم : الجمر الشديد .

(٣) المغيض : المغور ، والكمد أشد الحزن ، والنشاج : البكاء وفى «س» « لنشاج » وفى «هـ» « نشاج » وما وضعناه أنسب. (٤) فى النسخ « فـكأنما » فى موضع « فـكأنه » .

(٥) الأثباج : جمع الثبج : وهو من الشىء أعلاه ووسطه وما بين الـكاهل إلى الظهر .

(٦) فى (س) « ترفقا » فى موضع « ترفماً » مصحفة .　　(٧) المعضل من الجيوش : الـكثيف الذى تضيق به الأرض ، من عضل المـكان إذا ضاق بأهله ، وجيش رجراج : إذا كان يموج ولا يكاد يسير ، وفى «س» « مفضل » فى موضع « معضل » مصحفة .

(٨) أمرجوا : خاطوا ، وفى «س» « أمزجوا » والإمراج : الخلط ، وفى «س» « إمزاج» .

(٩) الصهوات : الظهور ، وضمر: ضامرات .　　(١٠) الغوار : مصدر غاوره وهو كالغارة والهجوم فى القتال ، وتعرقت أوصالها : أهزلت أعضاءها من تعرق العظم إذا أزال ما عليه من اللحم، والفجاج : الطرق .　　(١١) القداح : السهام .

قومٌ دفاعُهُمُ النجاةُ لخائفٍ ... وندى أكفِّهِمُ اليَسارُ لراجِ (١)

لا يغضبون إذا الرِّجالُ تغاصبتْ ... إلّا العقائلَ من عظيمِ التاجِ (٢)

وإذا الوجوه تكالحتْ حذرَ الرّدى ... فوجوهُهمْ أقمارُ كلِّ عجاجِ (٣)

ومتى شبيهَهُمُ طلبتَ وجدتَهمْ ... ضربوا على أحسابِهمْ برِتاجِ (٤)

ولقد طلبتُ على العظيمةِ مُسعِداً ... فرجعتُ منقلباً على أدراجي (٥)

ووجــــدتُ أطمارَ الحفائظ بيننا ... في كلِّ شارقةٍ إلى إنهاجِ (٦)

زمنٌ عقيمُ الأمّهاتِ من الحِجْى ... فإذا حَمَلْنَ وضعنَهُ لخِداجِ (٧)

كم حاملٍ فيــــه لِعِبْءِ فهاهَةٍ ... « متعثِّرٍ » بلسانِهِ لَجْلاجِ (٨)

غِرٌّ تجرُّ النائبــــاتُ لسانَهُ ... فإذا اطمأنَّ فدائمُ التَّشْحاجِ (٩)

« كَلِفٌ ببيضِ الأُزْرِ لكن قد غدا » ... متقنِّعاً فينا بعِرْضٍ داجِ (١٠)

وتراهُ يرضى « خِفّةً » من سُؤْدَدٍ ... إنْ باتَ يوماً موقَرَ الأعفاجِ (١١)

قد قلتُ للباغي المروءةَ عنــــدهمْ ... يرمي القليبَ بغيرِ ذاتِ عِناجِ (١٢)

ماذا تُــكلِّفُ ذاتَ بطنٍ حائلٍ ... جدّاءَ من دَرٍّ لها ونتاجِ ؟ (١٣)

---

(١) اليسار : الغنى . (٢) فى «ش» « تظالمت » فى موضع « تغاصبت » وفى « هـ » « تضالمت » محرفتان ، والعقائل : جمع العقيلة وهى الكريمة المخدرة من النساء .

(٣) تكالحت : من الكلوح وهو العبوس . (٤) الرتاج : الباب العظيم .

(٥) فى (ش) « القطيمة » بدل « العظيمة » مصحفة . (٦) الأطمار : الأثواب مفردها الطمر ، والحفائظ : الذمم ، والمراد بالشارقة الصبيحة ، والإنهاج :الإخلاق والإبلاء .

(٧) الحجى : العقول ، والخداج : الولادة قبل الأوان وقد مر تفسيرها .

(٨) فى (هـ و ش) « معسر » بدل « متعثر » محرفة . (٩) الغر (بالكسر): الجاهل بالأمور الغافل عنها ، والتشحاج : صوت البغل أو الغراب . (١٠) فى «هـ» « كلف يتبيض الإزار وإن غدا » ، والداجى : الأسود . (١١) فى (ش) « حقه » فى موضع « خفة » مصحفة ، والموقر : المثقل المحمل ، والأعفاج : الأمعاء مفردها عفج .

(١٢) القليب : البئر غير المطوية ، وذات عناج : الدلو ، وفى «هـ» « عباج » مصحفة .

(١٣) الحائل : التى مضى على حملها حول وفى (س) « حامل » مصحفة ، والجداء : التى جف ضرعها من اللبن ، والدر : اللبن .

وتريدُ أنْ تَحظَى بجمّاتِ الغِنَى   من مَعدِنِ الإقتارِ «والإنفاجِ» [1]

ومِنَ الغباوةِ أنْ يظنَّ مؤمِّلٌ   جُرَعَ«الإساغَةِ»من مِغَصٍّ شاجِ [2]

* * *

وقال فى الغزل :

إنَّ التى حكتِ الضّحَى   والصُّبحُ فى أسْرِ الدّياجِى

ما كنتُ يومَ تعرّضتْ   لِى من حِبالتِها بناجِ

أذوَتْ فؤادِى من صَبا   بتِهـا وضنّتْ بالعلاجِ

ولقـد أقولُ لهـا وضَلَّ عن النّصيحةِ مَنْ يُداجِى

يا حُلْوةً كم دونَ حُلْـوكِ للمتيّمِ من أُجاجِ

وإذا ضَنِنْتِ فقـد أسَأْ   تِ وفى يديكِ بلوغُ حاجِى

* * *

وقال فى النسيب [3] :

مولاىَ يا بدرَ كلِّ داجيةٍ   خذ بيدِى قد وقعتُ فى اللُّجَجِ

حُسنُك ما تنقضِى عجائبُهُ   كالبحرِ حدّثْ عنه بلا حَرَجِ

بحقِّ من خطَّ عارِضَيْك ومَنْ   سلّطَ سُلطانَهـا على المُهَجِ

مُدَّ يديكَ الـكريمتينِ مَعِى   ثُمّ أُدعُ لِى مِن هواكَ بالفَرَجِ

---

(١) الإقتار : البخل ، والإنفاج : الافتخار بما ليس يوجد عنـد المفتخر ، وفى « هـ » الإلفاج : مصحفة .   (٢) فى « س » « الإسانة » فى موضع « الإساغة » محرفة ومغص (بكسر الميم وفتح الغين) : الـكثير الغصص ، والشاجى : الذى يصيبه الشجا وهو ما يعترض الحلق من عظم ونحوه ، وفى «س» « ناج » بدل « شاج » مصحفة .

(٣) وردت هذه القطعة فى ص ٢٦٦ من كتاب « نسمة السحر فى ذكر من تشيع وشعر » ليوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد محمد بن الامام القاسم اليمانى المتوفى سنة ١١٢١ هـ (النسخة الفوتوغرافية فى دار الـكتب المصرية برقم ٤٣٤/تاريخ) . وكذا أوردها السيد على خان فى « أنوار الربيع » ص ٤٨٢ ـ طبع المعجم .

قافية الحاء

باب الحاء المضمومة

قال يهنئ فخر الملك بالمهرجان الواقع فى شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعمائة :

سَلِ الجِزْعَ أين المنزلُ « المتنازحُ » ... وهل سَكَنٌ غادٍ من الدّار رائحُ ؟ (١)
وقد كنتُ قبل البين « أُكتِمُ » الهوى ... فباح به دمعٌ من العين سافحُ (٢)
يجود وإنْ أزرى وأنبَ ناصحٌ ... « ويهمى » وإنْ أغرى وألّبَ كاشحُ (٣)
ألا إنّ يوماً نلتُ فيه « مُنَى » الهوى ... برغم العدى يومٌ « لَعَمْرُكَ » صالحُ (٤)
ولمّا تلاقينا بشِعْبِ مُغَمَّسٍ ... على « شَرَفٍ » فيه الوكورُ الجوارحُ (٥)
خلطنا « نفوساً » بالنفوسِ صبابةً ... وضاق اعتناقٌ بيننا وتصافحُ (٦)
وليلةَ أضللنا الطّريقَ إليكمُ ... فلم يهدِ إلّا العنبرُ المتفاوحُ
وإلّا سقيطُ الدُّر زعزع سِلكَهُ ... غُصونٌ تثنّيها الرّياحُ النّوافحُ
فإنْ لم « يُشَافِهنا » بكمْ أبطَحُ الحِمى ... فلا سُقيتْ ماءَ السّحاب الأباطحُ (٧)

---

(١) المتنازح : البعيد ، وفى « ه » « المتناوح » ومعناه المتقابل يعنى المتقابل البيوت .

(٢) فى « ه » « مكتتم » فى موضع « أكتم » . (٣) أزرى : عاب ، وأنب : لام ، وفى « س » « يظمى » فى موضع « يهمى » محرفة ، وألب : جمع ، والكاشح : العدو .

(٤) فى (س) « من » محرفة عن « منى » و « من الدهر » فى موضع « لعمرك » .

(٥) شعب مغمس (بفتح الميم الثانية أو كسرها) : موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ، وفى النسخ « سدف » فى موضع « شرف » والشرف: المكان العالى ، والسدف (محركة) : الظلمة (بلغة تميم) ، والضياء (بلغة قيس) ، والوكور : جمع الواكر وصفة للآتين إلى الوكر (بفتح الواو) وهو عش الطائر . (٦) فى « ه » « النفوس » بدل « نفوساً » .

(٧) المشافهة : المخاطبة والمداناة وفى (ه) « تسافهنا » مصحفة .

وإنْ لم تكنْ تلك المسارحُ مُلتقًى لأهل «الهوى» فلا عَمِرْنَ المسارحُ (1)
يضَنّونَ بالجدوى علىَّ وإننى لأمنحهمْ من خير ما أنا مانحُ (2)
ومن قبلُ شاقتنِى ونحن على مِنًى حمائمُ من فرعِ الأراكِ صوادحُ (3)
ينُحْنَ ولم يُضمِرْنَ شجواً وإنّما شجًى واشتياقاً ماتنوحُ النّوائح
فللّهِ يومُ «الحزنِ» حين تطلّعتْ لنا من نواحيهِ العيونُ الملائحُ (4)
شَبَبْنَ الهوى فينا وهنّ سوالِمٌ وغادرننا مَرضَى وهنّ صحائحُ
أمِنْ بعد أنْ دُستُ الثريّا بأخْمَصِى وطأطأ عنّى الأبلخُ المتطامحُ ؟ (5)
ترومين أنْ أغنَى بدار دناءةٍ ولِى عن مقامِ الأدنياءِ منادِحُ (6)
وقد علمتْ أحياء فِهرِ بن مالكٍ بأنّىَ عن تلك «العَضائهِ» نازحُ (7)
وأنّىَ لا أدنو من الرّيبةِ التى تسامحُ فيها نفسُه من تسامح
وأنّىَ لا أرضَى بتعريضِ معشرٍ يُذعذِعُ عِرْضِى قولُهُ وهو «مازحُ» (8)
يَحُزّ فلا يدرِى لمن هو جارحٌ ويقدح لا يدرى بما هو قادحُ
وما غرّنِى من «مومضٍ» فىَّ «مِدْحَةٌ» وما غرّت الأقوامَ إلّا المدائحُ (9)
ولولا فخارُ الملكِ ماكنتُ ثاوياً ورَحْلِى على ظهر المطيّةِ بارحُ (10)
ولا طالعاً إلّا مَخارمَ لم يكنْ ليطلعها إلّا الشّجاعُ المُشايحُ (11)

---

(1) فى (س) «النوى» فى موضع «الهوى» محرفة . (2) يضنون : يبخلون ، والجدوى : العطاء . (3) شاقتنى : بعثت فى الشوق ، والأراك : شجر تتخذ من عيدانه المساويك . (4) فى (س) «الحرق» فى موضع «الحزن» ، والحرق : هو الحق .

(5) أخمص القدم : أسفلها ، والأبلخ : المتكبر . (6) منادح : جمع مندوحة على الأصل بحذف الواو أى سعة ، وله مندوحة عن الأمر أى سعة وفسحة . (7) العضائه : جمع العضيهة وهى البهتان والإفك وفى (س) «العضاية» وفى (ش) «العصابة» وكلتاهما مصحفتان والنازح : البعيد وضد الثاوى والمقيم . (8) يذعذع : يفرق ، وفى (ش) «مادح» فى موضع «مازح» . (9) فى (ش) «مرحض» محرفة عن «مومض» وفى (ه) «مدحه» فى موضع «مدحة» . (10) بارح : مقيم . (11) المخارم : الطارق فى الجبال وأفواه الفجاج ، والشايع : المقاتل الجاد فى القتال.

وقلقلْمها رُكبانُهـــا نحو بابهِ   كما طاح من أعلامِ ثَهْلانَ طائحُ (١)
إذا ما بلغنـــاه فقل لمطيّنا :   حرامٌ على أخفافكُنّ الصّحاصحُ (٢)
« أنخنَ » بمَنْ لا نبتغِي بدَلًا بهِ   فمــا ضرّ شيئاً أنّكنّ طَلائحُ (٣)
بحيثُ الجفانُ الغُرُّ تُفْهَقُ « للقِرْى »   مِلاءً وميزانُ العطيّـــةِ راجحُ (٤)
إلى ملكٍ لا يألَفُ الهَزْلَ جِدُّهُ   ولا تُضمرُ الفحشاءَ منــه الجوانحُ (٥)
وَقورٌ وأحـــلامُ الأنامِ طوائشٌ   ويبــدِى ابتساماً والوجوه كوالحُ (٦)
سقى اللهُ أيّاماً لنــا فى ظِـــلالِهِ   فهنّ لأظـــلامِ الزّمانِ مصابحُ
ليـــالِىَ تنهَلّ الأمانِىُّ « حُفّــلًا »   علينـــا كما انهلّتْ غيومٌ طوافحُ (٧)
ولّمـــا تناهبنا الثّنـــاءَ بفضــلِهِ   وجاشتْ بمـــا تولِى يــداهُ القرائحُ
ثنــاءٌ كنشرِ المنـــدلِىِّ « تعبّقتْ »   به فى ابتلاجِ الصّبحِ هوجٌ بوارحُ (٨)
تقاصر عن عليـــاءِ مجـــدكَ قائلٌ   وقصّر عن إتيانِ حقّك مادحُ
« ومن » كتمِ النُّعمى عن النّاس « راجياً »   تناسِيَهـا نمّتْ عليـــه المنـــائحُ (٩)
وقـــد علموا « لمّا عرا الملكَ داؤهُ »   ولا مَنهجٌ يشفِى من الدّاءِ واضحُ (١٠)
بأنّك عن ساحاته الدّاءِ طـــاردٌ   وأنّك عن أكتادِهِ الثِّقْلَ طارحُ (١١)
وما شعروا حتّى صَبّحْتَ ديارَهُمْ   بملمومةٍ فيهـــا القنا والصّفائحُ (١٢)

---

(١) ثهلان : اسم جبل .   (٢) الصحاصح : المفاوز .
(٣) طلائح : جمع طليحة وهى الناقة المهزولة المجهدة من أثر السفر . وفى الأصل « أنخنا »
(٤) تفهق : تملأ ، وفى (س) « للثرى » محرفة عن « للقرى » .   (٥) الجوانح : الضلوع .
(٦) كوالح : جمع كالح وهو العابس المغضب .   (٧) فى (س) « خضلا » فى موضع « حفلا » والحفل : الممتلئات والخضل المبتلات ، وما أثبتناه أنسب .   (٨) المندلى : عود البخور ، ونشره : رائحته ، وتعبقت : انتشرت ، وفى «ه» « تعاصفت » بدل « تعبقت » .
(٩) فى (ه) «ولم» بدل «ومن» محرفة، وفى (س) « طالباً » فى موضع «راجيا » والمنائح : جمع المنيحة وهى الناقة أو الشاة تقرضها غيرك لينتفع بلبنها .   (١٠) فى (س) « رأى الملك دائه » فى موضع « عرا الملك داؤه » .   (١١) الاكتاد : جمع الكتد (بفتحتين) وهو ما بين الكاهل إلى الظهر .   (١٢) القنا : الرماح ، والصفائح : السيوف .

« وجُردٍ » تَهاوى كالقِداحِ أجالَهَا على تَجَلٍ يبغِى الغِـلابَ مُرابحُ [1]
فما « رِمْتَ » حتى الطّيرُ تعترِقُ الطُّلَى وحتَّى جبينُ التُّربِ بالدّمِ راشحُ [2]
وكم لكَ من يومٍ له أنت حاقرٌ وفى مثـــلهِ نُجْحٌ لو اُنّك ناجحُ [3]
أتيتَ به عفـــواً مراراً ولم « يَطُرْ » سواكَ به فى عمرهِ وهْو كادحُ [4]
وما أنا إلاّ من مَـدَدْتَ بِضَبْعِهِ إلى حيثُ لاترنو العيونُ الطّوامحُ [5]
أروحُ وأغدو كلَّ يومٍ وليـــلةٍ وظَهْرِىَ من أعباء سَيْبِكَ دالحُ [6]
أأنساكَ تُدنينى إلى الجانبِ الّذى نصيبِىَ فيـــهِ من عطائك رابحُ ؟
وتوسعُ لى فى مشهد « القوم موضعاً » تضيق به منهمْ صـــدورٌ فسائحُ [7]
فمـــا أنا إلّا فى رياضك راتعٌ ولا أنا إلّا من زنادك قادحُ
هنيئاً بيومِ المِهْرَجانِ فإنّـــهُ وكلَّ زمانٍ نحو فخرك طامحُ
تَعِزُّ بك الأيّامُ وهى ذليـــلةٌ وتسخو اللّيالِى منك وهْىَ شحائحُ
فهذا أوانٌ مِيسمُ اليُمْنِ بَيِّنٌ عليـــهِ وعُنوانُ السعادة لائحُ
ولا زلتَ تستقرِى الزّمانَ وأهلَهُ لك الخلدُ فيـــه والمدى المتطاوحُ [8]

***

وقال فى « أبى سعد [9] » بن عبد الرحيم وقد عاد إلى الوزارة :

مَنْ رأى الأظعانَ فوق الـــبيدِ من بُعـــدٍ تلوحُ ؟

---

(١) فى (هـ) « وجود » فى موضع « وجرد » مصحفة ، والقداح : السهام مفردها القدح .
(٢) فى (هـ) رمت : برحت . والطلى : الرقاب مفردها طلية .
(٣) حاقر : مستصغر . (٤) فى (هـ) « بطر » وفى « س » « يفز » وطار بالشىء يطور أى قرب منه وألم به ، والكادح : الساعى . (٥) بضبعه : بإبطه .
(٦) السيب : العطاء ، والدالح : المثقل بالحمل . (٧) فى (س) « فيه وضع » فى موضع « القوم موضعا » . (٨) تستقرى : تستقصى ، والمتطاوح : الممتد .
(٩) فى الأصل « أبى سعيد » والصحيح ما أثبتناه وقد مرت ترجمته فى « ص ١٠٦ » من هذا الديوان .

كسفينٍ عصفتْ فيهنّ للنكباء ريحُ (١)

أو غمامٍ هو بالمـاء الذى فيه دَلوحُ (٢)

أو رِئالٍ راتِكاتٍ ليس فيهنّ طَليحُ (٣)

رُحْنَ بالرّغمِ من الأنْـفِ وما إنْ قلتُ روحوا

ففؤادِى بعد أن بِنّ كما شِئْنَ قَريحُ

وغَبوقِى دمعُ عينَىَّ هَتوناً والصَّبوحُ (٤)

وثنايا بينهنّ الخَمرُ والمسكُ يفوحُ

ومليحُ العِطْفِ لو كانَ له عَطْفٌ مليحُ (٥)

أىُّ شىءٍ ضرَّ والحادِى بما يخشى صَدوحُ ؟

من سلامٍ لم يكنْ بالسِّرِّ من وَجْدٍ يبوحُ

إنَّ مَنْ شحَّ عن الصّدْيانِ بالماءِ شَحيحُ

ولقدْ هاج اشْتياقى نوحُ قُمْرِىٍّ ينوحُ (٦)

غَرِدٌ مسكنُهُ الطُّبّاقُ أوْ لا فالطُّلوحُ (٧)

أيّها الدانِى إلينا لايكنْ منك النُّزوحُ (٨)

نحن أجسادٌ وأنت الدّهْرَ فى الأجساد روحُ

وبحربٍ ثم فى جَدْبٍ جَنوحٌ وَمنوحُ (٩)

وإذا لم ينفحِ القومُ فيُمناكَ النَّفوحُ

---

(١) النكباء: ريح تهب منحرفة عن مهاب الرياح. (٢) دلوح: مثقل. (٣) الرئال: جمع الرأل (بالفتح) وهو فرخ النعام ، والراتكات : المسرعات ، والطليح : الجمل المهزول من أثر السير .

(٤) الغبوق: الشرب بالعشى، والصبوح : الشرب بالغداة. (٥) العطف (بالكسر) : الجانب.

(٦) القمرى : طائر . (٧) الطباق (بضم الطاء مع تشديد الباء) : شجر منابته جبال مكة ، والطلوح : شجر عظيم مفردها الطلح قيل هو شجر الموز . (٨) النزوح : الابتعاد .

(٩) الجنوح : العاطف والمائل ، والمنوح : المعطى .

وإذا الجرمُ بذى الحِلْـــمِ هفا أنتَ الصَّفوحُ

إنْ شككتمْ منهُ فى النَّجْــدَةِ والشَّكُّ فُضوحُ

فانظروهُ فى الوغى يحْـــمِلهُ الطِّرفُ السَّبوحُ (١)

والقنا يولِغُ من نحْـــرٍ نجيعــاً والصَّفيحُ (٢)

حيثُ لا يُطوى على المَيْـــتِ من الأرض ضَريحُ

ليس إلّا ناطحٌ بالطّـــعنِ قَعْصًا أو نَطيحُ (٣)

ورَكوبٌ حظُّهُ طعنُ الـ ـكُلَى فهـــو طريحُ

وكَرورٌ وفَـــرورٌ ومُشيــحٌ ومُليحُ (٤)

ومضَى البــين فلا عا دَ بِعـــادٌ ونزوحُ

فقـــلوبٌ حَرِجاتٌ هنَّ فى ذا اليوم فِيحُ (٥)

قد رأتْ ما كان يرجو بعضَـــه الطَّرفُ الطَّموحُ

ورأينـــا ثمَرَ الحسْ نَى وما يجنِى القبيــحُ

ومضى الصَّعْبُ ولم يبـــقَ لنا إلاّ السَّميــحُ

وانقضَى الضَّيقُ ووافا نا من العيش الفسيــحُ

قلْ لمن كان جريحًا: دَمِلَتْ تلك الجروحُ

ليس إلاّ أملٌ قدْ نيل أو بيــعٌ رَبيــحُ

ولنا فى الأمنِ بالدَّوِّ سُروبٌ وسُروحُ

وخيـــولٌ نحو ما نهـــوى من الأمرِ جُنوحُ (٦)

وقـــلوبٌ ساكناتٌ وجَنانٌ مستريحُ (٧)

---

(١) الطرف (بالكسر) الكريم من الخيل .

(٢) النجيع : الدم، والصفيح : السيف .

(٣) قعصاً : أصابته ضربة أو رمية فات مكانه .

(٤) المشيح . البطل المقدم المانع لما وراء ظهره ، والمليح (بضم الميم) : الملوح بالسيف اللامع به

(٥) الفيح (بكسر الفاء) : هو جمع أفيح أى واسع .

(٦) جنوح : خضوع .

(٧) الجنان (بالفتح) : القلب .

ولنـا الأعــوادُ مافيــها وُصومٌ وجُروحُ (١)
والجلودُ المُلْسُ مافيـها قروفٌ وقروحُ (٢)
فاقبلِ التّوبةَ مِن دهــرٍ خلا منــه قبيحُ
غشّ حينــاً وهو الآ نَ بما نهوى نَصوحُ
باسمٌ طَلْقٌ وكم با نَ لنـا منه الـكُلوحُ (٣)
إنّمــا الجـدُّ لمن « نا لَ» المَدى وهو مُريحُ (٤)
سوف تأتيـك كما تهْـ وى فُروجٌ وفتــوحُ
وسعودٌ ما محـاهُنّ دُروسٌ ومُصــوحُ (٥)
ولِمـا أجملتُ تفصيــلٌ طويلٌ وشروحُ
فخــذِ التّمريضَ حتّى يأتِيَ القولُ الصّريحُ
وإذا عنّ أتقــاه عَيّ بالقولِ الفصيحُ (٦)
لاتزل فى نِعَمٍ تغـــدو عليهــا وتروحُ
ونأىٰ عن مَشْيِ عِزٍّ لَكَ أيْنٌ ورُزوحُ (٧)
وعِراصٌ لك لا أقْـ وِينَ من خِصْبٍ وسوحُ (٨)
وليطِحْ عنك الّذى لمْ ترضَــهُ فيما يَطيحُ
فالفتىٰ مَن كان مجداً قاصراً عنــه المديحُ

☆ ☆ ☆

(١) الوصوم : العيوب مفردها الوصمة . (٢) القروف : جمع القرفة (بالكسر) وهى القشرة تعلو القرحة بعد يبسها . (٣) الـكلوح : العبوس والقطوب (٤) الجد : (بالفتح) : الحظ وفى موضع « ثال » « عال » محرفة ، والمدى : الغاية .
(٥) الدروس والمصوح : عفاء الأثر .
(٦) عن : عرض . (٧) الأين : التعب ، والرزوح : الضعفوالهزال من التعب والعياء.
(٨) عراس : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، وأقوين : أقفرن ، والسوح : جمع الساحة .

وقال يفتشوق الوزير أبا سعد بن عبد الرحيم:

خلِّ المدامعَ فى المنــــازلِ تسفحُ … والقلبُ من ذكر الأحبّـةِ يفرحُ
ما كان عندى أنّ غزلانَ النقَـا … لسوادِ طَرْفِى يومَ رامةَ تسنحُ (١)
لمّـا مَرَرْنَ بنـــا خطفن قلوبَنـا … وقلوبُهنّ مقيمـــــةٌ لاتبرحُ
والدّارُ من بعد الشّواغفِ إنّمـا … هى للجوَى والحزنِ مغنًى مَطرحُ (٢)
للهِ زَوْرٌ زارنا وقتَ الـــكرَى … والّليل جَوْنُ أديمِهِ لا يوضِحُ (٣)
والعيسُ من بعد الـكلالِ مُناخةٌ … والرّكبُ فيما بينهنّ مُطرَّحُ
فيما طرقتَ وليلنـا «مُستَحلِكٌ» … لو ما طرقتَ وصبحُنا متوضِّحُ (٤)
بينا يؤلّفنـــــا أغمٌّ مُظلمٌ … حتّى يفرّقنـا مضىٌ أجْلَحُ (٥)
ياصاحبىَّ على الزّمانِ تأمّـــــلا … ماجرّه هــــذا الزّمانُ الأقبحُ
فى كلِّ يومٍ لِى خليطٌ يَنتَئِى … عنِّى ودارٌ بالمسرّةِ تنزحُ (٦)
وهمومُ صدرٍ كلّمـا دافعتُهــــا … آلتْ طِوالَ الدّهرِ لاتتزحزحُ (٧)
لا أستطيعُ لها الشكايةَ خِيفةً … والهمُّ لا يُشكَى لقلبك أجْرحُ
وإذا طلبتُ لِىَ الإخاءَ فليس لِى … من بينهمْ إلاّ السَّؤولُ الأرسحُ (٨)
من كلِّ مشتهرِ العيوبِ وعنــــده … أنّ العيونَ لعيبِـــــهِ لاتلمحُ

---

(١) النقا . الكثيب من الرمل ، ورامة : موضع بالبادية ، وتسنح : تعرض وتمر ، والسانح : ضد البارح . (٢) المغنى : المنزل . (٣) الزور : الزائر ، والكرى : النوم ، والجون : الأسود ، والأديم : الجلد ، ويوضح : يبيض من الوضح وهو بياض الصبح .

(٤) مستحلك : شديد الحلكة وهى الظلمة ، وفى الأصل (مستحكك) مصحفة، والطروق : الإتيان ليلا ، والمتوضح : المبيض المضىء . (٥) الأجلح : من سقط الشعر من جانبى رأسه . (٦) تنزح : تبعد . (٧) آلت : أقسمت من الألية وهى اليمين .

(٨) الأرسح : الأقبح .

ومجاورٍ ما كنتُ يوماً راضيـــاً بجواره ومشاورٍ لا ينصحُ
ومعاشرٍ نبذوا الجميلَ فـــا لهمْ إلّا بأوديةِ القبـائحِ مَسرَحُ
ومن البليّـةِ أنني ـ حوشيتما ـ أمسِي كما يهوى العدوُّ وأُصبِحُ
فى كربةٍ لا تنجلِي وشـديدةٍ لا تنقَضِي ودُجُنّـةٍ لا تُصبِحُ(1)
تجرِي تناقلُهُ الأكفُّ ولم تجـدْ لَفحاً له وجـارُ غـيرِىَ تلفحُ
وإذا عزمتُ على النّجاء فليس ما أنجو به إلّا الطِّلاحُ الرُّزَّحُ(2)
قل للّذى يعدو به فى مَهْمَـــهٍ طِرْفٌ تخيّره الفوارسُ أقرحُ(3)
بلِّغْ بلغتَ عميدَنا وزعيمَنا ومشرّفاً دُنياً لنـا لا يَمْصَحُ(4)
إنّى ببُعدِكَ فى بَهيمٍ مُظلمٍ لمّا عدانِى مَن به أستصبحُ
إنْ طاب لِى طعمُ الحيـاةِ أمرّهُ شوقٌ إليك كما علمتَ مبرِّحُ
ولقد علمتُ زمانَ تبغِى كارهاً قربى ببعدكَ أنّنِى لا أربحُ
وأنا الّذى من بعدِ نأيِكَ مُبعَدٌ عن كلِّ ما فيه الإرادةُ مُنزَحُ(5)
فى أسْرِ أيدٍ بالأذى مفتوحـةٍ لـكنّها عنـــد النّدى لا تُفتحُ
ومُهوِّنٌ عندى الشدائدَ أنّهـا تدنو الأنامَ وأنتَ عنها الأنزحُ(6)
وإذا عَدَتْكَ سهامُ دهرٍ ترتمِى فدعِ السّهامَ لجِلدِ غـيرِك تجرحُ
ماضرّنا وقلوبُنا مُلتفّــــةٌ دَوٌّ تعرّض بيننا أو صَحْصَحُ(7)
فالأبعدونَ مع المودّة حُضَّرٌ والأقربون بـــلا المودّةِ نُزَّحُ

---

(1) الدجنة : الظلمة . (2) الطلاح : جمع الطليح والطليحة وهى الناقة أو الجمل المهزول من أثر التعب ، والرزح : المعياة من الكلال والتعب ، ورزحت الناقة : سقطت عياء وهزالا فهى رازحة . (3) المهمه : المفازة ، والطرف (بالكسر) : الكريم من الخيل ، والأقرح : الفتى من الابل لم يجرب واستعاره للخيل . (4) يمصح . يبلى ويذهب أثره .
(5) : النأى البعد ، والمنزح : المبعد . (6) الأنزح : الأبعد . (7) الدو والصحصح : المفازة .

وَلقدْ فضحتَ معاشراً لم يبلغوا شأْواً بلغتَ وفضلُ مثلك يفضحُ[1]
وتركتنا من بعد حقٍّ كان فِي كَفيكَ نَغبُقُ بالمُحال ونَصْبَحُ[2]
وإذا بنو عبد الرَّحيم تبوّءوا شِعْباً فإنِّى بينهمْ لاأبرحُ[3]
المسرعون إلى الصّريخ فإنْ قضَوْا وَطَرَ الوَغى فهمُ الجبالُ الرُّجَّحُ
لاأستطيع فراقهمْ ولربّمـــا فارقتُ مَن بفراقهمْ لاأسمحُ
وأنا الجواد فإنْ سئلتُ تحوُّلا عن قربكمْ فأنا البخيلُ الشّحْشَحُ
قومٌ وقَوْنِي الشَّرَّ وهو مُصَمِّمٌ وكفَوْنِيَ «الضَّرّاء»وهى تُصَرِّحُ[4]
إنْ ناكروا الأمرَ الذّميم تباعدوا أو باكروا المَغْنَى الكريمَ تَرَوَّحوا[5]
وإذا دَعوتَهمُ لنصرك من ردًى جاءتْ إليك بهمْ جيادٌ قُرَّحُ[6]
مِثْلَ الدَّبا لَفَّتْهُ فينا زَعزعٌ والسّيلُ ضاق به علينا الأبطحُ[7]
والبيضُ فى قللِ الكُماةِ غمودُها والسّمرُ من ماء التّرائبِ تُنضحُ[8]
فعليك منّى غائباً عن مُقلتِي فدموعُها حتّى تراهُ تسفَحُ
تسليمـــةٌ لاتنقضِي وتحيّـةٌ يمضِى المدَى وقليبُهـا لاينزحُ[9]
وصفحتُ عن ذنبِ الزّمانِ وإنّنِي عن ذنبـــهِ بفراقنا لا أصفحُ

* * *

وقال فى الغزل :

ليس فى العشقِ جُناحُ بل هو الدّاء الصُّراحُ[10]

---

(١) الشأو : الغاية . (٢) نغبق : نشرب بالعشى من الغبوق، ونصبح نشرب الغداة من الصبوح.
(٣) تبوأوا : نزلوا وحلوا . (٤) فى الأصل « السراء » فى موضع « الضراء » محرفة فالضراء هى التى تسكنى . (٥) المغنى : المنزل . (٦) قرح جمع قارح وهو من الجياد الفتى لم يركب . (٧) الدبا : الجراد قبل أن يطير ، والأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
(٨) الترائب : الصدور ، وتنضح : ترشح . (٩) القليب : البئر . (١٠) الجناح (بالضم) : الإثم .

هُوَ جِــدٌّ جرَّه مَعْ قَدَرِ اللهِ المِزاحُ
وظَـــلامٌ ما لساريـــهِ مـدى الدّهر صباحُ
هو سُكرٌ مثلما دَبَّـــتْ بأعضائك راحُ[1]
وسَقامٌ ما به بُرْءٌ ولا فيـــه صَلاحُ
وعذابٌ إنْ نأىٰ عنـــهُ وصالٌ وسمـــاحُ
ويحَ أهـلِ العِشْقِ فِي لُجِّ غزيرِ العُمقِ طاحوا[2]
جحـدوا الحبَّ ولـكنْ كتموهُ ثم باحوا
ولهمْ ألسُنُ دمعٍ ترجمتْ عنــه فِصاحُ
ليتَ أهلَ العِشْقِ ماتوا، فأراحوا واســـتراحوا

* * *

وقال يرثى الشيخ أبا الحسن عبدالواحد[3] بن عبدالعزيز الشاهد وكانت وفاته فى شعبان سنة « ٤١٩ »:

يابن عبد العزيز إنّ فؤادِي منــذ فارقتِني عليك جريحُ
إنَّ جَفْنِي عليك حزناً جوادٌ وهو فى كلّ من سواك شحيحُ
عَذَلونِي وما استوىٰ عند أهْلِ الـــنَّصْفِ والعَدْلِ سالمٌ وجريحُ
داء قلبِي يُدوىٰ وفيهِ من الأشــجانِ ما فيــه ما يقول الصَّحيحُ

---

(١) الراح : الخمرة . (٢) اللج : البحر .

(٣) ترجمه أبو بكر الخطيب فى تاريخه « ج ١١ ص ١٥ » ، ثم السمعانى فى « العكبرى » من الأنساب . وهو أبو الحسن عبد الواحد بن أحمد بن الحسن بن عبد العزيز العكبرى العدل المحدث ، سمع الحديث من أبى بكر بن أحمد بن سلمان النجاد وجعفر الخلدى وأبى بكر الشافعى وأبى بكر بن الجعابى وأبى القاسم الحسن بن محمد السكونى الـكوفى وغيرهم ، وكان يذهب إلى التشيع ، قال الخطيب : حدثنى عنه ابن أخيه أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد وكان صدوقاً ، وقال لى : كان مولده فى سنة « ٣٢٧ » ومات فى رجب سنة « ٤١٩ » بعكبرا . (م . ج .) .

وإذا لم تكنْ مُصيخاً إلى عَذْ ... لِ فَسيّانِ أعجَمٌ وفصيحُ
لى لسانٌ ومدمعٌ حَمَلا رُزْ ... ءَكَ ذا كاتمٌ وذاكَ يبوحُ
ويرانى الصّحيحَ من ليس يدرى ... أنّ غيرِى هو السَّليمُ الصَّحيحُ
وَبِرَغْمى عَرِيتُ منكَ وبُوعِدْ ... تَ رِدّى واحتوى عليكَ الضّريحُ
مفردٌ والأنيسُ عنك بعيدٌ ... ليس إلَّا جنادلٌ وصفيحُ (١)
وغمامٌ موكّلُ الجفنِ بالقَطْ ... رِ ووُرْقٌ من الحمامِ ينوحُ (٢)
ليس ينجو من الحِمامِ مليحٌ ... لا ولا صادقُ الضِّرابِ مُشيحُ (٣)
(٤)
. . . .

وإذا أمّكَ الحِمامُ فما يُغْ ... نِى من الطّيرِ بارحٌ وسَنيحُ (٥)
ومِنَ أينَ البقاءُ والجسمُ تُربٌ ... يتَلاشى وإنّما الرُّوحُ روحُ ؟
وإذا غايةُ الفتى كانت المو ... تَ فماذا التّعميمُ «والتّمليحُ» (٦)
كلَّ يومٍ لنا بطُرْقِ الرّزايا ... طَلَبَ الغُنْمَ رازحٌ وطليحُ (٧)
رائحٌ مالهُ غدوٌّ وإمّا ... ذو غدوٍّ لكنّه لا يروحُ

---

(١) الجنادل : الصخور العظيمة ، والصفيح : حجارة عراض تصفح بها القبور .

(٢) الورق (بالضم) : الحمام مفردها ورقاء. (٣) المشيح : البطل المقدم المانع لما وراء ظهره .

(٤) فى موضع النقط البيت الآتى وهو مضطرب التأليف والمعنى ولم نهتد الى أصله :

والمنايا إذا طلبن فما ينـ ... ـجى جفاف رقوعهن السريح

ولعل أصله :

والمنايا إذا طلبنَ فما تُنْـ ... ـجى خِفافٌ يعدو بهنّ السّريحُ

والسريح من الخيل : المعجل السريع .

(٥) البارح من الطير : الذى يمر من اليمين ويتشاءم منه ، والسانح والسنيح : ضده .

(٦) فى الأصل «التجليح» مصحفة عن «التمليح» وهو التزين والتحسين.

(٧) الرازح : الساقط من أثر الهزال والعياء ، والطليح : المهزول .

وإذا فاتنا غَبوقُ المنايـــا ... باتّفاقِ الزّمانِ فهو الصَّبوحُ [1]

كم لنـــا مودَعاً إلى ساعةِ الحشـ ... ـرِ ببطنِ التّراب وجهٌ صبيحُ

وجليلاً معظّماً كانَ للآ ... مالِ فيــه التّرحيبُ والتّرشيحُ

أيّها الذّاهبُ الّذى طاحَ والأحـــ ... ـزانُ مِنّا عليــه ليس تَطيحُ

لا عرفتَ القبيح فى داركَ الأخـــ ... ـرى فما كان منك فعلٌ قبيحُ

ليس إلّا الصّلاةُ والصّومُ والتّهـــ ... ـيدُ جُنْحَ الظّلامِ والتّسبيحُ

وحديثٌ ترويهِ ما فيــه إلّا ... واضحٌ نــيّرٌ وحقٌ صحيحُ

إنّ قوماً ما زال حشواً لأضلا ... عِك ودٌّ لهمْ نقِيٌّ صريحُ

لك وِرْدٌ من حوضهم غيرُ مطرو ... قٍ وبابٌ إليهمُ مفتوحُ [2]

والتقاء بهمْ وحولَهمُ النّا ... سُ فذا خاسرٌ وذاك ربيحُ

والثّوابُ الّذى يضيق بقومٍ ... هو من أجلهمْ عليك فسيحُ

لستُ أخشى عليك عُسراً ومنهمْ ... لك مُعطٍ ونافحٌ ومُميحُ

فسقى قبرَكَ الذى أنت فيــهِ ... مُسبِلٌ هاطلُ السّحابِ سَفوحُ

كلّما جازه غمـــامٌ نزيحٌ ... جاءه مُثقَلُ الرّبابِ دَلوحُ [3]

وإذا زاره الرّجالُ فلا زا ... لَ عليهم منــه الذّكاء يفوحُ

* * *

وقال فى الشّيب [4] :

إنْ عاقبَ الشّيب السّوادَ بمَفْرِقى ... فاللّيلُ يتـــلوه الصّباحُ الواضحُ

---

(١) الغبوق (بالفتح) : الشرب بالعشى ، والصبوح : الشرب صباحاً . (٢) الماء المطروق : الذى طرقته الإبل فخاضت فيه وبالت . (٣) نزيح : بعيد ، والرباب : السحاب الأبيض واحدته ربابة ، والدلوح : المثقل . (٤) وردت هذه القطعة فى «الشهاب ص٩٧» .

مَنْ أخطأتْه وقد رمتْ قوسُ الرّدى تبيضُّ منه مفارقٌ ومسائحُ (١)
لو كان لليلِ البهيمِ فضيـــلةٌ لم تُدْنَ منه مقابسٌ ومصابحُ (٢)
البيضُ لِلعينينِ وجهٌ ضاحكٌ والسّودُ للعينين وجهٌ كالحُ (٣)
وأشدُّ من جَذَعِ الجيادِ إذا جرتْ جَرْياً وأصبرُهُنَّ نَهْدٌ قارحُ (٤)
والبُزْلُ تغتـــالُ الطّريقَ سليمةً وعلى الطّريقِ من البِكارِ طلائحُ (٥)

* * *

وقال في العتاب :

رأيتك لا ترعى حقوقى ولم تُصخْ إلى القول منّى حيثما أنا ناصحُ
فجهرُك لى مُرْضٍ وسرُّك مُسخِطٌ ووجهك بسّامٌ وقلبك كالحُ (٦)
ووُدُّكَ لى إمّا سرابٌ بِقيعَةٍ وإلّا فبرقٌ خُلّبُ الوَمْضِ لائحُ (٧)
وإلّا هشيمٌ فى فضـــاء تكدُّهُ محكّمَةً فيـــه الرّياحُ البوارحُ
وما لىَ منـــك اليومَ إلّا أظافرٌ حِدادٌ وأنيـابٌ بجلدِى جوارحُ
تمزّقنى عَمْـــداً كأنّكَ مخطىءٌ وتقذفنى جِـــدّاً كأنّكَ مازحُ

* * *

وقال وسئل أن ينظم بنوع التفريع من البديع :

فـــا ماءُ مُزْنٍ بات جَفْنَ سحابةٍ يصوبُ على أعلى الصّخور ويسفحُ
توزّعَهُ عَـــبْرُ الرّبا فـــكأنّهُ مُلاءٌ رحيضٌ بالفَلاةِ مُطرّحُ (٨)

---

(١) المسائح : جمع المسيحة وهى شعر جانبى الرأس .   (٢) المقابس والمصابح واحد .
(٣) كالح : مقطب وعابس .   (٤) الجذع (بالتحريك) : من الجياد صغيرها فى السنة الثانية ، والنهد القارح : البارز .   (٥) البزل : جمع البازل وهو مابزل نابه من الإبل ، والبكار: جمع البكرة وهى الفتية من الإبل ، والطلائح : المهازيل.   (٦) كالح : عابس مقطب .
(٧) القيعة : بالكسر والقاع : واحد ، والبرق الخلب : الخادع لامطر فيه .
(٨) ملاء : جمع ملاءة وهى الإزار ، ورحيض : مغسول .

وإنْ صافحتهُ الرّيحُ وهى ضعيفةٌ تمرّ عليــه قلتَ صُحْفٌ تُصَفَّحُ
بأعذبَ مِنْ فيهـــا إذا ما توسّنَتْ وهبّتْ وجلدُ اللّيلِ بالصُّبحِ يوضِحُ [1]

* * *

وما روضةٌ باتَ الُخزامى يحفّها ونَوْرُ الأقاحِى وسْطَها يتفسّحُ [2]
كأنّ بمغناها تُفَضُّ لَطيمــةٌ مُجَعْجِعَةٌ أو مَنْدَلُ الهند ينفحُ [3]
بأطيبَ مِنْ أردانها حين أقبلتْ «وغصْنُ» النقَا فى دِرْعها يترَنّحُ [4]

* * *

وما مُغزِلٌ أضحتْ بدوٍّ صريمةً تفسّح فى تلك الفيافى وتسرحُ [5]
تفِىء إلى ظلّ الكِناسِ وتارةً «تَشَوّفُ» من أعلى الهضابِ وتسنحُ [6]
بأحسنَ منها يومَ قامتْ فودّعتْ قُبيلَ التّنائى والمدامع تنزحُ

* * *

وما وِرْدُ مطرودٍ عن الوِرْدِ خامسٍ له كَبِدٌ من شهوةِ الماء تُقرحُ [7]
تُسَقّى الهيامُ حولَهُ وهو ظامىءٌ فلا الوِرْدُ يُدنيهِ ولا هو يبرحُ [8]
بأروى وأشهى من رُضابٍ تَمُجُّهُ ثنايا عِذابٌ من ثناياكِ «تَمْتَحُ» [9]

* * *

---

(١) توسنت : غلبتها السنة (على وزن الهبة) وهى أول النوم ، ويوضح : يضىء .

(٢) الخزامى : نبت طيب الرائحة ، والنور (بالفتح) : زهر أبيض ، والأقاحى : جمع الأقحوان وهو نبت طيب الرائحة ، ويتفسح : ينتشر . (٣) المغنى : الدار ، واللطيمة : العنبرة لطمت بالمسك ، والمجعجعة : المصوتة ، والمندل : عود البخور . وينفح : يهب . (٤) النقا (بالقصر) : الكثيب من الرمل كنى به عن النهد ، وفى الأصل « وغصن النقا » مصحفة . والدرع للمرأة : قيص تلبسه فى البيت ويترنح : يترجرج . (٥) المغزل : ذات الغزال ، وصريمة : مقطوعة . (٦) والكناس (بالكسر) : مسكن الظبى ، « تشوف » بالواو أى تطل . وفى الأصل « تشرف » أى تعتلى. (٧) الخامس : من الخمس وهو من أظماء الابل بأن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى الرابع . (٨) الهيام : جمع الهائم وهو العطشان .

(٩) الرضاب هنا : الريق ، وتمتح : من المتح وهو الـ ق أى تستق وفى الأصل « تمنح » بالنون مصحفة .

وما نوحُ قُمْرِيٍّ على فرعِ أيكةٍ يَمُنُّ له ذِكرُ الفراقِ فيصدحُ [1]
له مدمعُ « الشاكى » جفوناً وقلبُهُ بما جرّه فقدُ الأليفِ مُقرَّحُ [2]
بأشجَى شجًى مِنِّى غداةَ ذكرتُكُمْ ووادى مِنًى بالعيس والقومِ يطفحُ

✿ ✿ ✿

وماهزّةُ الدّوحِ المُبِنّ بقفرةٍ تُزعزعُ منه الرِّيحُ ما يتسمّحُ [3]
إذا انتشرتْ فيه الشّمالُ عشيّةً رأيتَ حَماماً فوقه يترجّحُ
بأظهرَ مِنِّى هزّةً يومَ أقبلتْ تشكّى الهوى وحيًا به لا تُصرِّحُ
تعاوَرَها خوفُ النّوى والعِدى معاً فلاهِىَ تَطويهِ ولاهِىَ تُفصِحُ [4]

✿ ✿ ✿

ومامُنْيَةٌ سِيقَتْ إلى كَلِفٍ بها مُقيمٍ على تَطلابِها ليس يبرحُ
إذا لامَهُ اللّاحون فيها طَمَا بهِ إلى نيلِها شوقٌ لجوجٌ مُبرِّحُ
بأشهى وأحلى من لقائكِ موهِناً وألحاظُ مَنْ يبغِى النميمةَ نُزَّحُ [5]

✿ ✿ ✿

ومامُقْفَقِلُ الكفّ شَحطٌ عنِ النّدى له راحةٌ من ضِنّةٍ لاتَرشّحُ [6]
أتاهُ الغِنى من بَعْدِ يأسٍ وكَبْرَةٍ فليس بشىء خِيفةَ الفقرِ يسمحُ
بأبخلَ منّى يومَ ساروا بنظرةٍ إليكِ وأحداقُ الرّفاقِ تُلمّحُ

✿ ✿ ✿

(١) القمرى : من الطير ، . الأيكة:الشجرة ، ويمن : يعرض ، ويصدح : يغرد .
(٢) فى الأصل «السالى» محرفة عن الشاكى لأن الذى يشكو جفونه يكون كثير الدمع فى الغالب.
(٣) المبن : المقيم . (٤) تعاورها : تداولها . (٥) الموهن : الآنى فى الوهن وهو منتصف الليل ، ونزح : بعيدة . (٦) المقفقل الكف : الذى يكاد لايخرج من يديه الخير ، والشحط : البعيد ، والضنة : البخل .

حلفتُ بربِّ الرَّاقصاتِ عشيَّةً ... إلى عرَفاتٍ وهى حَسْرَى ورُزَّحُ (١)
ومَنْ ضمَّهُ جَمْعٌ وبين بلادهمْ ... إذا افترقوا سَهْبٌ عريضٌ مطوِّحُ (٢)
وبالبُدْنِ تُهدَى فى مِنًى لمليكها ... وتُدنَى إلى أخرَى الجمالُ فتُذبحُ (٣)
لأنتِ على رغمِ العدوِّ مِنَ الذى ... يُضىء سوادَ الليالِ أبهَى وأملحُ
ونجواكِ تَشْفِى السُّقمَ طَوْراً وتارةً ... يُمَاثُ بنجواكِ السَّليمُ الْمُصحَّحُ
وأنتِ وإنْ أوقدتِ فى القلبِ جمرةً ... تَلَظَّى على كرِّ الليالى وتَلفَحُ
أعزُّ عليهِ موضعاً من سوادِهِ ... وأعذبُ فيهِ مِنْ مُناهُ وَأَرْوَحُ

٭٭٭

وقال فى الغزل :

ياقلبُ قل لِى أين صادفك الهوى ... أم كيف عنَّ لكَ الغزالُ السَّانحُ ؟(٤)
كيف أطَّباكَ إلى الهوى غُمْرٌ بهِ ... سُكرُ الصِّبا جَذَعاً وأنتَ القارحُ ؟(٥)
إنَّ الذين على مِنًى عُلِّقْتَهمْ ... راحوا وكم أردَى المقيمَ الرَّائحُ
ماضرَّهمْ طَرَحوا الحدوجَ وإنَّما ... أحداجُهمْ مُهَجٌ لنا وجوانحُ
وتكلَّفوا ذَبْحَ الهَدِىِّ وإنَّما ... أَلْحاظُهُنَّ لنا هناكَ ذوابحُ

٭٭٭

(١) حسرى : مكشفات الرءوس ، ورزح : سواقط من أثر العياء والهزال .
(٢) جمع (بلالام) : موضع بمنى (المزدلفة) ، والسهب : الفلاة ، والمطوح : المهلك المضيع .
(٣) البدن : جمع بدنة (بالتحريك) على زنة عرفة وهى الناقة أوالبقرة المسمنة .
(٤) عنَّ : عرض ، والسانح : الذى يأتى من جانب اليمين ويقابله البارح . (٥) اطباك : دعاك، والغمر (بالحركات الثلاث) : الجاهل غير المجرب ، والجذع (بالتحريك) من الإبل :صغارها ،والقارح : الذى خرج نابه .

باب الحاء المفتوحة

قال يفخر ويعرض ببعض أعدائه :

أمَا سمعتَ حَمـامَ الأيكِ إذْ صَدَحَا ... غَنَّى ولم يدرِ أنّى بعضُ مَنْ جَرحا ؟[1]
لم أقترحْ منـــه ماغنّى الغداةَ بهِ ... وربَّ مَنْ نال «ما» يهوى وما اقترحا[2]
ولِى جفونٌ من البَـلْوى مُسَهَّدَةٌ ... لاتعرفُ الغَمْضَ ممّـا ترقُبُ الصُّبُحا
فقلْ لمرضِ قلبى بعـــد صحتهِ ... إنّ السّقيمَ الّذى أدويتَ ماصَلُحا
قد جدّ بِى المزحُ من صَدّ دُهيتُ بهِ ... وطالمـــا جدّ بالأقوامِ من مَزَحا
ماذا على القلبِ لولا طولُ شِقْوتهِ ... مِنْ نازلٍ حلّ أو من نازِحٍ نَزَحا[3]
يامُشْكِلِى نومَ عينٍ فيـــه ساهرةٍ ... جَفْنِى عليك بدمعى فيك قد قَرِحا
وفِىَّ ضدّانِ لا أسطيعُ دَفْعَهُمَـــا ... نارٌ بقلبى وماءٌ بالهوٰى سَفَحـا
وقد عذلتمْ فؤاداً بالهـــوٰى كَلِفاً ... لو كان يقبل نُصْحاً لّلذى نَصَحـا
صَحا الّذى يشرب الصَّهْبَاءَ مُتْرَعةً ... وشاربُ الحبِّ أعيـا أنْ يُقالَ صَحا
لم يبرَحِ الوجدُ قلبى بعد أنْ عَذَلوا ... على صبابتِهِ لـكنّـه بَرِحا[4]
وقد ثوٰى أمَّ رأسى للصبـــابةِ ما ... يُغْرِى بمعصيتِى مَنْ لامَنِى ولَحَـا
ليت الفراقَ الّذى لابدّ أكرعُ مِنْ ... كاساتِهِ الصّبْرَ صِرْفاً لايكون ضحـا
وليت أُدْمَ المَهارَىٰ النّـاهضات بمـا ... تحوِى المَوادجُ كانت رُزَّحاً طُلُحا[5]

(١) الأيك : شجر الكثير الملتف واحدته أيكة . (٢) فى الأصل فى موضع « ما » «من» وما للعموم أنسب . (٣) النازح : البعيد ، ونزح : بعد (٤) لم يبرح . لم يفارق ، وبرح الثانية : اشتد وعظم . (٥) الأدم : جمع الآدم والأدماء وهو من الأبل الشديد البياض ، وقيل هو الأبيض الأسود المقلتين ، يقال بعير آدم وناقة أدماء ، والرزح : الساقطات من أثر الإعياء والهزال ، وطلحا : مهزولات جمع طليح .

طوَوْا رحيلَهمُ عنّى فنمَّ بـــهِ ... عَرْفُ اليَلَنْجوجِ والجادِى إذا نفَحا (١)

وقد طلبتُ ولـكنْ ما ظَفِرتُ بـــه ... من الفراقِ الّذى أمُّوه مُنْتَدَحا (٢)

أهوى من الحىِّ بدراً ليس يطلعُ لِى ... يوماً وظَبْىَ فَلاةٍ ليتَه سَنَحا

أبَتْ ملاحَتُهُ من أنْ يجودَ لنـــا ... فليتَه فى عيونِ العِشقِ ما مَلُحا

وكان لى جَلَدٌ قبـــلَ الغرامِ به ... فالآن أفنَى اصطبارى وَجْـدُهُ ومَحا

وزائرٍ زارنى واللّيـــلُ معتكرٌ ... والصُّبحُ فى قبضةِ الظَّلْماءِ ما وَضَحا (٣)

كأنّهُ كَلِمٌ راعتْ وليس لهـــا ... مَعْنًى ولَمْعَةُ برقٍ خلَّبٍ لَمَحا (٤)

لو أنّه زارنِى والعينُ ساهرةٌ ... أعطيتُهُ من نصيبِ الشُّـكرِ «مااقترحا» (٥)

أعطَى إلى العـــين مِنّى قُرّةً وأتَى ... قلبى فأذهبَ عنـــه الهمَّ والتَّرَحا (٦)

زَوْرٌ أبيتُ بـــه جَذْلانَ منتفعاً ... وكم من الزَّوْرِ ما طرنا به فرحا (٧)

وبات يسمحُ لِى منـــه بنائِلِهِ ... لـكنّه راجعٌ فيما بـــهِ سَمَحا

يا صاحبى إنْ تُرِدْ يوماً موافقتِى ... فقد بلغتَ بِىَ الأوطارَ والنُّجُحا

جَنِّبْنِىَ اللّهوَ فى سرٍّ وفى عَلَنٍ ... وعاطِ غـــيرِى إذا غنّيتَه القَدَحا

ولا تُهِبْ بِى إلى ثِنْيَىْ بُلَهْنِيَةٍ ... واجعلْ نداءكَ لِى من فادِحٍ فَدَحا (٨)

فلستُ أفرحُ إلّا بالذى مَدَحَتْ ... منّى الرّجالُ فلا تطلبْ لِىَ الفَرَحا

---

(١) العرف : الرائحة ، واليلنجوج : العود الطيب الرائحة ، والجادى : الزعفران .

(٢) المنتدح : السعة والفسحة فى الأمر ، وله فيه مندوحة ومنتدح . (٣) وضح : أضاء.

(٤) البرق الخلب : الخادع لامطار فى سحابه . (٥) فى الأصل « مقترحا » فى موضع «مااقترحا» من تصحيف الناسخين .

(٦) الترح : الحزن والغم . (٧) الزور (بالفتح) : الزائر ، والجذلان : الفرحان :

(٨) تهب : تهتف ، وثنى الشىء : أثناؤه وطيه ، ويجوز أن تكون من الثناء كالفناء (بالكسر) وزنا ومعنى وهى الساحة ، والبلهنية من العيش : أرغده وأغفله ، والفادح : الشاق الصعب .

وكنْ إذا اصطبح الأقوامُ فى طَرَبٍ　　　بالجدِ مُغتَبِقاً والحمــدِ مُصْطَبِحا [1]

مَنْ لِى بحُرٍّ من الأقوامِ ذى أَنَفٍ　　　ينحو طريقى الذى أنحوه حين نحا

تراهُ والدّهرُ شتّى فى تقلّبِــــهِ　　　لا يقبل الذّل كما يقبــــلُ المِنَحا

وإنْ مضى لم تَعِجْهُ الدّهرَ عائجةٌ　　　ولا يُقادُ إلى الإقدامِ إنْ جَنَحا [2]

حلفتُ بالبيتِ طافتْ حولَه عُصَبٌ　　　من لاثمٍ ركنَه أو ماسحٍ مَسحا

والبُدْنِ حلّتْ ثرى جَمْعٍ وقد «وُدِجَتْ»　　　« وإنمــا » بلغ الأوطارَ من رَزَحا [3]

وبالحصيّاتِ يُقــــذَفنَ الجمارُ بها　　　وبالهَدِىِّ على وادى مِنًى ذُبِحا [4]

وشاهدِى عَرَفاتٍ يومَ موقِفِهِمْ　　　يستصفحون كريماً طالمــا صَفَحا

لقد حللتُ من العَلياء أفنيــــةً　　　ما حلّها بشرٌ نحو العُلا طَمحا [5]

وقد مُنِحتُ وضلَّ الناسُ كلُّهُمُ　　　عنــه طريقاً لطيبِ الذّكر ما فُتِحا

كان الزّمان بهيماً قبل أنْ مُنِحتْ　　　فضائلى جِلدَه الأوضاحَ والقُرَحا [6]

وقد رجحتُ على قومٍ وُزِنتُ بهمْ　　　وما علىَّ من الأقوامِ مَنْ رَجَحا

فإنْ كدَحتُ ففى عزٍّ أضَنُّ بــه　　　وضلَّ مَنْ فى حُطامٍ عمرَه كَدَحا [7]

ما زلتُ أُسًّا وباقى النّاسِ أبنيــــةٌ　　　وكنتُ قُطباً وحولِى العالمون رَحا

وأىُّ ثِقْلٍ وقد أعيا الرّجالَ علىٰ　　　ظهرى الّذى حمل الأثقال ما طُرِحا ؟

وسُدْتُ قومِىَ فى عصرِ الصِّبا حَدَثاً　　　ولم يسودوا مَشيباً لا ولا جَلَحا [8]

---

(١) المغتبق : الشارب فى العشى ، والمصطبح : الشارب فى الصباح .　　　(٢) جنح : مال.

(٣) البدن : جمع البدنة (بالفتح والتحريك) : هى الناقة أوالبقرة المسمنة ، وجمع(بلالام):موضع بمنى (المزدلفة)،وودجت : قطعت أوداجها ، وفى الأصل «درجت» ومعناها ماتت وماوضعناه أنسب ، وفى الأصل « وإن ما » من تصحيف الناسخين ، ورزح : سقط من الإعياء والهزال .

(٤) الجمار : جمع الجمرة وهى مواضع من مناسك الحج　　　(٥) الأفنية : جمع الفناء (بكسر الفاء) وهى الساحة .　　　(٦) الأوضاح : جمع الوضح وهو هنا البياض ، والقرح : جمع القرحة وهى الغرة الصغيرة .

(٧) الكدح : السعى ، وأضن : أبخل .　　　(٨) الحدث (بالتحريك) : الشاب . والجلح : كالصلع غير أن الصلع هو سقوط شعر مقدم الرأس ، والجلح : سقوط شعر جانبيه .

فـكمْ قدحتُ وأضرمتُ الورٰى لهبًا ... وكمْ من النّاس قد أكْدٰى وماقدَحا[1]

فقلْ لقومٍ غرستُ البرَّ عنـــدهُمُ ... فـــا رَبحْتُ وكم من غارسٍ رَبِحا

ليت الّذى « غرّ » قلبى من تجمّلكمْ ... ما سال فينـــا له وادٍ ولا رَشَحا[2]

وليتنى لم أكنْ يوماً عرفتُـــكُمُ ... وكنتُ منكمْ بعيدَ الدّار مُنتَزِحا[3]

قد عاد صدرِىَ منـكمْ ضيِّقاً حَرَجاً ... وكان من قبل أنْ جرّبتُ منشرِحا[4]

فلا ترموا لِوُدِّى أوْبــــةً لـكُمُ ... إنّ الجوادَ جوادَ الودِّ قد جَمَحا

طرحتمونِى كأنّى كنتُ مُطّرَحاً ... وُلُمتُمونى كأنّى كنتُ مُجترِحا[5]

وخلتُ أنّـكُمُ تجزونَنِى حَسَناً ... فالآن أوْ سعتمونِى منـكمُ القُبَحا

فلا تظنّوا اصطلاحاً أنْ يكون لنـا ... فلمْ يدعْ ما أتيتمْ بيننــــا صُلُحا

ولو جزيتُـكُمُ سوءًا بسَوْءتِكُمْ ... لـكنتُ أنبحُ كلبَ الحىِّ إنْ نَبَحا

ولا سقتـكمْ من الأنواء ساقيـــةٌ ... ولا نَشَحتُمْ إذا ما معشرٌ نَشَحا[6]

ولا يكن عَطَنٌ منـكمْ ولا وَطَنٌ ... مُتّسعاً بالّذى تَهْوَوْنَ مُنفسِحا[7]

ولا لقيتمْ بضراء لـــكمْ فَرَجاً ... ولا أصبتم بسرّاء بكمْ فَرَحا

* * *

وقال فى النسيب :

لاقضى اللهُ لقلبى ... فى الهوٰى أن يستريحا

أنا راضٍ من هوٰى البيـــضِ ... بأن كان قريحا

---

(١) أكدى : عجز من أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهى الأرض الصلبة ولايمكنه حفرها ، اصلابتها ، وقدح الزناد : أوراها . (٢) فى الأصل « عن » ، بدل « غر » والتجمل : التزين.
(٣) المنتزح : البعيد . (٤) الحرج (بفتح الراء وكسرها) : الضيق .
(٥) المجترح : الآثم . (٦) الأنواء : مساقط النجوم المثمرة بسقوط المطر ، مفردها النوء ، ونشح : شرب دون الرى أوحتى امتلأ . (٧) العطن (محركة) : مبرك الأبل ، ومربض الغنم حول الماء .

يامليحَ الوَجهِ لِمْ تصْـــنعُ بماليسَ مَليحـا ؟
إنّمـا يُعذِرُ فى التّقـــبيحِ من كان قبيحا [1]
أنا مُشفٍ من تَجنِّـيكَ وقد كنتُ صحيحا [2]
والّذى صـيّرَ من حـبِّـكَ فى جسمِىَ روحا
لا أطاعَ القلبُ منّى أبداً فيـك نصيحـا

* * *

(١) يعذر : من أعذر أى بالغ . (٢) مشف : مشرف من أشفى المريض على الموت إذا قاربه وأشرف عليه ، والتجنى : ادعاء الذنب على من لم يفعله .

قافية الحاء المكسورة

قال وقد سأله الوزير (أبو على الحسن بن محمد)[1]

عمل أبيات تتضمن نقض المعنى الذى قصده جرير بقوله :

تقول العاذلاتُ عَــلاكَ شيبٌ أهذا الشيبُ يمنعنى مَراحى ؟ :

* * *

وما مَرحُ الفتىٰ تَزْوَرُّ عنـــه خُدودُ البِيضِ بالحَدَقِ المِلاحِ

ويُصبِحُ بين إعراضٍ مُبينٍ بلا سببٍ وهجرانٍ صُراحِ

وقالوا : لا جُناحَ ـ فقلتُ : كلاَّ مشيبِي وحْدَهُ فيكمْ جُناحى[2]

أليس الشّيبُ يُدْنِي من مماتِي ويُطمِعُ مَنْ وَلاَنِي فى رواحِي ؟

مَشيبٌ شُنَّ فى شَعَرٍ سليمٍ كشنِّ العُرِّ فى الإبلِ الصّحاحِ[3]

كأنّى بعد زَوْرَتِهِ مَهِيضٌ أدِفُّ على الوظيفِ بلا جَناحِ[4]

أو العانِي تورّط فى الأعادِى فَسُدَّ عليه « مُطّلَعُ » السَّرَاحِ[5]

سقى الله الشّبابَ الغضّ راحاً عتيقاً أو زلالاً مثلَ راحِ[6]

ليالِيَ ليس لِي خُلُقٌ مَعِيبٌ فلا جِدِّى يُذمُّ ولا مِزاحى

وإذْ أنا من بَطالاتِ التَّصابِي ونَشْواتِ «الغوانى» غيرُ صاحِ[7]

---

(١) ما حصر بين قوسين غير موجود فى نسخة الأصل . (٢) الجناح (بالضم) : الإثم .

(٣) شن : رش ، والعر : الجرب . (٤) المهيض : المكسور ، دف الطائر : حرك جناحيه ، والوظيف : ما فوق الرسغ إلى الساق . (٥) العانى : الأسير ، والمطلع : المخرج ، والسراح : اسم من التسريح وهو الاطلاق والتفريج ، وفى (هـ و ش) « مطرح » بدل مطلع .

(٦) الراح : الخمر . (٧) فى الأصل « التصابى » مكرورة فى موضع « الغوانى » من سهو الناسخين .

وإذْ أسماعهنَّ إلىَّ ميلٌ يُصِخْنَ إلى اُختيارى واُقتراحِي

فدونكها ابنَ محمدٍ ناقضاتٍ لقولِ فتًى تجلّدَ « للّواحِي » (١)

فقال ـ وليس حقًّا كلُّ قولٍ ـ « أهذا الشّيبُ يمنعني مراحِي ؟ »

وقاني اللهُ فقدكَ من خليلٍ ثَنَتْ مِنِّي مودّتَهُ جِماحِي (٢)

فكان على قذَى الأيّامِ صفوِي وكان على حَنادِسِها صباحِي (٣)

* * *

وقال (أدام الله علوه) يرثي (السيد الشريف الطاهر الأوحد ذا المناقب والده نضر الله وجهه وألحقه بآبائه الطاهرين عليهم السلام) وكانت وفاته ليلة السبت لخمس بقين من جمادى الاولى من سنة أربعمائة (٤) :

ألا ياقومُ للقَدَرِ المُتاحِ وللأيّامِ ترغبُ عن جِراحي (٥)

وللدّنيا تماطلُ بالرّزايا مِطالَ الجُربِ للإبلِ الصِّحاحِ

تُسالمِني ولِي فيها خَبِيٌّ أغَصُّ عليه « بالعَذْبِ » القَراحِ (٦)

وبالمُلِمّةِ نَزَعتْ يميني وَحَصَّتْ بالقوادِمِ مِنْ جَناحي (٧)

فُتِنْتُ بها ومنظرُها قبيحٌ كما فُتِنَ المُتيَّمُ بالملاحِ

ألا قلْ للأخايرِ من قريشٍ وسُكّانِ الظّواهِرِ والبِطاحِ

---

(١) تجلد : تصبر ، واللواحى : العاذلات جمع اللاحية ، وفى الأصل « للمزاح » بدل للواحى» من تحريفات الناسخين. (٢) الجماح (بالكسر) : من الخيل اعتزازها وامتناعها على الراكب. (٣) الحنادس : جمع الحندس (بالكسر) وهو الليل الشديد الظلام ، وفى (هـ) (حنادبها) مصحفة .

(٤) ما حصر بين قوسين غير موجود فى نسخة الأصل وفيها فى موضع « والده » « أباه » ، وقد أورد ابن الجوزى فى « المنتظم ج ٧ ص ٢٤٨ » بضعة أبيات من هذه القصيدة لا تخلو من التصحيفات والتحريفات . (٥) المتاح : المقدر . (٦) فى « س » « الماء » بدل « العذب » ، والقراح (بالفتح) : من الماء الخالص الذى لا يشوبه شىء . (٧) الملمة : النازلة ، وحصت : أزالت وأذهبت من حص الشعر أو الورق إذا حلقه أو أسقطه ، والقوادم : عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر .

هوًى من بينكم جبلُ المعالِي ... وعِرنينُ المكارِمِ والسَّماحِ (١)
وجبَّ اللهُ غاربَكمْ فكونوا ... كظالعةٍ تحيد عن المَراحِ (٢)
يُدَفِّعُها مُسوِّقُها المُعَنَّى ... وقد شَحَطَ الكَلالُ عن البُراحِ (٣)
وغُضُّوا اللحظَ عن « شَغَفٍ إليهِ » ... فما لكُمُ العَشِيَّةَ مِنْ طَماحِ (٤)
غُلِبْناه كما غُلِبَ ابنُ « ليلٍ » ... وقد سَئِمَ السُّهادَ على الصَّباحِ (٥)
فقلْ لمعاشِرٍ رهبوا شَباتِي ... وما تجنى رماحِي أو صفاحِي (٦)
رِدُوا من حيثُما شِئتمْ « جِمامِي » ... فإنِّى اليومَ للأعداء ضاحِ (٧)
ورُومونِي ولا تخشَوْا قِراعِي ... فقد أصبحتُ مُستَلَبَ السِّلاحِ
وقودونِي فما أنا فى يديكمْ ... على ما تعهدون من الجِماحِ
ولا تنتظِروا منِّى ارتياحاً ... فقد ذهب ابنُ موسى بارتياحِي
فللسببِ الذى يُشجِى التزامِي ... وللسببِ الذى يُسلِي اطِّراحِي (٨)
لَوانِي ما لَوانِي عن مُرادِي ... وحالَ الدهرُ دونَ مَدَى اقتراحِي
فلا دَوٌّ تَخُبُّ به رِكابِي ... ولا جَوٌّ تَهُبُّ به رياحِي
فَمَنْ للخيلِ يقدمُها مُغِذّاً ... يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ كالقِداحِ ؟ (٩)
ومَنْ للبيضِ يُولِغُها نجيعاً ... من الأعداء فى يومِ الكِفاحِ ؟ (١٠)
ومَنْ للحربِ يُوقِد فى لَظاها ... إذا احتَدَمَتْ أنابيبَ الرِّماحِ ؟

---

(١) العرنين : الأنف . (٢) جب : قطع ، والغارب : الكاهل ، والظالعة : العرجاء ، والمراح (بالفتح) : الموضع الذى يراح إليه اومنه ، وبالضم مأوى الإبل والغنم ومحل راحتها .
(٣) شحط : بعد ، والكلال : التعب،والبراح : التحول والمكان الذى لازرع فيه ولا شجر.
(٤) فى (ه و ش) (شعف المبانى) وفيه بعض البعد . (٥) فى الأصل « ليلى » فى موضع « ليل » مصحفة . (٦) الشباة : حد السيف .
(٧) الجمام : الماء الكثير . وفى (س و ش) حامى بالحاء أى موتى . (٨) الاطراح : الإبعاد .
(٩) مغذاً : حاثاً ومسرعاً ، والأعنة : جمع العنان وهو الزمام ، والقداح : السهام مفردها القدح (بالكسر) . (١٠) يولغها : يلعقها ، والنجيع : الدم وقيل دم الجوف خاصة .

ومَنْ لِمُسَرْبَلٍ فى القِدِّ عانٍ ... على وَجَلٍ يُذادُ عن السَّراحِ ؟ (١)

ومن « المال يَغصِى » فيه بَذْلاً ... أساطيرَ العواذلِ «واللّواحى » ؟ (٢)

ومن لِمُسَوَّفٍ بالوعد يُلوَى ... ومطروحٍ عن الجدوى «مُزاحِ» ؟ (٣)

هى الدّنيا تُجَمْجِمُ ثمّ تأتى ... مِن الأمرِ المبرِّح بالصُّراحِ (٤)

تُنيلُ عطيّةً وتردُّ أخرى ... وتَطوِى الجدَّ فى عينِ المِزاحِ

فمَنْ يُعدِى على أمِّ الرّزايا ... « إذاجاءتْ بقاسيةِ الجراحِ » ؟ (٥)

سلامُ الله تنقلُهُ اللّيالى ... ويُهديهِ الغُدوُّ إلى الرّواحِ

على جَدَثٍ تشبّث من لُؤَىٍّ ... بينبوعِ العبادة والصَّلاحِ (٦)

فتًى لم يَرْوَ إلّا من حَلالٍ ... ولم يكُ زادُهُ غيرَ المُباحِ

ولا دَنِسَتْ له أُزُرٌ « بعارٍ » ... ولا « عَلِقَتْ » له راحٌ براحِ (٧)

خفيفُ الظّهرِ من « حَمْلٍ » الخطايا ... وعُريانُ « الصّحيفةِ » من جُناحِ (٨)

« مَسوقٌ » فى الأمورِ إلى هُداها ... ومَدْلولٌ على بابِ النّجاحِ (٩)

مِنَ القوم الّذين لهمْ قلوبٌ ... بذكرِ اللهِ عامرةُ النّواحى

بأجسامٍ من التّقوى « مِراضٍ » ... لمبصرها وأديانٍ صِحاحِ (١٠)

---

(١) المسربل : لابس السربال وهو القميص والدرع ونحوه ، والقد : القيد من جلد ، والعانى : الأسير ، ويذاد : يطرد ، والسراح والتسريح ، بمعنى واحد . (٢) فى الأصل « للعال يغضى » مصحفة عن « للمال يعصى » ، وفيها « للواح » (بحذف الياء) من نسخ الناسخين (٣) فى الأصل « المراح » محرفة عن « مزاح » . (٤) الصراح « بالحركات الثلاث والكسر أفصح » : الخالص الواضح من كل شىء .

(٥) يعدى : يعين ، وأم الرزايا : المنية ، وفى الأصل « إنشانت بقاسية الجراح » وفى(ه) « إن شاءت فآسية الجراح » وفى(ش) « إن ساءت فآسية الجراح » والأنسب ما أثبتناه . (٦) الجدث: القبر ، وتشبث: تمسك. (٧) فى المنتظم لابن الجوزى « ج ٧ ص ٢٤٨ » « بوزر » بدل بعار والوزر : الإثم ، و « علت » معناها شربت وهى مصحفة عن « علقت » والراح الأولة : باطن الكف والثانية : الخمرة . (٨) فى « المنتظم » « ثقل » بدل « حمل » « والجوانح » فى موضع « الصحيفة » ، والجناح (بضم الجيم) : الإثم . (٩) فى « المنتظم » « مشوف » وفى هامشه « مشوق » وكلاهما مصحفان . (١٠) فى « المنتظم » « عراض » مصحفة عن « مراض » وكأن المرتضى رضى الله عنه أخذ معنى هذا البيت من قول جده المرتضى أمير البلغاء على بن أبى طالب صلوات الله عليه حيث يقول فى صفة المتقين : « تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض » .

بنِي « الآباء » قوموا فاندُبوهُ   بألسِنَةٍ بما « تُثْني » فِصاحِ (١)
وإنْ شئتُمْ له عَقْراً « فشلُّوا »   نفوسَ ذوِي اللِّقاحِ عن اللِّقاحِ (٢)
أصابَكَ كلُّ مُنْهَمِرٍ دَلوحٍ   « وحاملُ » كلُّ مُثقَلةٍ رَداحِ (٣)
وروّاكَ الغمامُ الجَوْن يسرِي   بطيءُ الخطوِ كالإبلِ الرِّزاحِ (٤)
ترابٌ طاب ساكنُهُ فباتتْ   تأرّجُ فيه أنفاسُ الرِّياحِ (٥)
غَنِيٌّ أنْ تجاورَهُ الخزامَى   « وتُوقد حوله سُرُجُ الأقاحِي » (٦)

* * *

وقال فى الافتخار :

لِي مِنْ رُضابِكَ ما يُغني عن الرّاحِ   ونورُ وجهكَ فى الظّلماءِ مصباحِي (٧)
وحمرةٌ نشرتْ فى وجنتيكَ بها   ملكتَ ناصيتَيْ وردٍ وتفّاحِ
وقد لَحَوْنِى على وجدِي فقلْ لهمُ   كيف أُثنى خائباً من طاعتى اللّاحِي
تلومُنى « والتياعٌ » ما يفارقنى   مِلْءَ الضّلوعِ بقلبٍ غيرِ مُرتاحِ (٨)
وأنتَ صاحٍ ولاحٍ مَنْ بِهِ سُكْرٌ   وما استوى فى الهوى السّكرانُ والصّاحِي
قمْ غنِّنِي بأحاديثِ الهوى طَرَباً   وسقِّنِي من دموعى مِلْءَ أقداحِي

(١) فى (س) الأدباء فى موضع « الآباء » و « تنثى » بدل « تثنى » .
(٢) العقر : قطع قوائم الدابة ، وشلوا : اطردوا ، وفى (س) « سلوا » (بالسين) مصحفة، واللقاح : ماء الفحل . (٣) الدلوح : المثقل ، وفى (ه) « وجادل » محرفة عن « وحامل » والرداح : الكبيرة المنبسطة . (٤) الجون (بالفتح) : الأبيض ويطلق على الأسود أيضاً والجمع جون (بالضم) ، والرزاح : جمع الرازح أو الرازحة وهى الساقطة من أثر العياء أو الهزال.
(٥) تأرج : تتأرج أى تتعطر . (٦) الخزامى : نبت طيب الرائحة والأقاحى : جمع الأقحوان ، وفى الأصل « وتوقد حوله سرح الأقاح » من تصحيفات الناسخين وتحريفاتهم .
(٧) الرضاب (بالضم) : الريق أو رغوة العسل ، والراح : الخمرة . (٨) فى الأصل « وارتياح » محرفة عن « والتياع » التى هى مصدر من التاع ، واللوعة وهى احتراق الفؤاد من الشوق ويجوز أن تكون مصحفة عن « والتياح » وهو العطش وما وضعناه أنسب .

ولا تَمِلْ بى إلى مَن لا أُسَرُّ بـــهِ ... فنى يمينك أحزانى وأفراحى
وقد شَجِيتُ بقُمْرِيّ على غُصُنٍ ... باكٍ بلا أدمُعٍ يجرين نوّاحِ
قلْ للّذين أرادوا مثلَ مَفخرتى ... أنّى لـكمْ مثلُ غُرّاتى وأوضاحى ؟[1]
وهلْ تبيتون إلّا فى حِمَى كَنَفى ... وفى خَفَارةِ أسيافى وأرماحى ؟
مَنْ فيـكم وقد اشتدّ الخصامُ له ... مِنْ دونـكم مثلُ إيضاحى وإفصاحى ؟
ما زال رائدُكُمْ فى كلِّ مَكرُمةٍ ... لولاىَ فيكمْ بوجهٍ غـيرِ وضّاحِ[2]
وقد بلغتُ مراماً عزّ مطلبُهُ ... لم تبلغوهُ وعِيسى غـيرُ أطلاحِ[3]
وكم ثَوَتْ منـكُمُ الأحوالُ فاسدةً ... حتّى صرفتُ إليهـا وجهَ إصلاحِى
لا لذّةٌ لِىَ فى غـير الجميلِ ولا ... فى غيرِ أوديةِ المعروفِ أفراحى
دفعتُ عنـكمْ بمَا تجلو القُيونُ وقد ... دفعتُمُ الشرَّ عجزاً « عنه » بالرّاحِ[4]
سيّانِ سِرِّى وجهرى فى « ظِهارتِهِ » ... ومستوٍ خَمَرِى فيـهِ وتَرْواحى[5]
إنْ كان رِبْحُكُمُ مالًا يفارقُـكمْ ... فليس غيرَ الأيادِى البيضِ أرباحى
ورثتُ هذِى الخصالَ الغُرَّ دونـكُمُ ... عن كلِّ قَرْمٍ طويلِ الباعِ جَحْجاحِ[6]
قومٌ إذا ركبوا يوماً على عَجَلٍ ... ضاق الفضاء وسدّوا كلَّ صَحْصاحِ[7]
ترى جيادَهُمُ فى كلِّ مُعتَرَكٍ ... تَلْقِى من الأرض صُفّاحاً بصُفّاحِ[8]
هُمُ البحورُ لمنْ يعتـادُ رِفْدَهُمُ ... والنّاسُ ما بين أوْشالٍ وضَحْضاحِ[9]

---

(١) الغرة: بقعة بيضاء تكون في جبهة الفرس ، والأوضاح : جمع الوضح وهو البياض .

(٢) الرائد : الذى يرسل فى طلب الكلأ . (٣) أطلاح : جمع طليح وهو الهزيل ، والعيس : الإبل البيض مفردها المذكر أعيس والأنثى عيساء .

(٤) القيون : جمع القين وهو الحداد يعنى أنه دفع عنهم بالسيوف وغيرها مما تجلوها الصياقل ، وفى الأصل « منه » مصحفة عن « عنه » والراح : الدعة . (٥) الظهارة (بكسر الظاء) : ما يظهر للعين وفى الأصل « طهارته » مصحفة ، والخمر (بالتحريك) : التستر ، والترواح : الرواح أو الذهاب بعد الزوال . (٦) القرم : الشجاع ، والجحجاح : السيد الكريم (٧) الصحصاح والصحصحان : المفازة . (٨) الصفاح : الحجارة العريضة.

(٩) الأوشال : جمع الوشل وهو الماء القليل، والضحضاح مثله .

لو طاولوا النجمَ لم يطلعْ على أحــــدٍ   أو صاولوا النارَ لم تظهرْ لقدّاحِ
أُولاكَ قومِي فجيئوني بمثلِهِمُ   فى منزلٍ هابطٍ أو ظاهرٍ ضــاحِ
مَعالمٌ لامرورُ الدّهرِ يُخلقها   ولا يخاف على مَحْوٍ لهــا ماحِ

* * *

وقال فى الغزل :

يامليحَ الوجهِ لِمْ فعــلُكَ لِى غيرُ مَليحِ ؟
إنَّ مَنْ يبــذلُ نفساً   فى الهوىٰ غيرُ شحيحِ
لم تَحُزْ جسمِيَ فَرْداً   لَكَ معْ جسمِيَ روحى
والهوىٰ بَلْوىٰ ولـكنْ   لسقيمٍ بصحيــحِ
كم ليالٍ سَهَرِى فيـ   ـكَ غَبوقى وصَبوحِى[1]
بِتُّ أشكو غُصَصَ الحـــبِّ إلى غــيرِ مُريحِ
لو خطانِى جُرْحُهُ وقْــتاً لداويتُ جُروحى
لِى بكاءٌ من دمٍ صِرْ   فٍ من الجفنِ القريحِ
كلّما استبدلتُ أُبْدِلْـ   ـتُ قبيحاً بقبيحِ
وإذا طاوعتُ أمرَ الـ   ـحُبِّ عاصيتُ نصيحى

* * *

وقال يرثى أحد الوزراء[2] محمد يرضى طريقته :

سلامٌ على العمل الصالحِ   وغادٍ من النُّسكِ أو رائحِ

---

(١) الغبوق : الشرب بالعشى ، والصبوح : الشرب فى الصباح .
(٢) سيأتى فى هذه القصيدة اسمه «محمد» ولعله « أبو غالب محمد بن على الوزير الملقب بفخر الملك » وقد مضى رثاؤه فى قافية الباء المكسورة « ص ٨٨ » من هذا الديوان وترجمته فى « ص٣١ ».

سلامٌ على السَّنَنِ المستقيمِ ... سلامٌ على المَتْجرِ الرَّابحِ [1]
سلامٌ على صومِ يومِ الهجيرِ ... وهبّةِ ذِى مدمَعٍ سافِحِ
سلامٌ على عَرَصَاتٍ خَلَوْ ... نَ للدّين من غابقٍ صابحِ
وفارقنا يومَ جدّ الرَّحيـ ... لُ عُريانَ مِن مِيسَمٍ فاضِحِ
فتًى كانَ فى دارنا هـذهِ ... بطرْفٍ إلى غـيرِها طامحِ
تراهُ إذا غَسَقَ الخابطو ... ن على منهجٍ للهُدَى واضحِ [2]
محمّدُ « فارقتنـــا » عَنْوَةً ... لجرحِي الرّغيبُ بلا جارحِ [3]
وأوْدَعتنِي فى صميمِ الفؤا ... دِ مِنِّيَ ما ليس بالبارحِ
وهوّن رُزْءَك أنّى أقولُ ... مضيتَ إلى مُنيةِ الفارحِ
إلى نِعَمٍ ليس كالأَعْطَياتِ ... ونافحُها ليس كالنافحِ [4]
وإنّ الوزارة مُذْ فارقتْ ... جنابَك فى مطرحِ الطّارحِ
كنارِ العَراءِ بلا مُصطَلٍ ... وسَجْلِ القَليب بلا ماتِحِ [5]
ودارُ السياسةِ مجفوّةٌ ... وغدرانُهنّ بلا نَاشِحِ [6]
وكنتَ وقد طَرَحتْها بنـــا ... لكَ مُحتقِراً خيرَ ما طارحِ
فلو سُئِلَتْ عنك لاستعجلتْ ... إلى منطقِ الشّاكرِ المادحِ
وكم لك فى المجدِ مِن ثورةٍ ... إلى البلدِ الشّاحطِ النازحِ [7]
على كلّ منفرِجِ «الـكاذَتَين» ... كتُومٍ لأنفاسهِ سابحِ [8]

---

(١) السنن (بالفتح والتحريك) : الطريق. (٢) غسق : أظلم. (٣) فى الأصل « فارقنا » وما وضعناه أنسب وإن جاز الالتفات ، والعنوة : القهر ، والرغيب : الواسع.

(٤) النافح : الواهب. (٥) السجل : الدلو ، والقليب : البئر قبل ان تطوى اى تبنى ، والماتح : المستق. (٦) الناشح : الشارب دون الرى. (٧) الشاحط : البعيد، والنازح مثلها. (٨) الـكاذتين : مثنى الـكاذة وهى ما نتأ من اللحم فى أعالى الفخذ ، وفى الأصل « الـكاذبين » مصحفة.

تراه إذا اسودّ ليلُ العَجاجِ ... من الرَّوْعِ كالكوكبِ اللائحِ

وقد علموا حين شبّوا الأُوارَ ... بَجَسَّكَ من لاذِعٍ لافِحِ

بأنّك أضربُ من حاملٍ ... لسيفٍ وأطعنُ من رامحِ

وأكتمُ للسّرِ حين اكتوتْ ... خطوبٌ على النّاشرِ البائحِ

وأنك منتقماً إذ تكون ... « لِذُحْلِكَ » خيرٌ من الصّافحِ [1]

تفِيءُ إلى الأبلجِ المستنيرِ ... من الرأيِ في المُعضِلِ الفادحِ [2]

وإن عَنَّ يومُ حِباءٍ هَطَلْتَ ... وفي النّاسِ مَنْ ليس بالرّاشحِ [3]

مضيتَ خفيفاً من الموبقاتِ ... وأين الخفيفُ من الدالحِ ؟! [4]

ولو أنصف النّاسُ تُرباً أهيلَ ... على جَسَدٍ ناصعٍ ناصحِ

لزاروه واستنزلوا عنده ... عطاءً من المانحِ المائحِ [5]

فلمّا نزحتَ وراءَ الصّفيحِ ... فلستَ عن الخيرِ بالنّازحِ [6]

فللهِ قبرٌ أراقوا به ... ذَنوباً من الذُّخرِ الصّالحِ [7]

تمرُّ به أرِجَ الخافقين ... ملآنَ من عَبَقٍ فائحِ [8]

فإنْ نحن قِسنا إليه القبورَ ... أبرَّ بميزانِهِ الرّاجحِ

ولا زالَ منهمرُ الطُّرّتين ... يَسُحُّ بماءٍ له سائحِ [9]

عليه وإنْ كان مستغنياً ... بما فيه من كرمٍ طافحِ

تساوى الأنامُ بهذا الحِمامُ ... فسهلُ المَعاطِفِ كالجامحِ [10]

---

(١) فى الأصل « كذلك » محرفة عن « لذحلك » أى لثأرك .

(٢) تفىء : ترجع ، والأبلج : المشرق الواضح . (٣) عن : عرض ، والحباء (بالكسر) : العطاء . (٤) الدالح : المثقل . (٥) المائح : المعطى . (٦) نزحت : بعدت ، والنازح : البعيد ، والصفيح : حجارة عراض تبلط بها القبور . (٧) الذنوب (بالفتح) : الدلو الكبير . (٨) الأرج : العطر ، والعبق : توهج رائحة الطيب .

(٩) منهمر الطرتين : يعنى السحاب والطرة الطرف من الشىء والطريقة من السحاب .

(١٠) المعاطف : جمع العطف (بالكسر) على غير القياس وهو الجانب .

وقامتْ به حجّـةُ الزّاهدين ... وضاق له عُـذْرُ الـكادحِ
وكلٌّ مُصيخٌ وإنْ كان لا ... يَحسُّ إلى هَتفـةِ الصّائحِ

* * *

وقال فى العتاب :

وَثِقتُ بـكمْ حتّى خجلتُ وكم جَنَتْ ... لنا ثقةٌ من خَجْـلةٍ فى الصّفائحِ
وما كنتُ أخشى قبلها إنْ كشفتُكمْ ... أُكشِّفُكمْ عن مثلِ هـذى القبائحِ
هبونِى امرءاً لا مَنَّ منـه عليكمُ ... ولا كان يوماً عنكمُ بمُنافحِ [1]
وإنْ قادكمْ كُرْهاً إلى ربوةِ العُلا ... نـكصتمْ على الأقفاء نكصَ طلائحِ [2]
ولم يسعَ فيما تبتغون ودونَهُ ... حجازٌ من الأعـداء ليس ببارحِ
وأدْناكُمُ عفواً إلى جانبِ الغِنى ... وكلُّـكمُ مابين ناءٍ ونازحِ [3]
وقد صَلُحَتْ أيّامُـكمْ باجتهادهِ ... فلِمْ يومُهُ مابينـكمْ غيرُ صالحِ ؟
وأظفرَكمْ بالعزِّ والعزُّ شـاهقٌ ... وأنتمْ بلا طَرْفٍ إلى العزِّ طامحِ
شَحَذْتُـكمُ سيفاً أصُدُّ به العِدَى ... وما كان عندى أنّ سيفِىَ جارِحِى
وإنّ الّذى أغراكُمُ بقطيعتِى ... ـ وقد كنتُ وصّالا لـكمْ ـ غيرُ نازحِ
وإنّى لَسَمْحٌ باذلٌ بفراقـكمْ ... وماكنتُ فيه برهةً بالمسامِحِ
تبدّلتُ لمّـا أنْ أرَبْتُمْ ولم أعِنْ ... على رَيْبِكمْ بيضاً بـودِ المسائحِ [4]
وأخْرَجَ ما أبْدَعتمُ من مساءةٍ ... هوًى لـكُمْ قد كان بين الجوانحِ
ولمّـا شربتُ الوُدّ منكمْ بسومِكمْ ... رجعتُ بكفٍّ بيعُها غيرُ رابحِ

---

(١) المنافح : المدافع . (٢) نـكصتم : رجعتم ، وطلائح : جمع طليحة أو طليح وهى الناقة أو الجمل الهزيل المتعب .
(٣) النائى والنازح : البعيد . (٤) المسائح : جمع المسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

ولولاىَ فى ميزانكمْ يومَ خبرةٍ   لما كان إلاّ شائلاً غيرَ راجحِ

فلا تحسبوا أنّى مقيمٌ على أذًى   فإنِّىَ مَوْتورٌ كثيرُ المنادِحِ (١)

إذا ضرّنى يوماً صديقى وساءنِى   فما هو إلاّ كالعدوِّ المكاشِحِ (٢)

تقطّع وُدٌّ كان بينى وبينكمْ   وطاحتْ به فى الأرضِ إحدى الطَّوائِحِ (٣)

فمالِى إلى أوطانكمْ من مطامِحٍ   ومالِى إلى أعطانكمْ من مَسارِحِ (٤)

ومالِىَ إلمامٌ بدارِ حُلولِكمْ   وما كنتُ إلاّ بين غادٍ ورائِحِ

وإنْ كانتِ البطحاء دارَ مُقامِكمْ   فمالِىَ تعريجٌ بتلك الأباطحِ (٥)

وأيقنتُ أنّى ثاوياً فى دياركمْ   مقيمٌ على آلِ القفارِ الصّحاصِحِ (٦)

وكنتُ وما جرّبتكمْ كَلِفاً بكمْ   فأظفرنِى تجريبُكمْ بالفضائحِ

لنا فى تلاقينا وجوهٌ ضواحكٌ   وكم دونهنّ من قلوبٍ كوالحِ (٧)

وقد كنتُمُ صبحاً بغيرِ دُجُنَّةٍ   فقد صرتُمُ جُنْحاً بغيرِ مصابحِ (٨)

فلا تسألونِى عن صفاء عَهِدتُمُ   فقد طار فى هُوجِ الرّياحِ البوارحِ

فإنْ تَشحطوا بعد اجتماعٍ وإلفةٍ   ببعض الرّزايا الهاجماتِ الفوادِحِ (٩)

فقلبِىَ عنكمْ مُعرضٌ غيرُ مائقٍ   ودمعِى عليكمْ جامدٌ غيرُ سافِحِ (١٠)

وما كلُّ ما لاقيتُ منكمْ شكوتُهُ   وأوّلُ جِدِّ المرء تعريضُ مازحِ

---

(١) الموتور: اسم مفعول من الوتر (بالكسر) وهو الثأر ، والمنادح : جمع مخفف للمندوحة وهى السعة والفسحة يقال لك فى هذا الأمر مندوحة أى سعة ومتحول . (٢) المكاشح : العدو الذى يبطن عداوته كأنه يخفيها فى كشحه الذى هو مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

(٣) الطوائح : القواذف . (٤) الأعطان : مبارك الإبل ومرابض الغنم مفردها عطن بالتحريك . (٥) التعريج : الميل . (٦) الآل : السراب ، والصحاصح : القفار .

(٧) الكوالح : جمع الكالح : وهو العابس المقطب . (٨) الدجنة : الظلام والجنح (بضم الجيم وكسرها) : من الليل طائفة منه .

(٩) تشحطوا : تبعدوا . (١٠) للمائق : الذى كاد يبكى من شدة الغيظ .

فشتَّانَ لو أنصفتُمُ من نفوسكمْ ولم تظلموا مابين هاجٍ ومادحِ
وإنّ غبينَ النّاسِ مَن باتَ عِرْضُهُ تعرّضُهُ السُّوءَى لبعضِ القرائحِ

* * *

وقال فى الغزل :

إنّ من يعذُلُ نُصْحاً فى الهوى غيرُ نصيحِ
مالمنْ ينصف أنْ يُلْـــحَى على غـير القبيحِ
أىُّ ثِقْلٍ لك يا لا حِى على القلبِ القريحِ ؟
كلُّ مالا يشتهى يَلْـــقَى سليمٌ من صحيحِ [1]
إنّمـــا تُدخل عذلاً بين جثمانِى وروحِى
والّذى تبغِى به الرّا حةَ لِى غـــيرُ مريحِ

* * *

وقال فيه أيضاً :

قلْ لمشغوفٍ بعَـــذْلِى فى مساء وصبـــاحِ
لاتلمنِى فى هَوَى البيـــضِ فإنّى غـيرُ صاحِ
أىُّ قلبٍ هو خِلْوُ السّرِ من عِشْقِ المِلاحِ ؟
كنْ كما شئتَ ودَعْنِى فى غـــدُوِّى ورواحِى
ماعلى غـــيرىَ منِّى فى فسادِى وصلاحِى
وإذا أفلحتَ فاتركْ للورى غيرَ الفلاحِ

* * *

(١) السليم : الملدوغ كأنهم تفاءلوا له بالسلامة من لدغته .

وله فى مثل ذلك[1] :

بينى وبين عواذلى فى الحبِّ أطرافُ الرماحِ
أنا خارجىٌّ فى الهوى لاحُكمَ إلَّا للمِلاحِ

* * *

(١) « ذكر » هذين البيتين صاحب كتاب « نسمة السحر » الوارد ذكره ص ١٧٤ من هذا الديوان فى « ص ٢٦٦ » منه ، وكذا ذكرها مؤلف « جنان الجنان ورياض الأذهان » على ماذكره ابن خلكان،وأوردها له أيضاً السيد على خان فى « أنوار الربيع » (ص٨٢ ٤ طبع العجم).

باب الحاء المسكنة

قال فى الشيب :

فضح الشَّيبُ شبابى فافتضحْ ونَـكا قلبى به ثمَّ جَرَحْ [1]
جدَّ لِى من بعد مزحٍ صبغُهُ ورَكوبُ الجِدِّ مُن كان مَزَحْ
فاشتفىْ منِّى عدوِّى واكتفىْ ورأى كلٌّ الَّذى كان اقترحْ
وذنوبٌ كُنَّ لِى مغفورةً عاد فيها كلُّ مَن كان صَفحْ
كلّمـــا ناديتهُ نحوى مضىْ وإذا قلتُ دنا مِنِّى انْتَزحْ [2]
والّذى طـــيّرَ عنِّى غُمَمِى حين وافىْ حَلَّهُ بعدُ جَلَحْ [3]
فاعجبوا كُلّـكُمُ مِنِّى إذنْ أعشَقُ اللّيلَ ولا أهوى الصُّبُحْ

* * *

---

(١) نـكا : من العل نـكأ المهموز وحذفت الهمزة للخفة ونـكأ القرحة أزال قشرتها ، ونكأ فى العدو كنكى فيه نكاية أى أوقع فيه جراحاً وقتلا . (٢) انتزح : بعد .
(٣) الجلح : كالصلع إلا أنه سقوط شعر جانبى مقدم الرأس .

قافية الخاء

باب الخاء المضمومة

قال يتظلم ويفخر :

أبى يعصِبُ الغاوون مافى عِيابهم ... ويَلْطَخُني بالشرِّ مَن هو مُلْطَخُ (١)
ولو شئتُ أضحَى بين دارِى و بينهمْ ... بَساطٌ بعيـدٌ للمطايا وبرزخُ (٢)
كأنّى مقيمٌ بين قومٍ أذلّةٍ ... أميمُ رزاياً بالجنادل يُشدَخُ (٣)
ولِى مُهجةٌ لم يبقَ إلّا طُلولُها ... تُرَشُّ بأنواعِ الهمومِ وتُرضَخُ (٤)
إذا قلتُ يوماً قد مضىٰ مايريبها ... تَراسخَ بِى مالم يكنْ قبلُ يَرسُخُ
و يشمَخُ قومٌ ناقصون عن العُـلا ... وكم بيننا أنْ كنتُ بالفضل أشمَخُ
فقلْ للذى يبغِى لِحاقِى غبـاوةً ... أفى غير لحمٍ أنتَ دهرَكَ تنفُخُ ؟
وما أنتَ إلّا يَرْمَعَ الدَّوِّ كارعٌ ... وإلّا فغرثانٌ ولا نارَ يطبُخُ (٥)

***

---

(١) عصب به الأمر : ألصقه به ونسبه إليه ، والعياب : جمع العيبة وهى وعاء كالزنبيل من جلد.
(٢) البرزخ : الحاجز بين الشيئين . (٣) الأميم والمأموم : المضروب على أم رأسه أو على أم الدماغ وهو قشرة رقيقة تغلف المخ . (٤) ترضخ : تضرب . (٥) اليرمع : حصى لامعة بيض سهلة التفتيت .

قافِيَة الدّال

باب الدال المضمومة

وقال يعزى أبا على الحسن بن محمد عن والدته وقد توفيت في صفر سنة « ٣٩٩ » :

في مثلها يُستثارُ الصَّبرُ والجَلَدُ ... «وعندها» يَتقاضى الحزمُ مايجدُ (١)
وما الرزيَّةُ إلّا أنْ تُلِمَّ بنا ... ونحن لاهونَ عنها غُفَّلٌ بُدُدُ
مثلُ السَّوامِ رَعَى في أرض مَضْيَعةٍ ... نام المُسِيمُ «بها» واستيقظَ الأسدُ (٢)
تمشي الضَّراءَ وهامٌ لا تُخَمِّرُها ... محلّقٌ فوقهنّ العارضُ البَرْدُ ؟ (٣)
وإنَّما المرءُ في الأيّامِ مُحتَبَسٌ ... على المنيّةِ تأتيه ومُقتَعَدُ
يسعى ولم يسعَ إلّا نحو حُفْرتِهِ ... يخالُ معتمداً أو كيف يعتمد
جاب البلادَ وعدّى عن مصارعِهِ ... فاختطّ «مصرعَه» مِنْ بينها بَلدُ (٤)
وكيف ينجو حِبالاتِ الرَّدَى رجلٌ ... مستجمعٌ للمنايا بعدَه بَدَدُ ؟
وقد علمنا بأنّا معشرٌ أُكُلٌ ... للموتِ نُوجَدُ أحياناً ونُفتَقَدُ
يرتاح نحو غدٍ من غفلةٍ أبداً ... مَنْ ليس يدري بما تجني عليه غَدُ
كم ذا فقدنا كراماً لا إيابَ لهمْ ... حُطّوا من المنزل الأعلى «وَنفتَقِدُ» (٤)

(١) الجلد (بفتحتين) : الصلابة ، وفي (هـ) « وعندنا » مصحفة عن « وعندها » .
(٢) السوام : الأنعام السائمة أي الراعية ، وفي (س) « لها » بدل « بها » .
(٣) الضراء (بفتح الضاد) : الخفاء ، وتخمرها : تسترها ، والعارض : السحاب والبرد أصله تسكين الراء بمعنى البارد . (٤) جاب : طاف ، وفي «هـ» « مقرعه » بدل « مصرعه » مصحفة . (٤) في «هـ» « خطو » مصحفة عن « حطوا » وفي (س) « وما انتقدوا » محرفة عما أثبتناه .

ذاقتْ شفاهُهُمُ طعمَ الرّدى مَقِراً ... وطالما كان يجرى بينها الشَّهَدُ (١)

وكم وَرَدْنا وما تُغْنِي ورادَتنـــا ... إنّا وردنا ـ وأُغفُوا ـ مُرَّ ما وردوا

لم يُغنِ عنهمْ وقد همّ الحِمامُ بهمْ ... ماجمّعوا «لدفاعِ البُؤْسِ» وأحتشدوا (٢)

«وليس يُجدِى وإنْ «أرْبَى» بكثرتِهِ ... على الفتى مَدَداً إذا أنقضتْ مُدَدُ» (٣)

«كأنّهمْ بعد ما «امتدّ» الزّمانُ لهمْ ... لمامضوا فى سبيلِ الموتِ ماوُلِدوا» (٤)

فنحن نبكى على آثارهمْ جَزَعاً ... نقولُ لا تبعُدوا عنّا وقد بَعُدوا

قلْ للوزيرِ سواكَ المرءِ نوقظُهُ ... وسمعَ غيرِكَ يغشى العَذْلُ والفنَدُ (٥)

حتّى متى أنتَ فيما فات مُكتئِبٌ ... جَنَى الحِمامُ فلا عَقْلٌ ولا قَوَدُ ؟ (٦)

دعِ «التتبع» للعمرِ الذى قطعتْ ... عنه الحياةَ المنايا وأنتهى الأمدُ (٧)

مادمتَ تطمعُ فيــــه فاحزَنَنَّ له ... فإنْ يَئِسْتَ فلا حُزْنٌ ولا كَمَدُ

وأُستبقِ دمعَك لا تذهبْ به سَرَفاً ... فسرفُ فيه «يُضحِى» وهومقتصدُ (٨)

وإنْ جَزِعتَ لِأَنْ مُدّت إليك يدٌ ... فبالّذى عشتَ ما مُدّت إليك يَدُ

ومُنيةُ الوالدين الدّهرَ أجمَعَهُ ... أنْ يكرعا الموتَ حتّى يسلمَ الولَدُ

***

---

(١) المقر : المر أو الحامض ، والشهد : العسل . (٢) فى (س) « لامتناع البأس » فى موضع « لدفاع البؤس » والبؤس : هو الفقر والضر . (٣) أربى : زاد ، وفى « هـ » « أرى » مصحفة عن « أربى » . (٤) فى (س) « أعتد » مصحفةعن « امتد » وهذا البيت وما قبله ساقطان من نسخة الأصل فى هذا الموضع ومثبتان فيه بعد قوله : واستبق دمعك ...

(٥) الفند : تضعيف الرأى واللوم . (٦) العقل هنا : الدية ، والقود (بالتحريك) : مثلها . (٧) فى «س» « التمتع » فى موضع « التتبع » . (٨) فى (هـ) « نصحى » فى موضع « يضحى » مصحفة .

وقال يمدح فخر الملك (أدام الله سلطانه) ويهنئه بالنيروز الواقع في شعبان من سنة «٤٠٣» وأنفذها إلى (حضرة الجليلة) وهو بالأهواز :[1]

تلك الدّيارُ برامَتين همودُ ... دَرَسَتْ ولم تدْرُسْ لهنّ « عُهودُ »[2]
حيث التوى ذاكَ اللّوى ثمّ استوى ... والْتفَّ من شمل الأراكِ بَديدُ[3]
أوَ ما رأيت وقوفَنا بمُحَجَّرٍ ... والدّمعُ « مِنْ » جَفْني عليه يجود ؟[4]
مترنّحينَ من الغرامِ كأنّنا ... قُضُبٌ تميــــلُ مع الصَّبا وتميدُ[5]
والرّكبُ إمّا سادرٌ مُتهالكٌ ... أو راكبٌ ثَبجَ السُّلُوِ جَليدُ[6]
وعلى أهاضيب المُشقَّرِ غادةٌ ... للرِّيمِ منهـــا طَرْفُهُ والجيدُ[7]
صَدّتْ ولم تُرِدِ الصُّدُودَ وربّما ... جاء العناءُ ولم يُرِدْه مريدُ
ولقد طَرقتَ وما طَرقتَ صبابةً ... «عيني» ونحن إلى الرّحالِ «هُجود»[8]
في ظلِّ خوصٍ كالقسيِّ طلائحٍ ... أخذَتْ « عَوارِبَهُنَّ منها » البيدُ[9]

---

(١) ما وضع بين قوسين غير موجود في نسخة (س) ، وقد أشار الناظم إلى هذه القصيدة في « طيف الخيال » وذكر الشطر الأول من مطلعها وأربعة أبيات منها : « ص ٨٣ و ٨٤ » . (٢) رامتان : مثنى رامة وهو اسم موضع بالبادية وكثيراً ما يأتي في الشعر مثنى وفيه جاء المثل « تسألني برامتين سلجما » ، ودرست ، بليت ، وفي نسختي (ه و ش) « عقود » في موضع « عهود » مصحفة . (٣) اللوى : منعرج الرمل ، والأراك : شجر تعمل من أغصانه المساويك . (٤) محجر : موضع ، وفي (ه و ش) « في » بدل « من » مصحفة . (٥) مترنحين : متمايلين . (٦) سادر : متحير ، والثبج (بفتحتين) : ما بين الكاهل والظهر وأعلى كل شيء ثبج ، والجليد : الصبور .

(٧) المشقر : موضع ، والريم : الغزال ، والجيد : العنق . (٨) طرق : أتى ليلا ، وفي « طيف الخيال » ونسخة (ش) « عني » في موضع « عيني » مصحفة ، وفي نسخة (س) « همود » في موضع « هجود » مصحفة ، وهجود : نيام .

(٩) خوص : جمع خوصاء وهي الناقة غائرة العين من أثر التعب والهزال ، وطلائح : هزيلات ، وفي الأصل « غواربهن منا » ، والغوارب : جمع الغارب وهو الكاهل ، وفي باقي النسخ « عواربهن منها » وهذا طبقاً لما جاء في « طيف الخيال ص ٨٢ » حيث فسر المرتضى البيت بما يأتي : معنى « عواربهن منها البيد » : أن هذه المطايا رعت منابت الأرض وشجرها فأسمنها ، ولما أجهدها السير وخدد لحومها وأهزلها ، صار ما كان أسمنها أهزلها ، فكأنه مسترد لعاريته .

أنّى اهتديتَ وكيف زرتَ وبيننا ... دون الزّيارةِ مُربخٌ وزَرودُ ؟ (١)
ومفاوزٌ مِنْ دونهنّ مفاوزٌ ... وتهـــائمٌ مِنْ فوقهنّ نُجودُ
« وغرائرٍ » أنــكرنَ شيبَ ذوائبي ... والبيضُ مِنّى « عندهنّ » السُّودُ (٢)
أنــكرنَ داءً ليس فيـــه حيلةٌ ... وذَمَمْنَ مَفضًى ليس عنـــه مَحيدُ
يُهْوَى الشّبابُ وإنْ تقادم عهدُه ... ويُمَلُّ هـذا الشّيبُ وهو جـــديدُ
لا تَبْعُدَنْ عهدَ «الشّبابِ ومِنْ جوًى» ... أدعو له بالقربِ وهو بعيدُ (٣)
أيّامَ أُرمَى باللحاظِ وأرتمِى ... وأصادُ فى شَرَكِ الهوَى وأصيدُ
قد قلتُ للرّكْبِ السِّراعِ يحثُّهمْ ... مُـــترنّمٌ بحُـــدائه غِرٌّ يدُ
فى سَبْسَبٍ خافى المعالمِ والصُّوَى ... فــكأنّمـــا موجودُهُ مفقودُ (٤)
مَنْ مبلغٌ فخرَ المـــلوكِ رسالةً ... أعيَتْ علىَّ يقولُها المجهود ؟
أترى ليـــالِىَّ اللواتى طِبنَ لى ... فى ظلّكَ الوافى علىَّ تعودُ ؟
ومتى أزور ربيعَ أرضِك زَوْرَةً ... وعلىَّ من نَسْجِ الرّبيعِ «بُرودُ» (٥)
ومتى أراكَ وأنتَ تُسجِلُ مُعلِناً ... بفضيلتِى بك والأنامُ شهودُ (٦)
وأنا الّذى من بعـــد نَأْيِكَ نازحٌ ... عن كلِّ ما فيـــه الهوَى مطرودُ (٧)
أُضحِى أرَى ما غيرُهُ عنـــدى الرِّضا ... وأُريـــدُ كُرهاً ما سواه أُريدُ
للهِ حِلْمُكَ والرِّواقُ يُرَى بـــهِ ... « للسائلين من الوفود » وفودُ (٨)
والقول يُرزَقُهُ الشّجاعُ « ويمترِى » ... منـــه ويُحرَمُ نُطقَه الرِّعديدُ (٩)
فى موقفٍ ينتـــابُ تامورَ الفتى ... للرّعبِ إقرارٌ بهِ وجُحودُ (١٠)

---

(١) مربخ وزرود : رملان فى طريق مكة . (٢) غرائر : جمع غريرة وهى الشابة لا تجربة لها وفى «هـ» غوائر » مصحفة ، وفى (س) « عهدهن » محرفة عن « عندهن » .
(٣) الجوى : الحرقة وشدة الوجد . (٤) المعالم : جمع المعلم وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والصوى : جمع الصوة وهى الحجارة توضع فى الطريق ليستدل بها عليه أيضاً .
(٥) فى (ش) « بنود » فى موضع « برود » والبنود : الأعلام وما وضعناه أنسب بالمقام .
(٦) تسجل : من الفعل أسجل أى أكثر وأفاض . (٧) النأى : البعد ، والنازح : البعيد .
(٨) فى النسخ « سامين من بعدالوفود » ولم نجد لها معنى مناسباً والظاهر تحريفها عما أثبتناه .
(٩) يمترى : من المرية وهى الشك ، والرعديد : الجبان . (١٠) التامور : غشاء القلب.

وعلى الأسرّةِ من ضيائك بارقٌ ... أو كوكبٌ « جَهَر » النّجومَ فَريدُ (١)
وكأنَّ وجهَك « قُدَّ » من شمسِ الضُّحى ... أو مِنْ سَنا قمرِ الدّجى « مقدودُ » (٢)
لاذوا بمن ثَمَرُ « المروءة » يانعٌ ... منــه وأمُّ المَكْرُماتِ وَلودُ (٣)
والمنهلُ « العِــدُّ » النميرُ وحيثما ... يُدنى المَذودُ ويُمنحُ المحــدودُ (٤)
يافخرَ مُلكِ بني « بويهِ » ومَنْ له ... ظِلٌ على هــذا الورى مَمدودُ (٥)
والمعتلِي قمم « العَلاء » بهمّــةٍ ... قامتْ وهمّاتُ الرّجالِ قُعودُ (٦)
والمنشىء « الغُرَّ » الغرائبِ فى النّدى ... حتى تُعلِّمَ منــه كيف الجودُ (٧)
هى دولةٌ مازلتَ تَرْأبُ شَعْبَهــا ... وتذُبُّ عنهــا كالئــاً وتذودُ (٨)
تُنمى إذا « انتسبتْ » إليك ومالها ... « إلّاكَ آباءٌ » لها وجُدودُ (٩)
ورَدَدْتَهــا بالأمْسِ « ثَلَّةَ قَفرةٍ » ... شَطَّتْ فأحْرزَها علينــا السِّيدُ (١٠)
أوْقدتها بعد الخبوِّ فمــا لها ... أبَدَ الزّمانِ تطامنٌ وخمودُ
مَنْ ذا الّذى يرنو إليها طالباً ... ولهــا ببابك عُــدّةٌ وعديدُ ؟ (١١)
لولا دفاعُك ما أستقرَّ بمَفْرَقَيْ ... ذاك المتوّجِ تاجُــهُ المعقودُ
ولَزال هــذا الملكُ بعد مماتِهِ ... ولمال « عنــه » دِعامُه المعمودُ (١٢)

---

(١) جهر النجوم : أراعها بنوره وجماله ، وفى النسخ « هجر » محرفة (٢) فى النسخ « فل » فى موضع « قد » أى قطع والمقدود : المقطوع ، وفى (س) « ممدود » مصحفة عن مقدود .
(٣) فى (س) « المودة » بدل « المروءة » وفى « هـ » « المروه » مصحفتان .
(٤) العد (بالكسر) : الماء الكثير ، والنمير . الناجع من الماء عذباً كان أو غير عذب ، وفى (س) « العذب » ، والمذود : المطرود ، والمحدود : المحروم .

(٦) فى (س) « الرجال » بدل « العلاء » . (٧) فى (س) « المن فى موضع «الغر» .
(٨) ترأب : تصلح من رأب الشعب أى الصدع أو الشق إذا أصلحه ، والكالىء : الحافظ
(٩) فى (هـ) « ابتسمت » محرفة عن انتسبت » « والآل » فى موضع « إلاك » مصحفة ، وفى (س) « خير أب » فى موضع « آباء » . (١٠) الثلة (بالفتح) : الجماعة من الغنم ، وفى (س) « منك بقفرة » ، وشطت : بعدت ، والسيد هنا : الذئب . (١١) يرنو : يديم النظر . (١٢) فى (هـ) « منه » بدل « عنه » .

كم ذا صَلِيتَ وقايةً لنعيمــــهِ يوماً يذوبُ بحرِّه الجلمودُ
فى ظهر « مُستَلَبِ الفُتورِ » كأنه هَيِّقٌ بأجواز الفـــلاةِ شَرُودُ (١)
وكأنّه ينسابُ فى « خَلَلِ » القنـــا يومَ الـكريهـــةِ أرقمٌ مَزْءودُ (٢)
فى « غُلْمَةٍ » سلـكوا طريقَك فى الوغى والبيضُ منهمْ رُكَّعٌ وسجودُ (٣)
متسرّعين إلى القِراعِ كأنّهمْ وعليهمُ زُبَرُ الحـــديد حَديدُ (٤)
يُرْدُون مَنْ شاءوا بغير « منيّـــةٍ » فهُمُ وإنْ غلبوا الأسودَ أُسودُ (٥)
لا يأخذون المـــالَ إلّا بالقنـا تحمرّ منـــه « ترائبٌ » ووريدُ (٦)
أو مِنْ ظُبـــا لم تَفْرَ يومَ كـريهةٍ إلّا وهاماتُ « الـكُماةِ » غُمودُ (٧)
لا تحقرَنَّ من العــدوِّ صغـــيرةً وارْدُدْ مكيدَةَ مَنْ تراه يـكيدُ
وإذا اسْتَرَبْتَ بمنْ خَبَرْتَ فـلا تَنَمْ فالدّاء يُعـــدِى والقليلُ يزيدُ
إنّ الحسودَ هو العـــدوُّ وإنّما « سَتَروا قبائحـــه » فقيل حسودُ (٨)
والضِّغنُ « تَطْمُرُهُ » « الأناةُ فتعتزى » حِزَقاً إليـــه ضغائنٌ وحقودُ (٩)
والعودُ إنْ طَرَحَ التقـــادُمُ قادحاً فيـــه ولم « تدلـكه » ظلَّ العود (١٠)

---

(١) فى (س) «ملتبس الفتور» فى موضع « مستلب الفتور » محرفة ، والهيق : الظليم وهو ذكر النعام. (٢) فى (س) « ظل » بدل « خلل » ، والأرقم : الحية ، والمزءود : المذعور . (٣) الغلمة (بالضم والكسر) : شدة الضراب ، وفى (س) « غلمه » وفى «ش» « علمه » والصحيح ما أثبتناه . (٤) زبر : جمع زبرة وهى القطعة من الحديد . (٥) فى (س و ش) كلمة محرفة لم نهتد الى معناها ، وهى « تأية » وفى «ه» « بينه » التى احتملنا تصحيفها عما أثبتناه . (٦) فى (س) « ذوائب » فى موضع « ترائب » والترائب : جمع التريبة وهى من عظام الصدر ، والذوائب : خصل الشعر مفردها ذؤابة . (٧) فى (س) « الرجال » بدل « الـكماة » . (٨) فى (س و ش) « متابحه » بدل « قبائحه » وفى (ه) « سروا مفاتحه » محرفة . (٩) فى (س) « تظهره الانا فيعتزى » فى موضع « تطمره الأناة فيعتزى » والأناة : التؤدة والحلم ، والضغن : الحقد ، و « تطمره » من طمر الشىء أى خبأه ، وتعتزى حزقاً إليه : أى تنتسب إليه جماعات وطوائف من الضغائن والحقود . (١٠) فى النسخ: « ندركه » فى موضع « تدلـكه » ولم نجد لها معنى مناسباً فـكأنه يفسر البيت السابق فـكما أن الحلم والأناة تخبى وتدفن الحقد ولو الى زمن ما فـكذلك العود إن لم يدلك بالزناد أو بغيره لا يورى.

لولا الصَّلاحُ بأنْ يُعاقَبَ مجرمٌ ما كان وَعدٌ مُطمِعٌ وَوَعيــــدُ
ضَمِنَتْ لكَ الأقدارُ كلَّ « محبَّةٍ » وَأحَلَّكَ الرَّحمانُ حيثُ تريدُ (١)
وَنَعِمْتَ بالنَّــيروزِ نعمةَ ناشدٍ أنحى وَحشوُ يمينِهِ المنشودُ
وَعَرَتْكَ فيــه جلالةٌ وإدالةٌ « وأتَتْكَ منــه ميامنٌ » وسُعودُ (٢)
حتّى يقولَ المستزيدُ : لكَ العُلا ما فوقَ هــذا « في العَلاءِ » مَزيدُ (٣)

* * *

وقال في الأدب :

أوَدُّ بأنني أبقى ويبقى لِيَ الوَلَدُ المحبَّبُ والتِّلادُ (٤)
ولا أقذَى ولا أوذَى بشيء وأوّلُ خائبٍ هــذا الودادُ
وأنّي بين أثناءِ اللّيـــالي صلاحٌ لايخـــالطه فسادُ

* * *

وقال في الغزل :

هلْ شافعٌ لي إلى نُعْمٍ وسيلتُهـــا ولا وسيلةَ إلّا السُّقْمُ والجُهـــدُ ؟
لم تطعمِ الحبَّ فارتابتْ لطاعمــهِ ولم « تَجِدْ بي » فلم أوقنْ بما أجدُ (٥)
في القربِ والبعدِ هجرانٌ ومَقْليَــةٌ فليس ينفعني قربٌ ولا بُعُدُ (٦)
مانامَ ذِكرُكِ في قلبي فيوقظُهُ برقٌ سرى مَوهِنًا أو طائرٌ غَرِدُ (٧)

---

(١) في (س) « تحية » في موضع « محبة » . (٢) الإدالة : الغلبة والنصر ، وفي (س) « وعليك فيــه مهابة » بدل « وأتتك منه ميامن » وفي« وأتاك» في موضع «وأتتك» .
(٣) في (س) « لاملاء » بدل « في العلاء » .
(٤) التلاد : المال . (٥) لم تجدبي : لم تعرض إلى ، وفي (س) (لم تجدني) مصحفة .
(٦) المقلية : البغض . (٧) الموهن : الآتي في الوهن وهو منتصف الليل .

أُحِبُّ منكِ وإنْ ماطَلْتِ عن أرَبِي ـ وعداً وكم أخلف الميعاد من بَعدُ (١)
ما أطعمَ الحبَّ يأساً ثمّ مَطْمَعةً لوكان لِي بالّذى يجني عليَّ يَدُ
لاموقفَ الحبِّ أنساه ونحن على رَضْفٍ من البينِ يخبو ثمّ يَتّقِدُ (٢)
حيث استندتُ إلى صبرِى فأسْلَمَنِي والشّوقُ يأخُذُ مِنِّى كلَّ ماأجِدُ

* * *

[وقال فى الطيف] (٣) :

ألا ليت عيشاً ماضياً عنكِ بالحِمىٰ وإنْ لم يَعُدْ ماضٍ عليكِ يعودُ
ويازَوْرَنا لمّا سمحتَ بزَوْرَةٍ سمحتَ بها وهْنَاً ونحنُ هُجُودُ
على غفلةٍ جاء الكرى باعثاً لنا بلا موعدٍ والزّائرون هُمُودُ
فيا مرحباً بالطّارقِ بعد هَجْعَةٍ تقَرُّ به الأحلامُ وهْوَ بعيدُ
وعلّمَنِي كيفَ المُحالُ لقاؤُهُ وأنّىٰ التقاء واللّقاء كَنُودُ ؟ (٤)
وما نحن إلاّ في إسارِ عَدَامةٍ وعند كَرانا أنّ ذاك وجودُ (٥)

* * *

وقال فى فنونه وأغراضه من الأدب ، ويقال إنه وازنه بها اليتيمة (٦) :

هبّتْ تلومُ على النّدى هندُ ياهندُ خيرٌ من غِنًى حَمْدُ
الحمدُ يبقى لِي وإنْ تَبِفَتْ نفسِي وفاتَ الأهلُ والوُلْدُ

---

(١) الأرب : الحاجة . (٢) الرضف : الحجارة المحماة . (٣) وردت هذه القطعة فى « طيف الخيال ص ٩٢ و ٩٣ » ولم ترد فى النسخ . (٤) الكنود : الشاق .
(٥) الإسار : القيد ، والعدامة : الفقر .
(٦) اليتيمة : اسم للقصيدة المشهورة المسماة بالدعدية التى منها :
آهٍ على دعدٍ وما خُلقتْ إلا لطولِ بليّتِي دَعْدُ
وتنسب إلى العكوك وغيره .

والمالُ تأكلُهُ النّوائبُ والـــأحداثُ حتّى ما لَهُ رَدُّ

وَيَبيتُ يحرسُهُ ـ وإنْ دفعتْ عنــه الـكرامُ ـ الطِّفْلُ والعبْدُ

والحمــد لا يستطيع يأخذه مِنْ راحتيَّ النّا كلُ الوَغْــدُ

وإذا سريتُ سرىٰ معِي وَضِحًا وهْنــاً وجُنْحُ اللّيلِ مُسْوَدُّ [1]

ياهندُ إنّ الدّارَ زائـــلةٌ والقربُ يُنْئى بعـــده بُعْدُ

غمْرِى يروح وما أهَبْتُ به ذاكَ الحِمــامُ به ولا يَغْدُو

ما كنتُ بالمنقـــادِ فى يَدِه لو كان فى أيـــدِى الرّدىٰ بُدُّ

والمرء غايةُ لُبْسِهِ كَفَنٌ يَبْلَى وآخِرُ بَيـــتِهِ اللَّحْدُ

كم معشرٍ هُجرتْ ديارُهُمُ بأسًا وعرّج عنهُمُ القصـــدُ

متجاورين بدارِ مَضْيَعَـــةٍ لا حرٌّ عنـــدهُمُ ولا بَرْدُ

ما فارقوا إلّا برغمِهِمُ فى النّاسِ مَنْ عَشِقوا ومَنْ وَدّوا

وإذا دعا وُجْـــداً يُدِلُّ بهِ عند المنيّـــةِ خانَهُ الوُجْدُ [2]

والخُـــلْدُ مُنْيَتُهُ وليس له مُـكْثٌ على الدّنيا ولا خُـــلْدُ

ياهندُ ليس بمُجير مِن حَذَرٍ خوفَ الرّدىٰ غَوْرٌ ولا نَجْدُ [3]

كلُّ النّفوسِ وإنْ غفلنَ هوًى بين الحِمامِ وبينهـــا وعْدُ

والنّدْبُ فسلٌ فى الزّمان إذا أهوىٰ له والواهنُ الجَلْدُ [4]

لو فات تشعيثُ الزّمان فتًى فات الأصمَّ اليابسَ الجَلْدُ [5]

---

(١) الوضح : المضىء من الوضح وهو بياض النهار، والوهن : منتصف الليل، وجنح الليل : طائفة منه .

(٢) الوجد (بالضم والفتح والكسر) والجدة (بالكسر) : الغنى ، ويدل به يثق ويعتز .

(٣) الغور : المطمئن من الأرض ، والنجد : المرتفع منه . (٤) الندب : السيد الغيور ، والفسل : الضعيف ، وأهوى له : مد يده ليأخذه ، والواهن : الضعيف ، والجلد : القوى الصبور .

(٥) الجلد هنا : الصلب .

وَنجَتْ وعولُ هضابِ كاظمةٍ — منه وما شَقِيَتْ به الرُّبْدُ (١)
وتودّ هندٌ وهْيَ مُشفقةٌ — أنّى خَلَدْتُ وفاتَها الوُدُّ
وتردّ عنّى كلّ طارقةٍ — أنّى وليس يطيعها الردُّ
وتقول لا عَبِثَ البعادُ بنا — وتضلّ عمّن خانه البُعْدُ
وَتَؤودُها البأساء إنْ نزلتْ — دارى وعرّس عندِىَ الجَهْدُ (٢)
وتُريدُ لِى ماليس فى يدها — أمداً على الأيّامِ يمتدُّ
وتُعيذُنِى ماليس ينفعها — من راحةٍ ما بَعْدَها كَدُّ
تَسَلِين إنْ زلّتْ بنا وبِكمْ — قدمٌ وطُوِّلَ بيننا العَهْدُ
كم جاء مثلَكِ وهْيَ ذاهلةٌ — من حادثٍ بعضُ الّذى يبدو
إنّ الرّدى لا بدّ أوردُهُ — متوخّما يوبِى له الوِرْدُ (٣)
يَلِجُ البيوتَ وليس يدفعُهُ — هَزْلٌ يرادُ به ولا جِدُّ (٤)
لا تخدِشى خدًّا علىَّ فما — ردّ الفتى أنْ يُخدَش الخدُّ
وتعلّمِى إنْ كنتِ عالمةً — أنّ الحِمامَ على الورى يعدو (٥)
ما إنْ جنى وِرْدٌ عليكِ ردًى — حتّى يُمَطَّ لذلك البُرْدُ (٦)
لا تَحفِلِى بالشّامتين فما — أنا فى المنيّةِ دونهمْ وَحْدُ (٧)
لمْ يُدركوا بعدِى الطِلابَ ولا — سدّوا بمثْلِى الخَرْقَ إنْ سدّوا
ولقد كفيتُهُمْ وما شعروا — كَيْدَ «العدا ولِكيدِهمْ» وقدُّ (٨)

---

(١) الوعول : جمع الوعل حيوان جبلى يشبه الغزال وله قرون متعددة ، وكاظمة : اسم موضع ، والربد : جمع الأربد والربداء وهى النعامة .

(٢) تؤدها : تثقلها ، والبأساء : الشدة من البؤس ، وعرس المسافر : نزل للاستراحة ، والجهد البلاء . (٣) مستوخما : مستكرها ، ويوبى : يذم : (٤) يلج : يدخل .

(٥) الحمام (بالكسر) : الموت . (٦) يمط : يشق . (٧) الوحد : المنفرد .

(٨) فى الأصل « العدو لكيده » فى موضع العدا ولكيدهم وهى محرفة عما أثبتناه .

وعَلَتْ بهمْ لَمّا جَذَبْتهُمُ   بيَدَىَّ قَسْراً تلكُمُ الوَهْدُ (١)
نزعوا الخمولَ بمَا كسوتَهُمُ   من مأْثُراتٍ حشوُها الحِدُ (٢)
وتناهبوا الأوْساقَ مِنْ شَرَفٍ   لاصاعَ فيه لهمْ ولا مُدُّ (٣)
وأنَا الّذى وسْطَ الخميسِ إذا   ناديتُ شُدّوا بالقنا شَدّوا (٤)
وعَلَىَّ مِنْ خِلَعِ القَنا حَلَقٌ   لم يَدنُها نَسجٌ ولاسَرْدُ (٥)
فى حيثُ يُنجيك الطّعان ولا   يُنجِى الأقبُّ القارحُ النَّهْدُ (٦)
مَنْ لى بعارِى المَنكِبينَ من الدُّنيا له عن خَتْلها شدُّ
ينجو قذاها غيرَ مُتّئِدٍ   مِثْلَ الوَسيقةِ لزَّها الطَّرْدُ (٧)
ويَصُدُّ عن تزويق زينتِها   حيث استُثِيرَ فأعوزَ الصَّدُّ (٨)
وجَناهُ منها الصّبرُ عن مَلَقٍ   تُذْبِى به أسبابُها النُّكْدُ (٩)
يامُرَّةً ويظنُّ ذائقُها   أبدَ الزّمانِ بأنّها شَهْدُ !
مادام غيّكِ وهو منك هوًى   فيدوم فيك ويذهب الرُّشدُ
كم ذا عقدتِ على الوفاء وما   ينفكُّ يضعفُ ذلك العَقْدُ ؟
وذنوبُ صَرْفِكِ إنْ عُدِدْنَ لنا   فَنِىَ الزّمانُ وما انقضىْ العَدُّ
أمّا ديارُ الساكنين إلى   نجواكِ فهْىَ الدُّرَّسُ المُلْدُ (١٠)
لا جِرْسَ فيها غير أنْ صَدَحَتْ   قُمْرِيّةٌ أو قَعْقَعَ الرَّعْدُ (١١)

---

(١) قسراً : قهراً ، والوهد : المنخفض من الأرض . (٢) المأثرات : جمع المأثرة وهى المكرمة والمنقبة. (٣) الأوساق: جمع الوسق وهو مكيال يستوعب ستين صاعا ، والصاع، ثلاثة أمداد والمد (بالضم) مايسع ملء كفى الإنسان المتوسط . (٤) الخميس : الجيش .
(٥) السرد : حلق الدرع . (٦) الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر ، والقارح من من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، والنهد من الخيل : المرتفع .
(٧) الوسيقة : الجماعة من الإبل ، ولزها : طعنها أو ضايقها . (٨) التزويق : التزيين ، وأعوز : تعذر . (٩) جناه : مايجتنيه ، والملق (بالتحريك) : أشد الفقر .
(١٠) الدرس : المندرسات ، والملد : جمع الملداء وهى الملساء . (١١) الجرس (بالكسر والفتح) : الصوت ، والقمرية : من الطير.

وبكى على مَنْ حلّها ومضى   مُسْحَنْكِكُ القُطْرِين مُرْبَدّ (١)
زَجِلًا كأنّ صَلِيلَ هَيْدَبِهِ   زأرتْ وقد رِيعتْ به الأُسْدُ (٢)
أين الّذين على القِنانِ لهمْ   شَرفٌ عزيزٌ بحرُهُ عِدٌّ ؟ (٣)
مُدّوا النعيمَ فحين تمّ لهمْ   سُلِبوه وانقطع الّذى مُدّوا
من كلّ أبناء الدنيّةِ لمْ   يُفلَلْ له فى مطلبٍ حَدُّ
كالّليثِ أبرز شخصه خَمَرٌ   والسّيفِ أعلَنَ مَتْنَهُ غِمْدُ (٤)
ذَعَنَتْ لعزّتهمْ وهيبتهمْ   الشّيبُ فى الأحياء والمُرْدُ
ويسودُ طفلُهُمُ تميمتُهُ   لم تنفصمْ وقرارُهُ المَهْدُ (٥)
ردّوا الخطوبَ فَهُدْنَ ناكصةً   لكنّهمْ للموتِ ماردّوا
وكأنّهمْ من بعدما سكنوا الـ   أجداثَ ما هزَلوا وما جدّوا (٦)
ما نافعٌ جِدّى إلى أمدٍ   جدّ الفتى وقد التوى الجَدُّ (٧)
فَلَئِنْ فُقِدْتُ فإنّ لى كَلِمًا   حتمًا خوالِدَ مالها فَقْدُ
تفرِى البلادَ وما يُحَسُّ بها   عَنَقٌ على دوٍّ ولا وَخْدُ (٨)
من كلّ قافيةٍ مُرَقَّصَةٍ   يشدو بها الغِرّيدُ إنْ يشدُو
وإذا تضوّع نشرُ نفحتِها   قال العَرَارُ تضوّع الرَّنْدُ (٩)

---

(١) المسحنكك والمستحنك : كالمستحلك وهو الأسود ، والمربد : المتغير .

(٢) الزجل : ذو الزجل وهو الصوت ، والصليل : صوت وقع الحديد ، والهيدب من السحاب : المتدلى . (٣) العد (بالكسر) : الماء الكثير .

(٤) الخمر (بالتحريك) : ما وارى من شجر وغيره . (٥) التميمة: خرزة أوما يشبهها تعلقها الأعراب على أولادها لوقايتهم - كما يزعمون - من الإصابة بالعين . (٦) الأجداث : القبور ومفردها الجدث .

(٧) الجد (بالكسر) : الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ والبخت . (٨) تفرى : تشق ، والعنق (بالتحريك) : للخيل الإعجال فى السير ، والدو : المفازة ، والوخد : الجرى السريع .

(٩) تضوع : انتشر وفاح ، والعرار والرند : نبتان طيبا الرائحة .

طلعتْ كشمسِ ضحىً على أفُقٍ بيضـــاء لا يسطيعها الجَحْدُ
وكأنمـــا أغراضُهـا شررٌ فى وهنِ ليـــلٍ شبّها زَنْدُ [1]
سيّارةٌ جَمِحُ الـكلامِ لها سَمحٌ وحُرٌّ فصيحها عَبـــدُ
يُثْنِي عليهـا الحاسدون على إحسانهـــا وخصومُها اللُّدُ
فلوَ اَنَّ جوهرَ لفظهـــا جسدٌ لأضافه فى سِلْـكِهِ العِقْدُ

* * *

وقال فى غرضه له :

عصيتُك والأنفاسُ منِّى هواجرٌ فـكيف ترجّينى وقيظُك باردُ ؟ [2]
صحبتُ السُّرى حتى كسانِي ثِيابه ونَظْمُ درارِيـــهِ علىَّ قلائِدُ
أعانقُ سُمراً غـــيرُهنَّ من الدُّمَى وألثِمُ بيضاً غـــيرُهنَّ الخرائِدُ [3]
ولى حاجةٌ عنـــد الأسنةِ والظُّبا تَهُمُّ بهـــا نفسى فأين المساعدُ ؟
تُعافُ لها الآمالُ وهْىَ نوافقٌ وينفُقُ فيها الموتُ والموتُ كاسدُ [4]
إذا لاكتِ الهيجاءُ فيهـــا نفوسَنا فليس يفوت الشَّرطَ إلّا المجالدُ
مُرادِىَ أنْ تستَلّنِي فى مُلِمَّةٍ فإنّى حسامٌ صـــانه عنك غامِدُ
فتًى يلبسُ الإقدامَ والصّبرُ جازعٌ ويكرع ماء الصَّفْحِ والحِلْمُ حاقدُ
وكم لِىَ من يومٍ عصبتُ به الرّدَى وسمرُ العوالِى للنّفوسِ تُراوِدُ
وما ضرَّ قولُ الـكاشحين وإنّمـــا كلامُ الأعادى للمعالِى مَقالِدُ [5]

---

(١) الوهن: منتصف الليل (٢) الهواجر : جمع الهاجرة وهى منتصف النهار عند اشتداد الحر ، والقيظ : الحر. (٣) السمر : الرماح ، والدمى : جمع الدمية وهى صورة كالتمثال من العاج أو غيره ، والبيض : السيوف ، والخرائد : جمع الخريدة وهى البكر أو الحيية .
(٤) تعاف : تـكره ، وينفق : يروج . (٥) الـكاشح: العدو المبطن لعداوته، والمقالد : جمع المقلاد كالمفتاح وزناً ومعنى.

بقلبي غرامٌ ليس يَشفيه مَنْ أرى ... ألا كلُّ ما يشفي المريضَ العوائدُ
وما ضرّني أني خَليٌّ من الغنى ... وَوَفْرُ العُلا عندي طريفٌ وتالدُ (١)

☆ ☆ ☆

وقال في الشيب (٢) :

بياضك يالونَ المشيبِ سوادُ ... وسُقمُك سُقمٌ لا يكادُ يُعادُ
فقدصرتُ مكروهاًعلى الشّيبِ بعدما ... عَمِرْتُ وما عنـــد المشيبِ أرادُ
فلِي من قلوبِ الغانيـــاتِ ملالةٌ ... ولى من صلاحِ الغانياتِ فسادُ
وما لى نصيبٌ بينهنَّ وليس لى ... إذا هنَّ زوّدن الأحبةَ زادُ
وما الشّيبُ إلّا توءمُ الموتِ للفتى ... وعيشُ امرىءٍ بعدَ المشيبِ جهادُ

☆ ☆ ☆

وقال في الغزل :

رأينا بوادي الرِّمثِ ظَبيَ صريمةٍ ... فصاد قلوباً لم يصِدْهنَّ صائدُ (٣)
تقلّد حسناً زانه في قلوبنـــا ... وأعيننا ما لم تزِنْهُ القلائـــدُ
ولمّا طلبنا الوصلَ لم يكُ وصلُهُ ... لطالبهِ إلّا السُّها والفراقدُ
وما تعرُّدُ إلّا حصًى من غمامةٍ ... وما فرعه في العين إلّا أساودُ (٤)
وقالوا لقلبي خالٍ عنـــه وقادَه ... وما قاده إلّا الصّبابةُ قائدُ

---

(١) الوفر: الكثير الوافر ، والطريف : الجديد ، والتالد : القديم،ومن المال: المكتسب الموروث.
(٢) وردت هذه القطعة في الشهاب « ص ٨٧ » .
(٣) الرمث (بالكسر) : نبت من الحمض ترعاه الإبل،والصريمة : القطعة من الرمل. (٤) فرعه: شعره ، والأساود : جمع الأسود وهو من خبيث الحيات .

وما يلتقي سالٍ وصبٌّ إذا استوى فتًى غيرُ ذي وَجْدٍ وَمَنْ هو واجدُ

* * *

وقال فيه أيضاً :

أُحِبُّ مَنْ ليس حظٌّ في مودّتِهِ وليس إلّا الهوى والهمُّ والكَمَدُ
يسوءهُ أنّه همّي ويُغضِبُهُ أنّي شكوتُ إليه بعضَ ما أجِدُ
ياصاحبي لا تَلُمْني في هوًى هجمتْ به عليَّ الّتي ما ردّها أحَدُ
وافٍ ولم تَسعَ لي رِجلٌ لألْحَقَهُ حِرصاً عليهِ ولم تُمْدَدْ إليه يَدُ
فإنْ يكن لك صبرٌ فيه أو جَلَدٌ فليس لِي في الهوى صبرٌ ولا جَلَدٌ

* * *

وله في مثل ذلك [1] :

ولمّا تفرّقنا كما شاءتِ النّوى تبيّنَ حبٌّ خالصٌ وتودُّدُ
كأنّي وقد سارَ الخليطُ عشيّةً أخو جِنّةٍ مِمّا أقومُ وأقعدُ

* * *

وقال في الشّيب [2] :

صدّتْ أُسَيْماءُ عن شيبي فقلتُ لها لا تنفِري فبياضُ الشّيب معهودُ
عمرُ الشّبابِ قصيرٌ لا بقاءَ له والعمرُ في الشّيبِ يا أسماءُ ممدودُ
قالتْ طَرِدتَ عن اللّذاتِ قاطبةً فقلتُ إنّي عن الفحشاءِ مطرودُ
ما صدّني شيبُ رأسي عن تُقًى وعُلًا لكنّني عن قذى الأخلاقِ مصدودُ

---

(١) ذكره ابن خلكان في الوفيات . (٢) هذه القطعة وردت في الشهاب «ص ٨٤، ٨٥».

لولا بياضُ الضّحى ما نيلَ مُفتقَدٌ ... ولم يَبِنْ مطلبٌ يبقى ومقصودُ
ما عادلَ الصُّبحَ ليلٌ لا ضياء بهِ ... ولا استوتْ فى اللّيالى البيضُ والسُّودُ

* * *

وقال أدام الله علاه فى ذم الدنيا والحث على الزهد فيها :

أفى كلِّ يومٍ لى مُنًى أستجدّها ... وأسبابُ دنيًا بالغُرُورِ أودُّها ؟
ونفسٌ تنزّى ليتها فى جوانحٍ ... لذى قوّةٍ يسطيعها فيردّها (١)
تَعامَهُ عَمْداً وهْىَ جِدُّ بصيرةٍ ... كما ضلّ عن عشواء باللّيل رُشدُها (٢)
إذا قلتُ يوماً قد تناهى جِماحُها ... تجانفَ لِى عن منهجِ الحقِّ «بَعْدُها» (٣)
ولى نَقْدُها من كلِّ شرٍّ «وربّما» ... يكون بخيرٍ لا توفّيه وعدُها (٤)
وأُحْسَبُ مولاها كما ينبغى لها ... وَإِنّى من فَرْطِ الإطاعةِ عبدُها
ترى فى لسانى ما تشاه من التُّقى ... ومِنْ حَسَناتٍ ثمّ فعلِىَ ضدُّها
وأهوى سبيلاً لا أرى سالكاً «بها» ... كأنّىَ أقلاها وَغيرِى يَوَدُّها (٥)
وأنسى ذنوباً لِى أتتْ فات حصرُها ... حسابى وربّى للجزاء يَعُدُّها
أُقِرُّ بها رَغماً وليس بنافعى ... - وقد طويتْ صُحْفُ المعاذيرِ - جَحْدُها
ولمّا تراءتْ لى مَغبَّةُ قبحِها ... وعُرِّىَ عن «دارِ المجازاةِ» بُرْدُها (٦)
تندّمتُ لمّا لم تكن لى ندامةٌ ... فألّا وفى «كَفِّىَ» لو شئتُ ردُّها ؟ (٧)

---

(١) تنزى: تنزى أى تثب (٢) تعامه: تتعامه أى تتردد وتتحير، والعشواء: مؤنث الأعشى وهو الذى يسوء نظره بالليل. (٣) الجماح : الاستعصاء من جمح الفرس جوحاً إذا استعصى وركب رأسه، وتجانف: مال وعدل، وفى (ش) «رشدها» مكرورة فى موضع «بعدها». (٤) نقدها: عطاؤها، من نقده الدراهم ونقد له أى اعطاها إياه حاضرة بلا وعد، «وربما» كذا وردت فى النسخ ولعلها «وعندما». (٥) فى هـ «لها» بدل «بها» (٦) لعل الأصل «رأب المجازاة» أى إصلاحها فى موضع «دار المجازاة». (٧) فى النسخ «كفيك» فى موضع «كفى» وما وضعناه أنسب وإن جاز الالتفات.

وَلَم أرَ كالدّنيــا تصدّ عن الّذى ... يَوَدُّ محبوّها فيحسُنُ صدُّها

وتسقيهمُ منهــا الأُجاجَ مُصَرَّداً ... وكيف بهــا لو طاب للقومِ عِدُّها [1]

تعلّقتهُــا وَرْهاء « للخرْقِ » نسجُها ... وللمنع ما تُعطِى وللحلِّ عقـدُها [2]

يُدالُ الهوى « فيها » مِراراً من الحِجى ... ويقتادُها صُغراً كما شــاء وغْدُها [3]

وما أنصَفتنــا تظهِرُ الصَّفحَ كلَّهُ ... لجانٍ وفيما لا ترى العــينُ حِقْدُها

أراها على كلِّ العيوبِ حبيبــةً ... فيــا لِقلوبٍ قــد حشاهنّ وُدُّها

وحبُّ بنِي الدّنيا الحيـاةَ مسيئــةً ... بهِمْ ثلمةٌ بالنّفسِ أعوزَ سدُّها [4]

ألا يا أباةَ الضّيمِ كيف أطّبا كُمْ ... ـ وغيرُكُم يفترّه الرِّفْدُ ـ رِفدُها [5]

وكيف رجوتمْ خيرَها « وإزاءكُمْ » ... طلائحُ أرْداهنّ بالأمس كدُّها ؟ [6]

وقـد كنتمُ جرّبتمُ غِبّ نفعِهــا ... وجرّعكم كأسَ المرارات شَهدُها

تَعاقَبَ فيكمُ حرُّها بعــد بَردِها ... فمــا ضرّها لو حرُّها ثمّ بردُها [7]

ولو لم تُنِلْكُمْ كارهينَ نعيمَها ... لما ضرّكم كلَّ المضرّةِ جَهــدُها

سقَى اللهُ قلبــاً لم يَبتْ فى ضلوعِهِ ... هواها ولم يطرقْ نواحيهِ « وَجْدُها » [8]

ولم يَخشَ منهــا نحسَهـا فيبيتَــهُ ... على ظمأٍ « إلّا » محيّاهُ سعدُها [9]

تخفّف مِن أزوادها مِلءَ طوقِهِ ... فهــان عليـه عند ذلك فقدُها [10]

* * *

(١) الأجاج : الملح المر ، والمصرد : القليل ، والعد (بالكسر) : الماء الكثير.

(٢) ورهاء : حمقاء ، وفى (س) « الحزن » بدل « الخرق » مصحفة .

(٣) يدال : يعطى الغلبة ، وفى (ه) « منها » فى موضع « فيها » ، والحجى : العقل، وصغراً : ذلا من الصغار وهو الذل ، والوغد : الرذل الدنىء . (٤) أعوز : تعذر (٥) اطباكم (بتشديد الطاء) : دعاكم ، والرفد : العطاء . (٦) فى (س) فى موضع « وإزاءكم » « وإراكم » مصحفة وفى (ه) « وأراءكم » مثلها ، والطلائح : جمع الطليح والطليحة وهى الهزيلة من الإبل المتعبة ، وأرداهن : أهلكهن . (٧) الصحيح تعاقب فيكم حرها وبردها (م.ج.).

(٨) وجدها : شوقها وهواها ، وفى (س) « حدها » محرفة . (٩) فى (ه) « إلى » بدل « إلا » . (١٠) الطوق : الطاقة والوسع .

باب الدال المفتوحة

قال يهنئ أباه الطاهر ذا المنقبتين بعيد الفطر :

سَئِمتُ مقامِى فى الغبينــــةِ مُغْمَدا ... يراوحنِى فيها الملامُ كما غدا (١)
ألا إنّ جارَ الذُّلِّ مَن باتَ يتّقِى ... سِنـــاناً طَريراً أوْ حساماً مُهنّداً (٢)
وما خِيفَـــةُ الإنسان إلّا غبــاوةٌ ... وخوفُ الرّدى للمرءِ شرٌّ من الرّدى
تركتُ الهُوَيْنَى للرّدِىّ وإنّنِى ... إذا غار مُغترٌّ بهـــا كنتُ مُنجِدا (٣)
وأىُّ مُرادٍ لم أنَـــلْهُ بعزّةٍ ؟ ... فأنفسُ حظّى منــه أنْ يتبعّــدا
وما شَعَفِى بالحــرب إلّا لأنّنِى ... أرى السّيفَ أهدى والكريهةَ أقصَدا (٤)
سقى اللهُ قلبِى ما أعَفّ عن الهوى ... وأقْسى على نأْىِ الحبيبِ وأجْـلَدا
وإنِّى متى ضنّ الصّديقُ بقربهِ ... أكنْ منه أسخى بالبِعاد وأجْوَدا (٥)
أرى الهمّ يرمِينِى إلى كلِّ غايةٍ ... ومَن لِى بأنْ ترضَى هوىً مَقصَدا
لَعَلِّىَ أنْ ألقى مِنَ النّاسِ واحــداً ... يكون على حُرِّ المطالبِ مُسعِــدا
وهيهاتَ ، أعيـــا العزُّ كلَّ مُغامرٍ ... وأفْنَى على الدّنيـــا مسوداً وسيِّدا
إذا اللهُ لم يُــدنِ الفتَى مِن مُرادِهِ ... فمـــا زاده الإقـــدامُ إلّا تبعُّدا
وسرٍّ حجبتُ النّاسَ عنــه كأنّما ... قذفتُ به فى لُجّة البحر جَلْمــدا
وداريتُ عنــه صاحِبِى وهْوَ دائبٌ ... ينازعه عَرْضُ الحــديثِ إذا بدا

(١) الغبينة : الخديعة . (٢) السنان : الرمح ، والطرير : المحدد . (٣) الهوينا : الذل ، وغار : دخل الغور وهو الأرض الهابطة المنخفضة ، والنجد : العالية . (٤) الشعف بالعين « محركة » : كالشغف وهو الحب والوله ، وشعفه الحب إذا غشى قلبه ، والكريهة : النازلة والشدة فى الحرب ، وأقصد : أرشد وأقوم . (٥) ضن (بالضاد) : بخل .

عذولىَ ما أخشى جنايةَ كاشحٍ — إذا الحزمُ وارانى خفيتُ عن العِدى
لحا اللهُ هــذا الدهرَ تأتى حظوظهُ — خطاءً ويَغشى ضيمُه متعمّدا
إذا نِلتُ منه اليومَ حالاً حميدةً — أبىٰ فتقاضانى ارتجاعَها غدا
تنقّلنا الأيامُ عن كلِّ عادةٍ — وتُبدلنا من موردِ العيشِ موردا
ولو كنت موفورَ الحياةِ من الأذى — على نَبَواتِ الدهرِ كنتُ مخلّدا
وهوّنَ ما ألقىٰ من الدهرِ أنه — تعمّدنى بالغدرِ فيمنْ تعمّدا
وليستْ حياةُ المرءِ إلّا شرارةً — ولابدَّ يوماً أنْ تناهى فتخمُدا
أما ووجيفِ العِيسِ تنضو شفاهُها — لُغاماً تحلّاهُ الأزمّةُ مُزبدا (1)
ونهضةِ أبناءِ اللقاءِ لِخُطّةٍ — تجرُّ حِماماً أو تقلّدُ سُؤددا
لقد ألصَقتنى «بالحسين» خلائقٌ — أعدْنَ قديمَ المجدِ غضّاً مجدّدا (2)
هو المرءُ إنْ قلَّ التقدّمُ مُقدِمٌ — وإنْ عزّ زادٌ فى العشيرةِ زوّدا
أبيٌّ على قولِ العواذلِ سمعُهُ — إذا أعرضوا دون الحفيظةِ والندا (3)
وأروعَ من آلِ النبيِّ إذا انتمى — أصابَ عليّاً والداً ومحمّدا (4)
«كرامٌ» سَعَوْا للمجدِ من كلِّ وُجهةٍ — كما بسطوا فى كلِّ مَكرُمةٍ يدا (5)
وما فيهمُ إلّا فتًى ما تلبّستْ — به الحربُ إلّا كان عَضْباً مجرّدا
وقاؤُك من صَرْفِ الردى كلُّ ناكلٍ — إذا صدمتْهُ النائباتُ تبلّدا
جَرِىءٌ إذا ما الأمنُ أخلى جَنانَهُ — فإنْ رابه ريبٌ تولّى وعرّدا (6)
وأنتَ الذى لايثلمُ الرعبُ «شدَّه» — وقد لفّتِ الخيلُ السوادَ المشرّدا (7)

---

(1) العيس : الإبل مذكرها أعيس ومؤنثها عيساء ، واللغام : الزبد يخرج من أفواهها .
(2) الحسين : يعنى والده الطاهر الأوحد وقد مرت ترجمته فى مقدمتنا للديوان.
(3) الحفيظة : الذمام ، والندا : العطاء .   (4) الأروع : السيد الحسن الرواء .
(5) فى (هـ) «أناس» فى موضع «كرام» .   (6) الجنان (بالفتح) : القلب ، وعرد : هرب .   (7) شده : حملته من شد على العدو إذا حمل ، وفى (هـ) «شعبه» محرفة وفوقها تصحيح لها «شده» .

وكنتَ متى لاذتْ بنصرك بلدةٌ ... ضممتَ إليها قَطْرَةَ أسْحَمَ أربَدا [1]
رجالاً كأمثال الأسنّةِ « رُكَّزا » ... وخيلاً كأمثالِ الأعنّةِ شُرَّدا [2]
ولا أمنَ إلّا أنْ تُردَّ « صدورُها » ... من الطّعنِ يسحبن القنا المتقصّدا [3]
طوالعَ من ليلِ العجاجِ كأنّما ... زَحَمْن الدُّجى عنهنّ حتى تقدّدا [4]
وقد سلب الإقدامُ لونَ جلودها ... وألبسها بالطّعن ثوباً مورّدا
ويومٍ طردتَ العُدْمَ عنه كأنّما ... طردتَ به جنداً عليك مجنّدا [5]
ولم تُلقَ إلّا باسطاً من يمينه ... ببذلِ الندى أوضاربا فيه موعدا
هنيئاً لك العيدُ المخلّفُ سعدُهُ ... عليك من النعماء ظِلّاً مُمدّدا
ولا زلتَ فيه بالغاً كلّ إرْبةٍ ... ولا زال مكروراً عليك مُردَّدا [6]
تهبُّ رياحُ الجوِّ حولك كلُّها ... نسيماً ويطلعن الكواكبُ أسْعُدا

* * *

وقال أدام الله علوه [في الزهد] :

قلْ للذى راح بعزٍّ واغتدى ... يسحبُ منه مِطْرَفاً مورّدا [7]
صنيعَ مَنْ يطمعُ أنْ يُخلَّدا ... جمعتَ ما لا بدّ أنْ يُبدّدا
إنْ لم يزُلْ فى يومهِ زال غدا ... ياجامعاً لغيره مُحتشِدا
نَضَدتَ مالأهل نَضَدتَ أمَدا ؟ ... سيّانِ مَنْ سار يجرّ العَدَدا

---

(١) الأسحم : الأسود ، والأربد : ما فيه ربدة وهى الغبرة .
(٢) فى (س) و (هـ) « ركدا » بالدال بدل « ركزاً » . (٣) فى (هـ) « صدودها » مصحفة عن « صدورها » ، والمتقصد : المتكسر . (٤) زحمن : دفعن وضايقن ، والدجى : الظلام ، وتقدد : تشقق . (٥) العدم : الفقر . (٦) الإربة والأرب : الحاجة يريد الإنسان قضاءها .
(٧) المطرف (بضم الميم وكسرها) : رداء من خز مربع ذو أعلام .

ومن يَظِلّ واحــــداً مُنفردا   كلاهما مفارقٌ ما وَجــــــدا

« وصائرٌ » ما يقتنيه قِدَدا   وإنْ أتاه حَتفُه لا يُفتَدى [1]

هيهـاتَ ما أغفلنا عن الهُدى   وأوضحَ الحقَّ لنا لو قُصدا !

كم نركبُ الوَعْرَ ونفرِى الجدَدَا   ونأخذُ الغىَّ ونُلقِى الرَّشَدا !

وكم يرى الراءون فينـــا الأَوَدا   قد آن فى زهيدنا أنْ نزهــدا

وبعد جورٍ قد مضى أنْ نقصِدا   وأنْ نُرى عن الدّنايا حُيَّــــدا

صَبراً عن الوِرْدِ وإنْ طال الصَّدى   إنْ فاتنِي « العِدُّ أبيتُ » الثَّمَدَا [2]

ولستُ أرضَى بالهجــانِ النَّقَدا   أما ترى زمانَنا ما أنــكدا ؟ [3]

كأنّنا إذا سألنــــاه الجِــدا   نُزْحِلُ نـــــه بازِلًا مُقيَّدا [4]

أو نجتلِي الشّمسَ بعينَىْ أرْمَــدا   أوْ نمترِى النّارَ بزندٍ أصلَدا [5]

وصاحبٍ أيقظنِي ورَقَــــدا   ورام أنْ يصلحنِي « فأفسدا » [6]

يحسُدنِى ولا أرى أن أحســدا   بات يُلاحينِي على بذلِ النّدا [7]

فقلتُ لمّــــا لامنِي وفنّدا   مصوِّباً وتارةً مُصعِّـــــدا [8]

أليس عدْلًا بالفتى أنْ أحْمَــــدا   بِتْنا بذاتِ العَلَمين سُهَّدا ؟ [9]

نرقُبُ فى ليلٍ طويلٍ أسودا   كأنّما ذرَّ علينـــا الإثمِدا [10]

---

(١) فى النسخ « وطائر » فى موضع « وصائر » الظاهر تحريفها عما أثبتناه وقددا : فرقا، والحتف : الهلاك. (٢) العد (بالكسر) الماء الكثير وفى (ش) « أتيت » فى موضع أبيت » : وفى (س) « العذب » فى موضع « العد » . (٣) الهجان : جمع الهجينة من الخيل ما ولدتها برذونة من حصان، النقد (بفتحتين) هنا : ضرب من الغنم قصير الأرجل قبيح الشكل ، (٤) الجداء (بالكسر) : العطاء ، والبازل : البعير أو الناقة يبزل نابها أى ينشق بدخولها فى السنة التاسعة .

(٥) نجتلى : ننظر، ونمترى : نورى وتقتدح من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن، والزند : العود الذى تقتدح به النار ويكون من خشبتين العليا تسمى زند على زنة ورد والسفلى زندة ، والأصلد من الزناد ، مالا يتقدح . (٦) فى (ه و س) « فقسدا » بدل « فأفسدا » . (٧) يلاحينى : يقرعنى باللوم ، وهذا البيت ساقط من نسخة « س » . (٨) فند : كذب. ومصوبا : جاداً ، ومصعدا : رافعا . (٩) ذات العلمين : موضع . (١٠) الإثمد : حجر يكتحل به .

أوْ كانَ بالطّولِ لِزاماً سَرْمدا ... جْراً كمصقولِ الغِرارِ جُرِّدا (1)

كأنّمـــا الأُفقُ به إذا بدا ... حالُ لُجينـــاً لونُهُ وعَسجدا (2)

وإنّما « ننشد » أوْتارَ العِدَى ... بكلِّ عُريانِ العِذارِ « أمْرَدا » (3)

ذِي همّـةٍ لمْ ترِمِ إلاّ صُعُدا ... إذا احتذى بالحدّ يوماً وارتدى (4)

ومـــدّ بالبيضِ أوِ السُّمرِ يدا ... لمْ يَدنُ من حيزومه خوفُ الرّدى (5)

أسؤددا ولا أرومُ سؤدُدا ... وما قضيتُ في الأعادِي موعِـدا ؟

ولمْ أرِمْ طولَ الحيـــاةِ البلَدا ... مجتمعاً أحسَبُ هِمّاً صَرِدا (6)

مُزَمَّـــلاً بكلّ وِترٍ مُكْمَدا ... موطّئـاً للمُثقلاتِ الكتَـدا (7)

مَنْ شاء أنْ يعدُوَ في ما لِي عـدا ... نَهْضاً فقد أمكن ألّا تقعُدا

وأسْتلّ للفرصـةِ نَصْلاً مُغمَدا ... ورِدْ حيـاضَ العزّ فيمن وردا

فمنْ بغَى المجدَ « بجـدٍّ » أيّدا (8)

* * *

وقال في أبي سعد عبد الرحيم يهنئه بتحويل سواده

في شوال من سنة « ٤٢٨ » :

أمَا رأيتَ ضُحَيًّا ... أُدْمَ الرّكائب تَحدِى

---

(١) الغرار (بالكسر) : حد السيف. (٢) اللجين : الفضة ، والعسجد : الذهب.

(٣) ننشد : نطلب ، وفي (س) « ننشر » مصحفة ، والأوتار: الثارات ،مفردها الوتر ،وفي (م) «فردا» محرفة عن « أمردا » ، والعذار (بالكسر): جانبا الوجه أو شعره النابت فيهما .

(٤) الصعد : العلو. (٥) الحيزوم : الصدر . (٦) أرم : أفارق من الفعل رام يريم المحل أي فارقه وفيه أقام ، فهو من الأضداد ، والهم (بالكسر) : الشيخ الفاني ، والصرد : الذي يشعر بالبرد سريعاً والفعل صرد كفرح . (٧) مزملا : ملتفا ، والوتر : الثأر ، والمكمد : المحزون ، والمثقلات : الرزايا ، والكتد (بفتحتين) : ما بين الكاهل والظهر .

(٨) في (س) « بعز » في موضع (بجد).

يُرِدْنَ نجداً وما اشتا … قَ مَن عليهنّ نجدا
وفوقهنّ وجوهٌ … مثلُ النجومِ تبدّى
يَغرُبن « بدراً » و يطلُعْـ … نَ بالإيابة سعدا [1]
وقد تجلّدتُ حتّى … يخالَني القومُ جَلْدَا
وما رَدِيتُ وممّا … أودّ أنّى أردى [2]
قل للقِلاصِ خفافاً … يَخِدْنَ بالظّعنِ وَخْدا [3]
تخالهنّ سِراعاً … رُبْداً يبارِين رُبْدا [4]
بِنْ حملتَنّ وجدِى … وما حملتنّ وجْدا ؟
حلفتُ بالبيتِ جاءوا … إليه رَكْضاً وشدّا
مطوّفين عليه … تُقًى كهولا ومُرْدا
والواردين ظماءً … من ماء زَمزَمَ رَغْدا
والبائتين بجَمْعٍ … لاقين فى الله جُهْدا [5]
يُقلِلْنَ من مَرْوِ جَمْعٍ … للرّمي زوجاً وفَرْدا [6]
لهمْ أناملُ عِيضتْ … من جِلدها ثمّ جِلْدا
و بالنحائرِ تُلْقَى … عند الجمارِ فتُرْدَى [7]
تُهدَى إلى اللهِ بِرّاً … والبِرُّ للهِ يُهدَى
وواقفِي عَرَفاتٍ … يرجون للهِ رِفْدا [8]

---

(١) فى الأصل « بينا » الظاهر تحريفها عما أثبتناه .

(٢) رديت : هلكت . (٣) القلاص : جمع القلوص (بالضم)، والقلص : جمع القلوص (بالفتح) وهى الناقة الشابة ، ويخدن : يسرعن من الفعل وخد أى أسرع. (٤) الربد : جمع الربداء وهى النعامة .

(٥) جمع : موضع بمنى (المزدلفة) . (٦) المرو : الحصى (٧) النحائر : جمع النحير والنحيرة وهو ما ينحر أى يذبح ، والجمار : مواضع قذف الجمرات بمكة المكرمة . (٨) الرفد : العطاء .

ماأنْ ترى ثَمّ إلّا ربّاً لعبدٍ وعبدا
عدّوا الّذى كان منهمْ واستنفروا منه عدّا
لقــد خلفتُ ألوفاً للنّاس عهداً ووُدّا
وما تعاطيتُ هَزْلا ولا نعافيتُ جِـدّا[1]
ولا صددتُ بوجهى عمّنْ جنى لىَ صدّا
ولا تجاوزت قصداً ولا تعدّيتُ حــدّا
ولا وهبتْ وداداً وسُمتُ مُعطاه ردّا
قل للوزير أبى سعــدِ الّذى جاءَ مَجْدا
يا أوثقَ النّاسِ عقـداً وأعذبَ النّاسِ وِرْدا
لا راعهمْ منك بينٌ ولا رأوْا منك بُعْدا[2]
فمـا استطاعوا لفضلٍ آتاكَ ربُّك جَحْدا
(٣)
. . . .
سلّوك طوراً ولـكنْ للسّلّ صانوك.. غِمْدا
فإنْ ضَرَبْتَ فماضٍ قدّ الضّريبـةَ قدّا[4]
مازلتَ فيهمْ سِنـاناً للرّمح والسّيف حدّا
وما أردتَ على الهَوْ لِ نَجْدَةً منك جُندا

(١) تعافيت : كرهت من عاف الشىء إذا كرهه وتركه . (٢) راعهم : أفزعهم وأزعجهم. والبين : الفراق . (٣) فى موضع النقط البيت التالى وهو محرف :

وقد أراعــوا ولـكن يصــدا وما أنت تصدا

ولعل أصله :

وقد أراغـــوا ولـكن قصــداً وما مِلت قصداً

وأراغ: طلب الشىء على وجه المكر والخديعة ، والقصد: الطريق المستقيم . (٤) قد : قطع والقد يكون قبل القطع ، والضريبة بمعنى الفريسة المضروبة .

فإنْ رَمَوا كنتَ تُرساً   وإنْ ورَوْا كنت زندا[1]
وإن دَجَوْا كنت صُبحاً   وإن صَحَوْا كنت بَرْدا[2]
خذْ ماءَ كفّيك من عا   مِكَ الّذي جاء رِفْدا
وما وُعدتَ به خـذْ   ومن يد الدّهرِ نَقْدا
ما كنتَ تمطُلُ وَعْداً   فكيف تُمطَلُ وعْـدا ؟
واستشعرِ النُّجْحَ دِرْعاً   والبسْ من اليُمْنِ بُرْدا
وعشْ فما العيشُ إلاّ   ما كان رحْباً ورَغْـدا
يُزاحُ بابُكَ فينـا   قصداً إليـه ويُغدَى
واخـلدْ فخُلدُك أوْفَى   منّا علينـا وأجْدَى
ولا يزلْ نيوبُ الـ   خطوبِ حولكَ دُرْدا[3]
ولا رأينـا لشيءٍ   نهواه عنـدك فَقْدا

* * *

وقال يجيب العميد أبا بكر القهستاني[4] عن قصيدة وردت منه :

أبَتْ زفراتُ الحبِّ إلّا تصعُّـدا   ويأبَى لهيبُ الوجْـدِ إلاّ توقُّدا
ولم أرَ مِنْ بعـد الّذين تشرّدوا   لأعينـنا إلاّ رُقاداً مشرّدا

---

(١) الترس : الصفحة المستديرة من الفولاذ يحملها الفارس المحارب لاتقاء الطعن والضرب. (٢) دجوا : أظلموا . (٣) الدرد : جمع الدرداء والأدرد وهاوصفان لسقوط الأسنان . (٤) هو على بن الحسين القوهستانى من أهل قوهستان (معرب كوهستان) ومعناها موضع الجبال وموقعها بين هراة ونيسابور وهى عدة مدن، وأبو بكر العميد المذكور أديب فاضل له شعر حسن مدح ببعضه القادر بالله العباسى وكاتبه أبا طالب بن أيوب « عميد الرؤساء » وكان قد اتصل فى أيام السلطان محمود بن سبكتكين بولده محمد بن محمود أيام تقلده خوزستان ، قال عنه ياقوت فى معجم الأدباء « إنه ولى الولايات الجليلة وله أشعار فائقة ورسائل رائقة وكان كثير المزاح فى اللهو والمراح له فى ذلك خاطر وقاد » وكان كريماً جواداً ورد إلى بغداد فى أوائل سنى نيف وعشرين وأربعمائة ثم خرج منها وذلك فى غضون سنة « ٤٣١ » واتصل بالملوك السلجوقيين المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل ونال الحظوة عندهم ولم يذكر لنا ياقوت سنة وفاته ولا مولده (راجع معجم الادباء طمصر ج ١٣ ص ٢١ ــ ص ٣١) (ر.س.)

تذكّرتُ بالغَوْرين نجــداً ضلالةً ... ومن أين ذكرى غائر الدّار مُنجدا ؟[1]
مضى البينُ عنّا بالحيــاة وطيبها ... فلم يبق بعد البين شىء سوى الرّدَى
فقلْ للّذى ينوى الفراقَ وعنــدَه ... بأنّى مطيقٌ فى الفراق التجــلّدا
وَعَدْتَ ببينٍ يسلبُ العيشَ طيبَــه ... فما كان ذاك الوعــد إلّا توعّدا[2]
وما كان عندى أن يُفرَّق شملُنــا ... ويبعُدُ عن دارى العميــدُ تعمّدا
وما سرّنى أنْ سرتَ عنّى وأنّنى ... مقيم بأرضى أو تغيبَ وأشهــدا
سيرحمنى مَن كان بالأمس حاسدى ... وما عادَلَ المرحومُ فيـك المُحسَّــدا
وأبقىْ وحيداً بعد أنْ كنتُ ثانيــاً ... ومَنْ ذا بُعَيْدَ الأنسِ يرضى التوحّـدا ؟
وما زلتُ دهراً بالتفرّقِ قانعــاً ... فمــا زلتَ بى حتّى كرهتُ التفرّدا
هززتُك سيفاً ما أنثنىْ عن ضريبــةٍ ... مضاء كما أنّى نَقدتُك عَسجــدا[3]
وكان الّذى بينى وبينك كلّــهُ ... وداداً وفى كلّ الرّجالِ توَدُّدا
فإنْ لم يكن سِنْخٌ يؤلّفُ بيننـــا ... فقد ألّفَتْ فينـا المودّةُ مَحتِــدا[4]
ومَنْ قرّبتــه دارُ وُدٍّ مُصَحّحٍ ... إلىّ فلا كان المقرّبُ مولِدا
وما كنتُ أخشىْ أنّنى فيك أبتـلى ... وتخرجُ عن كفّى منــك المهنّدا
وأُسقىْ بك العذبَ النّمــيرَ وينثنى ... فراقُك يسقينى الأُجاجَ المصرّدا[5]
ولو « لم ترُحْ عنّى » لمـا كنتُ بالّذى ... أبالِى بناه راح عنّىَ أو غــدا[6]

---

(١) الغوران : مثنى الغور وهو اسم موضع وأصل الغور ما انهبط من الأرض ، والغائر المنجد : المترحل . (٢) البين : الفراق ، والتوعد : التهديد بالشر والوعد يكون بالخير ومنه قول الشاعر:

وكنتُ إذا واعدته أو وعدته ... أُنجزُ ميعادى وأُخلِفُ موعدى

(٣) الضريبة : الفريسة المضروبة ، ونقدتك: اختبرتك، والعسجد : الذهب. (٤) السنخ: الأصل ، والمحتد مثله . (٥) النمير : المستساغ من الماء عذباً كان أو غير عذب ، والأجاج : الملح المر ، والمصرد : القليل . (٦) لعل الأصل « لم ترم عنى » أو « لم ترم منى » أى لم تفارقنى ولم تبرح ، قال الشاعر :

أبانا فلا رمتَ مِن عنــدنا ... فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ

أى لم تبرح (م . ج .) ، والنائى : البعيد .

وقد زادنى منـــك النّظامُ كأنّه ... رياضٌ بأعلى الحزْنِ جاد لها النّدى [1]
وقلّدنى منّـا وما كنتُ قبـــلَه ... وجدّك مابين الرّجالِ مُقـلّدا [2]
ولو أنّنى أنشدتُه نغمـــاً به ... مع الصّبحِ أطربتُ الحمامَ المغرّدا
كأنّىَ لمّـــا أنْ كرعتُ زلاله ... كرعتُ زلالاً من سحابٍ على صدى [3]
فخـــذه كما شاء الودادُ وشئتَه ... نظاماً على مرّ الزّمانِ منضّـــدا
هو المـــاء طوراً رقّةً وسلاســـةً ... وإنْ شئتَ طوراً قوّةً كان جلْمدا
ولمّـا دعوتَ القولَ منّى سمعتـــه ... وكان لمنْ يبغيـــه نسْراً وفرقدا [4]

* * *

وقال وكتب بها إلى الأجلّ سعد الأئمة أبى القاسم حين بلغه موت ابنه أبى محمد معتمد الحضرة يعزيه عنه وذلك فى صفر سنة « ٤١٧ » :

هذى المصيبةُ ما أبقتْ لنـــا أبداً ... صبراً عليها ولاخلّتْ لنـــا جَلَدا
جاءتْ ولا همَّ فى قلبى ولا كَمَدٌ ... فلم تدعْ فيـه إلاّ الهمَّ والكـمَـدا
ياسعدَنا لم يجِـد فيك الزّمانُ وقد ... بلاكَ موضعَ إخشاعٍ وقد وجـدا
انظر إلى الدّهرِ لمّـا أنْ ألمَّ بنـا ... من أىِّ بابٍ إلى مكروهنا قصـدا
جبَّ السّنام الذى كنّـا نصولُ به ... فما أفادَ بأنْ أبقى شوًى ويدا [5]
أنـكى بأفرسِ مَنْ ناجيتُه قدرٌ ... جارٍ وأفرسِ مَن حاذرتُ منه ردى [6]
والموتُ إنْ لم يزرْ يوماً فى غدهِ ... والمرء إنْ لم يرُحْ سعياً إليه غـدا

---

(١) الحزن (بالفتح) : ما غلظ من الأرض . (٢) وجدك : وعظمتك ، ومنه قوله تعالى: « تعالى جد ربنا » أى عظمته ، ويجوز أن يكون قسمه بالجد الذى هو أبو الأب وكلاهما جائزان .
(٣) الصدى : الظمأ . (٤) النسر : كوكبان يسمى أحدهما الطائر والآخر الواقع ، والفرقد: نجم أيضا . (٥) جب: قطع ، والشوى : الأعضاء . (٦) أنـكى : من النكاية وهى الإيقاع ضرباً وقتلا .

لو يستطيع الّذى يهوى البقاء له   فداءه بالّتى فى جنبه لفدى
ولو أطاف الّذى قيدتْ مشافرُهُ   إلى ورودِ حياضِ الموتِ ماوردا [1]
وما أرى الصّبرَ لى رأياً فأسألهُ   والقصدُ يُغْرى به مَن كان مقتصدا [2]
ولستُ أرضى له قولًا وفى كَبِدى   جمرُ المصيبةِ ما أغضى ولا خمدا
فإنْ أفقتُ فعندى كلُّ قافيةٍ   تترى وقد ضمن الإنجازَ من وعدا

٭٭٭

وقال فى النسيب :

سقانى ولم أستسقِهِ فضلَ خيرهِ   فلم يسقِنى إلّا الذُّعافَ المُصرّدا [3]
ومازال يدعونى إلى دارِ وصلِهِ   فلمّا دنوتُ الدّارَ ولّى وعرّدا [4]
فماذا على مَن خانَنى فى ودادِهِ   إذا لم يكنْ منه الودادُ تودّدا
ولو كان يجنى مخطئاً لعذرتُهُ   ولكنّه يجنى علىَّ تعمّدا
وإنّى ممّنْ إنْ نبا عنه منزلٌ   وأنكرَ مثواه نآه فأبعدا

٭٭٭

وقال وكتب بها إلى صاحب له :

فخراً فإنّك من قومٍ إذا افتخروا   مدّوا إلى كلِّ نجمٍ فى السّماء يدا
مُحسّدين وهذا الفضل مَرْقَبةٌ   تجرّ قِدماً على طُلّاعها الحسدا [5]
لمّا رأينا سجاياً منهمُ سُمعتْ   كأنّنا مارأينا منهمُ أحدا

٭٭٭

(١) المشافر : الشفاه .   (٢) القصد : الرشد .   (٣) الذعاف : السم، والمصرد : الخالص .   (٤) عرد : هرب .   (٥) المرقبة : مؤنث المرقب وهو الموضع يرتفع عليه الرقيب .

وقال فى الغزل :

سقى اللهُ الّتى طردتْ وسادى ... وكانتْ لِى معاصمُها وسادا
جلعتُ وقد خلعتُ نجادَ سيفى ... غدائرَها لعاتِقِىَ النِّجادا (١)
فإنْ يكُ مُنْصُلِى عَضْباً حَديداً ... فإنَّ لحسنها نُصُلًا حِدادا
فما أدرِى وقد قضّيتُ نحْبِى ... أغيًا كان ذلكَ أمْ رشادا ؟

* * *

وقال فى الشيب :

تلومُ وقد لاحتْ طوالع شيبتى ... وما كنتُ منها قبل ذاكَ مُفنَّدا
فحسْبُكِ من لومى وإلّا فبعضُه ... فما أبيضَ إلّا بعضُ ما كان أسودا
ولا تُلزمينى اليوم عيباً بصبغةٍ ... «ستكتسبيها» إنْ بقيتِ لها غدا (٢)
ولو خلّدتْ لى حالةٌ معْ «تولّع» الـ ... ـليالى بأحوالى لكنتُ المخلّدا
ولو لم أشِبْ أو تَنتقِصْنِىَ مُدّةٌ ... لكنتُ على الأيّامِ نَسْراً وفرقدا (٣)
وإنّ المشيبَ فِدْيَةٌ من صغيرةٍ ... أبيتُ بها صِفراً من النّاسِ مفردا
أُوَسّدُ بالصُّفّاحِ لا مِنْ كرامةٍ ... وإنّى غنىٌّ وَسْطَها أن أُوَسّدا (٤)
فلا تنفرِى يا نفسُ يوماً من الرّدى ... فما أنتِ إلّا فى طريقٍ من الرّدى

* * *

---

(١) النجاد : حمائل السيف ، والغدائر : جمع الغديرة وهى الخصلة من الشعر تتدلى على الصدر ، والعاتق : موضع نجاد السيف من الكتف . (٢) الوجه « ستكتسبينها » (م . ج .). ولعلها « ستكتسبين فيها » فإنها أقرب إلى الصحة . (٣) النسر : نجمان : أحدهما يسمى الطائر والآخر الواقع . (٤) الصفاح : حجارة عراض دقاق تبلط بها القبور .

وقال (أدام الله علوه) يرثي والدة الشريف أبي محمد « فتاه » (رحمها الله ورضي عنها وأرضاها[1]):

ألا هلْ أتاها كيف حُزنِيَ بعدها … وأنَّ دموعي لست أملك رَدَّها ؟
تفيض على عينٍ « مَرى » الوجدُ ماءها … ولم تستطعْ أنْ يغلِبَ الصَّبرُ وجدَها[2]
غزيرةُ أنواءِ الجفونِ كأنَّها … تناهتْ إلى بعض البِحار فمدَّها[3]
وقد كنتُ من قبل الفراق أهابُه … كما هابَ ظِلْمانُ الصَّريمةِ أُسْدَها[4]
وأُشفِقُ مِمّا لا محالةَ واقعٌ … وهلْ للمنايا قادرٌ أن يردَّها ؟
كأنِّيَ لمّا أنْ سمعتُ نعيَّها … أناخ على الأحشاء فارٍ فقدَّها[5]
ولم أستطعْ في رُزْئِها عَطَّ مُهجتِي … وأجللتُه عن أنْ أُمزِّقَ بُردَها[6]
ومما شجاني أنني لم أجِد لها … على خبرتي شيئاً يهوِّن فقْدَها
وأنِّيَ لمّا أن قضى اللهُ هُلْكَها … على قلبيَ المحزونِ بُقِّيتُ بَعْدَها
حنى يومُها الغادِي كهولَ عشيرتي … على جَلَدٍ « فيهمْ » وشيَّبَ مُرْدَها[7]
وحطَّ الرِّجالَ الشُّمَّ من كلِّ شامخٍ … يلاقون بالأيدي من الأرض جِلْدَها
وقلَّص عنها العزَّ ما فُدِحتْ به … فتحسبُ مولاها من الذلِّ عبدَها
فكم كَبِدٍ حرَّى تقطَّع حسرةً … وكم عبرة قد أقرح الدَّمعُ خدَّها
حرامٌ ـ وقد غُيِّبتِ ـ عنِّيَ أنْ أرى … من الخلق إلَّا « نظرةً لن أودَّها »[8]

---

(١) ما حصر بين قوسين ساقط من نسخة (س) و « فتاه » كذا ورد في النسخ وقد تعرضنا لذكر ذلك مفصلا عند كلامنا على عقب المرتضى في ترجمتنا للشريف فلتراجع

(٢) مرى : اعتصر من مرى الناقة أي مسح ضرعها لتدر اللبن ، وفي (س) « ترى » مصحفة.

(٣) أنواء الجفون : دمعها ، وأصل الأنواء هي مساقط النجوم المشعرة بسقوط المطر ومفردها نوء . (٤) الظلمان (بالضم والكسر) : جمع الظليم وهو ذكر النعام ، والصريمة القطعة من معظم الرمل . (٥) الفاري : الشاق ، وقدها : شقها . (٦) العط : الشق :

(٧) في (هـ و ش) « منهم » بدل « فيهم » . (٨) في (س) « نظرة لن أردها » وفي « هـ » « لم أودها » وفي (ش) « قطرة » في موضع « نظرة » مصحفة .

وسيّانِ عنــدى أنْ حَبَتْنى خريدةٌ ... بوصلٍ يُرجّى أو « حَبَتْنِيَ » صدَّها[1]

وهيهات أن أُلفى أُرقِّحُ صَرْمَةً ... وأطلبُ من دار المعيشةِ رَغْدَها[2]

ومن أين لى فى غيرها عِوَضٌ بهـــا ... وقد أحرزتْ سُبْلَ الفضائلِ وحدَها ؟

أسامُ التسلِّى وهو عنِّى بمعزلٍ ... وكيف تُسامُ النفسُ ما ليس عندها ؟

وبين ضلوعى يا عــذول نوافذٌ ... أبى العَذْلُ والتأنيبُ لِى أنْ يسدّها

وَوُدّى بأنّ الله يومَ اُخترامها ... تخرّم من جنبىَّ ما حاز وُدّها[3]

وإنِّىَ لمّا غالهـــا الموتُ غالنِى ... فبعداً لنفسى « إذْ » قضى الله بُعدَها[4]

أفى كلِّ يومٍ أيّهـــا الدّهرُ نـكبةٌ ... تـكدُّ حيازيمى فأحمل كدَّها ؟[5]

بلغتُ أشُدِّى ـ لا بلغتُ ـ وجزتُهُ ... وأعجلتَها من أنْ تجوزَ أشُدَّها[6]

فعزتُ بأسنى ما حَوَتْهُ رواجبِى ... وجاوزت فى أمِّ المصيباتِ حدَّها[7]

فياقلبُ لِمْ أنتُ الجليدُ كأنّمـــا ... تحادثك الأطماعُ أنْ تستردّها ؟

وما كنتُ أهوى أنك اليومَ صابرٌ ... ويدعوك فتيـــانُ العشيرةِ جَلْدَها[8]

أليس فراقاً لا تلاقىَ بعـــدَه ... وغيبـــةَ سَفْرٍ لا يرجّون وفدَها ؟

ألا فالبسْ الأحزانَ لِبســـةَ قانعٍ ... بأثوابه لا يبتغِى أن يُجِـــدَّها

وصمَّ عن المغرين بالصّبرِ ، إنّهمْ ... يطفُون ناراً ألهبَ اللهُ وقدَها

وقبلكَ ما نال الزّمانُ مُعلّقاً ... بأجبالِ رضْوى « يرتعِى ثَمّ مَرْدَها »[9]

« تواعَدَ » فى شمّـــاء يرقُبُ مُزْنةً ... تصوبُ عليــه أعــذبَ اللهُ وِرْدَها[10]

---

(١) الخريدة : البكر الحسناء .

(٢) أرقح : أصلح ، والصرمة : القطيعة . (٣) اخترامها موتها والاخترام : الاستئصال ، وتخرم : بمعنى اخترم أيضا . (٤) فى (س) (أن) بدل (إذ) . (٥) الحيازيم : جمع الحيزوم وهو الصدر ، وتـكد : تطلب . (٦) الأشد (بضم الشين) : القوة ، وبلوغه من العمر ما بين ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين . (٧) الرواجب : جمع الراجبة وهو عقد الإصبع والمقصود بها هنا الأيدى من باب اطلاق الجزء على كله ، وأم المصيبات : المنية .

(٨) الجلد : الصابر. (٩) فى (س و هـ) « يرتقى » محرفة عن « يرتعى » ، والمرد : ثمر الأراك .

(١٠) فى (هـ) « تراعد » بدل « تواعد » .

وتلقاه خِلواً لا يطالع رِيبةً ... ولا يتّقِي خِطْء اللّيالِي وعَمْدَها

وداه الرّدى أفنى ظباء سُوَيقةٍ ... وطيّر عن «أجزاعِ» تَدْمُرَ رُبْدَها[1]

وأفضى إلى حُجْبِ الملوكِ ولم يخفْ ... «شَباها» ولم يرقُبْ هنالك حَشْدَها[2]

يسير إليها كلَّ يوم وليلةٍ ... على مَهَلٍ منه فيسبقُ شَدَّها[3]

وكم عُصبةٍ باتتْ بظلِّ سعادةٍ ... تخطّفها «أو» أولج النَّحْسَ سعدَها[4]

وهدّمها مَنْ كان شاد بناءها ... وجرّدها مَن كان أحكمَ غِمْدَها

سلامٌ على أرضِ الطّفوف ورحمةٌ ... مَرى اللهُ سُقياها وأضرمَ زَنْدَها[5]

ولا عَدِمتْ فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ... حفائرُها من جنّةِ اللهِ رِفْدَها[6]

فكمْ ثَمَّ من أشلاءِ قوم أعدَّها ... ليعطيَها ما تبتغى مَنْ أعدّها[7]

ولله منها حفرةٌ جئتُ طائعاً ... فأودعتُ دينِى ثُمَّ دنيايَ لَحْدَها

وولّيتُ عنها أنفضُ التّربَ عن يدِى ... نفضتُ ترابَ القبرِ عنها وزَندَها

ولم يُسلِنِى شىءٌ سوى أنّ جارتِى ... قضى الله بَعدِى أن تجاور جَدّها

وإنّى لمّا أنْ شققتُ ضريحَها ... إزاء شهيد الله أنجزت وعْدَها[8]

وكيف تخافُ السّوءَ يومَ حسابِها ... وقد جعلتْ من أجندِ اللهِ جُندَها ؟

وتمسِك فى يومِ القيامةِ منهمُ ... بحُجْزَةِ قومٍ لا يبالون حدَّها[9]

---

(١) الأجزاع : جمع الجزع (بالكسر) وهو محلة القوم ، والمشرف من الأرض وفى (س) « أجراع » وفى (ه) « أجزاء » تصحيف وتحريف ، والربد : جمع الربداء وهى النعامة .

(٢) شباها : سيوفها والشبا : حد السيف ، وفى (ه) « شداها » محرفة . (٣) شدها : عزيمتها وقوتها . (٤) فى (س) « بل » فى موضع « أو » وفى (ه) « وأولج » .

(٥) أرض الطفوف : كربلا ، ومرى سقياها : اعتصر سحابها من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن وفى (س) « برى » محرفة . (٦) رفدها : عطاءها . (٧) الأشلاء : الأعضاء مفردها شلو ، وفى (ه) « ينبغى » فى محل « تبتغى » . (٨) شهيد الله : يقصد به قتيل كربلا الحسين بن على صلوات الله عليهما . (٩) الحجزة : كالعقدة وهى معقد الإزار أو موضع التكة من السراويل ، وأخذ بحجزتهم : أى اعتصم بهم ، وكيف لا يكون أهل البيت صلوات الله عليهم كذلك ! وقد أوصانا ربنا تعالى بهم وأمرنا بمودتهم بقوله سبحانه « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » وغير ذلك فى الكتاب والسنة كثير مستفيض .

يقون الذى والأمُ اليومَ حرَّها   ويُعطونه عفواً كما شاء بَرْدَها

* * *

وقال يتلهف على فقد أمر أصدقائه :

متى أرى الدهرَ قد آلت مصايرُهُ   إلى الّذى كان مألوفاً ومعهودا (١)
كم ذا أرى كلَّ مذمومٍ ولستُ أرى   بين الورى أبدَ الأيامِ محمودا
قالتْ أراكَ بهمٍّ لا تفارقُهُ   فقلت همّى لأنى ظلْتُ مجهودا
إنْ شئتَ عزّاً بلا ذلٍ يُطيفُ بهِ   فاقطعْ من الحرصِ حبلاً كان ممدودا
خذْ كيفَ شئتَ عن الأقطار قاطبةً   واطلبْ من الرّزق مطلوباً وموجودا
فلستَ تأخذُ إلّا ما سبقتَ بهِ   ولا تبدّل بالمجدودِ مجدودا (٢)
مضى الثقاتُ فلا عينٌ ولا أثرٌ   وأوردوا من حياضِ الموتِ موررودا
وأصبحوا كهشيمٍ بات فى جَلَدٍ   بعاصفاتٍ من النكباء مكدودا (٣)
فما أبالى وقد فارقتهمْ غَبَناً   شحَّا من الدهرِ فى نفعٍ ولا جودا
ولا أضمُّ يداً منّى بغيرهمُ   ولا أودُّ من الأقوامِ مودودا
ولا أخاف على مَن كان بعدهمُ   نحساً وسعداً ولا بيضاً ولا سودا

* * *

وقال فى الشيب :

لا تطلبى منّىَ الشّبابَ فما   عندى شبابٌ والشّيبُ قد وفدا
أين شبابى وقد أنفْتُ على الـ   ـستين ستاً وجزتُها عددا ؟ (٤)

---

(١) آلت : رجعت .   (٢) المجدود : الرزق.   (٣) النكباء : الرياح تهب منحرفة عن مهابها ، والمكدود : المسوق بشدة .   (٤) من هذا البيت يعلم أن المرتضى رضى الله عنه نظم هذه القطعة سنة « ٤٢١ » حيث كانت ولادته سنة « ٣٥٥ » .

فمَنْ بغى عندِيَ البشاشـــة واللّهوَ وبعض النّشـاطِ ما وجـدا
فقـد مضى من يدِي وفارقنِي مالا أراهُ براجـعٍ أبدا

* * *

وقال فى النسيب :

وخُبّرتُها يومَ التقينا بذى النَّقا تعجّبُ من وجدى وما عرفتْ وجْدا [1]
وتحسبُ أنّى مُدّعٍ عندها الهوى وتُعرِضُ عن دمعٍ بها أترعَ الخدّا [2]
فياليتنِي لم أُكسَ منهـا صبابةً كما هى ظنّتْ لا « ولم » أعرفِ الجُهدا [3]
ولمّا قُرِعنا بالنّوى حين غفـلةٍ تجلّدتُ مشتاقًا لتحسبنِي جَلْدا
وطار بقلبِي طائر البينِ عن يدى على أنّنى ما جُرتُ يومَ النّوى قَصْدا

* * *

(١) النقا (بالقصر) : كثيب الرمل . (٢) أترع : ملأ . (٣) فى الأصل « لا » فى موضع « لم » فالعطف على لم أكس

باب الدال المكسورة

قال يمدح القادر فى ابتداء إفضاء الخلافة إليه :

قَرّتْ عيونُ بنِي النبيّ محمّدِ ... بالقادرِ الماضى العزيمةِ أحمدِ
بتوفّقٍ شهدتْ له آباؤه ... أنْ سوف يشتمل الخلافة فى غدِ
جاءتْه لم يُتعِبْ بهــــا فى صدرِه ... همًّا ولا أوْمَأ إليهــــا باليـدِ
سَبَقتْ مُخيلَتُها إليه وأكرَم الـ ... نعماء طالعةٌ أمامَ الموعِدِ [1]
ولقد علمتُ بأنّهــــا لا تنتضِى ... إلّا شَبًا ماضِى الفِرارِ مهنّدِ [2]
لمّا مشتْ فيه الظّنونُ وأوسعتْ ... طَمَعاً يروح مع العدوّ ويغتدِى
وتنازعوا طُرُقاً إليهــــا وغرّةً ... جاءته فى سَنَنِ الطّريقِ الأقصدِ [3]
عَلِقتْ بأوفى ساعدٍ فى نصرها ... وأذبّ عن مصباحهـا المتوقّدِ
قَرْمٍ يضيفُ صرامةَ المنصورِ فى ... قمعِ العدوّ إلى خشوعِ المهتدِى
كالنّـارِ عاليــــةِ الشّعاعِ وربّما ... أخفَتْ تضرّمَها بطونُ الرِّمْدَدِ [4]
يقظٌ يغضُّ جفونَه وهمومُهُ ... من كلِّ أطراف البـلادِ بمرصدِ
فخراً بنِي العبّاسِ إنّ قديمَكمْ ... يأبى على الأيّامِ غيرَ تجدّدِ
شرفٌ يميلُ بيَذْبُلٍ ويَلَمْلَمٍ ... وعُلًا تعرّس فى جوار الفرقدِ [5]
وهْيَ الخلافةُ موطنٌ لم يفتقِدْ ... أطوادَه وشرارةٌ لم تخمُدِ
إنْ نلتَهـــا ولكَمْ لجدك عندها ... قدمٌ وكم فى نيلها لك من يدِ
قد وازنوك فكنتَ أضربَ فيهمُ ... عِرْقاً وأبعدَ غايةً فى محتِدِ [6]

---

(١) المخيلة : السحابة . (٢) تنتضى : تسل ، والفرار (بالكسر) : الحد .
(٣) السنن (بالتحريك) : الطريق ، والأقصد : الأقرب . (٤) الرمدد : الرماد .
(٥) يذبل ويلملم : جبلان ، وتعرس : تنزل ، والتعريس : نزول المسافر للاستراحة ، والفرقد: نجم . (٦) أضرب عرقاً . أشد أصلا ، والمحتد (بوزن المجلس) : الأصل .

ودعوكَ للأمرِ الجليلِ فلم تكنْ | نزْرَ الفخارِ ولا «قليلَ» السُّؤْدُدِ (١)
يا بنَ الّذين إذا احتَبَوْا في مفخرٍ | عصفوا بكلِّ سيادةٍ لمسوَّدِ
الطاعنو ثُغَرِ الرِّجالِ وعندهمْ | أنّ المسلِّمَ بالفرارِ هو الرّدِى
وإذا دُعوا لِمُلمّةٍ فكأنّما | فُجِرتْ لها دُفَعُ الغمامِ المُزْبِدِ
يفديك مَنْ يعشَى بهاؤك طرفَه | من كلِّ رِعْديدِ الجَنانِ معرِّدِ (٢)
متطاولٍ فإذا عرضتَ لِلَحْظِهِ | لصقتْ أسرّةُ وجههِ بالجلمدِ
للهِ دَرُّك والعجاجُ محلِّقٌ | والخيلُ تعثُرُ بالقنا المتقصِّدِ (٣)
واليومُ تَغدُرُ بالمطالِع شمسُه | فيطالعُ الدّنيا بوجهٍ أسودِ
ما إنْ ترى إلّا جريحاً ينثني | ضَرِجَ القميصِ على طريحٍ مُقصَدِ (٤)
والبيضُ تعلمُ أنّها ما جُرِّدَتْ | بيديك إلّا من حُشاشةِ معتدِ (٥)
وأنا الّذى يُنمى إليك ولاؤهُ | أبداً كما يُنمى إليكمْ مولدى
ما حاجتى إلّا بقاؤك سالماً | تُعلِي مقاماتِى وتُدنِى مشهدِى
وإذا دنوتُ إلى الرِّواقِ مسلِّماً | أقذيتَ بى فيه نواظرَ حُسّدِى
وكسوتَ مرتبتى هناك فضيلةً | تبقى على عَقِبى بقاءَ المُسْنَدِ (٦)
فى ساعةٍ مَلْأى بكلِّ تحيّةٍ | تنجابُ عن أفواهِ قومٍ سُجَّدِ (٧)
ومواقفٍ عمرَ الجلالُ فِناءها | فالحسنُ فيها بالمهابةِ مُرتدِ
لا يستطيعُ الطّرفُ يأخذُ لحظَها | إلّا مخالسةً كلحظِ الأرمدِ
وأحقُّ مَن لبسَ الكرامةَ مخلصٌ | ما شابَ صفوَ ودادِه بتوددِ

---

(١) فى (م) « قصير » بدل « قليل » . (٢) الرعديد : الجبان ، والجنان (بالفتح): القلب ، والمعرد : الهارب .
(٣) المتقصد : المتكسر . (٤) الضرج : المخضب يعنى بالدم والمبتل به ، والمقصد : المطعون . (٥) الحشاشة (بالضم) : بقية الروح فى المريض . (٦) المسند : الدهر .
(٧) تنجاب : تنكشف .

أثني عليك وسنـــــا متمنع   صعب المرام على الرحال القصد

وإنْ ناكرتني خَلّةٌ من خِلالِهِ … تعرّض قلبي يفتديها من الحِقْدِ
تخال رجالٌ ما رأوا لضلالةٍ … ولنْ تُستَشَفّ الشمسُ بالأعينِ الرُّمدِ
وكم مُظهرٍ سيما الودادِ يرونَه … حميداً وما يُخفي بعيدٌ من الحمدِ
وحوشيتُ أنْ ألقاكَ سبطاً « بظاهرى » … وأن كنتُ مطوياً على باطنٍ جَعْدِ (١)
إذا تَركتْ يُمنىٰ يديك تعلُّقي … فياليتَ شعرى مَنْ تمسَّكُ مِنْ بعدى ؟
إياباً فلم نُشرِفْ على غايةِ النوىٰ … ولم نَنأ كلَّ النأيِ عن سَنَنِ القَصْدِ (٢)
« فللدرّ نثرٌ ليس » يُدفع حُسنُهُ … وليس كما ضمّتْهُ ناحيةُ العِقْدِ (٣)
ولو لم يلاقِ القَدْحُ زنداً بمثلِهِ … كما انبعثتْ شُهبُ الشّرارِ من الزّنْدِ
وقد غاض سُخطاناً فهل من صُبابةٍ … برأيك إنّي قد تصرّم ما عندى ؟ (٤)
هَلُمَّ نُعِدْ صفوَ الوُدادِ كما بدا … إعادةَ مَنْ لم يلفِ عن ذاك من بُدِّ
ونَغتنمُ الأيامَ وهْيَ طوائشٌ … توانى بلا قصدٍ وتأبىٰ بلا عَمْـــدِ
ومثلُكَ أهدىٰ أنْ يُعادَ إلى الهُدىٰ … وأرشدُ أنْ ينحازَ عن جهةِ القَصْدِ

* * *

وقال فى غرضه (٥) :

ما خامر الرّزقُ قلبي قبل فَجْأتِهِ … ولا بسطتُ له في النائباتِ يدى
كم قد ترادفَ لم أحفِلْ زيادتَهُ … ولو تجاوزنى ما فتَّ فى عَضُدِى
إن أسْخَطِ الأمرَ أُدركْ عنه مُضطرَباً … وإنْ أُردْ بَدَلًا من مذهبٍ أجدِ

* * *

(١) السبط: الكريم السهل، وفى (هـ) « تظاهرى » مصحفة عن « بظاهرى » والجعد خلاف المسترسل.
(٢) السنن (بالتحريك) : الطريق ، والقصد : الرشد . (٣) فى (ش) « فلله نثر السر » عرفة عما أنبتناه (٤) الصبابة : بقية الماء فى الإناء وتصرم : انقطع .
(٥) أورد المرتضى هذه القطعة فى أماليه « ج٢ ص٨١ » وأوضح معانيها فلتراجع .

وقال (أدام الله تأييده) يمدح الملك السعيد بهاء الدولة (رحمه الله[١]) ويشكره عند ورود الكتاب من الحضرة السامية إليه بتكنيته وخطابه بالشريف الجليل المرتضى ذى المجدين :

قد هويناهُ ناقضاً للعهودِ ... وضنيناً بالوعدِ والموعودِ [٢]
ورضينا ما كان منه وإنْ أرْ ... مَضَنا من تجنّبٍ وصُدودِ [٣]
يَمطُلُ الشئَ فى يديهِ وزادَ الـ ... ـمَطلَ لؤماً أنْ كان «بالموجود» [٤]
ياخليليَّ والرَّكائبُ يطلُعْـ ... ـنَ بنا من تهائمٍ ونُجُودِ [٥]
وقفةً فى زَرودَ ، فالقلبُ يهوى ... منكمُ وقفةً بحَبْلَىْ زَرودِ [٦]
فزَرودٌ ممّا أودُّ وإنْ كا ... نَ إلى الرّكبِ ليس بالمودودِ
وهناكَ الغرامُ أضحى وإنْ أوْ ... دى زَرُودٌ وأهلُهُ غيرُ مودِ [٧]
وظِباءٌ غَنِينَ بالنّظمِ فى المِيـ ... ـسَمِ عن نظمِ لؤلؤٍ فى عقودِ [٨]
وبِحَلْيٍ قد صاغَه اللهُ فى اللَّبـ ... ـاتِ والجيد عن حُلِيِّ الجيدِ [٩]
قلن لمّا رأينَ وخطاً من الشّيـ ... ـبِ برأسى أعيا على مجهودِى [١٠]
كسَنا بارقٍ تعرّض وَهْناً ... فى حواشى بعضِ الّليالى السُّودِ [١١]
أبياضٌ مُجَدَّدٌ فى سوادٍ ؟ ... ـ كان قدماً ـ لامرحباً بالجديدِ

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من نسخة (س) .

(٢) الضنين : البخيل . (٣) أرمضنا : كوانا بالرمضاء وهى الحصى الصغار تلفحها الشمس فتحمى فتكوى . (٤) فى (ش) « بالموعود » بدل « بالموجود » . (٥) التهائم : جمع التهمة وهى الأرض المنصوبة إلى البحر ، والنجود : الأراضى المرتفعة . (٦) زرود : موضع ، وبحبلى زرود : فيما استطال من الرمل فيها ، والحبل: المستطيل من الرمل .

(٧) أودى : هلك . (٨) الميسم : الحسن والجمال . (٩) الحلى (على زنة الدير): ما تلبسه المرأة للتزين ، والجمع حلى (كقضى مصدر مضى) ، واللبات : جمع اللبة وهى المنحر أو موضع القلادة من الصدر ، والجيد : العنق . (١٠) الوخط من الشيب: ما خالط الشعر ، وقد وخطه الشيب أى خالط شعره . (١١) الوهن : منتصف الليل .

يا لحاكُنَّ مَنْ رماكُنَّ بالحسـنِ لِتَقْهَرْنَنَا بغيرِ جُنودِ
ليس « بيضى » مِنّى فأجرى عليهنَّ صدوداً ، وليس مِنكُنَّ سودِى [1]
قلّما ضرّكُنَّ من شَعَرَاتٍ كُنَّ يوماً على الوَقَارِ شُهودِى
لبهاء الملوكِ والدّين والدّوْ لةِشكرى «والفَرْطُ» من تمجيدِى [2]
وبأيّامه السّعيـدةِ أُعطيـتُ لواء التّعـديل والتّوحيدِ
وبجَدٍّ منـه أروح وأحرا رُ«المعانى» وإنْ غَمِضْنَ عبيدِى [3]
كنتُ قبل اصطناعه أنظر الدّنـيا عُزوفاً وعِفّةً مـن بعيـدِ
فأتانى منـه كريمٌ تَوَلّى مدَّ ضَبْعِى حتّى أقامَ قعودِى [4]
ودعانِى ولو سـواه دعانِى ما رآنِى إلّا بعيدَ الهُجودِ
قد أتتنِى نُعماكَ يا مالكَ النّاسِ على أنّنِى بمرمَى البعيـدِ
غافلاً عن مواهبٍ منك وافيـ ن لحَلّيْنَنِى وقلّدْنَ جِيدِى [5]
جِئْنَ عفواً من غيرِ كدٍّ وما نَيـلُكَ فينـا بالنّائلِ المكدودِ
« لقبٌ » كنتُ قبله كاليمـانِىِّ « قد » أتى عارياً بغير بُرودِ [6]
أو كدعوى صِدْقٍ « أضرَّ بها عنـدَ ألدٍّ » أنْ لم تكنْ بشهودِ [7]
وإذا كنتُ مرتضًى عنـد مَلْكِ النّاسِ طُرًّا فمن يكون نديدى ؟
بعد ما كنتُ ثاوياً فى أُناسٍ أرتعى منهمُ جَحِيمَ الحقودِ
نشدوا « الحال حيث ساء » فإن كا ن جميلاً فليس بالمنشودِ [8]
أنَا نَصْلٌ « سَلَلْتَهُ » لأعاديـكَ وكم ذا سللتَ من مغمودِ [9]

---

(١) فى الأمالى « بيض » مصحفة عن « بيضى » و « سود » بدل « سودى » .
(٢) فى أدب المرتضى ص٢٣ «والعرف» فى موضع «والفرط» ولم نجدها فى النسخ التى بين أيدينا .
(٣) فى (س) « للعالى » بدل « المعانى » مصحفة وفى أدب المرتضى كذلك .
(٤) الضبع : العضد ، ومد ضبعه : نعشه .
(٥) الجيد : العنق . (٦) « قد » ساقطة من نسخة (هـ) . (٧) فى (س) « أقر بها عند المى » فى موضع « أضر بها عند ألد » . (٨) فى «هـ» « المال حيث حل » فى محل « الحال حيث ساء » . (٩) فى (هـ) « سانته » محرفة من « سللته » .

وبتشريفك الّذى يرفع النّا ظرَ ما بان سيّدٌ من مسودِ

أىُّ عزٍّ بحيثُ أنت لمن يمـــتارُ عزاً وأىُّ مَغْنًى وفودِ ؟ (١)

وإذا « زارَهُ » العُفاةُ أصابو هُ مَرادَ النّدى ومَحْنَى العودِ (٢)

والمحـــلَّ الّذى به نَظَمَ اللـــهُ من الملك كلَّ شملٍ بَديدِ

قد رأينا الّذين عاصوك بالأمـــسِ وحادوا عن ظلِّكَ الممدودِ (٣)

بين عانٍ فى القيدِ غـــير طليقٍ وقَتيلٍ بالسّيفِ غير شهيدِ (٤)

وشريدٍ يوَدُّ أنّ الرّدى صُبَّ عليـه فى فَيلقٍ من حَديدِ (٥)

أشِبٍ بالقنا يَخالُ وأبنـــا ءُ المنايا فيـه عرينُ أُسودِ (٦)

ورجالٍ لا يحفِلون إذا ما رَئِموا الضّيمَ حَفْلةً بالوعيد (٧)

كصلالِ الرِّمالِ أو كذئابِ الـعـــقاعِ «رُقشاً» هَبَبْنَ بعد رُكود (٨)

كلَّ مسترسلٍ إلى القِرْنِ ثَبْتٍ للمنايا كالصّخرةِ الصَّيخودِ (٩)

مُنْتَمٍ إنْ لَزَنْتَهُ عند جرثو مةِ فخرٍ منها إلى خير عودِ (١٠)

« لاأقتربْنا » إلّا إليك ولا زُرْ ناك إلّا عن سَيْبِكَ الموروِدِ (١١)

وقضى اللهُ فى عطاياك منـــه وعطاياك عنـــدنا بالمزيدِ

ثُمّ نادى فى دارِ مُلكك يادا رُ أقيمِى محروسةً لا تبيـــدِى

---

(١) يمتار : يطلب الميرة أى يتجهز ، والمغنى (بالقصر) : المنزل. (٢) فى (ش) (رآه) محرفة عن « زاره » ، والعفاة : جمع العاف والمعتفى وهو طالب المعروف ، والمراد (بالفتح) : محل الارتياد.
(٣) حادوا : مالوا وانحرفوا ، وفى (ه) « جاروا » مصحفة عنها . (٤) العانى : الأسير .
(٥) الفيلق : الجيش العظيم . (٦) أشب : ملتف ، والعرين : بيت الأسد . وفى (س) « الأسود » بدل « أسود » (٧) رئموا : ألفوا . (٨) الرقش : جمع الأرقش وهو المنقط بسواد وبياض . وفى (ه) « شعثا » بدل « رقشاً » وهى وصف للأشاعث جمع الأشعث وهو مغبر الرأس . (٩) القرن : الشجاع ، والصيخود : الشديدة الحماة بحر الشمس (١٠) لزنته : لصقته ونسبته ، والجرثومة : الأصل . (١١) فى (س و ش) « لا افترقنا » فى موضع « لا اقتربنا » وفى (ه) « لا اقترفنا » وكلاها محرفات عما أثبتناه ، والسيب : العطاء .

ومِنَ الآنِ فاستمعْ لندائى ... بأياديك كلَّ «بيتٍ» شَرودِ [1]
عَبِقٍ بالقبولِ ما كان عن حَـــبِّ قلوبِ الرّجالِ بالمطرودِ [2]
وإذا لم يكنْ إلى بابك المعـــمور قصدِى لعائقٍ فقصيدى [3]

* * *

وقال يمدحه أيضاً ويهنئه بالنيروز الواقع فى سنة «٤٠٠» [4] :

يا طيفُ ألّا زُرتنا بسوادِ ... لمّا «تصرّعنا» حِيالَ الوادى [5]
ما كان ضرّكَ والوُشاة بمعزِلٍ ... عنّا جميعاً لو طرقتَ وِسادِى ؟
والرِّىُّ فيكَ وقد «صَدَدْتَ» فقل لنا ... – مَنًّا علينا – كيف ينقعُ صادِ ؟ [6]
«من أجلِ أنّكَ تَسْتَبينُ» على الكرى ... أهوى الرُّقادَ ولاتَ حين رُقادِ [7]
والحبُّ داءٌ فى القلوبِ سَقامُهُ ... خافٍ على الرُّقبـــاء والعُوّادِ
يا زورةً من باخلٍ «بلقـــائِهِ» ... عَجِلَتْ عطيّتهُ على الميعـــادِ [8]
تركَ البياضَ لآمنٍ وأتى بهِ ... فَرَقَ الوشايةِ فى ثيابِ حدادِ [9]
ولقد «طرقتُ الخِدْرَ» فيه عقائلٌ ... ما قِلْنَ إلّا فى ضميرِ فؤادِى [10]
لمّا وردتُ خيامهنّ «سقينَنِى» ... من كلِّ معسولِ الرُّضاب بُرادِ [11]

---

(١) فى (س) «مدح» بدل «بيت». (٢) عبق : عطر ، وحبة القلب : سويداؤه.
(٣) هذا البيت ساقط من نسخة (ش). (٤) وردت بضعة أبيات من هذه القصيدة فى «طيف الخيال ص ٨٠». (٥) فى «طيف الخيال» «تضرعنا» مصحفة عن «تصرعنا».
(٦) فى (س) «صدأت» أى عطشت بدل «صددت» ، وفى «طيف الخيال» «مناغايلك» بدل «منا علينا» ، والصادى : العطشان ، وينقع : يروى. (٧) فى (ه) «ومن أجل أنك تسعفين» فى موضع ما أثبتناه. (٨) فى «طيف الخيال» «برقاده» بدل «بلقائه»
(٩) يعنى بالبياض هنا : النهار وبثياب الحداد : الليل وقد فسر المرتضى ذلك فى «طيف الخيال ص ٨٠» ، والفرق : الخوف. (١٠) فى (ه) «دخلت البيت» فى موضع «طرقت الخدر» ، والعقائل : جمع العقيلة وهى المرأة المخدرة ، وقلن : نزلن من القيلولة وهى نزول المسافر للاستراحة ظهراً (١١) فى النسخ «سقيننا» والأنسب ما وضعناه ، والرضاب هنا : الريق.

ومخضّبِ الأطرافِ صدّ بوجههِ   لمّا رأى شيبى مكانَ سوادى
والغانياتُ لذى الشّبابِ حبائبٌ   وإذا المشيبُ دنا فهنّ أعادِ
شَعَرٌ تبدّل لونُهُ فتبدّلتْ   فيه القلوبُ شناءةً بودادِ [1]
لم تجنهِ إلاّ الهمومُ بمَفْرَقِي   ويُخال « جاء به مع الميلادِ » [2]
ولقد تكلّفنِي الوشاةُ وأفرجوا   عن جامحٍ متصامٍ متمادِ
يلحَى العذولُ وتلك منه سفاهةٌ   وفؤادُه فى الحبِّ غيرُ فؤادِى
حتّى كأنّ له صلاحِى فى الهوى   دون الخلائقِ أو عليه فسادِى
مَن مبلغٌ ملكَ الملوكِ رسالةً   مِنْ رائحٍ بثنائهِ أو غادِ ؟
كم زارنِى وأنا البعيدُ عن النّدى   مِنْ سَيْبِ كفكَ مِن لُهاً وأيادِ [3]
عفواً كما انخرقتْ شآبيبُ الحيا   مِن غيرِ إبراقٍ ولا إرعادِ [4]
نِعَمٌ غابنَ على المزيدِ فما ترى   طمعاً يجاوزهنّ للمزدادِ
لمّا كثُرنَ علىّ منك تبرّعاً   « وتفخّراً » كثّرنَ مِن حُسّادِى [5]
كنتُ المشمّرَ قبلها ولبِستُها   فمشيتُ فيها « ساحباً أبرادِى » [6]
متأطّراً أشِراً كزعزعةِ الصَّبا   أفنانَ فرعِ الأيكةِ الميّادِ [7]
ولأنتَ يامِلكَ الورى فى معشرٍ   طالوا مدى الأنجادِ والأمجادِ
فاتوا الأنامَ وحلّقوا فى شاهقٍ   عالٍ على الأعلامِ والأطوادِ [8]

---

(١) الشناءة : البغض .   (٢) فى (س) « جاء على مدى ميلاد » وفى (ه و ش) « جاء به على ميلادى » والأنسب ما أثبتناه .   (٣) السيب : العطاء ، واللها : جمع اللهوة وهى العطية ، والأيادى : النعم   (٤) الشآبيب : جمع الشؤبوب وهو الدفعة من المطر ، والحيا (بالقصر) : المطر .   (٥) فى (س) « تبجحا » وفى موضع « تفخراً » ولعلها « تفجراً » لتقابل دفعات المطر .   (٦) والمشمر ثوبه : رافعه عن ساقيه وفى (س) « ساحب الأبراد » .
(٧) متأطراً : منعطفاً ، والأشر : البطر ، والأفنان : الغصون ، والأيكة : الشجرة ، والمياد : المتأرجح المتمايل .   (٨) الأعلام والأطواد : الجبال .

« لايتركون » ذُرى الأسرّة عزّةً ‏ ‏ إلاّ إذا ركبوا ظهورَ جيادِ [1]
قومٌ إذا اشتجر القنا ورأيتَه ‏ ‏ كالغابِ كانوا فيه كالآسادِ
وإذا مضتْ عَرَضاً أحاديثُ الوغى ‏ ‏ قَلِقَتْ سيوفُهمُ من الأغمادِ
الضاربين القرنَ وهو مصمّمٌ ‏ ‏ بصوارمٍ بيضِ المتونِ حِدادِ
والحاطمين غداةَ كلِّ كريهةٍ ‏ ‏ في الدّارعين صدورَ كلِّ صِعادِ [2]
والراسخين وهَضْبُ يَذْبُلَ طائشٌ ‏ ‏ « والمُقفِرين » مكامن الأحقادِ [3]
« وتراهُمُ » كَرَماً خلالَ نعيمهمْ ‏ ‏ مُتنصّتين إلى غياثِ منادِ
سَعدَتْ بطالعكمْ وبارك ربّكمْ ‏ ‏ فيما حوى واديكُمُ من وادِ
ففِناؤه تجنِى المكارم واللُّهى ‏ ‏ ومجاثمُ الطُّلّابِ والرّوّادِ [4]
للهِ درُّكَ نَصْبَ عورةِ حادثٍ ‏ ‏ حَدِباً ترامِى دونها وتُرادِى [5]
والخيلُ داميةُ الجلودِ كأنّما ‏ ‏ لُطِخَتْ على أجسادها بجِسادِ [6]
فى ظهرِ رَوْعاءِ الفؤادِ كأنّها ‏ ‏ نجمٌ تهوّر أوْ شرارُ زِنادِ [7]
والقومُ أعناقٌ بغيرِ كواهلٍ ‏ ‏ حُصِدَتْ وأجسامٌ بغير هوادِ [8]
أمّا القلوبُ فهنّ فيك أصادقٌ ‏ ‏ ولمن سواك مُصادقٌ ومُعادِ
ألّفْتهنّ على النّدى فتألّفتْ ‏ ‏ بدَداً على الإثناء والإحمادِ
وأنا الّذى واليتُ فيك مدائحاً ‏ ‏ كالشّمسِ طالعةً بغير بلادِ
يترنّم الخالى بهنّ وربّما ‏ ‏ وَنَتِ الرِّكابُ فكنّ حَدْوَ الحادِى [9]

---

(١) فى النسخ « لا ينزلون » فى موضع « لا يتركون » والمعنى لا ينسجم إلا بما ذكرناه .
(٢) الدارعون : لابسو الدروع ، والصعاد : جمع الصعدة وهى القناة المستوية .
(٣) يذبل : اسم جبل ، وفى (ه) « والمقفرين » فى موضع « المنفرين » والمعنى واحد .
(٤) الفناء (بالكسر) : الساحة ، واللها : جمع اللهوة وهى العطية . (٥) ترادى : تحامى وتدافع . (٦) الجساد (بكسر الجيم) : الزعفران . (٧) روعاء : فزعة ، وتهور : انهار وسقط . (٨) الكواهل : جمع الكاهل وهو أعلى الظهر مما يلى العنق ، والهوادى : جمع الهادى وهو العنق . (٩) ونت : تعبت .

يالَيتهنّ عُرِضنَ عندكَ مِن يدِى ... وسُمِعنَ حينَ سُمِعنَ مِن إنشادِى
فأمنُنْ بتقريبٍ إليكَ أفُزْ به ... يامالكَ التّقريبِ والإبعادِ
فالحظّ عندكَ « عِصمتِى » ووثيقتِى ... والرّأىُ منك ذخيرتِى وعَتادِى [1]
وأحقُّ بالإدْناء من حُجُراتكمْ ... كَلِفٌ يوالِى فيكُمُ ويعادِى
أنتمْ ملاذِى فى الخطوبِ وأنتمُ ... إنْ زلّ بالمكروه منه عِمادِى
أوْ سعتمُ لمّا نزلتُ بكمْ يدِى ... وأطبْتمُ لمّا « أضفتمْ زادِى » [2]
وأريتمونِى بالمكارِم أنّنِى ... لم أدرِ كيف خلائقُ الأجوادِ
« سَبَلٌ » من الآباء لمّا غُيّبوا ... فى الأرض عنه أقامَ فى الأولادِ [3]
فاْسلمْ لنا ملكَ الملوكِ « ولم » تزلْ ... تبقَ على الدّنيا بغير « نَفادِ » [4]
واسعدْ بنيروزٍ أتاكَ مُبشّراً ... ببلوغِ كلّ محبّةٍ ومُرادِ
يَمضِى ويأتيكَ الزّمان بمثلِهِ ... أبداً يلفّ مراوحاً بمغادِ
لارابَنا فيكَ الزّمانُ « ولم تزلْ » ... يفديكَ مِنّا كلّ يومٍ فادِ
فى عزّ مُلكٍ كالثّريّا مُرتقًى ... شَثْنِ المرائرِ ثابتِ الأوتادِ [5]

* * *

(١) فى (س) « عصمتى » فى موضع « عصمتى » .
(٢) فى (س) « لما أضفت لزادى » فى موضع « لما أضفتم زادى » .
(٣) فى (س) « سيل » بدل « سبل » والسبل (بالتحريك) : المطر المسبل مستعار هنا للكرم . (٤) فى (ه) « ولا » بدل « ولم » وفى (س) « رفاد » فى موضع « نفاد » ونفد : الشىء انقطع . (٥) الشثن : الغليظ ، والمرائر : جمع المريرة وهو الحبل الشديد الفتل ، والمقصود من التعبير بشثن المرائر كناية عن ملك عزيز دائم متين .

وقال (أدام الله تمكينه) يعتذر إلى (مولانا) فخر الملك (أدام الله سلطانه) من تأخره عن (خدمته و) صحبته (فى إصعاده إلى البلاد العليا) ويهنئه بالمهرجان [1] :

إنْ كنتَ بالعفوِ ليس تعذرنا ... فلا اعتذارٌ منّا إلى أحَدِ
والعبدُ علماً بحلمِ سيّدِهِ ... يُذنِبُ عمداً وغيرَ مُعتمِدِ
ما حُجّتِي عُدّتِي لكنْ تغا ... ضيك عن المذنبين من عُددِى
يارا كباً بلّغِ السلامَ إذا ... شُمتَ خياماً شطّتْ على بُعُدِ [2]
وقلْ لفخرِ الملوكِ قاطبةً ... مِنْ والدٍ قد مضَى ومن ولَدِ
ومن حباهُ الإلهُ منزلةً ... كم طلبوها فلم تُنَلْ بيدِ
«عبدُكَ» جَلْدٌ على الخطوبِ ومُذْ ... نأيْتَ «عنه أضحى» بلا جَلَدِ [3]
«يطرِقُ» مستوحشاً لما «فاته» ... منك وما بالأجفانِ من رَمَدِ [4]
قد سار قلبِى لمّا ارتحلتَ « وما ... خانَ» وإن كان خانه جَسَدِى [5]
إنّىَ ياذا الجلالتين وقد ... خُلّفتُ عنكمْ كُرْهاً ولم أرِدِ
كخائفٍ فى بلادِ مَضْيَعَةٍ ... مستترٍ بالظلامِ منفردِ
أو حاملٍ والظّماءُ يُحرقُهُ ... بعد مَعينٍ عَذْبٍ على ثَمَدِ [6]
يا كَثَبِى منه عُدْ علىّ ويا ... بُعْدِىَ باللهِ قطُّ لا تَعُدِ [7]
وقلْ لحُسّادِ ماخُصصتُ بهِ ... ردّوا زمانِى واستأنفوا حَسَدِى

---

(١) ما حصر بين قوسين ساقط من نسخة (س) . (٢) شمت : نظرت ، وشطت : بعدت .
(٣) فى (س) « إنى » فى موضع « عبدك » والجلد : الصبور ، وفى (س) « عنى أمسى » بدل « عنه أضحى » (٤) فى (س) « أطرق » فى موضع « يطرق » « وفاتنى » محل « فاته » . (٥) فى (س) « على شوق » فى موضع « وما خان » . (٦) المعين : الماء الجارى ، والثمد : القليل منه . (٧) الكثب ، القرب .

وابقَ لنا فى ظِـلالِ مملكةٍ أعزَّ عزًّا من جانبِ الأسـدِ
ولْيُهْنِكَ المِهْرَجانُ « متَئِداً » بما ترجّى وغــير متّئِدِ (١)
يمضى ويأتى منـه لنا خَلَفٌ وأنتَ باقٍ لنــا على الأبَدِ
وعن قليلٍ أزور من بَلَدى دارَكَ معمورةً على بَلَدِ (٢)
وليس يحتاج ـ فى الوصولِ إلى آمِدَ مفتوحةً ـ إلى أمَدِ (٣)

* * *

وقال يهنئه بالنيروز الواقع سنة « ٤٠٢ » (٤) :

ألا يا أيّهـــا الحادى قفِ العِيسَ على الوادى
قفِ العِيسَ فنى كفِّـــكَ إسعافى وإسعادِى
وفى الأظعـــانِ أبنا، علينــا غـــيرُ مُنقادِ
كثيبٌ غـــيرُ مُنهالٍ وغُصنٌ غيرُ « ميّادِ » (٥)
وَفرعٌ أجعدُ « الشَّعرِ » ولـكنْ أىُّ إجـ ا (٦)
يُراميـــنِى فأشويهِ ولا يرضى بإقصادِى (٧)
ألا قولوا لمنْ يَملِـــكُ تقريبِى وإبعادِى

---

(١) المهرجان : من أعياد الفرس وقد مر تفسيره وفى (س) « مبتدئاً » فى موضع « متئداً » والظاهر تحريفها عما أثبتناه . والمتئد : المتمهل . (٢) بلد : بلدة شمال الموصل وتسمى أيضاً « بلط » . وهى غير بلد المعروفة (٣) آمد : بلدة فى بلاد الجزيرة وتعرف اليوم بديار بكر .
(٤) أورد الناظم خمسة أبيات من هذه القصيدة فى « طيف الخيال ص ٨٢ » . (٥) فى النسخ « منآد » فى موضع «مياد» والمياد المتمايل . (٦) فى (ه) « الله » فى موضع «الشعر» محرفة عنها والفرع الشعر ، والأجعد منه : المتجعد . (٧) أشويه : أصيب شواه لا مقتله ، والإقصاد : القتل طعناً أو رمياً .

ومَنْ لو شاء يومَ الجَزْ ... عِ ما ضنَّ بميعادِى [1]

ومَنْ يُبدلُ « إصلاحِ ... ى » فى الحبِّ بإفسادِى [2]

« متى » ينقعُ من ريقِ ... كَ إنْ جُدتَ به صادِى [3]

أبِنْ لِى هل « على » الجرْعا ... ءِ فى أهلِك من غادِ ؟ [4]

وهلْ زالتْ خيامُ الحىِّ عن أحْقافِ أعقادِ ؟ [5]

وهلْ « مُحَتْ » رُبَّا كنتُ ... بها أسحبُ أبرادِى [6]

وأينَ الطَّيفُ من ظَمْيا ... ءَ أمسَى وهو معتادِى ؟

جفـــا صُبحاً ووافانِى ... صريعاً بين رقّادى

وأعناقُ المطـــايا مِنْ ... كلالٍ بين إعضـادِ [7]

« تلاقينـــا » بأرواحٍ ... وفارقنـــا بأجساد [8]

ولوّامٍ يُرينِى الغِشَّ فى مَعْرِضِ إرشـــادِ

وقـد لامَ ولـكنْ ليـــسَ يعدو عن هوًى عادِ

دعِ العذلَ فغـيرُ العَذْ ... لِ أضحَى وهو مُقتادِى

وغبراء كظهرِ التُّرْ ... سِ « أكالةِ » أزوادِ [9]

---

(١) الجزع (بالكسر) : بطن الوادى ، (وبالفتح): مصدر جزع ، وجزع الوادى قطعه عرضاً ، وضن : بخل . (٢) فى (س) « إصلاح » بدل « إصلاحى » .

(٣) فى (س) « ومن » محرفة عن « متى » ، وينقع : يروى ، والصادى : العطشان .

(٤) الجرعاء : الرملة المستوية لا نبت فيها . (٥) الأحقاف : جمع الحقف (بالكسر) وهو ما اعوج من الرمل ، وأعقاد : جمع عقد وهو هنا من الرمل ماتعقد وتراكم .

(٦) فى (س) « صحت » بدل « محت » . (٧) الإعضاد : من عضدت الدابة عضوداً إذا مشيت إلى جانبها يميناً وشمالا ومنه سهم عاضد إذا وقع عن يمين الهدف أو شماله .

(٨) هذا البيت ورد فى « طيف الخيال ص ٢٢ » . (٩) فى (س) « ركالة » فى موضع « أكالة » محرفة .

« وساوِيها يبيع الغَمْـ ـضَ مغبونًا بتَسْهادِ »(١)

وللرّيح بهـــا أنٌّ حكَى غمغمَةَ الشادِى

كأنَّ الرَّبْعَ والخِرِّيــــتَ يهديهمْ بلا هادِ (٢)

تعسّفـــتُ بوجّافٍ على الإعيـاء وخّادِ (٣)

كَهَيْقِ الدَّوِّ لولا وضــــعُ أنساعِي وأقتادِى (٤)

لفخرِ المُلك إنعـــامٌ على الحاضرِ والبادى

وجودٌ يَدَعُ الأجوا دَ قِدْماً غــيرَ أجوادِ

وأبوابٌ يُفتّحْـــنَ لطُلّابٍ «وقُصّادِ» (٥)

وأموالٌ « يُسَوَّقْنَ » إلى حاجةِ مُرْتادِ (٦)

فتًى لا يُركِبُ الخُلفَ « قَرا » وعْدٍ وإيعادِ (٧)

---

(١) فى (س) رواية البيت هكذا :

« يبيعُ الغمضَ ساريها على غَبْنٍ بتَسْهـادِ

والمعنى واحد .

(٢) الخريت : الدليل الحاذق . (٣) تعسفت : ركبت بلا روية ، والوجاف : المسرع ، والإعياء : التعب ، والوخاد : الماشى الوخد وذلك بأن برمى قوائمه كالنعام أى مسرعاً أيضاً .

(٤) الهيق : الظليم وهو ذكر النعام ، والدو : المفازة ، والأنساع : جمع النسع وهو حبل عريض طويل تشد به الرحال ، والأقتاد : جمع القتد (بالتحريك) وهو خشب الرحل . (٥) فى (ه) « قساد » فى موضع « قصاد » مصحفة وما أكثر تصحيفات وتحريفات هذه النسخة وذلك لأن كاتبها يجيد الخط ولا يعرف من العربية شيئا . (٦) فى (س) « يسابقن » فى موضع « يسوقن »

(٧) القرا (بالقصر) : الظهر ، وفى (ه) « فذا » محرفة ، والوعد يكون بالخير والايعاد بالشر وقد مر تفسيرهما وقول الشاعر فى ذلك :

وكنت إذا أوعدتُه أو وعدتُه أُخالف إيعادي وأنجزُ موعدى

وللمعرى فى ذلك :

« يادهرُ يامُنجزَ إيعـادِهِ ومُخلفَ المأمولِ مِنْ وَعدِهِ »

ولا يُرضيه في المأزِ ... قِ إلّا ضربةُ الهادِي (١)
ولا يبـــذلُ للأضيا ... فِ إلّا صفوةَ الزّادِ
ولا يوردُ إلا العِدَّ ... ممـدوداً بأعدادِ (٢)
ولا يُزوَى لدَى الهمّ ... بأرْدامٍ وأسدادِ (٣)
إذا لُذتَ بـــه لُذْ ... تَ بطودٍ بين أطوادِ (٤)
وإن صُلتَ به صُلْ ... تَ بليثٍ بين آسادِ
ويومٍ كمحلّ القِدْ ... رِ حشوهُ بإيقادِ
تراهُ أبـــداً يَضرِ ... بُ أنجاداً بأنجادِ (٥)
تسَرْبَلْتَ بنسجِ الطّعـــنِ فيه ثوبَ فِرْصادِ (٦)
وأبدلت الظُّبا بالهـــا ... مِ أغمـــاداً بأغمادِ
حِـــذاراً بابنِي الإشفا ... قِ ليثَ الغابةِ العادِي
ثوَى الخِيسَ وإن كان ... من القاعِ بمرصادِ (٧)
عزيز الطّعمِ ما كان ... لخوّارٍ بمصطادِ (٨)
ومطويًّا «كطَيّ» المَ ... رَسِ ألتفَّ على وادِ (٩)
له في كلِّ إشراقٍ ... لديغٌ بين عُوّادِ
وكم مِنْ نِعَمٍ تُوْأمٍ ... له عنـــدِي وأفرادِ
مُنيفاتٍ على الحاجِ ... مَروقاتٍ عن العادِ (١٠)

---

(١) الهادى : العنق . (٢) العد (بالكسر) : الماء الكثير . (٣) الأردام : جمع الردم وهو الحائط والسد . (٤) الطود : الجبل . (٥) الأنجاد : جمع النجد وهو الشجاع . (٦) الفرصاد : صبغ أحمر . (٧) الخيس : مكمن الأسد .
(٨) الخوار . الجبان الضعيف . (٩) المرس (بالتحريك) : الحبل ومفرده مرسة وجمع الجمع أمراس وفى (س) « كغنهر » بدل « كطى » عرفة . (١٠) منيفات : زائدات والحاج : الحاجة ، ومروقات : خارجات ، والعاد: المحصى وخفف تضعيف الدال لضرورة الشعر .

يُعارضن سيولَ المـــا ء إمداداً بإمدادِ
فقد طُلن مدَى شكرِى وبرّحن بأحمـــادِى
أأنســـاكَ وإذْ ناوْ كَ يُمليني فى النّادِى ؟
وتخصيصى بنجواكَ من القومِ وإفرادِى
وإخراجُك أضغـــانى من القلبِ وأحقادِى
وتكثيرُكَ بالنّعْما ء أعدائى وحُسّادِى
ويغـــديك من الأقوا مِ سيّارٌ بلا حادِ
أبى الخيرَ فما «. يرتا دُ» إلّا شرَّ «مُرتادِ»[(١)]
ومَن يأتى إذا آتى بإنزارٍ وإزهـــادِ[(٢)]
ومن يهفو بإصـــدارٍ كما يهـــفو بإيرادِ
بأغلالٍ من العُرفِ إذا سِيل وأقيـــادِ[(٣)]
أتمَّ اللهُ ما أعطـــا كَ من عزٍّ ومن آدِ[(٤)]
وهُنّيتَ بنـــيروزِ كَ هـذا الرّائحِ الغادى
وعشْ حتّى تَملَّ العيد شَ عُمْراً غـــيرَ معتادِ

* * *

وقال فى الغزل :

جرّعني حُبّه وباعـــدنى فلم أنلْ وصلَه ولم أكدِ
وزارنى قبل أنْ تملّكني فصرتُ عبداً له فلمْ يعُدِ

---

(١) فى (ه) «يزداد» و « مزداد » محرفة عن «يرتاد» و «مرتاد». (٢) الإنزار : الإقلال ، والإزهاد : مثلها .وفى الأصل «كما» بدل «إذا» محرفة . (٣) الأغلال : القيود ، والعرف : المعروف . (٤) الآد : القوة من الفعل آدى إيداء : تهيأ وقوى وآدى عليه : أعانه .

يضحكُ عن لؤلؤٍ فإن يكن الــــلؤلؤ ذا صُفرةٍ فعَنْ بَرَدِ [1]
ولستُ أرضَى تشبيهَ لُقيَتِهِ   بساعةِ الأمنِ أو جَنَى الشَّهَدِ [2]

* * *

وقال يمدح فخر الملك :

هل هاج شوقَك صوتُ الطائرِ الغَرِدِ   فى الرّبعِ والرّبعُ عُريانٌ بلا أحدِ ؟
غنّـــاك ما قلبُه شوقاً بمُكتئبٍ   وليس دمعٌ له حُزناً بمطّردِ
وربّما هاجَ أحزانَ الفؤادِ وما   يَدْرِى خلىٌّ من الأشجانِ والكَمَدِ
أمّا الذين رَمَتْ عسفانَ عِيرُهُمُ   بكلِّ موّارةٍ عَيرانةٍ أُجُــدِ [3]
ففى الفؤادِ على آثارهمْ جَزَعٌ   لا يستفيق وهمٌّ غــيرُ مُفتقَدِ
حنّوا إليك وقد شطّ المزارُ بهمْ   كأنّهمْ لم يصدّوا عنك من صَدَدِ [4]
قد قلتُ لمّا لقِينا الظّعنَ سائرةً   ما ذا يُفيد لِقَيناهُنَّ من غَيَدِ ؟ [5]
مِن كلِّ موسومةٍ بالحسن بَهْكَنَةٍ   كأنّمــا سُرقتْ من جنّةِ الخُلُدِ [6]
مَن عاذرى فى الغوانى غِبَّ مُنتشرٍ   من المشيبِ كنُوّارِ الضّحَى بَدَدِ [7]
وافَى ولم يبغِ مِنّى أن أهيبَ بــه   وحلَّ مِنّىَ كُرْهاً حيث لم أُرِدِ
ولو جنته يدِى ما كنتُ طائعَها   لكنْ جناه على فَوْدَىَّ غيرُ يدى [8]
دعْ عنك كلَّ لئيمِ الطّبعِ مُبتذَلٍ   أذلَّ فى عَرَصاتِ الدار من وَتِدِ
إنْ همّ بالخير عاقتــه عوائقُه   وإنْ مضَى فى طريق الحمدِ لم يَعُدِ

---

(١) البرد ، : المطر المتجمد « الحالوب » .   (٢) الشهد : العسل .   (٣) عسفان : اسم موضع ، والموارة : المتحركة ، والعيرانة والعيارة : الفرس النافرة ، وأجد : قوية .
(٤) شط : بعد .   (٥) القينة : الفتاة ، والغيد (بفتحتين) : التثنى بلين ومنه الغيداء أى المتثنية .   (٦) البهكنة : الشابة الغضة .   (٧) النوار : زهر أبيض يشبه به الشيب غالباً ، وبدد . متفرق .   (٨) الفودان : شعر جانبي الرأس .

ولا تؤاخِ من الأقوامِ منطوياً   على الضَّغينةِ مملوءًا من الحسدِ
نشواً من الغيِّ ما لم يَدرِهِ أبـداً   ولا يمرّ بما يدرى من الرُّشُدِ
يا فخرَ ملكِ بنِي العباس كلِّهمُ   من والدٍ قد مضى منهمْ ومن وَلَدِ
ومن يجود على ما في نَوافِلِهِ   بالفخر والعزّ قبل الجود بالصَّفَدِ (١)
للهِ درُّك تمري شَدَّ ناجيةٍ   هوجاء مرشوشةِ القُطرين بالنَّجَدِ (٢)
كأنّهـا وكريم النّجْوِ يَحفِزها   إلى بلوغ المدى سِيدٌ على جَدَدِ (٣)
وفي يديك لَعوبُ المتنِ مُبتدِرٌ   إلى « تقنّصِ » نفس الفارس النَّجِدِ (٤)
مثلُ الرّشاءِ ولكنْ لاقليبَ له   يومَ الكريهةِ إلاّ مُنحنَى الكَبِدِ (٥)
ماذا يَريبُ العدى لادرَّ درُّهمُ   من نازحٍ عن مقامِ العَذْلِ والفنَدِ (٦)
ما زال والظمْءُ يستدعي مكارِمَهُ   إنْ فاته العِدُّ لم يوردْ على ثَمَدِ (٧)
كم ذا لكفّكَ من آثارِ مكرُمةٍ   في غُنمِ مفتقرٍ أو فكِّ مُضطهَدِ
قلائدٌ مثلُ أطواقِ الحمامِ لنـا   تبيدُ أُخرى اللّيالي وهْيَ لم تَبِدِ
وحاطها وهي بالبيداء مُصحِرةٌ   لأخذِ مستلَبٍ أو لَقمِ مُزدَرَدِ
من بعد ما غاب عنها كلُّ منتصرٍ   فمنْ جنى فبلا عَقْلٍ ولا قَوَدِ (٨)
وجُبتَ أعداءها عنها فلو طلبتْ   لها عدوّاً طِوالَ الدّهرِ لم تجِدِ (٩)
حتّى استقرّتْ وقد كانتْ مُقَلْقَلةً   تُساق من بلدٍ ناءٍ إلى بلدِ

(١) النوافل : العطايا مفردها النافلة ، والصفد : العطاء .

(٢) تمرى : تستخرج وتطلب من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن ، والشد : العدو ، والناجية : السريعة العدو ، ومرشوشة القطرين : مبتلة الجسم برشاش العرق ، والنجد (بفتحتين) العرق . (٣) السيد : الذئب ، والجدد : الأرض المستوية . (٤) المتبدر : السابق المعجل ، وفي الأصل « تنفس » مصحفة عن « تقنص » أي اصطياد ، والفارس النجد : الشجاع الماضي . (٥) الرشاء : الحبل ، والقليب : البئر . (٦) النازح : البعيد ، والفند : التكذيب . (٧) العد (بالكسر) : الماء الكثير ، والثمد : الماء القليل .

(٨) العقل : الدية والقود (بالتحريك) : مثلها . (٩) جبت : قطعت .

لولا مكانُك كانتْ يوم بطشتها ... بلا ذراعٍ ولا كفٍّ ولا عَضُدِ
مَنْ كان غيرَكَ والرُّعيانُ قد هجموا ... يَضُمُّ أرجاء تلك الثَّلَّةِ الشُّرُدِ ؟ (١)
ومَنْ يدُلّ ـ وقد ضلّتْ حلومُهُمُ ... عن السَّدادِ ـ إلى شيء من السَّدَدِ (٢)
فالآن أصبح ماقد كان مُنتهَكاً ... ذُؤابةَ النِّيقِ أو عِرّيسةِ الأسدِ (٣)
لا فاتنا لك دهرٌ لانزال به ... ولا انتهيتَ من الدّنيا إلى أَمَدِ
وضلّ عنّا الذى نخشى ولا نَضُبَتْ ... هذى الغضارةُ عن أيّامنا الجُدُدِ (٤)
وعادكَ العيد أعواماً متى « حُصرتْ » ... بالعَدِّ كانتْ بلا حَصرٍ ولا عددِ (٥)
فى ظلِّ مملكةٍ تبلى الصُّخورُ على ... طولِ المدى وهْىَ لا تبلى على الأَمَدِ

* * *

وقال يرثى الحاجب أبا الحسين (٦) المعروف بابن أخت الأستاذ الفاضل ، وكان ملازماً لدرسه :

إلامَ أرامِى فى المُنى وأُرادِى ... وحشو صلاحِى فى الزّمان فسادِى ؟ (٧)
وفجعِى بمـا نالتْ يداى موكّلٌ ... فما سرّنِى أنّى بلغتُ مرادِى
فكم من مصيباتٍ إذا لم يُصبنَنِى ... رواحاً وإمساء فهنّ غوادِ

---

(١) الأرجاء : النواحى ، والثلة : الجماعة من الغنم . (٢) السداد : الصواب ، والسدد : الاستقامة ، وفى المصباح دلت على الشىء واليه . (٣) الذؤابة من الشىء : أعلاه ، والنيق : قة الجبل وأعلاه ، وعريسة الأسد : بيته . (٤) نضبت : ذهبت وغارت من نضب الماء إذا غار فى الأرض ، والغضارة : لين العيش . (٥) فى الأصل : « خضرت » مصحفة عن « حصرت » .

(٦) هو أبو الحسين هبة الله بن الحسن المعروف بابن الحاجب ، ذكره ابن الجوزى فى « المنتظم ج ٨ ص ٩٥ » ممن توفى فى سنة « ٤٢٨ » وقال إنه كان من أهل الفضل والأدب والتدين وله شعر مستحسن وأورد شيئاً منه ، توفى فى رمضان من هذه السنة فجأة (ر . س .) .

(٧) أرادى : كأرامى وأدارى زنة ومعنى .

كأنّ جوادِى يومَ يطلبنِى الرّدى ... ولا ناصرٌ لِى منه غيرُ جوادِ
ولا وَزَرٌ منه بزُرقِ أسنّتِى ... ولا بيض أسيافى « وسُمرِ » صِعادِى [1]
أفى كلّ يومٍ يقرع الموتُ مَرْوَتِى ... ويُضرمُ أحشائى بغبرِ زنادِ ؟ [2]
فيا أسهماً يمضين حول جوانبِى ... لرامِى الرّدى أنىٰ يُصبْنَ فؤادِى ؟
فرُزْءٌ على رُزْءٍ وفجعٌ يُبيتنِى ... على حَرِّ جمرٍ أو فراشِ قتادِ [3]
وهل طمعِى فى العيش إلّا جهالةٌ ... وفى كفّ روّادِ الحِمامِ قيادِى
يُسارُ بنا فى كلّ يومٍ وليلةٍ ... إلىٰ حُفَرٍ تُطوىٰ لنا بوهادِ [4]
وما نافِعِى فى هذه الدّار مرّةً ... بناءُ أهاضيبِى ورفعُ عِمادِى
فيا قربَ بين الفقر فيها من الغِنىٰ ... وبين أزدراعِى تارةً وحصادِى
وما إنْ وفىٰ غيثُ الرّدى فى أصادقِى ... بأنْ عَلِقَتْ يمناهُ لِى بأعادِ
ومن كان يُردِى ذا حذارٍ وفطنةٍ ... فماذا ملامُ المهملِ المتمادِى ؟
سلْ الدّهرَ عن سادات لَخْمٍ وحِمْيَرٍ ... وأبناء نَهْدٍ بعدهمْ ومُرادِ
وهل بقيتْ للعين والقلبِ بهجةٌ ... بهوجِ اللّيالِى فى ديارِ إيادِ ؟
وهل تركتْ أيدى الرّدى من مخبّرٍ ... لآلِ نِزارٍ كلّ يوم تنادِ ؟
ولو كنتُ موعوظاً بشىءٍ عرفته ... يقلّ حِرصِى لاتّعظتُ بعادِ
مضوا بعد أن كانوا يُظنّ بقاؤهم ... يكون على الدّنيا بغير نفادِ
وقد قلّدوا الأعناقَ منّا وأترعوا ... بطون اللّيالى من لُهاً وأيادِ [5]
فيا « هبةَ اللهِ » ارتجِمتَ إلى الرّدى ... وقد كنت فى فضلِ ذُبالةَ نادِ [6]

(١) الوزر (بالتحريك) : الملجأ والجبل وكل حصن أو معقل منيع ، وفى الأصل « صم » بدل « سمر » الظاهر تحريفها عنها ، والصعاد : جمع الصعدة وهى القناة المستوية . (٢) المروة : الصخرة ، وحجارة صلبة تعرف بالصوان ، وقرع الدهر مروته : أنزل به البلاء . (٣) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . (٤) تطوى : تبنى بالحجارة . (٥) أترعوا : ملأوا ، واللها : جمع اللهوة وهى العطية ، والأيادى : النعم . (٦) الذبالة : فتيلة المصباح .

وما زلتَ خرّاجاً عن الغيّ والهوى ... مدَى الدّهرِ ولّاجاً لـكلِّ رشادِ (١)
وكنتَ لعيني ثمّ قلبي سوادَه ... وليس بيـاضٌ فيهما كسوادِ
فواللهِ ماأدرِى أغال نعيُّـهُ ... رُقادِىَ حُزْناً أم أطـارَ فؤادِى ؟
على أنّه ذرّ الأسى فى جوانِحى ... وأودَع منّى فى الجفونِ سُهـادِى
وما ضرّنِى والنّومُ ليس يزورنِى ... دجًى وضحًى أنّى بغـير وِسادِ
فإنْ لم أعِزْ جسمِى عليك حِـدادَه ... فقلبِىَ حزناً فى ثيابِ حِـدادِ
وللهِ خطبٌ زارنى بعـد هجعةٍ ... فحرّم فى عينَىَّ طعمَ رُقادِى
وشرّد عنّى باصطبـارٍ عهدتُه ... « وأحرج » حيزومِى وأضعف آدِى (٢)
وعرّف مابينِى وبين بلابلٍ ... عمرتُ وما يمررن لِى ببِـلادِ
كأنّى قضيضُ الجنبِ حزناً ولوعةً ... وفَرشى مهيداتٍ بغـير مهادِ (٣)
وياليتنِى لمّا ثكلتُك لم أكن ... جعلتك من سكّانِ دار ودادِى
وليتك لم تحلُلْ رِكابُك عَقْوَتى ... تُراوحها صبًّا بهـا وتغـادِى (٤)
وما بين قربٍ واشتيـاقٍ عهدتُه ... حَوَتْ أضلُعِى فرقٌ وبين بعـادِى
سقَى اللهُ مَيْتاً لا يُرجَّى إيابُه ... وحلّ عليـه رَبْطَ كلِّ مَزادِ (٥)
وجاد عليـه كلُّ أسحمَ مسبلٍ ... بعَذْبِ صقيلِ الطُّرّتين بُرادِ (٦)
له من وميضِ البرقِ ثوبٌ مَعَصْفَرٌ ... ومن رعـدِه وهْناً زماجرُ حادِ (٧)
ولا زالتِ الأنواءُ يسقِـين تُربَه ... إذا رائحٌ ولّى تصوّب غادِ

(١) ولاجاً : دخالا. (٢) فى الأصل « وأخرج » بدل « وأحرج » مصحفة والحيزوم: الصدر وأحرج صدره جعله ضيقاً ، والآد : القوة . (٣) القضيض : الملق على القضض وهى الحصى المتفتت . (٤) العقوة (بالفتح) : ما حول الدار . (٥) المزاد : القرب ، مفردها المزادة أى القربة وهى معلومة . (٦) الأسحم من السحاب: الأسود ، والمسبل: المطر ، وصقيل الطرتين : أى أبيض لماع الجوانب أو الطرر وهى الطرق فى السحاب ، والبراد : البارد (٧) معصفر : مصبوغ بالعصفر (بضم العين والفاء) : صبغ أصفر .

بلا موعدٍ تَخشَى له النفْس خُلفــةً   وخـــيرُ اللُّهـا مالم تكنْ بوعادِ (١)

* * *

وقال وكتب بها إلى الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم ، وكان الوزير بحلة غريب [بن مقن العقيلي] (٢) :

هل الدّارُ تدرى ما أثارتْ من الوجدِ   عشيّــةَ عنّتْ للنّواظرِ من بُعْدِ ؟
بــكيتُ ولولا نظرةٌ بمحجّرٍ   إلى الدّار لم تجرِ الدّموعُ على خدّى (٣)
أيا صاحِ لولا أنّ دمعِيَ لم « يَطِـحْ »   وقدلاحَرسمُ الحيِّ لم «تدرِ» ماعندى (٤)
كتمتُــك وجدِى طولَ ما أنت صاحبى   فنادتْ دموعُ العين منّى على وجدِى
ولمّــا أقرّ الدّمعُ بان لك الهـــوى   فلم يُغنِ إنــكارى الغرامَ ولا جحدِى
تذكّرتُ نجــداً بعد ما غُرتُ موهِنــاً   وأين أمرؤٌ بالغَوْرِ من ساكِنِى نجدِ ؟ (٥)
وأذكرنى شبـــهَ القضيب ـ ونحن فى   ظهور مطايانا ـ قضيبٌ من الرّندِ (٦)
ومُعتجراتٍ بالجـــــال كأنّمـــا   بَسَمْنَ إذا يَبسِمن عن لؤلؤِ العِقدِ (٧)
لهنّ صباحٌ من وجوهٍ منـــيرةٍ   تخلّلهـا ليلٌ مــن الفاحِمِ الجَعْدِ (٨)
غلبن على ودّى ولولا محاسنٌ   جلون علينـــــا ماغلبن على ودّى
وشرخ شبابٍ كنت أحقر فضله   ـ إلى أن مضى ـ والضدُّ يُعرف بالضدّ
أمنتُ به بين الغوانِى وظـــلُّهُ   علىّ مقيمٌ من بعـادٍ ومن صــدّ
وقد قلتُ لمّــا ضقتُ ذَرعاً بخُــطّةٍ   شَموسِ القَرَا : أين الوزير أبو سعدِ ؟ (٩)

---

(١) اللها : جمع اللهوة وهى العطية وقد مضى تفسيرها .

(٢) هو أبو سنان غريب بن محمد بن مقن العقيلي، تقدمت ترجمته ورثاء المرتضى له فى «ص١٠٣» من هذا الديوان فلتراجع .   (٣) محجر : موضع .   (٤) فى الأصل « يطع » مصحفة عن « يطمح » و « يدر » بدل « تدر » .   (٥) غرت : دخلت الغور : موضع من تهامه، والموهن : الداخل فى الوهن وهو منتصف الليل .   (٦) الرند : الآس البرى .

(٧) معتجرات : ملتفات ، والاعتجار: هو لف العمامة .   (٨) الفاحم : الأسود ، والجعد: ضد السبط .   (٩) الشموس : الصعبة الممتنعة ، والقرا (بالقصر) : الظهر .

فتًى كان درعِي يوم تحصبنِي العـدَى ... ويوم ضرابِي للطُّلَى موضعَ الزّندِ (١)
وما جئتـه والرشدُ عنّى بمعزِلٍ ... فأطلعنِي إلاّ على ذُرْوَةِ الرّشـدِ
وكم لك فيما بيننـا من مواقفٍ ... تسلّمتَ فيها رِبقَةَ الحمـدِ والمجدِ (٢)
فبالسّيف طوراً تولج النّاسَ للهدَى ... وطوراً بأسبابِ التـكرّمِ والرّفدِ (٣)
وأنتَ حميتَ الملكَ من كلّ طالعٍ ... عليـه كما تُحمَى العرينةُ بالأسدِ
على كلّ مطواعٍ إذا سُمتَه «رَدْى» ... وإنْ لم تَسُمه جَرْيَه فهو لا يردِى (٤)
كأنّك منـه فوق غاربِ عاصفٍ ... من الرّيحِ أو فى ظهر هَيقٍ من الرُّبْدِ (٥)
وما لسفاهٍ بلْ لفَرْطِ شجـاعةٍ ... نزعتَ جلابيبَ المضاعفةِ السَّرْدِ (٦)
كأنّك من بأسٍ لبستَ قميصَـه ... لدَى الرَّوعِ فى حَشْدٍ وما أنتَ فى حَشْدِ
وما لَكَ فى هَزْلٍ معاجٌ وإنّمـا ... أُتيتَ كما يؤتَى الرّجال من الجدِّ
ولم يُبقِ حِلمٌ أنتَ مالكُ رِقِّهِ ... بقلبك بعد الصّفحِ شيئاً من الحِقدِ
فيا نازحاً عنّى ومالِىَ بعـدَه ... على جَوْرِ «أيّامٍ» إذا جُرنَ من مُعدِ (٧)
أما آن للقربِ الّذى كان بيننـا ... فولّى حميداً أنْ يُدالَ من البُعدِ؟
ولم تكُ دارٌ أنتَ فيهـا بعيدةً ... ولـكنّنِى بالعذرِ فى حَلَقِ القِـدِّ (٨)
وما أنا إلاّ سائرٌ كلَّ طُرقةٍ ... إليك على عُرْىِ المطهّمَـةِ الجُرْدِ (٩)

---

(١) الطلى : الرقاب مفردها الطلية . (٢) الربقة : كالطوق والحلقة تربق بها الشاة أى تربط (٣) تولج : تدخل ، والرفد : العطاء . (٤) فى الأصل « الردى » خطأ فى موضع « ردى » وردى الفرس يردى : أسرع راجماً الأرض بحوافره .

(٥) الغارب : الكاهل وهو مابين الظهر والسنام ، والهيق : الظليم وهو ذكر النعام ، والربد: جمع الأربد والربداء وهى العامة . (٦) الجلابيب : جمع الجلباب وهو الثوب أو القميص ، والسرد : حلق الدرع . (٧) النازح : البعيد ، وفى الأصل « أيامى » بدل « أيام » والأنسب ما أثبتناه ، والمعدى : المعين والناصر . (٨) القد : القيد وهى قطعة من الجلد يقيد بها . (٩) الطرقة : الطريق ، والعرى : المراة من السرج ، والمطهمة : التامة الحسن ، والجرد : جمع الأجرد والجرداء وهى من الخيل قصيرة الشعر والسابقة .

فكم وطنٍ بالوُدِّ مِنّى سكنتُه ... وإنْ لم أُجرِّرْ فى جوانبِه بُرْدِى
بقلبىَ كَلْمٌ من فراقك مؤلمٌ ... وكم بالفتىٰ كَلْمٌ وما حزّ بالجلدِ (١)
ودمعِى على مافاتنِى منـــك قاطِرٌ ... كأنّىَ دون النّاسِ فارقتنِى وَحـدى
سقَى اللهُ أيّاماً مضينَ وأنت بِى ... حَفِىٌّ قريبُ المُلتقىٰ سَبِلُ الرّعدِ (٢)
لهنّ بقلبِى عَبْـقَةٌ أرَجِيَّةٌ ... تبرّحُ بالنفْحاتِ من عنبرِ الهندِ
وقد حال فينا كلُّ شىء عهِـدتُه ... فلم يبقَ محفوظاً عليك سوى عهدِى
ولولا هَناةٌ كنتُ أقربَ منزِلاً ... وما كلُّ سرٍّ فى جوانحنا نُبدِى (٣)
فإنْ تَنْـأ فالعَيُوقُ ناءٍ وإنْ تَغِبْ ... فقد غابَ عنّا بُرهةً كوكبُ السّعدِ (٤)
ولا خـير فى وادٍ وأنت بغـــيرِه ... وما العيشُ مطلولاً خلافك بالرّغدِ (٥)
وإنّىَ مغمودٌ وإنْ كنتُ باتِراً ... ولا بُدّ يوماً أن أُجرَّدَ من غِمـدِى
فإن كنتَ يوماً لستَ ترضَى ضريبةً ... فإنّك ترضَى بالضريبةِ عن حَـدّى
لَحَى اللهُ أبنـــاءَ الزّمانِ فإنّهمْ ... بِتَيْهاءَ لاتدنو ضَلالاً عن القَصـــدِ
ولم يُرَ إلاّ الهزْلُ يَنفُقُ عنــدهمْ ... فمن يشترى منّى إذا بعتُه جِدّى ؟
ومختلطاً فيـــه الذّوائبُ كالشّوىٰ ... وحُرُّهمُ من لُبسةِ الذُلِّ كالعبدِ (٦)
وكم فيهمُ للجهلِ ميتٌ وربّمـــا ... يموت امرؤ لم يطوِه القومُ فى اللّحْدِ
فياليتَ أدواءَ الزّمانِ الّتى عَصتْ ... وأعيتْ على كلِّ المداواةِ لا تُعـدِى
وليس وفاءٌ للجميل بموعـــدٍ ... لَدَىَّ ويأتينِى القبيحُ بلا وَعْدِ

---

(١) الـكلم: الجرح . (٢) الحفى : المبالغ فى الإكرام والعارف بالشىء معرفة حقة ومن المعنى الأخير قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة كأنك حفى عنها » : أى عارف بها ، والسبل : ذو السبل وهو المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الأرض . (٣) الهناة : الداهية : والجوانح: الصدور . (٤) العيوق : نجم عال . (٥) العيش المطلول : الناعم البهيج .

(٦) الذوائب : جمع الذؤابة وهى شعر الناصية أى مقدم الرأس ، والشوى : الأطراف وتطلق على جلدة الرأس . واختلطت ذوائب القوم بالشوى أى امتزج الرئيس بالمرءوس والعزيز بالذليل .

وكم لك عنـــدى من حقوقٍ كثيرةٍ   أنَفْنَ على حصرى وأعيا بها عَدِّى

فإنْ فُتنَ حمـــدِى كثرةً وزيادةً   فللّهِ درُّ الفائتاتِ مدٰى حمـــدِى

وإنّى لمُهدٍ كلَّ يومٍ قصيدةً   إليك وما يُهدى الأنام كما أُهدِى

يسير بهـــا عنِّى الرُّواةُ وإنّها   لتَخدِى وما تخدِى الرُّواةُ كما تخدِى(١)

من الـكَلِمِ الباقى على الدّهرِ خالداً   وكم كَلِمٍ لم يُؤتَ شيئاً من الُخلدِ

هو المـــاء طوراً رِقّةً وسلاسةً   وطوراً إذا ما شئتَ كالحجرِ الصَّلْدِ

وما قُدَّ إلّا من قلوبٍ أديمُهُ   فليس له فيهنَّ شىءٌ من الرّدِّ

فخـــذه رسولًا نائباً عن زيارتى   فإنّ قصيدى فيك أنفعُ من قصدِى

ودمْ لجلالٍ لستَ فيـــه مُشارَكاً   وبذلِ النّدٰى فى النّاسِ والحلِّ والعَقدِ

* * *

وقال فيه أيضاً :

إنْ قَطَعَتْنى عِلّتِى عن قصدى   وصدّنى الزّمانُ أىَّ صَدِّ

عن مِشيتى وَخَبَبِى وشدِّى   فإنّنى لحاضرٌ بوُدِّى

وبوفائى وبحسنِ عهدِى   سيّانِ قربى معـــه وبُعدِى

قلْ لعميدِ الدّولةِ الأشدِّ   والمعتلِى فى هضباتِ المجدِ

والمشترى الغالِى مدًى من حمدِ   من مالِهِ وجاهِهِ بالنَّقْدِ

مُمضى عطاياه بغـــير وَعْدِ   كم لك من بحر فخارٍ عِدٍّ ؟(٢)

يفوت إحصائى ويُعيِى عَدِّى   حوشيتَ من مكرِ اللّيالى النُّكْدِ

ومن خصامِ النائباتِ اللُّدِّ   قد زارك الحولُ بكلِّ سَعدِ

---

(١) تخدى : تسرع .   (٢) العد (بالكسر) : الماء الكثير .

وبالبقـــاء الواسعِ المتدّ فاجرُرْ به ما شئته من بُرْدِ
فوتَ الرّدٰى ممتّعاً بالخُلدِ ثنْ بالإلهِ المتعـــالى الفرْدِ
ولا تخفْ فى مطلبٍ من ردٍّ ما لبنِى عبـــد الرّحيم الأُسدِ
من مُشبهٍ فى سؤددٍ ومجدِ خيرِ كهولٍ فى الورٰى ومُرْدِ
وخيرِ حرّ بيننا وعبـــدِ فيهم هوٰى حَلىَّ وفيهمْ عَقدِى
إنْ ركبوا يوماً لداهِ معـــدِ رأيتَ جُرداً فوق خيلٍ جُردِ
متىٰ أكن فيهمْ معيناً وحدِى فلنْ ينالوا للعـــدٰى بحَشْدِ
ولا يجدّون لديهمْ جِـــدّى غيرُ كلامى فيهمُ لا يُجدِى
وكلُّ زندٍ غير زندى يُكدِى ما مسّهمْ فهْوَ إلىَّ يُعدِى (١)
وما فَراهمْ فهْوَ فارٍ جِلدى ما لهمُ والله مثلى بَعدِى (٢)

* * *

وقال فى الافتخار :

باللهِ يا أيّامَ يثربَ عودى عودِى لبلِّ حُشاشةِ المعمودِ (٣)
ما كان أنضرَ بينهنّ محاسنِى ـفى أعينٍ رُمُقٍ ـوأخضرَ عودِى! (٤)
أيّامَ لم تحنِ النّوائبُ صَعْدَتِى بمرورهنّ ولا لَوَيْن عمودى (٥)
كلاّ ولا عَبِثتْ بُيَيْضاتُ الرّدٰى فى مَفرَقِى أو عارضىَّ بسودِ
يا بُعْـــدَ ما بينى وبين حبائبى والشّيبُ فى فَوْدَىَّ غيرُ بعيدِ (٦)
ولقد علمتُ وقد نُزِعت شبيبتى أنْ لا نصيبٌ فى الظّباء الغِيدِ

---

(١) يكدى : يكل ولا يقدح . (٢) فرى : شق . (٣) الحشاشة : بقية الروح فى البدن ، والمعمود : المريض . (٤) الأعين الرمق : الرامقات أى الحاسدات ورمقه أطال النظر إليه ، وأخضر معطوف على أنضر . (٥) الصعدة : القناة المستوية .
(٦) الفودان : جانبا الرأس أو الشعر النابت عليهما .

قد كان لى سهمٌ سديدٌ فى الدُّمَى ... لـكنّه بالشّيب غيرُ سَديدِ (١)

قل « للّتى » ضَنّتْ علىّ بنظرةٍ ... ذاتِ اللَّمَى واللّؤلؤِ المنضودِ (٢)

لِمْ تأسفين على المحبّ بقُبلَةٍ ... فـكأنّ ثغراً منك غيرُ بَرودِ ؟ (٣)

خلِّ القُطوبَ من الأسرّةِ «وَاْكتِنِى» ... عن عقـــدهنّ بفرعك المعقودِ (٤)

أنتِ الطليقـــةُ فى هواهُ فاعلِى ... وتحـكّمى فى الموثَقِ المصفودِ

قد كنتُ جَلْداً فى الهوَى لـكنّنى ... يوم الفراقِ عليْـــهِ غيرُ جَليدِ

كم فى الهوادج من قضيبٍ مائسٍ ... أو مُرتوٍ ماءَ الصِّبا أُملودِ (٥)

ما إنْ درى ماذا إليه يقودنى ... من حُبّهِ و يعودنى من عيـــدِى

ما لِى وقد لفّ الصّباحُ خيامهمْ ... غـــيرُ الزّفير وأنّةِ المورودِ (٦)

وممـــاطِلٍ إنْ جاء يوماً وعدُه ... غلطاً ومـكراً ضنّ بالموعودِ

فى جيده من حسنِـــهِ حَلْىٌ له ... والحَلْىُ خيرٌ منـه حسنُ الجيد (٧)

لِى فُرقتانِ ففرقـةٌ بيد النّوَى ... أو فرقةٌ لتجنّبٍ وصُـــدودِ

قلْ للذى ساق الظّعائنَ ربّمـــا ... سوّقتَ قلبِى بين تلك البيـــدِ

ورميتَ فى قلبِى وفى عينِى معاً ... بالنّارِ ذاك وتلك بالتّسهيدِ

و إذا دموعِى يومَ سِلنَ شهدن بالـ ... وجـــدِ المبرّح لم يفدْكَ جُحودِى

ما ضرّ من يسرِى سُراه ووجهُهُ ... خلفَ البدور على ليـــالٍ سودِ

فى ليـــلةٍ بُرْدُ السّماء « موشّحٌ » ... بنجومهـــا والنجمُ كالمنقودِ (٨)

---

(١) الدمى : جمع الدمية وهى الصورة كالصنم من العاج أو غيره . (٢) فى الأصل « للذى » محرفة عن « التى » ، وضنت : بخلت ، واللمى : سمرة مستحسنة تعلو شفتى الفتاة فهى لمياء (٣) البرود : فعول من البرد . (٤) فى الأصل « واقتنى » محرفة عن « واكتنى » والفرع : الشعر . (٥) المائس : المائل ، والأملود : الناعم الغض .

(٦) المورود : الذى طرقته الورد وهى الحمى .

(٧) الجيد : العنق . (٨) فى الأصل « موشم » مصحفة عن موشح وهو الذى لبس الوشاح (بالضم) : وهو شبه المنطقة عريض مرصع بالجوهر تشح به المرأة .

فى كلّ يومٍ تستجدّ قطيعـــةٌ	وجديدُ لؤمِ المرءِ غـيرُ جـديد
ياصاحِبى فُزْ بالرّشــــاد وخلِّنِى	فلقد رضيتُ أكون غـيرَ رشيدِ
هب لِى المـلامَ على الغرام فإنّنِى	ملآن من عذلٍ ومن تفنيـدِ (١)
قمْ سلّ قلبِى كيف شئتَ ولا ترُمْ	منـه السُلوَّ عن النّساءِ الرُّودِ (٢)
لا تسألنّى أنْ أعيشَ بـــلا هوًى	فيهنّ وأسألْ طـارفِى وتليدِى (٣)
قد كنتَ جارى فى شبيبة أعصُرِى	فـكن المجاور فى الزّمان المودِى (٤)
وأمزجْ صفاءً قد عـــداك برَنْقِه	وأُخلطْ زمانًا ناعمًا بشـديدِ (٥)
ما إنْ رأيتُ ولم أكن مُستثنياً	فى هـــذه الأيّامِ من محمودِ
وإذا ألتفتّ إلى الذين ذخرتُهمْ	لشـديدتى لم ألفِ غـيرَ حسودِ
أنا بين خالٍ من جميلٍ قلبُه	ومن القبيح وبين كلّ حقودِ
وإذا صُددتُ عن المواردِ جمّـــةً	فمتى يـكون وقد ظمئتُ ورودِى ؟
لا بُلّغتْ عِيسِى مداها إن نحتْ	غـــيرَ الـكرامِ وقُيّدت بقيودِ
إن لم أُثِرها كالقطا نحو العُـــلا	يطوين بالإرفادِ كلّ صعيـدِ (٦)
وتلفّ أيديهـا على طول الوَجا	لفّ الإزارِ تهـــائمًا بنجودِ (٧)
لا تستفيق من الدُّؤوب وإنّما	يضربن بِيداً فى الفَـلاةِ ببيـدِ (٨)
فعريتُ فى يوم الفخارِ على الورى	من فخرِ آبائى وفخرِ جـدودى

---

(١) التفنيد : التقريع والتكذيب . (٢) الرود : الشابة الحسنة وأصل الوصف مهموز . (٣) الطارف : المال الحديث المكتسب ، والتليد : القديم الموروث . (٤) المودى : المهلك . (٥) الرنق : الكدر . (٦) الإرفاد : ضرب من السير شبه الهرولة ، والصعيد : وجه الأرض . (٧) الوجا : الحفا أو أشده . (٨) الدؤوب : التعب والجد فى السير .

قوم إذا سمعوا بداعيـــةِ الوغى طلعوا النّجادَ على الجيادِ القُودِ (١)
لا يعبأون إذا الرّماحُ تشـاجرتْ يوماً بمـــا نسجتْ يدا داوودِ (٢)
ودفاعهمْ وقراعهمْ أدراعهمْ يومَ الوغى من طعنِ كلّ وريدِ
سادوا أكابرَ قوم كلّ عشـيرةٍ من قبل قطعِ تمـائمِ المولود (٣)
فإذا سرحتَ الطّرف بين بيوتهم لم تلق غيرَ مُغبَّطٍ محسودِ
وأنا الّذى أطلقتُ أسْرَ سماحـةٍ فى النّاسِ أو أنشرتُ مَيْتَ الجودِ (٤)
ما الفرقُ إنْ لم أعطِ مالىَ مُعـدماً ما بين إعدامِى و بين وجودِى ؟
فلو أنّ حاتِمَ طىّءٍ وقبيـــلَه وفدوا علىَّ تعلّموا من جودِى
ما للرّجال إذا هُمُ حذروا سوى حرمِى الأمينِ وظلّىَ الممـدودِ
لم أتلُ قطّ مسرّةً بمضرّةٍ فيهمْ ولا وغـــداً لهمْ بوعيدِ
نقضُ الجبال الشُّمِّ لا يُعيِى وقـد أعيا على الأيّام نقضُ عهودِى
و إذا عقـدتُ فليس يطمع طامعٌ فى أن يحلّ براحتيـهِ عقودِى
والحـادثاتُ إذا طرقن فلم أكن عنهنّ نوّاماً ولا بهجودِ
إنْ أضحِ عضباً فالقاً قِمم العـدٰى فلربّ عضبٍ عِيق عن تجريدِ
ليس الأسودُ ـ و إن مُنِعنَ فرائساً وربضن فى الغـاباتِ ـ غيرَ أسودِ
و إذا قعدتُ فسوف تبصرُ أعينٌ منّى قيـامِى فى خـلال قعودِى
أنا مُلجَمٌ بالحزمِ عن قولى الّذى لو قلته لأشبْتُ كلَّ وليــدِ
حتى متى أنا فى ثيـابِ « إضامةٍ » أقرِى المنـاجِى زفرةَ المجهودِ (٥)

---

(١) القود : جمع أقود وقوداء وهو من الخيل ما طال ظهره وعنقه . (٢) يقصد بما نسجت يدا داوود (ع) الدروع إذ كان يعرف بصنعتها . (٣) التمائم : جمع التميمة وهى الخرزة وما شاكلها تعلق على الطفل لوقايته من إصابة العين على زعم العرب . (٤) أنشرت: أحييت.
(٥) إضامة : كذا ورد فى الأصل ولعلها « إضافة » يقال أضاف الرجل إذا افتقر أو أصابه ضيق فى حاله (م . ج) ، أقول : ولعل المقصود من الإضافة معنى الخوف والحذر وضاف الرجل « خاف » ومنه حذر ، وأقرى : أضيف ، والمناجى : المخاطب ومنه النجوى وهى الصوت الخفى (ر . ص .).

أُلوَى عن الأوطانِ لا تدنو لهـا ... كفّاىَ لَىَّ الأرقمِ المطرود (١)

وأُذادُ عن وِرْدِى وبى صداً وكمْ ... ظمآنِ قومٍ كان غيرَ مَذودِ (٢)

أبغِى الرَّذاذ من الجهـام وتارةً ... أرجو وأمرِى دَرَّ كلِّ جَدودِ (٣)

والخيلُ تعثر بالجماجم والطُّلَى ... مخضلّةً عن يابس الجُلمودِ (٤)

للهِ دَرُّكمُ بنِى موسَى وقد ... صُدِمَ الحديدُ لدى وغًى بحـديد !

ما إن ترى إلّا صريعاً هافيـاً ... كَرَعَ الحِمـامَ وليس بالملحودِ

ومُجدَّلًا بالقاعِ طار بصفوه ... نَسْرٌ وبقّى شِلْوَه للسِّيدِ (٥)

هـذا وكم جيشٍ أتاهمْ ساحباً ... فوق الإكامِ ذيولَ كلِّ بُرودِ (٦)

غصّـانَ من خيلٍ به وفوارسٍ ... ملآنَ من عُدَدٍ له وعديدِ

ردّوا رءوساً كنَّ فيه منيعةً ... بالضّربِ بين مُشجَّجٍ وحصيدِ

ومتى اُستَرَبْتَ بنَجْدتِى فى خُطّةٍ ... فمِنَ الطّعانِ أوِ الضِّراب شهودِ

خذها فما تسطيع تَدفعُ إنّهـا ... فى الغايةِ القصوَى من التّجويدِ

مالا كها من شاعرٍ حَنَكٌ ولا ... أفضَى إليها ذهنُ كلِّ مُجيدِ

غرّاء لو تُليتْ على ظُلَمِ الدّجَى ... شابتْ لها لِمَمُ الرّجالِ السُّودِ

يُنسيك نظمٌ حيك بين كلامها ... نَظْمَ الثغورِ ونَظْمَ كلِّ فريد

ليس الّذى اُعتسف القريضَ بشاعرٍ ... وإذا أصابَ فليس بالمحمودِ

وإذا التوَى الكَلِمُ الفصيحُ على امرىءٍ ... يوماً فأحرارُ الـكلامِ عبيـدى

---

(١) الأرقم : الحية . (٢) أذاد : أطرد . (٣) الرذاذ : المطر ، والجهام : السحاب لا ماء فيه ، وأمرى : أستحلب من مرى الناقة أى مسح ضرعها لتدر اللبن ، والدر : اللبن ، والجدود والجداء : الناقة التى جف ضرعها . (٤) الطلى : الرقاب ومفردها الطلية . (٥) الشلو : العضو والجمع أشلاء ، والسيد : الذئب . (٦) الإكام : جمع الأكمة وهى التل .

و إذا أردتَ تَعافُ ما سَطَر الورى فأسمعْ قصيدى تارةً «ونشيدى»[1]

* * *

وقال يمدح القائم بأمر الله ويهنئه بالذخيرة[2]

وذلك فى جمادى الآخرة سنة « ٤٣١ » :

قمْ فائتِ لِى فوق الوهاد وسادِى فالآن طاب بفِىَّ طعمُ رقادى

قد شرّدتْ نَصَبِى وأيْنِى راحتِى وأستبدَلَتْ عينِى الكرى بسُهادِ[3]

و إذا رعيتَ لِىَ الإخاء فهنِّنِى ببلوغ أوطارى ونيــلِ مُرادِى

للهِ يومٌ « ملتُ » فيــه على المُنى وثنَى الزّمانُ إلى السرورِ قيادِى[4]

وحذرتُ دهرِى من أمورٍ جمّـةٍ فأناخَ فيــه الأمنُ وسْطَ فؤادِى

نفحتْ أمــيرَ المؤمنين عطيّةٌ غرّاء من وافى العــطاء جوادِ

جبلٌ من الأجبــال إلاّ أنّه عند الورى ولدٌ من الأولادِ

والسّيفُ أنتَ ولم يكُن مَن سَلّه فينا ليتركه بغــير نِجــادِ[5]

والغابُ أهيبُ ما يكون إذا ثوَتْ أشبالُه فيــــه مع الآسادِ

والطّعنُ فى الأرماحِ يُعوِزُ فى الوغى لولا الأسنّةُ فى رءوس صِعادِ[6]

والنّصلُ لولا حــدُّه وغِرارُه ما كنتَ حاملَه ليومِ جِلادِ[7]

---

(١) فى الأصل « قصيدى » مكرورة فى موضع « نشيدى » والظاهر أنها من سهو الناسخين ويؤيد ذلك قوله فى آخر القصيدة التى تتلو هذه :

لاعيبَ فيه غيرَ أنْ لم يستمعْ من منطقِى ويزفّه إنشادِى

(٢) هو ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بأمر الله ، وقد رشحه أبوه للخلافة ورباه تربية حسنة إلا أنه توفى فى ذى القعدة سنة « ٤٤٧ » كما فى المنتظم « ج ٨ ص ١٦٥ ، ١٦٨، ٢٩٢ » وكامل ابن الاثير فى حوادث تلك السنة ، ومرآة الزمان (م . ج .) . (٣) الأين : التعب .

(٤) فى الأصل « قلت » بدل « ملت » .

(٥) النجاد : حمائل السيف . (٦) يعوز : يتعذر ويصعب ، والصعاد : جمع الصعدة وهى القناة المستوية . (٧) الغرار (بالكسر) : حد السيف .

قالوا أتى ولدٌ فقلتُ صدقتمُ ... لكنَّه عَضُدٌ من الأعضادِ

إنْ كان فى مهدٍ رضيعاً « نُومةً » ... فغداً يكون على ذُرا الأعوادِ (١)

وتراهُ إمّا فوق صَهْوةِ منبرٍ ... يَعِظُ الورى أو فى قَطاةِ جوادِ (٢)

ما ضرّه من قبلِ سلِّ غِمْدَه ... أنّ السيوف تُسَلُّ من أغمادِ

والبدرُ يطويه السِّرارُ وتارةً ... هو بارزٌ وسْطَ الكواكبِ بادِ (٣)

حيَّا الإلهُ صباحَ يومٍ زارنا ... فيه وحيّا ليلةَ الميلادِ

ريّانُ من ظفرٍ ونيلِ إرادة ... ملآنُ بالإسعافِ والإسعادِ

فَلَنِعمَ « عِهداً » عهدُه وأوانُهُ ... سقّاه ربّى صوبَ كلِّ عِهادِ (٤)

لو أنصف القومُ الألى لم ينصفوا ... جعلوا به عيداً من الأعيادِ

ياخيرَ مَن حنّتْ إليه سريرتى ... طرّاً ومَن حنّتْ إليه جيادى

وأبنَ الذى طال الخلائقَ كلَّهمْ ... فضلاً وإن كانوا على الأطوادِ

ما إن رأيتَ ولا ترى شِبهاً له ... أبداً من الزُّهاد والعبّادِ

روّى بصائرَه تُقًى ويمينُه ... جلّتْ عن الشّهواتِ وهْىَ صوادِ

فكأنّه لخشوعه ـ ولباسُه ... حُللُ الخلائفِ ـ مرتدٍ بِنجادِ

ذخروا النُّضارَ لهمْ ولم تكُ ذاخراً ... إلاّ ثوابَ لُهاً وشكرَ أيادِ (٥)

أنا ذلك المحضُ الذى جرّبتُمُ ... أبداً أُوالِى فيكُمُ وأعادِى

وإذا بلغتُكُمُ عقرتُ ركائبى ... ونقضتُ من حذَرِ النّوى أقتادِى (٦)

---

(١) النومة : الكثير النوم ، والأصل نومة (بضم النون وفتح الواو) وحذفت الفتحة للخفة وضرورة الشعر . وفى نسخة الأصل « نومه » . (٢) الصهوة : مقعد الفارس من الفرس ، والقطاة : مركب الرديف وآخر الظهر . (٣) السرار (بالكسر) : آخر ليلة من الشهر . (٤) فى الأصل « عهد » فى موضع « عهدا » خطأ ، والعهاد : أول مطر الربيع مفردها عهدة (بفتح العين وكسرها) وعهادة . (٥) النضار : الذهب ، واللها : جمع اللهوة وهى العطية ، والأيادى : النعم . (٦) نقضت : كسرت ، والنوى : البعد والترحل أو إزماعه ، والأقتاد: جمع : القتد وهو خشب الرحل .

ما إنْ أبالى بعـــد قُربى منكُمُ ... أنْ كان مِن كلٍّ الأنام بِعادى

وإذا نصحتُ لـكمْ فما ألوِى على ... ما شفّنى أو فتّ فى أعضادى (١)

إنّى لراضٍ .بالسِّفالِ وأنتمُ الـ ... مُعلون لى ولقد علتْ أجدادِى

أبوابُـكمْ كرماً وجوداً فانْضاً ... عَطَنُ الوفودِ وغايةُ القُصّادِ (٢)

ما إنْ يُرى إلّا عليها وحـــدَها ... وفدُ الورى وتزاحمُ الوُرّادِ

حوشيتُ أن أُغنى بغـــير ديارِكمْ ... أو أنْ أجرَّ بغـــيرِها أبرادِى

وإذا رشادى كان بينكُمُ فـــا ... أبغى إذا خُيّرتُ غـــيرَ رشادِى

وكأنّنى ضوّعتُ نَشرَ لَطيمةٍ ... لمّا سننتُ مديحَكمْ فى النّادِى (٣)

ما كان لولا أنّـكمْ قُدّمتُمُ ... مَنٌّ لمخلوقٍ على أكتادِى (٤)

أنا فى جوارِكُمُ بأنعمِ عيشةٍ ... وَأجلٍّ منزلةٍ وأخصبِ نادِ

راضٍ بأنْ نفسى فَدَتْك وما حَوَتْ ... كفّاىَ لِى من طارفٍ وتِلادِ (٥)

وإذا الزّمانُ نبا بنـــا عن مطلبٍ ... وغطا بياضَ طاعنـــا بسوادِ

قمنا فنلنا ما نشاء من العُلا ... بالقائم الماضى الشّبا والآدِى (٦)

شانِى الـكرامِ بفضلهِ فى نفسه ... طوراً وبالآباء والأجـــدادِ

ما كان إلّا فى السّماء وما ارتقى ... قُلَلَ المعـــالى فى بطونِ وِهادِ

لا تعتمدْ إلّا علىَّ لخدمةٍ ... إنّى وَجَدّك خيرُ كلٍّ عمـــادِ

ومتى انتقدتَ فان ترى لِىَ مُشبها ... فى خـــدمةٍ يا أخبرَ النُّقّادِ

وإذا أردتَ عظيمةً فاهتفْ بمنْ ... ما دبّ فيـــه على العظيمِ تمادِ

---

(١) فت فى عضده : أوهنه وضعفه . (٢) العطن : مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء .
(٣) ضوعت : نشرت ، والنشر : الرائحة ، واللطيمة : العنبرة لضمت بالمسك .
(٤) الأكتاد : جمع الكتد وهو مجتمع الكتفين من الإنسان . (٥) الطارف : المال الحديث المكتسب ، والتلاد والتليد: القديم الموروث . (٦) الشبا : حد السيف ، والآدى: القوى.

عَجِلٍ إلى داعى الصَّريخ كأنَّه   متوقعٌ أبداً نداء منـادِ
أنَا منكُمُ نسباً ووِدًّا صادقاً   أبداً أُراوِحُ حِفظَه وأُغادِى
أجـدْى على القُربى إلىَّ تقرّبى   وأحبُّ من نسبى إلىَّ وِدادِى
يا أيُّها المتحكمون على الورْى   بالعـدلِ فى الإصدارِ والإيرادِ
حسبى الّذى أُوتيتُه من حبِّكمْ   وولائكمْ ذخراً ليومِ مَعادِى
إنْ كنتمُ قَلَلْتُمُ لِىَ بينكمْ   شِبْهاً فقـد كثَّرتمُ حُسَّادِى
للهِ دَرُّكَ فى مُقـامٍ ضيّقٍ   حَرِّ الرّدى متلهّبِ الإيقـاد
وكأنّما الأقدامُ فيـه تقَلْقُلاً   وطئتْ على الرّمضاء شوكَ قَتادِ (١)
والسّيفُ يرتع فى يديك من العِدْى   بالضّربِ بين ترائبٍ وهوادِ (٢)
والرُّمحُ يهتِك كلَّ ثُغرةِ باسلٍ   طعناً ويشرب من دمِ الأكباد
وإذا أسال من الكَمىِّ نجيعَه   غِبَّ الطّعانِ أسالَ كالفِرصادِ (٣)
والخيلُ يستابُ الطّعانُ جلودَها   فكأنّهـا خُلقتْ بلا أجلادِ
حتّى وَفتْ لك نجـدةٌ ألبستَها   فى النّاكثين الوعدْ بالإيعادِ
وقضَتْ لدين الله كفُّك حقَّه   وبلغتَ للإسلامِ كلَّ مُرادِ
فاسمعْ مديحاً لم تَشِنْهُ مَينَةٌ   تسرِى قوافيـه بكلِّ بلادِ (٤)
قطّاعَ كلِّ ثنيـةٍ وتنوفةٍ   طلاّعَ كلِّ عَليّةٍ ونِجادِ (٥)
زينتْ به الأعراضُ فهْو كأنّه   وَشْىُ الجسومِ وحِليـةُ الأجسادِ

---

(١) الرمضاء : الحصى الصغار تلفحها الشمس فتحمى ، وشوك القتاد : شوك صلب .
(٢) الترائب : الصدور ومفردها تريبة ، وأصل الترائب عظام الصدر ، والهوادى : الأعناق .
(٣) الكمى : الشجاع ، والنجيع : الدم ، والفرصاد : صبغ أحمر ، (٤) تشنه : تنقصه ، والمينة : الكذبة . (٥) الثنية : الطريق فى الجبل ، والتنوفة : المفازة ، وطلاع الثنايا : ركوب الصعاب ، والنجاد : ضد الوهاد .

رِفْدِى عليه حسنُ رأيك إنّنى   راضٍ به من سائر الأرفادِ
لا عيبَ فيـــه غيرَ أنْ لم يستمعْ   من منطقى وبزفّه إنشادِى

٭٭٭

وقال يمدح جلال الدولة وقد تأخر مدحه فتقاضاه وألحّ رسوله عليه فارتجل وأرسلها :

أيا ملكَ الأملاكِ قد جاءنِى الذى   حبَوْتَ به من نعمةٍ ونعهّدِ
وأرسلتَ تستدعِى المديحَ وإنّه   لرأسِىَ تاجٌ والسّواران فى يدِى
ولم يـكن التّشريفُ لِى دَرَّ درّه   سوى خزِّ أثوابِى ودُرِّ مقـلّدى
وما أخّرَ النّظمَ الّذى كنتَ خاطباً   به بين هـذا الخلق فى كلِّ مشهدِ
سوى مرضٍ حوشيتَ منـه وإنّنى   لراضٍ بأنّى للأذى عنك مُفتَـدِ
وحال عن التّجويدِ ماقد شـكوتُه   ولم أرضَ قولًا فيكَ غـيرَ مجوَّدِ
وليس لمعقولِ اللّسانِ مقـــالةٌ   تُقَـــالُ ولا مَشْىٌ لرجلِ المقيَّدِ
وكيف أُطَرّاحِى مدحَ مَن كان مدحُه   به الدّهرَ تسبيحى وطولُ تهجّدِى ؟
أصولُ به فعـلاً على كلِّ فاعلٍ   وأزهى به قولًا على كل مُنشدِ
وكم لِىَ فى مدحِى عُـلاكَ قصـائدٌ   فَضَلْنَ افتخاراً نَظْمَ كلِّ مُقصَّدِ
يَسِرْن على الأكوار شرقاً ومغرباً   ويقطعن فينـا كلَّ بَرٍّ وفَدْفَدِ (١)
ويُطربن مَن أصغى لهنَّ بسمعِـه   كما أطربتْ ذا الخمرِ ألحانُ مَعبَدِ (٢)
فإنْ غرّد الشادِى بهنَّ تنغُّماً   تناسيتَ تغريد الحَمَـــامِ المغرِّدِ
خدمتك كهلًا مُذ ثلاثون حجةً   أروح بمـا ترضاه مِنّى وأغتَـدِى

---

(١) الأكوار : جمع الـكور وهو الرحل ،والفدفد : الفلاة .   (٢) معبد : اسم مغن .

ولم تكُ منّى هفوةٌ ما اُعتمدتُها فكيف لما تأتِى يدُ المتعمّدِ ؟
وما كان إلّا فى رضاك تشمّرِى ولا كان إلّا فى هواك تجرّدِى .
تنامُ الدّجى عنّى وأقطعُ عُرضَه دعاءً بما تهوى بجَفْنٍ مُسهّدِ
وأعلمُ أنّى مستجابٌ دعاؤُه لصادقِ إخلاصِى ومحض تودُّدِى
وكنتَ ملكتَ الرِّقَ مِنّىَ سالفاً فخُذْ رِبقَتِى عفواً بتلكَ مجدّدِ
فأمّا موالينا بنوك فإنّهمْ علَوْا فى سماء للعُلا كلَّ فرقدِ
سيوفُ غِوارٍ بيننا وتسلّطٍ كهوفُ قرارٍ بيننا وتمهّدِ [1]
همُ ورِثوا تلك النّجابةَ فيهمُ كما شئتها عن سيّدٍ بعد سيّدِ
حُسدتَ بهمْ لمّا تناهى كمالُهمْ ولا خيرَ فيمن عاش غيرَ محسّدِ
وكم لهمُ فى الملكِ من عَبَقٍ به ومن مرتقىً عالى البناء مشيّدِ [2]
وتُعرَف فيهمْ من شمائلك التى بهرتَ بها آثار مجدٍ وسؤدُدِ
ولم ترمِ لمّا أن رميت إلى المنىٰ بهمْ أسهماً إلّا بسهمٍ مسدّدِ
فلا زلتَ مكفيًّا بهمْ كلَّ ريبةٍ ولا زلتَ فيهمْ بالغاً كلَّ مقصدِ
وإنّك من قومٍ إذا شهدوا الوغى فما شئتَ من عانٍ بها وفتى رَدِ [3]
ومن أبيضٍ عند الضّراب مثلّمٍ ومن أسمرٍ عند الطّعان مقصّدِ [4]
أبَوْا أن يسدّوا عن عظيمٍ أناتِهِ وأن يُحجموا عن جاحمٍ متوقّدِ [5]
وأن يرجعوا إلاّ بشملٍ مجمّعٍ جنَوْه لهمْ من كفِّ شملٍ مبدّدِ
ولم يُرَ فيهمْ والمخاوفُ جمّةٌ مُوَلٍّ إلى أمنٍ ولا من معرّدِ [6]

---

(١) الغوار : الغارة . (٢) العبق : توهج رائحة الطيب ولصوقه . (٣) العانى : الأسير ، والردى : المردى أى الهالك . (٤) المقصد : المكسر . (٥) الأناة : الحلم ، والجاحم : الجمر المتوقد . (٦) المعرد : الهارب .

ولم يرتووا إلاّ بمـــا سال بالقنـا كما يرتوى بالماء من عطشٍ صَدِ
ودمْ أبداً للمجدِ والحمـدِ والنّدى تعومُ أنعاساً فى بقاء مخـــلَّدِ
وإن رام دهرٌ أن يسوءك صرفه فأصغى بمصلومٍ وعضّ بأدْرَدِ (١)
ولا طلعتْ يوماً على دولةٍ بهـــا بلغنا بها إلاّ كواكبُ أسعُدِ

***

وقال يرثى جده الحسين عليه السلام ومن قتل من أصحابه :

هل أنتَ راثٍ لصبّ القلبِ معمودِ دَوِى الفؤادِ بغير الخُرّدِ الُخودِ ؟(٢)
ماشفّــه هجرُ أحبابٍ وإنْ هجروا من غير جُرمٍ ولا خُلفِ المواعيدِ (٣)
وفى الجفون قذاةٌ غيرُ زائلةٍ وفى الضّلوع غرامٌ غيرُ مفقودِ (٤)
ياعاذِلى ــ ليس وجدٌ بتُّ أكتُمه بين الحشى ــ وَجدُ تعنيفٍ وتفنيدِ
شِربِى دموعِى على الخدّين سائلةً إن كان شرُبك من ماء العناقيدِ
ونمْ فإنّ جفوناً لِى مسهّدةً عُمْرَ اللّيالِى ولكنْ أىَّ تسهيدِ ؟
وقد قضيتُ بذاك العذل «مأْرَبةً» لو كان سمعِىَ عنه غيرَ مسدودِ (٥)
تلومنِى لم تُصبْك اليومَ قاذفتِى ولم يعدْك كما يعتادنِى عيـــدى
فالظّلمُ عَذلُ خلىِّ القلبِ ذا شَجَنٍ وهُجنةٌ لومُ موفورٍ لمجهودِ (٦)
كم ليلةٍ بتُّ فيهـــا غيرَ مرتفقٍ والهمُّ ما بين محلولٍ ومعقودِ

---

(١) المصلوم : مقطوع الأذنين ، والأدرد : ذاهب الأسنان .

(٢) المعمود : الذى هده العشق ، والخرد : جمع الخريدة وهى الجارية الحيية الحسناء ، والخود (بضم الخاء) : جمع الخود (بالفتح) وهى الفتاة الناعمة الحسنة الخلق . (٣) شفه : أضعفه وأضناه . (٤) القذاة : ما يعترض فى العين من قش وغيره . (٥) فى الغدير « ج ٤ ص ٢٥٥ » للشيخ عبد الحسين الأمينى « مأدبة » بالدال مكان « مأربة » وهو تصحيف ، والمأربة هى الحاجة يريد الإنسان قضاءها . (٦) الهجنة : النقيصة والعيب .

ما إن أحِنُّ إليها وهْيَ ماضيةٌ — ولا أقول لهـــا مستدعياً : عودِي

جاءتْ فكانت كعُوّارٍ على بصرٍ — وزايلتْ كزِيالِ المائدِ المودِي (١)

فإنْ يودّ أناسٌ صبحَ ليلِهِمُ — فإنّ صبحِي صبحٌ غيرُ «مودودِ» (٢)

عشيّةٌ هجمتْ منهـــا مصائبُها — على قلوبٍ عن البَلْوى محاييـــدِ

يا يومَ عاشورَ كم طأطأتَ من بصرٍ — بعد السموّ وكم أذللتَ من جِيدِ (٣)

يا يومَ عاشورَ كم أطردتَ لي أملاً — قد كان قبلك عندي غيرَ مطرودِ

أنتَ المُرنّقُ عيشي بعـــد صفوتِهِ — وموْلِجُ البيضِ من شيبي على السُّودِ (٤)

جُزْ بالطّفوفِ فكم فيهنّ من جبلٍ — خرّ القضاءُ به بين الجلاميدِ (٥)

وكم جريحٍ بلا آسٍ تمزّقهُ — إمّا النُّسُورُ وإمّا أضبُعُ البيدِ (٦)

وكم سليبٍ رماحٍ غـــيرِ مستترٍ — وكم صريعٍ حمامٍ غـــيرِ ملحودِ

كأنّ أوجهَهم بيضاً «ملألئةً» — كواكبٌ في عِراصِ القفرةِ السُّودِ (٧)

لم يطعموا الموتَ إلّا بعد أنْ حطموا — بالضّربِ والطعنِ أعناقَ الصّناديدِ

ولم يدعْ فيهمُ خوفُ الجزاءِ غداً — دماً لتربٍ ولا لحماً إلى سِيدِ (٨)

من كلِّ أبلجَ كالدِّينارِ تشهده — وسْطَ النّدِيِّ بفضلٍ غيرِ مجحودِ (٩)

يغشى الهياجَ بكفٍّ غيرِ منقبضٍ — عن الضِّرابِ وقلبٍ غيرِ مزْءودِ (١٠)

لم يعرفوا غيرَ بثِّ العُرْفِ بينهمُ — عفواً ولا طُبعوا إلّا على الجودِ

---

(١) العوار : ما يصيب العين من رمد أو بثر فى الجفن ، والمائد : المتحرك ، والمودى : المهلك .
(٢) فى الغدير « مورود » بدل « مودود » مصحفة . (٣) الجيد : العنق .
(٤) المرنق : المكدر ، والمولج : المدخل . (٥) الطفوف : اسم لأرض كربلا المشرفة بدماء الحسين والشهداء عليهم السلام . (٦) الآسى : الطبيب . (٧) فى الأصل وفى الغدير « ملألأة » والصواب « ملألئة » لأنه اسم فاعل هنا .
(٨) السيد : الذئب والأسد . (٩) الأبلج : الأبيض المضىء . (١٠) المزءود : المذعور .

يا آلَ أحمدَ كم تُلوى حقوقُكمُ ... لَيَّ الغرائبِ عن نبت القراديدِ (١)
وكم أراكمْ بأجواز الفلا جُزُراً ... مبدّدين ولكنْ أيَّ تبديدِ ؟ (٢)
لو كان ينصفكم من ليس ينصفكمْ ... ألقىْ إليكمْ مطيعاً بالمقاليدِ
حُسدتمُ الفضلَ لم يُحرزه غيركُمُ ... والناس «ما» بين محرومٍ ومحسودِ (٣)
جاءوا إليكمْ وقد أعطوا عهودهمُ ... فى فيلقٍ كزُهاء الليلِ ممدودِ (٤)
مُستمرحين بأيديهمْ وأرجلهمْ ... كما يشاءون رَكضَ الضُّمَّرِ القودِ (٥)
تهوِى بهمْ كلُّ جرداء مُطهَّمةٍ ... هوِيَّ سَجْلٍ من الأوذام مجدودِ (٦)
مستشعرين لأطرافِ الرّماح ومِنْ ... حدِّ الظّبا أدرُعاً من نسجِ داودِ (٧)
كأنّ أصوات ضرب الهام بينهمُ ... أصوات دوحٍ بأيدى الرّيح مبرودِ (٨)
حمائمُ الأيكِ تبكيهمْ على فَنَنٍ ... مُرنّحٍ بنسيم الرّيح أملودِ (٩)
نوحِى فذاك هديرٌ منك مُحتسَبٌ ... على حسينٍ فتعديدٌ كتغريدِ
أُحبّكمْ والّذى طاف الحجيجُ به ... بمُبتَنًى بإزاء العرش مقصودِ
وزمزمٍ كلّما قسنا مواردَها ... أوفىْ وأربى على كلِّ المواريدِ
والموقفَيْنِ وما ضحّوْا على عجَلٍ ... عندا لجمارِ من الكومِ «المقاحيدِ» (١٠)
وكلِّ نُسكٍ تلقّاه القبولُ فما ... أمسْى وأصبحَ إلّا غيرَ مردودِ

---

(١) القراديد : جمع القردد وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

(٢) جزراً : مجزرين أى منحورين (٣) فى الأصل « من » بدل « ما » من سهو الناسخ.

(٤) الفيلق : الجيش ، والزهاء : المقدار . (٥) الضمر : جمع الضامر والضامرة ، والقود من الخيل : ما طال ظهره وعنقه . (٦) المطهمة : من الخيل التامة الحسن ، السجل : الدلو العظيمة ، والأوذام : جمع الوذمة وهى السير بين آذان الدلو والخشبة المعترضة عليها ، والمجدود : المقطوع . (٧) مستشعرين : لابسين الشعار وهو الثوب الذى يلى البدن ويكون تحت الدثار . (٨) فى الغدير « مبدود » وفى ح ل « مبرود » مصحفة ، وبرد فى أيديهم أى حصل فى قبضتهم . (٩) الفنن : الغصن ، والأملود : الناعم اللين .

(١٠) الجمار : موضع رمى الجمرات بمكة ، والكوم : جمع الكوماء والأكوم وهو من الإبل الضخم السنام ، والمقاحيد : جمع المقحاد وهى الناقة عظيمة السنام ، وفى الأصل « مقاصيد » مصحفة.

وأرتَضِى أننِي قدْ متُّ قبلَكُمْ ... فى موقفٍ بالرُّدينيّاتِ مشهودِ (١)

جمٌّ القتيلِ فهاماتُ الرّجالِ به ... فى القاعِ ما بين متروكٍ ومحصودِ

فقلْ لآلِ زيادٍ أىُّ معضلةٍ ... ركبتموها بتخبيبٍ وتخويدِ (٢)

كيف استلبتم من الشّجعانِ أمرَهُمُ ... والحربُ تغلِي بأوغادٍ عَراديدِ ؟ (٣)

فرّقتمُ الشّملَ ممّنْ لفّ شملَكُمُ ... وأنتمُ بين تطريدٍ وتشريدِ

ومَنْ أعزّكمُ بعد الخمولِ ومَنْ ... أدناكُمُ مِن أمانٍ بعد تبعيدِ ؟

لولاهُمُ كنتمُ لحماً لمزدَرِدٍ ... أو خُلسةً لقصيرِ الباعِ مَعْضُودِ (٤)

أو كالسّقاءِ يبيساً غيرَ ذى بللٍ ... أو كالخباءِ سقيطاً غيرَ معمودِ

أعطاكمُ الدّهرُ مالا بدّ « يرفعه » ... فسالبُ العودِ فيها مورقُ العودِ (٥)

ولا شربتمْ بصفوٍ لا ولا عَلِقَتْ ... لكمْ بنانٌ بأزمانٍ أراغيدِ

ولا ظفرتمْ وقد جُنّتْ بكمْ نُوَبٌ ... مُقلقلاتٌ بتمهيدٍ وتوطيدِ

وحوّلَ الدّهرُ ريّاناً إلى ظَمِإٍ ... منكمْ وبدّلَ محدوداً بمجدودِ (٦)

قد قلتُ للقومِ حطّوا من عمائمهمْ ... تحقّقاً بمصابِ السّادةِ الصّيدِ

نوحوا عليه فهذا يومُ مصرعهِ ... وعدّدوا إنّها أيّامُ تعديدِ

فلِي دموعٌ تُبارِى القطرَ واكفةٌ ... جادتْ وإنْ لمْ أقلْ ياأدمعِي جودِى (٧)

☆☆☆

(١) الردينيات : الرماح ومفردها رديني نسبة إلى ردينة وهى امرأة اشتهرت بتقويم الرماح

(٢) التخبيب والتخويد : الإسراع فى السير .

(٣) الأوغاد : الأنذال ، والعراديد : جمع العرديد وهو المعرد أى المنحرف عن القتال أو الطريق.

(٤) المعضود : قصير العضد أو الذى تعضده النساء أى يساعدنه كناية عن الضآلة والضعف .

(٥) « يرفعه » كذا فى الأصل ولعله « يرجعه » أى يسترجعه. (٦) المحدود : المحروم، والمجدود : الغنى . (٧) الواكفة : السائلة .

وقال فى الشيب :

صددتِ بلا جُرمٍ صدودَ قطيعةٍ وعندكِ أنّى لا أُجازيكِ بالصدِّ
وغرّكِ أنّى فى إسارٍ من الهوى وكم فلتَ المأسورُ من حَلَقِ القِدِّ[1]
فلا تطلبِى ماليس عندى تعنّتاً سكيفيك منّى لو تأمّلتِ ماعندى

* * *

وقال فى الغزل :

ومُنتَقِباتٍ بالجمـــالِ أتيننا وقد ملّ منّا كلُّ راعٍ وعائدِ
فقُلن وقد أنـكرن مابِىَ من ضَنًى ألا ماترى ما بين تلك الوسائدِ ؟
فقلتُ وقلبِى واجفٌ غيرُ ساكنٍ غراماً ودمعِى سافحٌ غـيرُ جامدِ
وجدتُ غراماً ما تَجِدْنَ وما استوى بحاملِ ثِقلٍ فى الهوى غيرُ واجدِ[2]
فِلنَ كما مالتْ غصونٌ مَرِيحةٌ يضاحكن منّا حاضراتِ الولائدِ

* * *

وله من قصيدة[3] :

قومٌ ولاؤهُمُ حِصن وودّهُمُ لِمنْ أعدَّ نجـاةً أوثقُ العُدَدِ

* * *

وقال فى الطيف :

ما ضرّ من زار وجُنـحُ الدّجى يُـكحَلُ منـه الأفقُ بالإثمِدِ[4]

---

(١) القد (بالـكسر) : القيد ، والإسار مثلها . (٢) الوجد : الحزن ولوعة العشق .

(٣) أورد هذا البيت المفرد ابن شهر آشوب فى كتابه « المناقب ج ٥ ص ٦٩ » فى معرض سيرة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، والظاهر أنه من قصيدة طويلة . (٤) الإثمد : حجر يكتحل به (ويعرف طبياً بالأنتيموان) .

لو زارني والصّبحُ في شمسه | بلونها الفاقع في مُجْسَدِ [1]
كيف اهتدى لي في قميص الدّجى | من كان في الإصباح لا يهتدى ؟
أخلفني وعدُك في زَوْرَةٍ | فكيفَ وافيتَ بلا موعدِ ؟
ليستْ يداً منك وما زدتني | في النّوم شيئاً لم يكن في يدي
بات الكرى يوهمني أنه | مضاجعٌ جسمي على مرقدِ
حتّى إذا الصّبحُ بدا لمحُه | كنتُ مكانَ الأنزح الأبعدِ
وزار قلبي والهوى كلّه | زورة طرفي الأقرح الأكمدِ

* * *

وقال يرثى أحد رؤساء العرب :

رأيتُ فلم أرَ فيما رأيتُ | مصاباً كيوم ردى الأوحدِ
وعوّدني الرّزء مرُّ الزّمانِ | ومثلُ الّذي حلّ لم أعتدِ
وفارقني بغتةً مثلما | يفارق مقبض سيفي يدي
على حين دانتْ له الآبياتُ | وقاد القُرومَ ولم يُقتَدِ [2]
وقد كنتُ أحسب أنّ الحمامَ | بعيدٌ عليه فلم يَبعُدِ
وما كان إلاّ كقولِ العجولِ | مَن قام وسْطَ النّدى أقعدِ
وساعدني في بكائي عليهِ | كلٌّ بعيد الأسى أصيَدِ
تلين القلوبُ وفي صدره | أصمُّ الجوانبِ كالجلمدِ
وكم ذا رأينا عيوناً بكينَ | عند الرّزايا بلا مُسعِدِ
جرَين فألحقنَ عند الدّموعِ | صحاحَ النّواظرِ بالأرمدِ

---

(١) المجسد : القميص الذى يلى البدن . (٢) الآبيات : جمع الآبية وهى غير المنقادة ، والقروم : الشجعان مفردها القرم .

وأعيتْ محاسنُـه أن تنالَ فإنْ حَسدَ القوم ولم يَحْسُدِ
وكم قعد القومُ بعد القيـــامِ ومذ قام بالفضلِ لم يقعدِ
ومات وغادَرَه جُودُه خليَّ اليدين من العَسجدِ [1]
ولم يدّخرْ غـيرَ عزِّ الرّجال وعزٍّ يبين مع الفرقَدِ
وغيرَ ضِرابٍ يقطُّ الرءوسَ إذا خَمَـــدَ الجرُ لم يخمُدِ
وطعنٍ يمزّق أُهُبَ النّحورِ كمَقْمَقَةِ النّارِ بالفَرْقَدِ [2]
وكم قد شهدناه يومَ الوغى وبيضُ النّصولِ بلا أغْمُدِ
يَشُلُّ الكُماةَ بصدرِ القناةِ شلَّكَ للنَّعَمِ الشُّرَّدِ [3]
وتهديهِ في الظُّلماتِ السُّيوفُ وكم ضلَّ في الرَّوْعِ من مهتدِ
فتًى في المشيبِ وما كلُّ مَنْ حوى الفضلَ في الشَّعَرِ الأسودِ
فيالوعتي فيــه لا تقصُري ويادمعتي فيــه لا تجمُدِي
ويا سلوتي فيـــه لا تقربي وإن كنت«دانيةً»فأبعدِي [4]
ويالأمي في ثنـــاء له هَجَدْتَ وعيني لم تَهجُدِ
فلم أرثهِ وحدَه بلْ رثيتُ معالمَ عُرِّينَ من سُؤدُدِ
وما جاد جَفني وقد كان لا يجودك إلّا على الأجودِ
ووافقني بالوفاقِ الصّريحِ موافقـــةَ النّومِ للسُّهَّدِ
وإنّ التناسبَ بين الرّجالِ بالوُدِّ خـيرٌ من المحْتِدِ [5]
وخلّفني بانتحابٍ عليــهِ يقضُّ على أضلُعي مرقدِي

---

(١) العسجد : الذهب. (٢) الفرقد : من الأرض المستوى الصلب. (٣) يشل : يطرد ويذود. (٤) في الأصل « مبعدة » في موضع « دانية » وما وضعناه أنسب.
(٥) المحتد (كمجلس) : الأصل.

فإنْ عاد مضجَعِيَ العائدون خفيتُ نحولًا على العُوَّدِ
فقُلْ للقنابلِ لا تركبي وقلْ للكتائبِ لاتحشُدِي [1]
وقلْ للصُّلَاةِ بنار الحروبِ قد ذهبَ الموتُ بالمُوقِدِ
وقلْ للصّوارِم مسلولةً فُجِمْتُنَّ بالصّارِمِ المُغمَدِ
وقلْ للجيادِ يَلُكْنَ الشَّكيمَ بلا مُسرِجٍ و بلا مُلبِدِ [2]
أقمنَ فما بعــــده للخيولِ مقاديرُ حتَّى مع القُوَّدِ
وقلْ لأنابيبِ سُمرِ الرِّماحِ ثوينَ حِياماً بلا مَوْرِدِ
فلا تطلعَنْ فوقَــكنّ النّجومُ فذاكَ طلوعٌ بلا أسعُدِ
وكيف يرِدْنَ نجيعَ الكُماةِ بغيرِ شديدِ القُوَى أيِّدِ ؟
وقالوا تسلَّ ، وكلُّ أمرىء أرى ذا أسًى فبِمَنْ أقتدِى ؟
وكيف السُّلُوُّ وعندى الغرامُ يبرِّح بالرّجـــلِ الأجلَدِ ؟
ولى أسفٌ بافتقــــادٍ له نَفَدْتُ حنيناً ولم يَنْفَدِ
فياغافلًا عن طروقِ الحمامِ رقدتَ اغتراراً ولم يرقُدِ
و ياكادحاً جامعاً للألوفِ وغيرُكَ يأخـــــذ من غدِ
وهل للفتى عن جميع الغِنَى سوى بلِّ أنملةٍ من يدِ
فبِنْ مثلما بان ظلُّ الغَمامِ عن طالبى سحّهِ الرُّوَّدِ
و بِتْ كارهاً فى بطونِ التّرابِ وكم سكن التُّربَ من سيّدِ
ولا زال قبرك بين القبور يُنضَحُ بالسَّبِلِ المُزْبدِ [3]

---

(١) القنابل : جمع القنبلة (بفتح القاف) والقنبل وهى الطائفة من الناس أو الخيل .
(٢) الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام . (٣) السبل : المطر أو ما سال منه كالسبل .

وينديٰ وإنْ جاورته القبورُ وفيهنّ بالقاعِ غيرُ الندِى
وحيّاكَ ربّك عند اللقاءِ بعفوٍ ومغفرةٍ سَرمَدِ
وخصّك يومَ مَقرِّ العبادِ بالعطَنِ الأفسحِ الأرغدِ (١)

* * *

وقال فى النسيب :

سقانى السُّلافةَ من ريقه وأقطفني الوردَ من خدِّهِ (٢)
وعوّضني بقصير الوصالِ عمّا تطاول من صدِّهِ
وأوسعني الكُثْرَ من رِفْدِه وما كنتُ أطمع فى وعدِهِ
وقلتُ لمن لام فى حُبّهِ غَششتَ فمن لىَ مِن بعدِهِ ؟
وشاع غرامى به فى الأنامِ فمالى سبيلٌ إلى جَحْدِهِ
ومن أين أطلب فى حُسنِه له الشِّبهَ والحسنُ من عندِهِ

* * *

وقال فى الشيب :

أمِن شعرٍ فى الرّأس بُدِّلَ لونُه تبدّلتِ يا أسماء عنّى وعن ودّى ؟
فإنْ يكُ هذا الهجرُ منكِ أو القِلَى فليس بياضُ الرّأس يا أسْمُ من عندى (٣)
تصدّين عمداً والهوىٰ أنتِ كلّهُ وما كان شيبى لو تأمّلتِ من عمدى
وليس لمن جازته ستّون حجّةً من الشيب إنْ لم يردِه الموتُ من بُدِّ
ولا لومَ يوماً من تغيّرِ صِبغتى إذا لم يكن ذاك التغيُّرُ من عهدِى

* * *

(١) العطن : مبرك الإبل ومربض الغنم . (٢) السلافة : الخمر . (٣) القلى : البغض .

وقال في غرضه له :

إلى كم أقود قوماً بطاءً إلى ودادي ؟
وأهوى لهم دُنوًّا ويهوَوْنَ لي بعادِي
وأضحِي لهم صديقاً وما هم سوى أعادِ
وأبغِي صلاحَ شأنِي بمن همُّه فسادِي
وكم ذا أجود دهرِي لمن ليس بالجوادِ
أرى معشراً غضاباً لأنْ كنتُ ذا تِلادِ [1]
وأنْ كنتُ في الثُّريّا وكانوا ثرى الوِهادِ
ألا طالما رأيتمْ جثومِي على الوِسادِ
أنال الهوى ويُلقىٰ إلى راحتِي مُرادِي
وأعطى مقادَ قَوْمٍ أبيّ على القيادِ
وتجرِي إلى الأمانِي فلا تلتوِي جيادِي
ولِي منزلٌ حصينٌ مكينٌ من الفؤادِ
إذا همّ لِي بلاءٌ فلِي منه ألفُ فادِ
وأنتمْ جُفاءُ سيلٍ مُطارٍ بخَبْتٍ وادِ [2]
وإلّا فَسفْرُ دَوٍّ بعيدٍ بغير زادِ [3]
سرَوْا في القَواء صُبحاً عَطاشَى بلا مَزادِ [4]
وجابوا الفَلاةَ ليلاً ضلالًا بغير هادِ [5]

٭٭٭

(١) التلاد والتالد : من المال المقدم الموروث .
(٢) الجفاء (بالضم) : ما يلقيه السيل من الجانبين ، والخبت : ما انخفض من الأرض .
(٣) السفر : المسافرون والدو : المفازة
(٤) القواء : الأرض الجرداء ، والمزاد : القربة .
(٥) جابوا : طافوا وجالوا .

وقال فى النسيب :

قل للذى يحسدنا فى الهوى — والمرء لا يخلو من الحاسدِ

قد زارنى الظبىُ الذى لم يزلْ — يفلتُ من أُنشوطةِ الصّائدِ (١)

فى ليلةٍ ساهرها ـ نائلًا — ما يشتهى ـ خيرٌ من الرّاقدِ

قلتُ له والقولُ فى حقّهِ — يستخرج الحقْدَ من الحاقدِ

ليتَكَ لمّا كنتَ لِى مُمرضاً — جئتَ مع العوّادِ لِى عائدِى

إنّ عناءَ الواجدِ المُبتلىٰ — عتابُه مَن ليس بالواجد (٢)

* * *

وقال فى النسيب :

قادتْ حِرانِيَ يوم النَّفرِ خُرعُبَةٌ — وضلّ عنّى ما أُوتيتُ من جَلَدِ (٣)

قضتْ علىّ ولم تعمدْ بنظرتها — وكم أصابَ صميماً غيرُ معتمدِ

كأنّما مهجتِى والبُزْلُ مُرحلةٌ — مطيعةٌ للنّوى فى ماضِغَىْ أسدِ (٤)

فليتنِى ساعةً أشكو صبابتها — سرًّا إليها ولا أشكو إلى أحدِ

* * *

وقال فى البرق :

قلتُ وقد لاح بريقُ الدُّجى — مَنْ رَصّع الظّلماءَ بالعسجدِ ؟ (٥)

كأنّه يخفق ريحٌ علىٰ — رابيةٍ تلعب بالمِطْرَدِ (٦)

---

(١) الأنشوطة : حبالة الصائد وهى كالحبل المعقود وعقده يسهل انحلالها . (٢) أى عتاب من ليس بالواجد إياه. (٣) الحران : صعوبة الانقياد ؛ وحرن البغل وقف ولم ينقد ، والنفر والنفار : الذهاب ، والخرعبة : الشابة الحسنة اللينة الرخصة ، والجلد : الصبر . (٤) البزل : جمع البازل وهو الذى بزل أى طلع نابه من الإبل (٥) العسجد : الذهب . (٦) المطرد : الرمح القصير

هديتنِي الطُّرْقَ ولو لم تُنرْ لـكنتُ فى الظّلماء لا أهتدِى
كأنّه سَيفٌ ونـكنّه طوعُ بنانِ المُخرِجِ المُغمِدِ

✿ ✿ ✿

وقال فى الشيب (١) :

تقول لِى إنّما السّتّون مقطعـــةٌ بين الرّجال ووصلِ الُخرَّدِ الغِيدِ (٢)
وما استوى يَفَنٌ ولّتْ نضارته فى الغانياتِ بغضّ ناضرِ العودِ (٣)
فقلتُ ما الشّيبُ إلّا لبسةٌ لُبستْ ما أثّرتْ بِيَ فى بخلٍ ولا جودِ
ولا وفاء ولا غـدرٍ ولا كَلَفٍ ولا مـــلالٍ ولا إنجـازِ موعودِ
إنّ الحفــاظَ ـ و بيضِى فيه لامعةٌ ـ خيرٌ من الغدرِ لو جرّبتِ فى سودِى (٤)

✿ ✿ ✿

---

(١) وردت هذه القطعة فى « الشهاب ص ٨٧ » . (٢) الخرد : جمع الخريدة وهى الجارية الحسناء ، والغيد : جمع الغيداء وهى الفتاة المتثنية فى مشيتها . (٣) اليفن (بفتحتين) : الشيخ المسن.
(٤) الحفاظ : الذمام .

باب الدال المسكنة

وقال فى الغزل :

لا تلمني على الهوى فالهوى غالبُ الجَلَدْ
أيّمـــا صالحٍ مضى بهوى البيض ما فسدْ ؟
ليس ينجو من أن يُصا دَ بحبلِ الهوى أحدْ
أنا أهواه ظـــالمًا مُخلفـــاً ما به وعَدْ
كلّمـــا قمت طالباً وصْلَه فى الهوى قعــدْ
وإذا ما نفى وشرّدَ عنّى الكرى رقدْ

قافية الرّاء

باب الراء المضمومة

قال فى معنى عرضه له :

مِنّا الوصالُ ومنكُمُ الهجرُ　　　وعلى إساءتكمْ بنا الشّكرُ

ولكلّ من أسدى الجميلَ ـ سوى　　　مسدى الجميل إليكُمُ ـ أجرُ

ياطلعةً للحسن يظلمها　　　مَنْ قال يوماً إنّها البدرُ

إن كان جرماً ماظننتِ بنا　　　فالجرم يمحو « وِزْرَه » العذرُ [1]

حنّت إليكمْ كلُّ غاديةٍ　　　وبكىْ عليكمْ بعدِىَ القَطْرُ

وثراكُمُ لازال « مُلتمعاً »　　　فى حافتَيْهِ النَّوْرُ والزّهرُ [2]

وإذا ابتغىْ وطناً يقيم به　　　سحُّ الحيا فرُباكُمُ « الخُضْرُ » [3]

وكأنّ قلبى يوم بينِكُمُ　　　شطرٌ أقام وعندكمْ شطرُ

ولقد وقفتُ على وداعِكُمُ　　　وجوانحى من صبرها صِفْرُ [4]

وبهنّ مِن « تلذيع » بينِكُمْ　　　جمرٌ « بودّى أنّه الجمرُ » [5]

وإذا مددتُ يداً إلى جَلَدِى　　　فمحلّقٌ عنّى به نَسْرُ [6]

ياصاحبىَّ وما عذرتُكما　　　أنْ تنجوا عمّن به الأسرُ

---

(١) فى (هـ) « ذنبه » بدل « وزره » وفوقها بخط دقيق «وزره» كأنها مصححة .

(٢) فى (هـ) « ملتمعاً » محرفة عن « ملتمعا » ، والنور : زهر أبيض .

(٣) الحيا (بالقصر) : المطر ، وفى (س) « خضر » بدل « الخضر » .

(٤) الجوانح : الضلوع ، وصفر : خالية .

(٥) فى (ش) « تلديغ » فى موضع « تلذيع » وفى (هـ) «يؤدى أنه الحر» فى موضع « بودى أنه الجمر » تصحيف.

(٦) الجلد (بفتحتين) الصبر.

وصحوتُهـا عن صاحبٍ ثَمِـلٍ   لم تنزُ في أوصـاله الخمرُ [1]
سكرانَ من عُجبٍ يمرّ به   ولربّ سكرٍ دونه السُّكرُ
وصممًا عنـه وليس به   « ممّـا » يخاف عليكما وِقْرُ [2]
ألا وقد فسح الزّمانُ لنـا   أعطانَه واستُغزِرَ الدَّرُّ ؟ [3]
وكأنمـا الحولُ « المجرّمُ » مِنْ   غفلاتنا « عن » مرّه شهرُ [4]
وإذا الأزمّةُ فى أناملنـا   والنّهىُ للأقوامِ والأمرُ
للهِ أمٌّ غَلّستْ بفتًى   حتى شككنا أنه الفجرُ [5]
قامتْ تمطىّ عنـه عائلةً   أنّ الذى جاءتْ به الفخرُ
وتشاهدتْ من قبل مولده   بذكائهِ الأعراق والنّجرُ [6]
فأتى كما شاء الصديق له   «لا مَرْقَعٌ فيـه ولا جَبْرُ » [7]
وتخال كِبْراً فى شمائله   مِن عزّةٍ ولغـيره الكِبرُ
« وتراه فى يوم الهياج إذا   وَضَحَ الحِمامُ وصرّح الذُّعرُ » [8]
يهوى إلى قنصِ النّفوس كما   يهوى إلى فُرصاته الصّقْرُ
وبكفه فى كلِّ معركةٍ   ترد الدّماءَ البِيضُ والسُّمرُ
كم ذا أُطيلُ القولَ فى زمنٍ   سِيّـانِ فيه الخيرُ والشّرُّ ؟

---

(١) الثمل : النشوان من الخمر ، والأوصال : الأعضاء .
(٢) فى النسخ « عما » فى موضع « مما » والظاهر تصحيفها ، والوقر : الصمم .
(٣) الأعطان : جمع العطن (بفتحتين) وهو مبرك الإبل ومربض الغنم حول الماء ، والدر (بالفتح) : اللبن .
(٤) المجرم : التام ، يقال عام مجرم أى تام وفى (س) « المحرم » مصحفة وفى (ه) (المجوم) محرفة ، ولعل الأصل (فى مره) أى مروره فى موضع (عن مره) .
(٥) غلست : جاءت به فى الغلس وهى الظلمة .
(٦) الأعراق : جمع العرق وهو الأصل والنجر : مثله .
(٧) فى (ش) « لا مرتع فيه ولا خبر » مصحف عن « لا مرقع فيه ولا جبر » .
(٨) هذا البيت ساقط من نسخة (س) .

أشراره في نجوةٍ أبداً من شرّه والمبتلَى الحرُّ
قومٌ يرون الفقر بينهمُ أن تَعدَمَ الأموالُ والوَفرُ (١)
ويعدُّ غيرُهُم فقيرَهمُ مَن لا جميلَ له ولا ذِكرُ
وكأنّما المعروف بينهمُ من حشمةٍ منه هو الشُّكرُ
كيف الفلاحُ وبيننا خَلَفٌ لا نائلٌ منهمْ ولا بِشرُ ؟
نبذوا الجميلَ وراء أظهرهمْ فرباعهمْ من فعله قَفْرُ
واذا عددتَ خيارهمْ فهمُ من لا انتفاعَ بهمْ ولا ضَرُّ
في كلِّ يومٍ منهمُ تِرَةٌ لو كان في أمثالهمْ وِتْرُ (٢)
ولربَّ فعلٍ دقّ صاحبُهُ حتّى أتاكَ وجُرمُه هَدْرُ

* * *

وقال يفتخر؛ وهي من أوائل قوله (*) :

لَقَلّ غَناء العَتْبِ والجرمُ الدّهرُ وضلّتْ أمانٍ لا يُبَلّغُها العُمرُ (٣)
لَعَمْرُ العُلا لا ظَلّتُ طوعَ شكيّةٍ وإنْ كان قلبي مايحلُّ به وِتْرُ
لك اللهُ قلباً ما أقلّ اكتراثَهُ بما يتفادى من تحمّله الصّبرُ !
تمرُّ العطايا لا تكشّف ناجذي وتأتي الرّزايا وهْيَ من جزَعي صِفْرُ (٤)

---

(١) الوفر : المال .

(٢) الوتر (بالكسر) : الثأر .

(*) أورد الدكتور عبد الرازق محي الدين هذه القصيدة في كتابه «أدب المرتضى» «ص٢٦٤ـ ٢٧٠» غير مجردة من التصحيفات والتحريفات .

(٣) لقل : في جواب قسم محذوف مقدر .

(٤) الناجذ : واحد النواجذ وهي أقصى الأضراس ، وصفر : خالية ، وكأن المرتضى رضي الله عنه ضمن في هذا البيت معنى قول الشاعر :

ولستُ بمفراحٍ إذا الدّهر سرّني ولاَ جزعٍ من صَرْفِه المتقلّبِ

وذلك قول يجمع أدق وأرفع معاني الزهد المعبر عنه بقوله تعالى : « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

وسيّانِ عنـــدى ثَرْوَةٌ وخَصاصةٌ ... قنوعِىَ إثرائِى وللجزِعِ العُسرُ (١)
هجرتُ فضول العيش إلّا أقلَّهـــا ... وفى القوم من يطغَى على حلمه الوَفْرُ (٢)
أعفَّ وأسبابُ المطـــامع جمّـــةٌ ... وأعلم والألبابُ يخدعها « المَكْرُ » (٣)
لـكلّ زمانٍ خُطّـــةٌ من مذاهبى ... وأشقى الورٰى من «لا يصرّفه» الدّهرُ (٤)
ولم أرَ إلّا مَن يهِى عنـــد شدّةٍ ... ويأخذ من وافِى تجلُّدِهِ الضُّرُّ
صَمَتُّ ولم أصمتْ وفى القول فضـــلةٌ ... وقلتُ فلم يأنس بمنطِقِىَ الهُجرُ (٥)
وإنّى قليلُ الرّيثِ « فيما يُرِيبنِى » ... لذاكَ رِكابِى ليس يحظى بها مصرُ (٦)
غنىٌّ بنفسى عن عـديدى ومعشرِى ... «وإنِّىَ مَن يُلقَى » على غيره الفخرُ (٧)
ومولًى كداء القلب أعيا دواؤه ... يُجشِّمُنِى مالا ينوء به ظَهرُ (٨)
طوٰى عنِّىَ الإنصاف من غـير ريبةٍ ... وما بِى إلى الإنصاف من أحدٍ فقرُ
ألا ليت شعرى هل أرى غير صاحبٍ ... علىّ تلظّى سرُّه ولِىَ الجهْرُ
فمـــا « أمترِى » إلّا وفاءً مُصرَّداً ... مَذيقاً ينـــادى من جوانبه الغَدْرُ (٩)
إذا ما ترامتْ بِى سجايا « مخالِلٍ » ... فأهونُ ما ترمِى يداىَ له الهَجْرُ (١٠)
صديقك من أرضَى « مغيبَك » قولُهُ ... ولم يعرُهُ من « فسخ » عهدك ما يعرو (١١)

---

(١) الخصاصة : الفقر . (٢) الوفر : المال .
(٣) فى (هـ) « النـكر » بدل « المـكر » تصحيف .
(٤) فى (هـ) « يصرفها » بدل « يصرفه » من سهو الناسخ .
(٥) الهجر (بالضم) : الفحش والقبح فى الـكلام .
(٦) فى (س) « مما يريثنى » فى موضع « فيما يريبنى » .
(٧) فى (س و ش) « وأين من الماتى » بدل « وإنى من يلقى » محرفة .
(٨) ينوء : ينهض .
(٩) أمترى : معناها هنا أكتسب من امترى الناقة ومراها إذا مسح ضرعها لتدر اللبن ؛ والمصرد : القليل ، والمذيق : الممزوج غيرالخالص . وفى (س) « فما أن ترى » بدل « فما أمترى » .
(١٠) المخالل : المصاحب من الخلة وهى الصحبة والصداقة وفى (س) « مخاتل » من الختل والمخاتله وهى المخادعة .
(١١) فى (هـ) « لنيبك » بدل « منيبك » و « نسج » محرفة عن « فسخ » .

أما وأبِي ما بتُّ طوعَ مضيمـةٍ ... وقد عرّفتني نفسها البيضُ والسُّمْرُ
أبَيْتُ انقيـاداً للأنام « بجبله » ... وذاك صنيعٌ يستجيب له « الشّكرُ » [1]
يودّ رجالٌ أن أهشّ إليهم ... وقلّ عن الشّحناء ما ينفع البِشْرُ
وآنسَ بى مَنْ لا « يلين » قيادُه ... خلائقُ طالتْ أن يطاولها ذِكرُ [2]
وممّا نفى عن شيمتِي الكِبْرَ فيهمُ ... يقيني بأنّ الكُبرَ آفته الكِبرُ [3]
عدِمتُ المنىٰ ماأكدرَ العيشَ عندها ... ولولا المُنىٰ ما استنجد السَّفَرَ السَّفْرُ [4]
ومن عمرتْ دارُ المنى من همومه ... تمادى وَرَبْعُ المجد من مثله قَفْرُ
وما كَلَفِي بالعمر أهوىٰ وفورَه ... وعند الفَناءِ يستوى النَّزْرُ والدَّثْرُ [5]
وداء الورىٰ حبُّ الحياة وشدّ ما ... تفاقم خطبُ الدّاء ما كان لايبرُو
بنفسِيَ مَن لا يقبض اللومَ سمعُه ... ولا يُجتنىٰ من فرع منطقه عذرُ
جرىءٌ إذا ضاق العراكُ بأهله ... ملىءٌ إذا أكدىٰ من الأملِ الصّدرُ [6]
أحبُّ من الفتيان كلَّ مشيَّعٍ ... عصيّ فلا نهىٌ عليه ولا أمرُ [7]
يجرّ أمام الرّكب فضلَ قناته ... ولا قلبَ إلّا قد تملّكه الذُّعْرُ
ينال الصّدىٰ منه ويحمِى نطافهم ... حِفاظٌ على الضرّاء مركبُه وعْرُ [8]
ومستوهلٍ لايألفُ المجدَ فعلُه ... « إطاعته » باعٌ وغايته فِتْرُ [9]

---

(١) فى (ش وس) « بجبلة » وفى (هـ) « بجبله » والظاهر تصحيفهما عما أثبتناه ، وفى (ش) « الشكر » وفى باقى النسخ « البكر » والبكر (بالفتح) : الفتى من الإبل .

(٢) فى (س) و (هـ) « يذيل » بدل « يلين » .

(٣) الكبر (بالكسر) : الكبرياء وبضم أيضاً ، والشرف وهو المقصود بالكبر الثانى فى البيت

(٤) السفر (بفتح السين وتسكين الفاء) : المسافرون .

(٥) الفناء : الموت والهلاك ، والنزر : القليل ، والدثر : الكثير .

(٦) الملىء : الكافى الثقة، والغنى المقتدر ، وأكدى : افتقر وقل خيره وبخل .

(٧) المشيع : الشريف المهيب الذى يمشى الناس وراءه لتشييعه .

(٨) الصدى : العطش، والنطاف: جمع النطفة وهى الماء العذب، والحفاظ: الذمام، والضراء: البؤس.

(٩) المستوهل : الفزع ، وفى (س) « وطاعته » بدل « إطاعته » ، وفى هـ « طاعته » بلا واو ولا ألف .

يمدُّ إلى العلياء عيناً كليلةً ... ويبسط كفًّا ليس يعرفها النّصرُ
متى يشرع الخطِّىُّ يطلب « نحرَه » ... فكلُّ مكانٍ من جوانبه نحرُ (١)
أقول له والرّعبُ يصبغ لونَه ... وأنفاسُه يهفو بجرْيَتها البُهْرُ (٢)
سيعلم من بالظّنِّ يُحيى رجاءه ... بأنّ « مباراتى » لآماله قبرُ (٣)
ولى وَطَرٌ يُنجِى الجيادَ ادّكارُه ... ولم يشقَ منّى فى تذكّرِه فِكرُ (٤)
سأعطِى المطايا ما نَوَتْه إلى النّوى ... فما عاقنى وصلٌ ولا راعنى هَجرُ
إذا ما نَضَتْ أرضُ العراقِ ركابَنا ... فقلْ للمَهارَى « ثمَّ » تعريسُك الحشرُ (٥)
لبستُ بها البيداءَ والّليلُ نافرٌ ... وقد كاد أنْ يَفْتَرَّ عن ثغره الفجرُ (٦)
ومال الدّجَى يُخفِى عن الشرقِ شخصَه ... وفى قبضةِ الآفاق من جسمه شطرُ
أقول لصحبى والكرَى متردّدٌ ... يبدّده همٌّ وينظمه شُفْرُ (٧)
وقد عطفتْ أيدى الكرَى من رقابهمْ ... كما عطفتْ أعطافَ شاربها الخمرُ (٨)
عيونُ الدّجَى أحنى على المجد منكمُ ... فما بالها تَرْنو وأجفانُكمْ فترُ ؟
سألتُكمُ بالله لا تتثاقلوا ... على « عَلَلِ الآسادِ » أو يطلعَ البدر (٩)
وملمومةٍ يغشى النهارَ « غبارُها » ... لها لَجَبٌ كالرّيح هاجها القَطرُ (١٠)

---

(١) الخطى الرمح ، وفى (ه) « عزه » محرفة عن « نحره » .
(٢) البهر : انقطاع النفس من العياء .
(٣) فى (ه) « مباداتى » مصحفة عن « مباراتى » .
(٤) ادكاره : تذكره .
(٥) نضت : أبلت ، والمهارى : الإبل المهرية نسبة الى حى مهرة بن حيدان ، والتعريس : نزول المسافر للاستراحة ، والحشر : الجمع ، ومنه يوم الحشر أى القيامة ، وفى (س) « يوم » بدل « ثم »
(٦) يفتر : يضحك .
(٧) الشفر : منبت الشعر فى الجفن ، وقد يطلق على الجفن من باب إطلاق الجزء على الكل .
(٨) عطفت أثنت ، والأعطاف : الجوانب .
(٩) العلل (بالتحريك) السقية الثانية للابل والأولى نهل ، ولعل « علل الآساد » محرفة عن « عجل الإسناد » والإسناد : شدة العدو والجد فيه .
(١٠) الملمومة : من الكتائب الكثيفة المجتمع بعضها الى بعض ، وفى (ه و ش) « خبارها » بدل « غبارها » محرفة ، واللجب : الصوت والهيجان .

حملنا إليها الموتَ والبيضَ والقنـــا ... بأيدٍ دمُ الأبطال فى وقعها هَدْرُ

شَبينا بهـــا نارَ الطِّعانِ بفتيَةٍ ... مساعـــيرَ يخبو من تلظّيهم الجمرُ

إذا انتقموا لم يطمع العفوُ فيهم ... وإنْ صفحوا لم يستفزّهمُ الغِمرُ (١)

وما بعثوا فى مُستطيرٍ عزيمةً ... فحاجزها برٌّ ولا ذادَها بَحرُ (٢)

وإنْ تلقهمْ قُلّا لدى كلِّ مطمعٍ ... فإنّهمُ فى كلِّ نائبـــةٍ كُثْرُ

أمغريةً باللوم فى سمعِ معرضٍ ... دعوتِ شَروداً ما يحيقُ بهِ سِحْرُ ! (٣)

وراءكِ إنّى ما تركتُ لباحثٍ ... من الدّهر ما يُفضى إلىّ به «سَبْرُ» (٤)

نُمَا طلنِى الأزمانُ عن ثمراتهـــا ... وينجحُ فيما يدّعيه بهـــا الغَمْرُ (٥)

فياليتنى قصّرتُ طولَ تجاربى ... فلا عيشَ إلّا عيشُ مَنْ ما له خُبرُ

وأشهدُ لو طالتْ يدُ الحزمِ فى الورٰى ... لما دَرَّ للدّنيا على أهلها دَرُّ

ولو شئتُ حلّتْ ربقةُ المال فى يدى ... وما نفعُ مالٍ «دون عورتِه سِترُ» (٦)

دعِ المالَ يمرى دَرّه كلُّ حاشدٍ ... فذُخرُكَ من «كسب» المعالى هو الذّخرُ (٧)

ولا تحسبنْ مستسلماً لتِـــلادِهِ ... طليقاً فأهواء التِّلادِ له «أسرُ» (٨)

هل العزُّ إلّا أن ترٰى غـــيرَ طالبٍ ... طلابُك غُرْمٌ ليس يُخلفه أجرُ

---

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد .

(٢) المستطير : المنتشر والهائج، وقدحذف الموصوف وأناب الصفة منابه للوضوح، وزادها : طردها.

(٣) يحيق به : يلم به ويحيط .

(٤) السبر : معرفة غور الشىء وفى (س) « سر » الظاهر تحريفها .

(٥) الغمر (بالفتح) : الجاهل ومن لم يجرب الأمور .

(٦) الربقة : كالحلقة تربق بها البهيمة أى تشد ، والعورة : كل مكمن للستر ، ويجوز أن يريد بها هنا العارة وهى كالعارية وما تعطيه غيرك ، وفى (ه) « لأن عورته شتر » محرفة تحريفاً فاحشاً .

(٧) يمرى : يحتلب ، وأصله من مرى الناقة أى مسح ضرعها لتدر اللبن ، والدر اللبن ، والحاشد : الجامع ، وفى (ه) « لست » بدل « كسب » محرفة .

(٨) فى (ش) « أشر » بدل « أسر » مصحفة .

ولا خيرَ في رِفدٍ تُمدُّ له يدٌ ... ولا في عطاءٍ يُقتضَى عنده شكرُ (١)

رضيتُ وما أرضَى بلوغاً لغايةٍ ... وعند امتداد «الضَّيمِ ما يُحمد العِشْرُ» (٢)

وهل مبهجي قدرٌ رَضِي النَّاسُ مثلَه ... إذا كان همِّي لا يُحيط به قدرُ ؟

سقَى اللهُ دهراً لم أُطِع فيه رِقبةً ... ولم يَنْبَهِنِي منه ملامٌ ولا زَجْرُ (٣)

إذا التبستْ بِي خُطَّةٌ فُتَّ شأْوَها ... كما فوّت « الأقذاء » جانبَه التِّبْرُ (٤)

« نصيبُكَ » ممّا يُكثِر النّاسُ ذِكرَهُ ... ومحصولُه في عَرْضِ أفعالهمْ نَزْرُ (٥)

فللمجد ما أهوَى البقاءَ وربّما ... حبانى به عمرٌ ودافعنى عصرُ

☆ ☆ ☆

وقال (أدام الله رفعته) يمدح (الملك المعبد) بهاء الدولة (٦) (رحمه الله)

ويهنئه بالمهرجان الواقع في صفر « سنة ٤٠٢ » :

أمِن أجلِ مَن سارتْ بهنّ الأباعرُ ... ضحًى والهوى فيهنّ قلبك طائرُ ؟ (٧)

جزعتَ لِأنْ غابوا وتلك سفاهةٌ ... تُلامُ بها لو أنّ لُبّك حاضرُ (٨)

---

(١) الرفد : العطاء .

(٢) في (هـ) « الظلم » بدل « الضيم » وفي (س) (العسر) مصحفة عن « العشر » ، والعشر : المعاشرة والعشرة .

(٣) الرقبة : الرقباء .

(٤) الشأو : الغاية ، والأقذاء : الأوساخ مفردها قذى وفي (س) « الأعضاد » محرفة عن الأقذاء ، والتبر : الذهب الخالص .

(٥) في «س» يصيبك » في « موضع » « نصيبك » والنزر : القليل ، أي نصيبك مما يجمع الناس من المال حسن الذكر ، كما فسر ذلك في بيت سالف من هذه القصيدة بقوله :

دع المال يمرى درّه كل حاشد ... فذخرك من كسب المعالي هو الذخر

(٦) ما حصر بين قوسين ساقط من نسخة (س) .

(٧) أورد الناظم الشطر الأول من هذه القصيدة مع بيتين آخرين في « طيف الخيال ص ٨٢ » .

(٨) اللب : العقل .

ولمّا جحدتُ الحبَّ قال خبيرُه : إذا كنت لاتهوى فلِمْ أنتَ زافرُ ؟
يلومونني والحبُّ عندِىَ دونهمْ ومن أين للمشتاق فى النّاس عاذرُ ؟
أيا صاحِ فى الرّبْعِ الّذى بان أهلُه كأنّهمُ سِربٌ على الدّوِّ نافرُ (١)
فلا الرّبعُ فيه منهمُ اليومَ رابعٌ ولا سَمُراتُ الجِزْعِ فيهنَّ سامرُ (٢)
أعِنّى غداةَ البينِ منك بنظرةٍ فقد عَشِيَتْ بالدّمعِ منّا النواظر
وسرَّك فاكتمه عليك وخلّنا فقد ظهرتْ بالبين منّا السّرائرُ
وقل لحبيبٍ خاف منّى « ملالةً » محلُّك من قلبى مدى الدّهر عامرُ (٣)
فلله يومُ الشِّعبِ « قلبى » وقد بدتْ من الشِّعبِ أطلاءٌ لنا وجآذرُ (٤)
وقفنا فدمعٌ قاطرٌ من جفونِه ودمعٌ نَهَتْه رِقْبَةٌ فهْوَ حائرُ (٥)
وفى السِّرْبِ ملآنٌ من الحسن مُتْرَعٌ أوائلُ قلبى عنده والأواخرُ (٦)
أجود عليه بالمنى وهْوَ باخلٌ وآتِى وصالًا بينه وهو هاجرُ
أحبُّ الثّرى النجدىَّ « فاح » بعَرْفه إلى الرّكبِ رَجْراجُ العشيّاتِ مائرُ (٧)
ويعجبنى والنّاعجاتُ مُشيحةٌ خيالٌ من الزّوراءِ فى اللّيل زائرُ (٨)

---

(١) أياصاح : منادى مرخم والأصل أياصاحبى، والسرب: القطيع من النعم أو الظباء، والدو: المفازة.

(٢) السمرات والسمر : الشجر مفردها سمرة . والجزع (بكسر الجيم) : جانب الوادى ومنعطفه وحلة القوم المشرفة .

(٣) فى (ه) (ملاكه) محرفة عن « ملالة » .

(٤) فى (ه) « ملهى » فى موضع « قلبى » والأطلاء : جمع الطلا وهو ولد الظبية ، والجآذر : جمع الجؤذرة والجؤذر (بفتح الذال وضمها) وهو ولد البقرة الوحشية .

(٥) الرقبة هنا : التحفظ .

(٦) المترع : الملآن .

(٧) فى (ه) « فاه » محرفة عن « فاح » والعرف (بفتح العين وتسكين الراء) : الرائحة ، والمائر : المتحرك .

(٨) الناعجات : جمع الناعجة وهى الناقة المسرعة التى يصاد عليها نعاج الوحش ، والمشيحة : المجدة المسرعة ، والزوراء : بغداد .

يزور وأعنـــاقُ المطيِّ خواضعٌ كلالًا « وأحشاها ظوامٍ » ضوامرُ [1]

إلى ملك الأملاك أعمـلتُ مادحاً قوافِيَ تنتابُ العُـلا وتزاوِرُ

نوازعَ لا يدنو الـكلالُ وجيفَهـا ولا « بتشـكّى » أينَهنَّ المسافرُ [2]

« حلن » إليه من ثنائى بفضـله وإنعـامه ما لا تقِلُّ الأباعرُ [3]

إلى حيث حلَّ المجـد جمًّا عديدُه وحيث يكون السُّؤددُ المتـكاثرُ

فأنت الّذى أوليتنِي النِّعَمَ الّتى تغيبُ النّجومُ الزهْرُ وهْيَ ظواهرُ

غرائبُ لم تَسبقْ إليهنَّ فكرةٌ ولا أحضرَتْهـا فى القلوبِ الضّمائرُ

عرفتُ بهنَّ النّـاسَ لمّـا أصبْنَنِي فبان صديقٌ أو عـدوٌّ مـكاشِرُ

كأنّ الّذى يُثنِي بهنَّ وما وفَى بتبليغهنّ كافرٌ وهْوَ شاكرُ

وقبلك مافتُ المـلوكَ فلم يكن لتيجانهمْ من نَظْمِ لفظى جـواهرُ

وما كان تاج المَلْكِ احتلّ سَمْعَـهُ قريضى ولم يشعرْ بأنّىَ شـاعرُ

إلى أن مضَى عنّى ومَن كان بعده وسارت بتقريضى عُـلاكَ السّوائرُ

ثنـاءٌ حَدَتْه من « عُـلاك » كرائمٌ ثقالٌ على الأعنـاق غُرٌّ غرائرُ [4]

كأنّىَ « أنثوهنّ » ربُّ لَطيمـةٍ تجمجمَها فى سوق دارِينَ عاطِرُ [5]

فهبْ لِيَ ما فرّطتُ فيـه وما مضتْ ضياعاً به عنّى السّنونُ الغوابرُ

---

(١) فى « هـ » « وأحشاء المطى » فى موضع « وأحشاها ظوام » والظوامى : جمع الظامى والظامئة وهى العطشانة ، والضوامر : جمع الضامر والضامرة وهى النابلة المزيلة ، والـكلال : التعب والعياء.

(٢) الوجيف : ضرب من السير السريع ، وفى (هـ) « ولا تبتلى أينهن » محرفة عن « ولا يتشكى أينهن » ، والأين : التعب ، وفى (ش) « ولا يتسلى » وفى (س) « ولا يتشلى » والـكل محرف.

(٣) فى (س) « حلت » بدل « حلن » تصحيف .

(٤) فى « هـ » « لهاك » فى موضع « علاك » واللها : جمع اللهوة وهى العطية .

(٥) أنثوهن : أنشرهن من نثا الحديث إذا نشره وأفشاه ، وفى (س) « أنشوهن » تصحيف، واللطيمة : العنبرة لطمت بالمسك ، وجمجمها : نشرها ، ودارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند .

ودونك منّى اليومَ كلَّ قصيدةٍ مهذّبةٍ قد ثقّفتها الخواطرُ
إذا أُنشدتْ قال المصيخون هكذا تنظّمُ فى أهلِ الفَخار المفاخرُ
وقد علِم المغرورُ بالملك أنّكم سِدادٌ له ممّنْ سواكم وحاجرُ
وأنّكمُ من دونِه لمُريغِه رماحٌ طِوالٌ أو سيوفٌ بواتِرُ (١)
فكمْ مزّقتْ أشلاءَ قومٍ تطاحوا إلى الملكِ أنيابٌ لكمْ وأظافرُ (٢)
ودون الثّنايا المطلعاتِ إلى الذّرا ذُرا الملكِ مفتولُ الذّراعين خادِرُ (٣)
يصرّف أحياءَ الورى وهو وادعٌ ويُطرِقُ إطراقَ الكرى وهو ناظرُ (٤)
وتصبح فى فجٍّ من الأرض دارُهُ وفى أُذُنِ الآفاقِ منه زماجرُ
مَهيبٌ فلا تُلوى عليه حقوقُه مِطالًا ولا تُمضَى لديه الأوامرُ
ويركب أثباجًا من الأمر لم يكن ليركبها إلّا الغلامُ المخاطرُ (٥)
ومُغبرّةِ الآفاقِ بالنّقعِ لا يُرى بأرجائها إلّا القنا المتشاجرُ (٦)
وإلّا يدٌ تهوِى إلى القِرْن بالرّدى وإلّا دمٌ من عاملِ الرّمحِ قاطِرُ (٧)
تبلّجتَ فيها والوجوه كواسفٌ وأقدَمْتَ بأسًا والنّفوسُ حواذرُ (٨)
وقُدتَ إليها كلَّ جرداءَ سَمْحةٍ لها أوّلٌ فى السّابقاتِ وآخِرُ

---

(١) المريغ : طالب الشىء على وجه المكر والخديعة .
(٢) الأشلاء : الأعضاء مفردها الشلو .
(٣) الثنايا : جمع الثنية وهى الطريق الصعب المرتقى فى الجبل ، والخادر : الأسد .
(٤) يصرف : يدبر ويغير ، والوادع : الساكن ، والإطراق : استرخاء الأجفان وغض البصر ، والكرى : النوم .
(٥) الأثباج : جمع الثبج وهو من الشىء أعلاه ووسطه .
(٦) النقع : غبار الحرب ، والأرجاء : النواحى ، والقنا : الرماح .
(٧) القرن ، الشجاع ، وعامل الرمح : صدره مما يلى السنان .
(٨) تبلجت : أشرقت .

إذا أرسلتْ فى الخيل تعدو إلى مدًى ... تُحاضِرُ حتى لا ترى مَن تحاضِرُ (١)

فلا أوحشتْ منك الدّيارُ ولا « خَلَتْ » ... محافلُ من أسمائكمْ ومنابرْ (٢)

وضلّتْ صروفُ الدهرِ عنك «وحاذرتْ» ... رِباعُك أن تعتادهنّ المحاذِرُ (٣)

تروح وتغدو فى الزّمان مُحكّماً ... وتجرى بما تهواه فينا المقادِرُ

ويفديك مَن لا يُرتجَى لمُلمّةٍ ... ولا هو فيما أنت تصبر صابرُ

تموّهَ دهراً لومُه ثم صرّحتْ ... به النّفسُ إذ ضاقتْ عليه المعاذِرُ

وهنّئتَ يومَ المهرجانِ فإنّه ... زمانٌ« كزهرِالرّوض» أخضرُ ناضرُ (٤)

توسّط فى قُرٍّ وحرٍّ تخلفُهُ ... وقدّامُه ظهائرٌ وصَنابرُ (٥)

ودمْ مستقرَّ العزِّ مُستوْفِزَ العِدَى ... « فأمُّ زمانٍ » لا يسرّك عاقرُ (٦)

* * *

وقال يرثى أبا الحسن على بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب (٧) :

مِن مثلها كنتَ تخشَى أيها الحذِرُ ... والدّهرُ إنْ همَّ لا يُبقى ولا يَذَرُ

---

(١) تحاضر : تعدو .

(٢) فى (س) « عفت » فى موضع « خلت » .

(٣) فى (س) « وماورت » مصحفة عن « وحاذرت » .

(٤) فى (ه) « كروض الحزن » فى موضع « كزهر الروض » والحزن ضد السهل من الأرض.

(٥) القر : البرد ، وظهائر : جمع ظهيرة وهى منتصف النهار ، والصنبر (بكسر الصاد وفتح النون المشددة) : الشديد البرد يعنى أياماً باردة .

(٦) المستوفز : القلق المتهيء للحركة ، وفى (س) « فإن زمانا » فى موضع « فأم زمان » .

(٧) هو صاحب الخط الفائق الذى فاق به المتقدمين وأعجز المتأخرين ، كان فى أول أمره مزوقاً يزوق الدور ثم مصوراً للكتب ومذهبا ثم تدرب على الكتابة ، فنبغ ، توفى فى جمادى الأولى سنة « ٤١٣ » ودفن فى جوار قبر أحمد بن حنبل بالجانب الغربى من بغداد ، قال ياقوت الحموى « ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى » (معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٤٦) و(المنتظم ج ٨ ص ١٠) و (الوفيات ج١ ص٣٧٦)وترجمه ابن الفوطى فى معجم الألقاب ولقبه « قلم الله فى أرضه » « ج ٤ ص ٣٢٩ » من نسخة مصطفى جواد الخطية . (م.ج.) .

نعاكَ ناعٍ إلى قلبٍ كأنّ به لواذعَ الجمرِ لمّا ساءه الخبرُ

فلم يكن لِيَ إلّا أن أقول له بفيكَ ـ ناعِيَ هذا الرّاحلِ ـ الحجَرُ

كم ذا نداء لماضٍ غيرِ ملتفتٍ وكم عتابٍ لجانٍ ليس يعتذرُ

فكلّما أُستُلّ منّا صاحبٌ فمضى ولا إيابَ له قالوا هو القدَرُ

وليس يدري الفتى لِمْ طالَ عمرُ فتًى ولا لأيّةِ حالٍ يُنقصُ العُمُرُ ؟

وقد طلبنا فلا نُجحٌ ولا ظَفَرٌ وقد هربنا فلا منجًى ولا عَصَرُ (١)

وهذه عبرٌ لا شكّ ماثلةٌ منّا العيونَ ولكنْ أين مُعتبِرُ ؟

نُعَلُّ من كلِّ مكروهٍ ويعلِكنا حبُّ الحياةِ التي أيامُها غَرَرُ (٢)

وما التزامُ المُنى والمرءُ رهنُ ردًى إلّا جنونٌ يغول العقلَ أو سُكُرُ (٣)

يا قاتلَ اللهُ هذا الدّهرَ يزرعنا ثمّ الحصادُ فمنه النفعُ والضَّرَرُ

فإن يكن معطياً شيئاً فمرتجِعٌ وإنْ يكن مبطئاً يوماً فمبتدِرُ

دالا عرا آل قحطانٍ فزال بهمْ وذاق منه نزارٌ واحتسى مُضَرُ

من بعد أن لبسوا التّيجان واعتصموا وأركبوا ثَبَجَ الأعواد واشتهروا (٤)

وأوسعوا النّاس من رَغَبٍ ومن رَهَبٍ وعاقبوا باجترامِ الذّنبِ واغتفروا

تندَى مفارقهمْ مِسكاً فإنْ جهلوا نمّت عليهمْ بريّا نشرها الأُزُرُ (٥)

---

(١) العصر : الملجأ .

(٢) نعل : نسقى من العلل وهو الشرب الثانى وأوله نهل ، والغرر : الخطر .

(٣) يغول : يغتال .

(٤) الثبج : من كل شىء أعلاه ووسطه وهو من الجمل ما بين الكاهل. والسنام والأعواد : جمع العود وهو من الإبل المسن ، والمقصود من البيت أعالى المنابر أو أسرة الملك .

(٥) الريا : الريح الطيبة ، والنشر : مثلها .

و يسحبون ذيول الرَّيْطِ ضامنــةً … أن ليس تُسحَبُ إلّا منهمُ الحِبَرُ (١)

قالوا قضى غيرَ ذى ضَعفٍ ولا كِبَرٍ … فقلت : ما كلُّ أسبابِ الرَّدى كِبَرُ

وغرَّني فيك بُرْءٌ بَعْـد طولِ ضَنًى … ومنْ يَبِتْ خَطِراً أودى به خَطَرُ

ماضرَّ فقــدُك والأيّامُ شاهـدةٌ … بأنَّ فضلك فيهــا الأنجمُ الزُّهُرُ

أغنيت فى الأرض والأقوام كلّهمُ … من المحاسن مالم يُغنِه المَـطَرُ

فأنتَ شمسُ الضُّحى للسّاربين وللسّارين فى جُنحِ ليلٍ ضوءك القمرُ (٢)

إن تُمسِ موتاً بلا سمعٍ ولا بصرٍ … فطالما كنت أنتَ السمعُ والبصرُ

و إن تَبِتْ حَصِراً عن قول فاضلةٍ … فطالما لم يكن من دَأْبك الحَصَرُ (٣)

قالوا اُصطبر عنـه بأساً أو مجــاملةً … والصَّبرُ يُلعَقُ من أثنائه الصَّبِرُ (٤)

ولو درى من على حُزنٍ يقرّعني … بمن فُجعتُ ومن خُولتُه عَذَروا

وكيف أسلو ومافى غــيره عوضٌ … من الرّجال ولا لِي عنـه مُصطَبَرُ ؟

وكيف لِي بعــــده مَيْـلٌ إلى وَطَرٍ … وليس لِي أبداً فى غــيره وَطَرُ ؟

مجــــاوراً دارَ قومٍ ليس جارُهُمُ … بنصرهمْ أبدَ الأيّامِ ينتصرُ

فى أربُعٍ كلّــا زادوا بهــــا نقصوا … نقصَ الفَناء وقلّوا كلّــا كَثُرُوا

فاذهبْ كما شاءتِ الأقدارُ مُقتَلَعاً … منّـا به الخوفُ مجنوباً به الحَذَرُ

فللقلوب الّتى أبهجْتَهـا حَزَنٌ … « و بالعيون » الّتى أقررتها سَهَرُ (٥)

---

(١) الريط : جمع الريطة (بفتح الراء) وهى الثوب الرقيق الذى يكون من قطعة واحدة والحبر : جمع الحبرة (بفتح الحاء وكسرها مع فتح الراء) وهى ضرب من برود اليمن ، ولعل الذى يلى هذا البيت قوله على ما ذكره ياقوت فى « معجم الأدباء ج٥ ص٤٥٣ » :

رديت يابن هلالٍ والرّدى عرضٌ … لم يُحمَ منه على سخطٍ له البشرُ

(٢) راجع فى هذين البيتين معجم الأدباء أيضاً ص ٤٥٣

(٣) الحصر : العى فى المنطق .

(٤) الصبر (بفتح الصاد وكسر الباء) : عصارة الصبر المعروف بمرارته .

(٥) راجع معجم الأدباء ج٥ « ص٤٥٣ » والمنتظم « ج ٨ ص ١٠ » وفيهما « وللعيون » .

وما لعيشٍ وقد ودّعتَه أَرَجٌ ... ولا لِلَيلٍ وقد فارقتَه سَحَرُ (١)
وما لنا بعد أن أضحتْ مطالعُنا ... مسلوبةً منك أوضاحٌ ولا غُرَرُ (٢)

***

وقال يرثى أبا الفتح النيسابورى النحوى وكان منقطعا إليه مؤدبا لولده :

إن كان غيّبك الترابُ الأحمرُ ... وحَلَلْتَ مَرْتاً لا يزورك زُوَّرُ (٣)
فلقد جَزِعتُ على فراقك بعد ما ... ظنّوا بأنّى عنك جهلًا أصبرُ
فالنّارُ فى جَنْبَىَّ يوقدها الأسى ... والماء من عينىَّ حُزناً يقطرُ
كم فى التّرابِ لنا محيًّا مشرقٌ ... بيد المواحِى أو جبينٌ أزهرُ
ومرفَّعٌ فوق الرّجال جلالةً ... ومتوّجٌ ومطوّقٌ ومسوّرُ
أعيتْ على طلب الرّدى نُجُبُ السُّرى ... وخُطا المَهارَى والجيادُ الضُّمَّرُ (٤)
ومضى الأنامُ تكنّهمْ آجالُهمْ ... فمغصّصٌ ومنغّصٌ ومُحَسَّرُ (٥)
ومُخالَسٌ ما كان يُحذر هُلْكه ... ومتارَكٌ ومقدَّمٌ ومؤخَّرُ
وكأنّهمْ بيد الحِمامِ يلفّهمْ ... عَصْفٌ تصفِّقُهُ خَريقٌ صَرْصَرُ (٦)
ومواطنٌ لترنّمٍ وتنعّمٍ ... ومواطنٌ فيها الزّوافر تزفرُ
لو كان فى خُلدٍ لحىٍّ مَطمعٌ ... فيها وروّادِ المنيّةِ مَزْجَرُ

---

(١) الأرج : تضوع رائحة الطيب .
(٢) الأوضاح : جمع الوضح من القمر ضياؤه ومن الفرس الغرة التى فى جبهتها ، والغرة تطلق كذلك على طلعة القمر .
(٣) المرت : القفر .
(٤) النجب : من الخيل الأصائل ، والسرى : السير ليلا والمهارى بفتح الراء أو كسرها) : جمع المهرية منسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن والإبل المهرية موصوفة بسرعة الجرى .
(٥) تكنهم : تحفظهم وتسترهم ، والمحسر : الذى أصابته الحسرات .
(٦) العصف : ورق الزرع وقيل بقله ، ومنه قوله تعالى « فجعلهم كعصف مأكول » أى كزرع أكل حبه وبقى تبنه كذا عن الحسن البصرى ، والخريق : الريح الباردة السريعة .

لنجـــا المنونَ مغامرٌ في حومةٍ | وخطا المنيّـةَ في العرين القَسْوَرُ [1]
ولَـقَدْ طُرِقَ الموتِ عن أبوابه | كسرى وحاد عن المنيّـةِ قيصرُ
ولـكان من ولدتْ نِزَارٌ في حمًى | منه ودفّاعُ العظيمةِ حِمْـيَرُ
ولمـا مضى طوعَ الرّدى متـكبّرٌ | سكن القـلاعَ ولا مضى متجبّرُ
ولمـــا خلا عن أهله ووفودِه | وضيوفِه فينـــا مكانٌ مُقفِرُ
فانظرْ بعينك هل ترى «فيما مضى» | عنّا وصار إلى التّرابِ مخبّرُ ؟ [2]
ولقد فقــدتُ معاشراً ومعاشراً | ويسرّني أنْ لم يكن لِيَ معشَرُ
واشتطّ روّادُ الحمامِ عليَّ في | أهلي وقومي فانتقَوْا وتخيّروا [3]
فمجدّلٌ وسْطَ الأسنّةِ بالقنـــا | ويمينه فيهـــا حسامٌ يُشهَرُ
ومعصفرٌ أثوابَه طعنُ القنـــا | ما كان يوماً للبّاسِ يُعَصفرُ [4]
ومقطّرٌ لولا القضاء تقطّرتْ | فينا النجومُ ولم يكن يتقطّرُ [5]
ومُعفّرٌ دخل السّنانُ فؤادَه | ما كان يألفـــه الترابُ الأحمرُ
والذّاهبون من الذين ترحّلوا | ممّنْ أقام ولم يفتني أكثرُ
خذْ بالبنانِ من الحياة فإنّما | هو عارضٌ متـكشّفٌ مُتحسّرُ [6]
ودعِ الـكثيرَ فإنّمـــا لهمومِه | جمع النُّضارَ إلى النُّضارِ «مُبَدِّرُ» [7]

---

(١) العرين : بيت الأسد ، والقسور : الأسد .
(٢) لعل الأصل « فيمن مضى » .
(٣) اشتط : جار وتعسف .
(٤) المعصفر : الصابغ بالعصفر (كقنفذ) وهو صبغ أصفر .
(٥) المقطر : المرمى من علو ، وقطره فرسه : ألقاه .
(٦) البنان : رؤوس الأصابع ، والعارض : الغمام ، والمتحسر : المنـكشف المقلع.
(٧) النضار : الذهب وفي الأصل « مبذر » بدل « مبدر » وهو الذى يجمع المال بدراً ، قال العماد الأصفهاني في تاريخ السلجوقية (ص ١٨) ط . مصر . « واستصحب ماجاوز حد الـكثرة من الدنانير المبدرة » فهو مولد (م.ج.) . والبدرة (بوزن الثمرة) الـكمية من المال توضع في كيس قيل هي عشرة آلاف درهم وقيل غير ذلك .

وكأنّما ظلُّ الحياةِ على الفتى ظلٌّ أتاهُ فى الهجير مُهجّرُ (١)
ما للفتى فى الدّهر يومٌ أبيضٌ ووراءه بالرّغم موتٌ أحمرُ
ولِمنْ تراهُ ساكنًا فى قصره متنعّمًا هذى الحفائرُ تُحفرُ
وعلى أبى الفتح الّذى قنص الرّدى ماء الأسٰى من مقلتى يتحدّرُ
قد كان لِى منــــه أنيسٌ مُبهِجٌ فالآن لِى منه وَعوظٌ مُذكِرُ
إن لم يكن من عُنصرى وأُرومتِى فلحُرمةِ الآدابِ فينا عنصرُ (٢)
أو لم تـكن للعُربِ فيك ولادَةٌ فالمعربون كلامَهمْ بك بُصِّرُوا
« ما ضرّ » شيئًا مَن نَمَتْه أعاجمٌ ولديه آدابُ الأعاربِ تُسطَرُ (٣)
ولَـكَمْ لنا عُربُ الأصولِ تراهُمُ عُميًا عن الإعرابِ لم يستبصروا
ولقد حــــذرتُ من التفرّق بيننا شحًّا عليك فجاءنى ما أحذرُ
وذخرتُ منك على الزّمانِ نفيسةً لو كان يبقى للفتى ما يذخرُ
ونفضتُ بعدك راحتى من معشرٍ لو سابقوك إلى الفضيلةِ قصّرُوا
فتى حَزِنتُ عُذِرتُ فيك على الأسٰى وإذا سلوتُ فإنّنى لا أُعذَرُ
والغدرُ سُلوانُ الفتى « لحيمِه » بعد الحِمَامِ وليس مِثلىَ يغدُرُ (٤)
ولقــــد رأيتك مطفئًا من لوعتِى والحزن يُملى منــــه ما أنا أسطُرُ
فالخزْ بها ميتًا فـكم لمعاشرٍ من بعـــــد أن قبروا بقبرٍ مَفخرُ
كَلِمًا يُعرِّن الشّيبَ أرديةَ الصِّبا فـكأنّهمْ طربًا بهـــا لم يكْبَرُوا
وتراه طلّاعًا لـكلِّ ثنيّةٍ يسرى بأفواه الورٰى ويُسيَّرُ (٥)

---

(١) الهجير : نصف النهار وشدة الحر .
(٢) الأرومة : أصل الشجرة ويستعار للحسب .
(٣) فى الأصل « من ضر » ، وتسطر تكتب .
(٤) فى الأصل « وحيمه » ، والحيم الصديق ، والحمام : الموت .
(٥) الثنية : طريق العقبة فى الجبل

يصفو بلا كدرٍ يشين صفــــاءه		والشّعرُ يصفو تارةً ويُــكدَّرُ
وكأنّه فى ليلِ أقوالٍ مضتْ		قمرٌ بدا وسْطَ الدُّجُنَّةِ أنورُ (١)
فإليه منّا كلُّ طَرْفٍ ناظرٌ		وعليه مِنّا كلُّ جيدٍ أصْوَرُ (٢)
وسقاك ربّك ماءَ كلِّ سحابةٍ		تهمى إذا وَنَتِ الغيوم وتَمطُرُ (٣)
وإذا طَوَتْ عنك العُداةُ كَنَهْوَراً		وافى ترابَك بالعشىّ كَنَهْوَرُ (٤)
وكأنّه والــــبرقُ ملتمعٌ به		بُرْدٌ على أيدى الرّياحِ مُحبَّرُ (٥)
ومتى ذهبتَ بزلّةٍ فإلى الّذى		يمحو جرائرَ مَن يشاء ويغفِرُ (٦)

* * *

وقال فى الوعظ :

يقولون أسبابُ الحياة كثيرةٌ		فقلت وأسبابُ المنونِ كثيرُ
وما هــذه الأيّامُ إلّا مصائدٌ		وأشراكُ مكروهٍ لنا وغُرورُ
يُسارُ بنا فى كلّ يومٍ وليلةٍ		فــكمْ ذا إلى ما لا نُريد نسيرُ!
وما الدّهرُ إلّا فرحةٌ ثمّ تَرحةٌ		وما النّاسُ إلّا مطلقٌ وأسيرُ

* * *

وقال فى الاعتبار :

يا سائلى عن ذنوب الدّهر آونةً		اسمعْ فعندِىَ أنبــــاءٌ وأخبارُ

---

(١) الدجنة : الظلمة .
(٢) الجيد : العنق ، والأصور : المائل.
(٣) ونت : تعبت .
(٤) الـكنهور : المتراكم من السحاب .
(٥) البرد المحبر : الموشى .
(٦) الجرائر : الجنايات والذنوب مفردها جريرة .

كلُّ الرِّجال إذا لم يخشعوا طمعاً ولم تكدّرهمُ الآمالُ أحرارُ

إنْ تُضحِ داريَ في عُمَانَ نائيةً يوماً عليّ فبالْخلصاءِ لِي دارُ

لو لم يكن لِيَ جارٌ مِن نِزَارِهمُ يحنو عليَّ فمِن قحطانهمْ جارُ

وإنْ يضقْ خُلُقٌ من صاحبٍ سَئِمٍ فلم يضقْ بِيَ في ذي الأرض أقطارُ

وما أبالِي ونفسي لا تملّكها أسْرُ الغرامِ أقامَ الحيُّ أم ساروا

سَقْياً لقلبٍ يَعافُ الذُّلَّ ذِي أَنَفٍ العارُ في لُبّهِ سِيّانِ والنّارُ (1)

يكسو « الجديد » لمن يعتام مِنحتَه ولُبسُه الدّهرَ أهدامٌ وأطارُ (2)

ذلّ الّذى في يد الحسناء مهجتُه ومن له في ذواتِ الخِدْرِ أوطارُ

وعزّ مَن لاهوًى منه وكان له عنه مدَى الدّهر إقصاءٌ وإقصارُ

ماسرنِي أنّنى أحوِى الغِنيٰ وبدا في كفّ جارِيَ إعسارٌ وإقتارُ (3)

وأنّ لِي نَصرةً من كلّ حادثةٍ وما له من صروف الدّهرِ نَصّارُ

وأنّنى بالغٌ من عيشتِي وَطَراً وليس تُقضَى له ما عاش أوطارُ

لا بارك اللهُ في وادِي اللّئامِ ولا سالتْ به عند جَدْبِ العام أمطارُ

والخيرُ كُلْفَةُ هذا الخلقِ كلّهمُ والنّاسُ بالطّبعِ والأخلاقِ أشرارُ

إنّ الّذين أقاموا قبلنا زمناً مُحكّمين على أيّامهمْ ساروا

خَلتْ منازلُهمْ منهمْ وشرّدهمْ دهرٌ خؤونٌ لمن يؤذيه غدّارُ

وحطّهمْ قَدَرٌ من بعد أن رُفِعتْ منهمْ إلى قُلّةِ العَلياء أقدارُ

* * *

---

(1) الأنف : الأنفة والعزة ، واللب : العقل

(2) الأهدام : الثياب البالية ، والأطمار مثلها ، ولعل أصل « الجديد » « الحرير » .

(3) الإقتار : الفقر .

وقال يصف قدوراً كباراً استعملها :

ودُهْمٍ كسَوْنَ الليلَ سودَ ثيابه ... عليهنّ فيحاء الفروج فَوُرُ[1]
علتْ والمنىْ ترنو إليها كما علا ... مليكٌ على كرسيّه وأميرُ
من اللاتِ فيهن السَّديفُ كأنّه ... إذا ماتراءته العيون ثبيرُ[2]
يُحَزْنَ لأضياف الشّتاء فكلُّ مَن ... أراد القِرى منهنّ فهْوَ قديرُ
كأنّ شحومَ البُزّلِ الكُومِ وسطها ... يطارحه فوّارهنّ صَبيرُ[3]
فما للبيوتِ دونهنّ مغالقٌ ... ولا للكلاب حولهنّ هريرُ
فكم عُقِرتْ من أجلهنّ شِمِلّةٌ ... وذاق الرّدى حتى فَهِقْنَ بعيرُ[4]

* * *

وقال يتذكر بعض أحبائه بعد موته :

جنيتَ علينا أيّها الدّهر عامداً ... ولم تعتذرْ أنّىْ وليس لك العذرُ ؟
وكنتُ متى ما أسأل الدّهرَ « حاجةً » ... ـ تكون له فيما أتى ـ خَرِس الدّهرُ[5]
بنفسِيَ مَنْ لو جاوَد القطر بذّه ... أو البحر فى فيض النّدى خجل البحرُ
ويامنزلًا أمسْى به غيرُ أهلِهِ ... عَدَتْك تحيّاتٌ ولا جادك القَطْرُ
ولا زلتَ ممنوعاً من الخير كلّه ... ولا زال مسنوناً بساحتك الشّرُّ

---

(١) الدهم : جمع الأدهم وهو الأسود ، والفيحاء . الواسعة ، وفيحاء الفروج يعنى بها القدور وعنى بالدهم الأثافى .

(٢) السديف : شحم السنام ، وثبير : اسم جبل .

(٣) البزل : الإبل التى بزلت أنيابها ، والكوم : جمع الأكوم والكوماء وهى الناقة الضخمة السنام ، ويطارحه : يقاذفه ، وصبير : السحاب الأبيض ، يعنى بذلك أن فوار القدور تتقاذف فى وسطه الشحوم كأنها السحاب الأبيض تلبداً وكثافة .

(٤) الشملة : الناقة السريعة ، وفهقن : امتلأن .

(٥) فى الأصل « حجة » بدل « حاجة » .

فأين الأُلىٰ كانوا بجـــوك نُعَّماً تدور عليهمْ فى أباريقهـــا الخمرُ ؟
لنا منهُمُ كلُّ الذى يملـــكونه وليس لهمْ إلّا المحـــامدُ والشّـكرُ
وإنّى لمُطفٍ بالمعــــاريض غُلّتى وبالسرّ سرّ القول إذ يمكن الجهرُ

* * *

وقال وكتب يعزى أحد أحبته عن بنت له :

إمّا بقيتَ فهلكُ غـيرك هيّنٌ وإذا نجوتَ فجرمُ دهرك يغفرُ
وإذا المحـاذر تِهْنَ عنك فما لنـا ولنا الأمان عليـك شىء يُحذرُ
ما نحن إلّا للرّدٰى وإلى الرّدٰى فمقـدَّمٌ لحِمـــامه ومؤخَّرُ
وعلى المنيّـةِ طُرقنا ومســـيرُنا والرّجلُ تهفو والأخامص تعثرُ
ذاق الرّدى متـكرّمٌ ومبخّلٌ وأتى الحِـمامَ معجّلٌ ومعمّرُ
كم شذّبتْ منّا السّنون وكم طوٰى منّا الخضارمَ ذا التّرابُ الأغبرُ(١)
لا تربةٌ إلّا وفيهــــا للبِـلىٰ خدٌّ أسيــــلٌ أو جبينٌ أزهرُ
مَن عاش إمّا مات أو كانت له فى كلّ يومٍ عَــــبرةٌ تتحدّرُ
وهو الزّمان فضاحكٌ مستغربٌ ممّـا أستفاد وناشجٌ مستعبِرُ(٢)
وقصورنا ؛ قصران هـذا مُخرَبٌ متعطّلٌ حزناً وهـــذا يُعمرُ
وعيوننا ، عينان هـذى دمعُهـا متحلّقٌ ودموع أخرى تقطرُ
إنّ المصيبـة فى الأحبّـةِ للفتى لو كان يعـلم نعمةٌ لا تُشـكرُ
فدعِ التذكّر للذين تطارحوا بيــدِ المنون فهالكٌ لا يُذكرُ
وإذا جرى قَدَرٌ بشىء فارضَه فالمُعتبون لَساخِطو ما يُقدَرُ(٣)

---

(١) شذبت : قطعت ، والخضارم : السادة الأشراف .
(٢) الناشج : الباكى ، والمستعبر : مثلها .
(٣) المعتبون : جمع المعتب وهو طالب العتبى وهى الرضا.

باهِ الرّجالَ بفضل حلمك فيهمُ   والفخرُ به فبمثـــل ذلك يُفخَرُ
وإذا ألمَّ بك الزّمان فلا تَلُمْ   خُلْساتِه فلمــا خطاهُ أكثرُ
ولطالما عزّيت غيرَك فى ردًى   بالصّبر والمُعزٰى بصبرٍ يصبرُ
ما إنْ رمتنا بالجنادل شدّةٌ   إلّا وأنت لها الأشدُّ الأصبرُ
تفدِى الإناثُ ذكورَهنَّ من الورٰى   وبقِى الـكبيرَ من الحمامِ الأصغرُ
وليُسْلِ عنها إنّهــا درجتْ وللتّقوى الإزارُ   وللعفافِ المِئزَرُ[1]
كسرٌ له جَبرٌ بأمثالٍ له   ووقاك ربُّكَ كسرةً لا تُجبرُ

* * *

وقال مجيباً لمن أرسل إليه يُرهبياً :

لا تُوعدَنِّى الشرَّ تُرهبنِى   فلربّمــا لم ينجنِى حَذرُهُ
فوقوعُ مكروهٍ أعالُجه   خيرٌ من المـكروه أنتظرُهُ
وإذا صفا يومٌ ظفرتُ به   فلمن يعيش إلى غدٍ كدرُهُ
فلربّ مغتبطٍ بليلتِه   شنّ الهمومَ بقلبهِ سحرُهُ
والعيشُ ما تقضِى به وَطَراً   فـكميّتٍ مَن فاتَه وَطَرُهُ
وإذا قصرن به مطالبُهُ   عن راحتيه فلم يطلْ عُمُرُهُ
والدّهرُ إمّا شمسُه بضحًى   تُرديك أو فى ليلةٍ قمرُهُ
وإذا أنامكَ غـــير متّئدٍ   فى القبر أشبه طولَه قِصَرُهُ

* * *

[وقال فى النسيب] :[2]

بجانب الـكرخ من بغــداد عنّ لنا   ظبىٌ ينفّرهُ عن وصلنا نَفَرُ[3]

---

(١) درجت : ماتت .

(٢) ذكرها الباخرزى فى « الدمية » ص ٧٥ .

(٣) نجاد السيف : حمائله .

ذؤابتاه نجادا سيف مقلتـــــهِ   وَجَفنُهُ جَفنُهُ وَأفرندُهُ الحَوَرُ (١)
ضفيرتاه على قتلى تضافرتا   فمن رأى شاعراً أودى به الشَّعَرُ ؟

* * *

وقال فى النسيب أيضاً :

كم فى الكثيب وكم عارضتـــه قمرٌ   يودّ أنّ له من حسنه القمرُ (٢)
يجني عليّ سقاماً سقمُ مقلتِهِ   وكلُّ جرمٍ جنـاه الحبُّ مُغتَفَرُ
قال العواذل سَرْعاً ماعشِقتَ وما   يدرون أنّ طريق العِشقِ مختصرُ
وما الصّبابة إلّا خُلسةٌ عَرَضتْ   سمعٌ جناها على الأحشاء أو بصرُ
النارُ فى كَبِدِى مذ غبتَ عن بصرى   ومن جفونى وقد فارقتنى المطرُ

* * *

وقال فى الشيب :

قالت مشيبك فجرٌ والشّباب إذا   زرناك ظلمــــةُ ليلٍ فيه مستترُ
فقلت من كان هجرى الدّهرَ عادتَه   ما إن له ببيـاض الشّيبِ مُعتَـذَرُ
لا تسخطيه فهـذا الشّيب مظهرةٌ   على عيوبٍ بضـدّ الشّيب تستترُ
تَرَيْنَ منّى وضوء الشيب يفضحنى   مازاغ عنه ـ ورأسى أسودُ ـ البصرُ

* * *

وقال رضى الله عنه [فى الحكمة] :

كلّ امرئٍ ناله جَدٌّ فأسعـــــده   وإن أساء إلى الأقوام معذورُ (٣)

---

(١) الإفرند : وشى السيف أو جوهره .

(٢) كذا فى الأصل « أن له » وفى الشطر بعض الغموض فى المعنى وبعض الضعف فى التركيب والظاهر تحريفه .

(٣) الجد (بالفتح) : الحظ والبخت ، وكأن المرتضى رضى الله عنه أخذ هذا المعنى من قول جده المرتضى على عليه السلام حيث يقول :

« عيبك مستورٌ ما أسعدَكَ جَدُّك »

ويلُ أمِّ مَن فى الورى أكدتْ مطالبُه ... فإنه بسحاب اللوم ممطورُ (١)

وكيف يُعزى إلى عجزٍ وليس به ... مَن خاب سعياً وخانته المقاديرُ

***

وقال فى رثاء جده الحسين عليه السلام :

حلفت بمن لاذتْ قريشٌ ببيته ... وطافوا به يوم الطّواف وكبّروا

وبالحصَيات اللات يُقذفْنَ فى منًى ... وقد أمّ نحو الجمرةِ المتجمّرُ (٢)

ووادٍ تذوق البُزْلُ فيه حِمامَها ... فليس به إلّا الهديُ المُعفّرُ (٣)

وجَمْعٍ وقد حطّتْ إليه كلاكلٌ ... طلائحُ أضنتها التنائفُ ضُمّرُ (٤)

يُخَلْن عليهنّ الهوادجُ فى الضحى ... سفائنَ فى بحرٍ من الآلِ يزخَرُ (٥)

ويومٍ وقوفِ المحرمين على ثرًى ... تطاحُ به الزّلّاتُ منهم وتُغفَرُ

أتوه أسارى الموبقاتِ وودّعوا ... وما فيهمُ إلّا الطّليقُ المحرّرُ

لقد كُسرتْ للدين فى يوم كربلا ... كسائرُ لاتوسى ولا هِيَ تُجبَرُ

فإمّا سبيٌّ بالرّماح مسوّقٌ ... وإمّا قتيلٌ فى التّراب مُعفّرُ

وجرحى كما اختارت رماحٌ وأنصُلٌ ... وصرعى كما شاءت ضباعٌ وأنسُرُ

لهم والدّجى بالقاع مُرخٍ سدولَه ... وجوهٌ كأمثال المصابيح تزهَرُ (٦)

تُراح بريحانٍ ورَوْحٍ ورحمةٍ ... وتُوبَل من وبل الجنانِ وتُمطَرُ (٧)

---

(١) أكدت مطالبه : فشلت وقل خيرها .

(٢) الجمرة : واحدة جمرات المناسك فى الحج وهى ثلاث : الجمرة الأولى والوسطى وجمرة العقبة .

(٣) البزل: جمع البازل والبزلاء من الإبل مابزل نابه ، والهدى : ما يهدى وينحر لوجه الله تعالى.

(٤) جمع : موضع بمنى « المزدلفة » ، والكلاكل : الصدور ، والطلائح : المعياة من التعب أو الهزال ، والتنائف : المفاوز ، مفردها تنوفة ، وضمر : جمع ضامر وضامرة من الإبل المهزيل .

(٥) الآل : السراب .

(٦) مرخ : سادل ، والسدول : الستائر .

(٧) توبل : يصيبها الوابل وهو المطر الغزير .

فقل لبني حربٍ وفى القلب منهمُ دفائنُ تبـــــدو عن قليلٍ وتظهرُ
ظننتمْ وبعضُ الظّنّ عجزٌ وغفلةٌ بأنّ الّذى أسلفتمُ ليس يُذكرُ
وهيهاتَ تأبى الخيلُ والبيضُ والقنا مجارى دمٍ للفاطميين يُهدَرُ (١)
ولستمْ سواءً والّذين غلبتمُ ولـكنّها الأقدار فى القومِ تُقدَرُ
وإن نلتموها دولةً عجرفيّـــــةً فقد نال ما قد نال كسرى وقيصرُ
وليسَ لـكم من بعد أن قد غدرتُمُ بمن لم يكن يوماً من الدّهرِ يغدُرُ
سوى لا تُماتٍ آكلاتٍ لحومَكم وإلّا هجاءٌ فى البلاد مُسَيَّرُ
تقطّع وصلٌ كانَ منّا ومنكمُ ودانٍ من الأرحامِ يَنْنِى ويَسطُرُ
وهل نافعٌ أنْ فرّقتنا أصولُـكمْ أصولٌ لنا نأوى إليها وعنصرُ
وعضو الفتى إن شَلّ ليس بعضوه وليس لربّ التّرب سربٌ مُنَفَّرُ
ولا بدّ من يومٍ به الجوّ أغبرٌ وفيه الثّرى من كثرةِ القتلِ أحمرُ
وأنتمْ بمجتاز السّيولِ كأنّكمْ هشيمٌ بأيدى العاصفاتِ مطيّرُ (٢)
فتهبط منكم أرؤسٌ كنّ فى الذُّرا ويخبو لـكم ذاك اللّهيب المُسَعّرُ
ويثأرُ منكم ثائرٌ طال مطلُهُ وقد تُظفر الايـ من ليس يَظفرُ

٭٭٭

[وقال فى النسيب] (٣):

ولمـــــا أردت طروقَ الفتاةِ وصاحبنى صـــاحبٌ لا يغارُ
صموتُ اللّسانِ بعيـــد السّماعِ فسرِّىَ مُـكتَتَمٌ والجهارُ
وَضاق العناقُ فصار الرّداءُ لها ملبساً ولباسى الخِمارُ

---

(١) يهدر : يسفك ضياعاً . (٢) الهشيم : النبات اليابس المتكسر .
(٣) أوردها بهاء الدين العاملى فى كشكوله عن كتاب له فيمن ضاجع محبوبه.

وَما لفّنا كالتفافِ الغصونِ جميعاً هنالك إلّا الإزارُ
وطاب لنا بعـــد طولِ البعادِ رُواء الحديث وذاك الجِوارُ
شربتُ بريقتهــــا خمرةً ولـكنّها خمرةٌ لا تُدارُ
كأنّ الظّلامَ بإشراق ما أنالتْ وأعطته منها نهارُ
وأثّر فى جيـــــدها ساعدى وأثّر فى جانبىَّ السِّوارُ [1]
فلو صُبّتِ الـكأسُ مابيننا لما خرجت من يدينا العُقارُ [2]
وناب منابَ ليالٍ طوالٍ تقصّر هذى الليالى القصارُ

* * *

وقال فى الاعتبار :

أتدرى من بهــا تلك الدّيارُ وتعلم ما غطا ذاك الخمارُ ؟
أقامتْ ضرّةُ القمرين فيهـــا فـكلُّ بلاد ما كنها نهـــارُ
فتاة حُـكّمتْ فى كلّ حسنٍ وليس لغيرها فيـــــه الخيارُ
ففى كلّ القلوب لها وجيبٌ [3] كما كلُّ القلوبِ لها ديارُ
فحسبك يا زمانُ فمنك عندى قبيحٌ لا يحسّنُه اعتـــذارُ
أأنسى الغدرَ منك وَأنت إلفِى وغِشُّكَ لى وَأنتَ المُستشارُ
وعندى من حديثك ما لو أنّى سمرتُ به لشاب له الصّغارُ

* * *

وقال فى الافتخار :

يارُبَّ ليلٍ أخذنا فيـــه منيتنا كأنّ أوّله فى ذاك آخرُهُ

---

(١) الجيد : العنق .
(٢) العقار (بالضم) : الخمر .
(٣) الوجيب : الخفقان .

كأنَّ نجمَ الثريا ملَّ مجمعَنا فمـــا استطاع مقاماً وهو ناظرُهُ
ومَهْمَهٍ جُبتُه وحــــدى على قَلَقٍ معوِّدٍ لِىَ خوضَ البحرِ حافِرُهُ(١)
من لونه يستمدُّ الليلُ ظلمتَه والفجرُ من وجهه لاحت عساكرُهُ
معانقاً نبعةً سمراء ما حُملتْ إلّا ليومٍ جرىءٍ من يباشرُهُ(٢)
ولا فَرَتْ يدُها نحراً فتترُكُهُ إلّا وقد نُشرتْ منه نواشرُهُ(٣)
وصاحبٍ مانَبَتْ منـــه مضاربُه فى كلِّ خطبٍ، ولم تُؤمَن محاذِرُهُ
يَطَّلُّ شوقاً إلى الأعنـــاق منتصباً لنفسه قبــــل أن يرتاحَ شاهرُهُ
ولِى جَنــانٌ كأنّ الأرضَ ساحتُهُ فمـــا يضيق لمرهوبٍ يخامرُهُ(٤)
يَستنزرُ الكُثْرَ من هــذا الزّمان له فكلُّ ماحلّ فيه فهو حاقرُهُ(٥)

* * *

وقال فى العتب:

ليت أنّا لا نعرف القومَ فيهمْ حَيَدٌ عن ودادنا وازورارُ(٦)
ولبئس الصّـــديقُ هبَّ نسيماً بمقـــالٍ وبالحُشاشةِ نارُ
وإذا سمــــتُهُ نهوضاً بثِقلٍ خانني منــه عودُهُ الخوّارُ(٧)
فعفــاءٌ على وداد أُناسٍ هو ما بينهمْ غبـــارٌ مُثارُ(٨)

---

(١) المهمه: المفازة، وجبته: طفته وقطعته.
(٢) السمراء: يقصد بها القناة.
(٣) فرت: شقت. ونشرت: قطعت، والنواشر: الأعصاب: مفردها ناشرة، وتطلق على العروق أيضاً.
(٤) الجنان (بالفتح): القلب، ويخامره: يخالجه ويخالطه.
(٥) يستنزر: يستقل.
(٦) الحيد (بفتح الياء للضرورة وأصله السكون): الانحراف.
(٧) الخوار: الضعيف.
(٨) العفاء: التراب.

إنّ قوماً كانوا الكرامَ لدينا أوحشتْ منهمُ علينا الدّيارُ
لم يَبِتْ بينهمْ قبيحٌ ولا عرّجَ فيهم فيما يُعرّجُ عارُ (١)
هم ليوثٌ إذا استحرّت وفى يو مِ عطاءِ هُمُ عطاءٌ بحارُ (٢)
خلّفونا وعرّسوا فى محلِّ هَجَرتْهُ الخطا فليس يُزارُ (٣)
مالهمْ مؤنِسٌ سوى عَرفجِ الدوِّ سقاهمْ كما سقاه القُطارُ (٤)
فتراهمْ فى القاع صرعى كرَكْبٍ هجّروا عندنا قليلًا وساروا (٥)

* * *

وقال فى مثل ذلك :

ظننتم محلّ الأمر فيكم وعندكمْ ولم تعلموا ماذا تجرّ المقادرُ
وغرّ نفوساً ظاهراتٍ غرورُه ومن دون مايقضى به اللهُ ساترُ
وفاتكمُ ما كنتمُ تحسبونه وطار به ـ والشّكرُ لله ـ طائرُ
ورمتمْ ضِراراً لم يُرِدْهُ مليكُهُ وليس لمن يُقضَى له النفعُ ضائرُ
ورفّعتمُ منكم رءوساً فطُوطِئَتْ بأيدٍ عزيزاتٍ وكُبّتْ مناخِرُ
فلا تولعوا من بعدها بطاعةٍ ففيما مضى عن مثل ذلك زاجرُ

* * *

---

(١) عرج : أقام .
(٢) استحرت : اشتدت ، ولعلها استجرت من الاستجارة . واللفظ للخطاب.
(٣) عرسوا : نزلوا وأقاموا ، وأصل التعريس نزول المسافر للاستراحة .
(٤) العرفج : شجر سهلى ، والعرافج أيضاً الرمال ، والدو : المفازة . والقطار (بالضم) : السحاب العظيم .
(٥) هجروا : نزلوا فى الهاجرة ، وهى منتصف النهار .

باب الراء المفتوحة

وقال يفتخر بآبائه عليهم السلام [1] :

لو لم يماجله النّوى لتحيّرا ... وقَصارُه وقد انتأوْا أن يُقصِرا [2]
أفكلّما راعَ الخليطُ تصوّبتْ ... عبراتُ عينٍ لم تقلَّ فتكثُرا ؟ [3]
قد أوقدتْ حُرَقُ « الفراق » صبابةً ... لم تستعرْ ومَرَيْنَ دمعاً ماجرى [4]
« شَعَفٌ » يُكتّمه الحياء ولوعةٌ ... خفيتْ وحُقَّ لمثلها أن يظهرا [5]
« وأبى » الركائبِ لم يكن « ماعُلنه » ... صبراً ولكنْ كان ذاك تصبّرا [6]
لَبّيْنَ داعيةَ النّوى فأرينَنا ... بين القِباب البيض موتاً أحمرا
وبعدن بالبين المشتّتِ ساعةً ... « فكأنّهنّ » بعدن عنّا أشهُرا [7]
عاجوا على ثَمْدِ البطاحِ وحُبّهم ... أجرى العيونَ غداة بانوا أبحُرا [8]

---

(١) ورد فى « الشهاب » قسم من هذه القصيدة فى « ص ٥٣ » وكذا فى طيف الخيال « ص ٧٥ » وفى الأمالى « ج ٣ ص ٥٨ » وفى مناقب ابن شهر آشوب « ج ٣ ص ٤١ » و « ص ٨١ » وفى هذا تصحيفات وتحريفات فاحشة وجاءت فى الغدير « ج ٤ ص ٢٢٠ » مع بعض التصحيفات أيضاً .

(٢) النوى : الرحيل والبعد وما يقصده المسافر ، وقصاره وقصاراه : غاية جهده ويقصر : يمسك .

(٣) راع : رجع ، والخليط : المخالط والصاحب والجار . وتصوبت : انهملت .

(٤) فى « س » « الفؤاد » بدل « الفراق » ، والصبابة : الشوق ، ومرين : اعتصرن من مرى الناقة إذا مسح ضرعها لتدر اللبن .

(٥) الشعف : كالشغف ، وفى « س » « شغف » .

(٦) فى « س » « أين » بدل « وأبى » وفى الغدير كالأولى «أين» . وفى « هـ » «غانه» بالغين بدل « عانه » .

(٧) فى « هـ » « وكأنهن » .

(٨) عاجوا : انعطفوا والثمد (بتسكين الميم وفتحها) : الماء القليل لا مادة له .

وتنكّبوا وَعْرَ الطّريق وخلّفوا ... مافى الجوانح من هوامٍ أوعرا (1)
أمّا السّلوُّ فإنّه لايهتدى ... قصد القلوب وقد حُشِينَ تذكّرا
قد رُمتُ ذاكَ فلم أجده ، وحقّ مَنْ ... فقدَ السّبيلَ إلى الهُدى أن يُعذَرا
أهلاً بطيفِ خيالِ مانعة « الحِبَا » ... يَقْظَى ومُفضلةٍ علينا فى الكرَى (2)
ما كانَ أنعمنا بها من زَورَةٍ ... لو باعدتْ وقتَ الورودِ المصدَرا !
جزعتْ لوَخْطاتِ المشيب وإنّما ... بلغَ الشّبابُ مدى الكمال فنوّرا (3)
والشيب إنْ « فكّرتَ » فيه مَورِدٌ ... لا بدّ يوردَهُ الفتى إن عُمِّرا (4)
يبيضّ بعد سواده الشّعرُ الذى ... لو لم يزره الشّيبُ واراه الثّرى
زَمنَ الشّبيبةِ لا عدَتْك تحيّةٌ ... وسقاكَ مُنهمِرُ الحَيا ما استُغزِرا (5)
فلطالما أضحى ردائى ساحباً ... فى ظلّك الوافى وعودِىَ أخضرا
أيّامَ يرمُقنِى الغزالُ إذا رنا ... شَعَفاً ويطرقنى الخيالُ إذا سرى (6)
ومرنّحٍ فى الكُورِ يُحسَبُ أنّه ... اصْطبح العُقار وإنّما اغتبق السُّرى (7)
بطلٌ صَفاهُ للخداءِ مَزِلّةٌ ... فإذا مشى فيه الزّماعُ تَغَشمَرا (8)

---

(1) تنكبوا : تجنبوا ، والوعر : الغليظ الوحش .

(2) فى « هـ » « لنا » بدل « الحبا » ، والحباء بكسر الحاء : العطاء ، والحبى بالقصر وضم الحاء ، جمع الحبوة وهى العطية والهدية .

(3) وخطات المشيب : مخالطته ، ووخطه الشيب : مازج شعره واختلط به .

(4) فى (س) « أنكرت » محرفة من « فكرت » .

(5) الحيا (بالقصر) : المطر ، واستغزر : استكثر .

(6) يرمقنى : ينظرنى ، ورنا : طمح ببصره ، وشعفا : شغفا وفى (س) شنفاً : وكلاهما بمعنى واحد ، ويطرقنى : من الطروق وهو الإتيان ليلا .

(7) المرنح : المتمايل ، والكور : الهودج ، واصطبح : شرب الخمر صباحاً ، والعقار (بالضم) : الخمر ، واغتبق : شربها مساء ، والسرى : السير ليلا .

(8) صفاه وصفاته (بالفتح) : صخره ، والزماع : المضاء فى الأمر ، وتغشمر : تنمر .

« إمَّا » سألتَ به فلا تسألْ بهِ   « نَايًا » يناغِى فى البَطالة مِزْمَرا [1]
وسَلْ به الجُرْدَ العِتاقَ مغيرةً   يخبطن هاماً أو يطأْن سَنَوَّرا [2]
يحملن كلَّ مُدجَّجٍ يَقرِى الظُّبا   عَلَقًا وأنفاسَ السَّوافى عِثْيَرا [3]
قَوْمِى الذين وقد دَجَتْ سُبُلُ الهدى   تركوا طريقَ الدِّين فينا مُقمِرا [4]
غَلبوا على الشَّرَفِ التَّليد وجاوزوا   ذاكَ التَّليدَ تَطرُّفًا وتخيُّرا [5]
كم فيهمُ من قسْوَرٍ مُتخمّطٍ   يُردِى إذا شاء الهِزَبْرَ القَسْوَرا [6]
متنمّرٍ والحربُ إن هتفت به   أدّته بَسَّامَ المُحيّا مُسفِرا [7]
وملوَّمٍ فى بذلهِ ولطالما   أضحى جديراً فى العُلا أن يُشكرا
ومُرَفَّعٍ فوق الرِّجال تخالُه   يوم الخطابة قد تسنَّم منبرا
جمعوا الجميلَ إلى الجمالِ وإنّما   ختموا إلى المرأى المُمدَّحِ مَخبَرا
سائلْ بهمْ بَدْراً وأُحْداً والتى   ردّتْ جبينَ بنى الضّلال مُعفَّرا
للهِ دَرُّ فوارسٍ فى خيبرٍ   حملوا عن الإسلام يوماً منكرا [8]

---

(١) الناى : من آلات الطرب كالمزمر وهو القصب يغنى به ويعرف عند العامة بـ (المطبك) بالكاف الفارسية المخففة ، وجاء فى الغدير « أما » بفتح الهمزة ، ونأياً مهموز ، وكلاهما ليس بشىء والصواب ما ذكرناه ، وفى « ه » « مزهر » بالهاء عود للطرب أيضاً ، ويناغى : يجارى ، والبطالة : الشجاعة .

(٢) الجرد والأجرد من الخيل : السباق ، والعتاق : الأصائل النجب ، والهام : الرءوس ، والسنور : يطلق على السلاح من الحديد أو على لبوس من قد كالدرع .

(٣) المدجج : لابس السلاح ، ويقرى : يطعم ، والظبا : السيوف ، والعلق : الدم ، والسوافى : الرياح ، والعثير : التراب والعجاج .

(٤) دجت : أظلمت .

(٥) التليد : من المال القديم الموروث ، والتطرف : من الطريف وهو المال الحديث المكتسب .

(٦) القسور : الأسد ، والمتخمط : المتكبر والمتجبر ، والهزبر : الأسد .

(٨) هتفت : صاحت ، وأدته : أرسلته ، وبسام المحيا مسفرا : ضاحك الوجه مستبشرا .

(٨) منكراً : عظيما مهولا .

عصفوا بسلطان اليهودِ وأَوْلجوا تلك الجوانح لوعة وتحسُّرا (١)

وأُستلحموا أبطالهمْ وأُستخرجوا أَلـــأزلامَ من أيديهمُ والَميسِرا (٢)

وبمرحبٍ ألوى فتًى ذو جرةٍ لا تُصطلَى وبسالةٍ «لا تُمترَى» (٣)

إنْ حزّ حزّ مُطبّقاً أو قال قا لَ مصدّقاً أو رام رام «مطهَّرا» (٤)

فثناه مصفرَّ البَنان كأنَّمــــا لطخ الحِمامُ عليــــه صِبْغاً أصفرا

«تهفو» العُقابُ بِشِلوهِ ولقد هَفَتْ زمناً به شُمُّ الذّوائبِ والذُّرا (٥)

أمّا الرّسولُ فقـــد أبان ولاءه لوكان ينفع «جائراً» أن ينذرا (٦)

أمضى مقالاً لم يقـــله معرِّضاً وأشاد ذكراً لم يشده «مُغرِّرا» (٧)

وثنى إليـــه رقابهمْ وأقامه عَلَمــاً على باب النّجاة مشهَّرا

---

(١) أولجوا : أدخلوا ، والجوانح : الضلوع .

(٢) استلحموا : تتبعوا وعقروا ، والأزلام : القداح التي كانوا يضربون بها على الميسر (وهو قمار العرب) .

(٣) ألوى فتى : أشجع فتى وأمضى ، ولا تصطلى : لا تقترب لشدة حرارتها وتوهجها ، وفي (س) وفي كتاب الغدير « تقترى » تصحيف عن « تمترى » .

(٤) حز : قطع ، والمطبق : الحاذق الذي يصيب الأمور برأيه ، وفي (س) « مظهرا » بدل « مطهرا » وفي مناقب ابن شهر آشوب « ج ٣ ص ٨١ » « مظفرا » .

(٥) تهفو : تعبث ، وهفا الطائر خفق بجناحيه ، والعقاب : من الطيور الجوارح كالنسر ، وفي (س) « شهق » بدل « تهفو » ، والشلو : العضو ، وهفت : تساقطت ، والذوائب : جمع ذؤابة وهي من الإنسان ناصيته أو شعرها ، والذرا : المرتفعات .

(٦) الضمير في (ولاءه) يرجع إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو جد الشاعر الذي يفخر به ، وقد أبان ولاءه الرسول صلوات الله عليه وآله يوم رجوعه من حجة الوداع إذ نادى بجمع المسلمين بقوله « من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه . اللهم وال من والاه الخ . . .) وذلك اليوم سمي يوم الغدير كما نص على ذلك جم من العلماء غفير ، وقد أشرنا من قبل إلى أن العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي ألف فيه كتاباً جليلا سماه الغدير يكون بعدة مجلدات ، وجاء في (س) و (ش) والغدير « حائراً » في موضع « جائراً » والمعنى فيها حائر .

(٧) معرضاً : من التعريض وهي التورية أو التغطية ، وفي مناقب ابن شهر آشوب (ج٣ص٤٣) « مؤمنا » وهي من جملة التحريفات الفاحشة فيه ، ومغرراً : خادعاً من التغرير وهو التعريض للهلكة ، وفي (س) و (ش) والغدير « معذراً » ؛ ولا عذر له .

ولقد شفى « يومُ الغدير » معاشراً ثَلِجَتْ نفوسُهمُ «وأدوى» معشرا[1]

« قَلِقَتْ » بهمْ أحقادهمْ فمرجِّعٌ نفَساً ومانعُ أنّةٍ أن تجهرا[2]

ياراكباً رقصتْ به مَهْرِيَّةٌ أشِبَتْ بساحته الهمومُ فأصحرا[3]

عُجْ « بالغَرِيِّ » فإنّ فيه ثاوياً جبلاً تطأطأ فاطمأنّ به «الثّرى»[4]

واقرا السّلامَ عليه من كَلِفٍ به كُشفتْ له حجبُ الصّباح فأبصرا

فلو استطعتُ جعلتُ دار إقامتي تلكَ القبورَ الزُّهرَ حتّى أُقبرا

* * *

وقال (أدام الله تأييده) يهنئ الأستاذ (الأجل) أبا الخطاب حمزة[5] بن إبراهيم بالمهرجان الواقع فى « سنة ٤٠٣ » ويعاتبه على تأخر أجوبة بعض كتبه (الصادرة إلى جليل حضرته)

عرفتُ الدّيارَ كسُحقِ البُرودِ كأن لم تكنْ لأنيسٍ ديارا[6]

ذكرتُ بها نزواتِ الصِّبا بساحاتها والشّبابَ المُعارا

---

(١) يوم الغدير : مر ذكره فى توضيح معنى البيت الثالث السابق لهذا ، وثلجت نفوسهم : أى سرّت ، وأدوى : أمرض وأصاب بالداء ، وفى (س) أودى ومعناه أهلك والظاهر تصحيفها عما أثبتناه .

(٢) فى (س) والغدير « قلعت » بدل « قلقت » وهو ضد المعنى المراد .

(٣) المهرية : من النوق الموصوفة بسرعة الجرى وتنسب إلى مهرة بن حيدان من قضاعة ، وأشبت الهموم بساحته : أى اكتنفته وألمت به ، وأصحر : خرج إلى الصحراء .

(٤) عج : أمرر وأقم ، والغرى : موضع مدفن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفى (ه) و (ش) « البرا » فى موضع « الثرى » .

(٥) ولد « سنة ٣٣٩ » ودرس علم النجوم ، واتصل ببهاء الدولة بن عضد الدولة ، وبلغ بعلم النجوم عنده منزلة لم يبلغها أمثاله ، وكان الوزراء يخدمونه،وحمل إليه فخر الملك مرة مائة ألف دينار فاستقلها ، ثم تدنت حاله وأضاف وافتقر واغترب،وتوفى على ذلك سنة « ٤١٨ » . راجع الكامل فى حوادث هذه السنة (مصطفى) .

ذكر ابن الجوزى فى المنتظم « ج ٨ ص ٣٦ـ٣٧ » بأنه توفى سنة « ٤١٩ » كما جاء فى الديوان أيضاً حيث رثاه المرتضى بالقصيدة التى مطلعها :

لو كنت أملك للأقدار واقية دفعت عنك أبا الخطاب ما طرقا (الصفار)

(٦) السحق : البالية ، والبرود : جمع البرد وهو الثوب .

وقوماً يشنّون لا يفــــترو ن إمّا النُّضارَ و إمّا الغِوارا[١]
أبَوْا كلّمــا عَذلوا فى الجيـ ل إلّا «انبعاقاً» وإلّا انفجارا[٢]
أمِنتُ على القلبِ خوّانةً تطيــع جهــاراً وتَعصى سِرارا
أُقادُ إليهــــــا على ضَنّها ولولا الهوى لملكتُ الخِيارا[٣]
وقالوا وقد بدّلَتْ حادثاتُ زمانِىَ ليلَ مشيبى نهــارا :
أتاه المشيبُ بذاك الوَقارِ فقلت لهمْ : ما أردتُ الوَقارا
فياليت دهراً أعار السّوا دَ إذ كان يَرجِعــه ما أعارا
وليتَ بياضاً أراد الرّحيلَ عقيب الزّيارة ما كان زارا
ومفترشٍ صَهَواتِ الجيـــادِ إذا ماجرى لايخاف العِثارا[٤]
تراه قويمــاً كصدر القنــاة لا يَطعَمُ الغُمضَ إلّا غرارا[٥]
سرَى فى الظّلام إلى أن أعا دَ مرآةَ تلك اللّيالى سِرارا[٦]
فلمّــا ثناه «جنابُ الأجلِّ» نَفَض عن مَنكِبيه الغُبارا[٧]
وشرّد عنــه زَماعَ الرّحيــل فألقَى عصاه وأرخى الإزارا[٨]
مَزارٌ إذا «أمّه» الرائدون أبَوْا أن يؤمّوا سواه مزارا[٩]

---

(١) يشنون : يفرقون ، والنضار (بالضم) الذهب ، والغوار : الإغارة .
(٢) انبعاقاً : انصباباً بشدة ، وفى (س) « انبعاثا » .
(٣) ضنها (بالضاد) : بخلها .
(٤) الصهوات : الظهور .
(٥) غراراً : قليلا .
(٦) السرار (بالفتح والكسر) : آخر ليلة من الشهر يختفى فيها القمر ، وفى (س) «نهارا» فى موضع « سرارا » ، وفى (ه) « سوارا » تصحيف .
(٧) فى (س) « الجناب المريع » فى موضع « جناب الأجل » ؛ والمنكب مجتمع رأس الكتف بالعضد .
(٨) الزماع : العزم والمضاء فى الأمر ، وأرخى : سدل .
(٩) فى «ه» « زاره » بدل « أمه » وأمه : قصده .

ومغنًى إذا اضطربتْ بالرِّجال ... رحالُ الرَّكائب كان القرارا[1]

فلله دَرُّك من آخذٍ ... وقد وُتِرَ المجدُ للمجد ثارا[2]

ومن جبلٍ «ما استجار المَروعُ» ... به فى البوائق إلّا أجارا[3]

فتًى لاينام على ريبةٍ ... ولايأخذ«الغمَّ» إلّا اقتسارا[4]

ولا يصطفى غيرَ سيّارةٍ ... من الذِّكر خاض إليها الغِمارا

وقد جرّبوك خلال الخطو ... ب عىَّ بهنّ لبيبٌ فحارا

فما كنت للرّمح إلّا السّنانَ ... ولا كنت للسّيف إلّا الغِرارا[5]

وإنّك فى الرَّوع كالمضْرَحيِّ ... أضاق على الطائرات المطارا[6]

وكم لك دون مليك الملوك ... مَقامٌ رَكِبتَ إليه الخِطارا

وملتبسٍ كالتباس الظّلا ... م أضرمتَ فيه من الرّأى نارا

وكنتَ اليمينَ بتلك «الشُّغوب» ... وكان الأنام جميعاً يسارا[7]

ولمّا تبيّن عُقبى الأمور ... وأسفَرَ دَيجورُها فاستنارا[8]

درى بعد أن زال ذاك المِرا ... ء مَن بالصّواب عليه أشارا[9]

---

(١) المغنى : المنزل .

(٢) وتر : ظلم ، والوتر : الثأر .

(٣) فى (هـ) « ما استجار المفاة » فى موضع « ما استجار المروع » وفى (س) « ما استراع المروع » والمروع : الخائف الفزع ، والمفاة طالبو المعروف والبوائق : جمع البائقة وهى الداهية .

(٤) فى «هـ» « الهم » بدل «الغم» قيل الهم لما سيكون والغم لما كان ، وفى (هـ) «اقتصارا» بدل « اقتسارا » والاقتسار : الجبر والقهر .

(٥) الغرار (بالكسر) : الحد .

(٦) المضرحى : من الطيور الجوارح كالصقر والنسر .

(٧) فى النسخ « الشعوب » بالعين والصحيح ما أثبتناه ، والشغوب : جمع الشغب وهو الفتنة .

(٨) ديجورها : ظلامها .

(٩) المراء : الشك .

« ولولا » دفاعُك عنّى تراهُ   رأيناأ كيف رجالٍ «قصارا»[1]
ولِى نفثةٌ بين هـــذا المديح   صبرتُ فلم أُعطَ عنها أصطبارا
أأدنو إليـك بمحض الوِداد   وتبعُدُ عنّى وداداً ودارا ؟
وأُنسى فلا ذكرَ لِى فى المغيبِ   ومازادنى ذاكَ إلّا ادّكارا[2]
وإنّى لأخشى وحوشيتَ منه   أنْ يحسب النّاسُ هذا أزورارا
ولستُ بمتّهِمٍ للضمـــير   ولـكنّنى أستزيد الجِهـارا
ولو قبل النّاسُ عذر أمرىء   لأوسعتُهم عن سواى أعتذارا
فليس لهمْ غـير ماأبصروه   عِياناً وعـدّوا سواهُ ضِمـارا
وكانت جوابات كتبى تجىء   إلىَّ سِراعاً بفخرٍ غِزارا
فقد صرن إمّا طوين التّنين   وإمّا وردن خفافا قصارا
وكيف تخيب صغـار الأمور   لَدَىْ مَن أنال الأمورَ الكبارا؟
وكمْ لِىَ فيك من التّائرات   أنجد سارٍ بهــا ثمّ غارا[3]
ومن كَلِمٍ كنبال المصيبِ   وبيتٍ شَرودٍ إذا قيل سارا
يغنّى بهنّ الحداةُ الرّكابَ   ويُسقى بهنّ الطّروبُ العُقارا[4]
وأنت الذى لمليك الملوكِ   صيّرته راعياً لى فصارا
ولمّـــا بنيتَ بساحاته   أطلتَ الذُّرا ورفعت المنارا
فلا زلتَ يا فارج المشكلاتِ   تنالُ المرادَ وتُكفى الحِذارا

(١) فى (س) «ولولاك» فالكاف زائدة من سهو الناسخ ، وفى (هـ) «قفارا» بدل «قصارا» والظاهر تحريفها عما أثبتناه .

(٢) ادكاراً : تذكراً .

(٣) أنجد : ارتقى النجد وهى الأرض المرتفعة ، وغار : هبط الغور وهى الأرض المنخفضة ، وأنجد ثم غار كناية عن السير الحثيث.

(٤) العقار (بالضم) : الخمر .

وهُنّئتَ بالمِهْرَجانِ الذى يعود كما « تبتغيه » مِرارا [1]
يعود بمــا شئتَ شوقاً إليك مراراً وإنْ لم تُعِرهْ أنتظارا
ولِمْ لا يتيهُ زمانٌ رآ كَ فضلًا لأيّامه وأفتخارا ؟

✲ ✲ ✲

وقال رضى الله عنه يرثى الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء

« سنة ٤٢٧ »

أما ترى الرَّبع الّذى أقفرا عراهُ من ريب البِلَى ما عَرا ؟
لو لم أكن صبًّا لسكّانهِ لم يجر من دمعى له ما جرى
رأيتُه بعــــد تمامٍ له مقلَّباً أبطُنَهُ أظهُرا
كأنّني شكًّا وعلماً به أقرأ من أطلالهِ أسطُرا
وقفتُ فيـــــه أينُقاً ضُمَّراً شذَّبَ من أوصالهنّ السُّرى [2]
لى بأُناسٍ شُغُلٌ عن هوًى ومعشرى أبكى لهم معشرا
أجِلْ بأرض الطَّفّ عينيك ما بين أناسٍ سُربلوا العِثْيَرا [3]
حكَّمَ فيهم بغىُ أعدائِهم عليهم الذُّؤبانَ والأنسُرا
تخال من لألاءِ أنوارهمْ ليلَ الفيافى لهمُ مقمرا
صَرعَى ولـكن بعد أن صَرّعوا وقطَّروا كلَّ فتًى قَطّرا [4]

---

(١) فى (س) « تشتهيه » بدل « تبتغيه » .
(٢) الأينق والنوق : جمع ناقة ، والضمر : المهزيلات ، وشذب : قطع ، والأوصال : الأعضاء والسرى : السير ليلا .
(٣) أرض الطف : كربلاء ، وهى موضع مصرع الحسين وأصحابه عليهم صلوات الله تعالى ، وسربلوا : ألبسوا ، والعثير : العجاج .
(٤) قطروا : صرعوا .

لم يرتضوا درعاً ولم يلبسوا بالطّعن إلّا العَلَقَ الأحمرا (١)
من كلّ طيّانِ الحشا ضامرٍ يركب في يوم الوغى ضُمّرا (٢)
قل لبنى حربٍ وكم قولةٍ سطّرها فى القوم من سطّرا
تيهتُمْ عن الحقّ كأنّ الذى أنذركم فى الله ما أنذرا
كأنّه لم يَقرِكُمْ ضُلّلا عن الهدى القَصْدَ بأمّ القُرىٰ (٣)
ولا تـــدرّعتم بأثوابه من بعد أن أصبحتمُ حُسّرا (٤)
ولا فريتمْ أدَماً « مرّةً » ولم تكونوا قطّ ممّن فرىٰ (٥)
وقلتمُ : عنصرنا واحـــدٌ ؛ هيهات لا قربىٰ ولا عنصرا !
ما قدّم الأصلُ امرءاً فى الورىٰ أخّره فى الفرع ما أخّرا
وغرّكم بالجهل إمهالُكم وإنمـــا اغترّ الذى غرّرا
حلّأتمُ بالطفّ قوماً عن الـ ماءِ فحُلّئتمْ به الكوثرا (٦)
فإنْ لقوا ثَمَّ بكم مُنكَراً فسوف تلقون بهم منكرا
فى ساعة يحكم فى أمرها جـــدّهم العدل كما أُمّرا
وكيف بعتمْ دينكمْ بالذى استنزره الحازمُ واستحـــقرا

---

(١) العلق : الدم .

(٢) الطيان والطاوى : الجائع، والضامر : المهزيل .

(٣) يقركم : يرشدكم ويهدكم ، والقصد : الهدى والرشاد ، وأم القرى : مكة المكرمة ، ومعنى البيت ؛ (كأنه يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جد الحسين ، لم يرشدكم ويهدكم وأنتم ضالون عن الهدى إلى طريق الحق والقصد وهو الإسلام والإيمان وأنتم بمكة وهى أم القرى تعبدون الأوثان وتستهدون بغير الرحمن .

(٤) تدرعتم : لبستم ، والحسر : جمع الحاسر وهو المكشوف .

(٥) فريتم : شققتم ، والأدم : جمع الأديم وهو الجلد وفى (س) والغدير « ج ٤ ص ٢٤٦ » « إمرة » بدل « مرة » ولا معنى له .

(٦) حلأتم : أبعدتم وطردتم ، والكوثر : حوض فى الجنة ، وقيل نهر تتفجر منه جميع أنهار الجنة والساقى عليه هو الإمام على أبو الحسين المرتضى ـ وجد الشاعر الراثى ـ .

لولا الذى قُدِّر من أمركمْ ... وجــدتم شأنَكمُ أحقرا
كانت من الدّهر بكم عثرةٌ ... لا بدّ للسّابق أن يَعــثُرا
لا تفخروا قطُّ بشىءٍ فمــا ... تركتُمُ فينا لكم مفخرا
ونلتموها بيعــةً فلتةً ... حتّى ترى العين الّذى قُدِّرا[1]
كأنني بالخيل مثلُ الدَّبَى ... هبّتْ به نكباؤه صَرْصَرا[2]
وفوقها كلُّ شديدِ القُوَى ... تخاله من حَنَقٍ قَسْورا[3]
لا يُمطرُ السُّمرَ غداةَ الوغى ... إلّا برشِّ الدّمِ إنْ أمطرا
فيرجع الحقّ إلى أهــلهِ ... ويُقبِلُ الأمر الذى أدبرا
يا حججَ اللهِ على خلقهِ ... ومَن بهم أبصَرَ من أبصَرا
أنتمْ على الله نزولٌ وإن ... خال أُناسٌ أنكمْ فى الثَّرَى
قد جعل الله إليــكمْ كما ... علمتُمُ المبعثَ والمحشرا[4]
فإن يكن ذنبٌ فقولوا لمن ... شفّعكمْ فى العفو أن يَغفِرا
إذا تولّيتُــكمُ صــادقاً ... فليس منّى «مُنكَرٌ» مُنكِرا[5]
نَصرتُــكمْ قولًا على أنّنِي ... لآملٌ بالسّيفِ أن أنصُرا

---

(١) الفلتة : الفجأة والهفوة والزلة ، والأمر المرتجل الشاذ يكون فلتة ، ومن ذلك قول عمر رضى الله عنه : كانت بيعة أبى بكر فلتة .

(٢) الدبى : صغار الجراد قبل أن يطير واحده دباة ، والنكباء : الريح المنحرفة عن مهبها أى متنكبة ، والصرصر : الريح الباردة

(٣) الحنق : الغيظ ، والقسور : الأسد .

(٤) المبعث والمحشر : يوم القيامة وهو يوم الحساب وفيه جعل الله سبحانه تفضلا منه وإحسانا أنبياءه المقربين وزمرة من عباده الأبرار الصديقين هم الذين يتولون أمر الخلق وحسابهم ، وقد صح بالأخبار الواردة عن الصادق الأمين خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلى عليه السلام: ياعلى أنا وأنت نقف على شفير جهنم فنقول لها : هذا لنا ، وهذا لك ، وأنه قال لعلى : أنت قسيم الجنة والنار ، وقد روى ابن السماك عن أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يجوز على الصراط من لم يكن بيده من على الجواز .

(٥) منكر ونكير : ملكان يحاسبان الميت فى قبره .

وبين أضلاعِيَ سرٌّ لكمْ حوشِيَ أن يبدو وأن يظهرا

أنظرُ وقتاً قيل لى بُحْ به وحقّ للموعود أن ينظرا

وقد تبصّرتُ ولكنّنى قد ضقتُ أن أكظم أو أصبرا

وأىُّ قلبٍ حملتْ حزنكمْ جوانحٌ « منه » وما فُطِّرا [1]

لا عاش من بعدكمُ عائشٌ فينا ولا عُمِّر من عمّرا

ولا استقرّت قدمٌ بعدكم قرارةً مبدى ولا محضرا [2]

ولا سقَى اللهُ لنا ظامئاً من بعد أن جُنِّبتُمُ الأبحرا

ولا علتْ رجلٌ وقد زُحزِحت أرجُلُكمْ عن متنه منبرا

* * *

وقال يرثى ابن [3] شجاع الصوفى وكان مختصاً به :

ذكرتُك فى الخَلَوات التى شَننتَ بهنّ علىّ السّرورا

وكنتَ لديَجُورِهنّ الصّباحَ وفى سَهَكاتٍ لهنّ العبيرا [4]

فضاقتْ علىّ سُهوبُ الدّيار وصارتْ سهولتُهنّ الوعورا

وأظلمَ بينِي وبين الأنام وما كنت من قبل إلّا البصيرا

وطال علىّ الزّمانُ القصيرُ وكان الطّويلُ علىّ القصيرا

فها أنا منك خلىّ اليدين وفيكَ كليلَ الأمانِى حسيرا [5]

---

(١) الجوانح : الضلوع ، وفى الغدير « عنه » بدل منه وهو خطأ .

(٢) المبدى : محل البدو ، والمحضر: محل الحضر ، والمبدى أيضاً البداوة، والمحضر : الحضارة.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسن بن موسى الصوفى ، يعرف بابن الموصلى ، سمع الحديث على جماعة ، وروى عنه الخطيب البغدادى وغيره قال : وكان صدوقاً وتوفى فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة « تاريخ بغداد ج٨ ص٥٣ » (م.ج.)

(٤) الديجور : الظلام ، والسهكات : الروائح الكريهة .

(٥) الحسير : الكليل ، ومنه قوله تعالى « يرجع إليك البصر خاسئاً وهو حسير » أى كليل وغير بالغ ماطمح إليه .

فقدتُك فقدَ الزّمان الحبيب ... إلىَّ وفقدى الشّبابَ النّضيرا
وهوّن رُزءَكَ مَن لم يُحِطْ ... بأنّى أعالجُ منـــه العسيرا
فظنّوا ، وما علموا ، أنّه ... صغيرٌ وما كان إلّا كبيرا
فقل للّذى فى طريق الحِمَامِ ... يرعى البدور ويُعلى القصورا
ويغفل عن وَثَبات المنون يدعن ... الشّوَى ويُصبن النّحورا[1]
إلى كم تظلّ وأنت الطّليقُ ... بأيدى الطّماعةِ عبداً أسيرا ؟
إذا ما أريثُ أريثُ الرّحالَ ... وإمّا قَرِبتُ قربتُ الغرورا ؟
وإن نلت كلّ الذى تبتغيــه ... فمــا نلت إلّا الطفيف الحقيرا
وما أخذ الدّهرُ إلّا الذى ... أعاد فكيف تلوم المُعيرا ؟
وكم فى الأسافل تحت الحضيض ... أخامصِ قومٍ علون السّريرا
وكم ذا صحبنا لأكل التّراب ... أناساً ثَوَوْا يلبسون الحريرا
وكم أغمد التّربُ فى لَحدِهِ ... حُساماً قطوعاً وليثاً هصورا
أخَىَّ « حسينُ » ومَن لى بأن ... تجيب النّداء وتبدى الضّميرا ؟
عهدتك تطرد عنّى الهموم ... وتُذكرنى بالأمور الأمورا
أخانُ فآخذُ منك الوفاء ... وأظما فأكرع منك النّميرا
وكم ليـــلةٍ كنتَ لِى ثانياً ... بظلمائهـــا مؤنساً [illegible]
سقى الله قبرَكَ بين القبور ... سحاباً وَكِيفَ النّواحى مطيرا[2]
تخـــال ترا كه فى السّماء ... عِيراً بطــاءً يزاحمن عِيرا
كأن زماجرَه المصعِقـــاتِ ... ضجيجُ الفحول عزمن الهديرا

---

(١) الشوى : الأعضاء التى ليست بمقتل .
(٢) الوكيف : ذو الوكف وهو القطر والسيلان من المطر .

تُعصفره ومضاتُ البروقِ فتحسبه من نجيعٍ عصيرا (١)
مجاورَ قومٍ بأيدى البِلى تمزّقهمْ يرقُبون النّشورا (٢)
ولا زال قبرُك من نوره بجُنحِ الظّلام يضيء القبورا
ولا زلتَ ممتلئ الرّاحتين نعيماً ولاقيتَ ربّاً غفورا

* * *

وقال يعزى القاضى أبا القاسم عبد العزيز (٣) بن محمد العسكرى عن ولد له غرق «سنة ٤٣٢»

خلِّ من كان للجنادل جارا لا تُعِره تلهّفاً وادّكارا (٤)
فغبين الرّجال مَن سلّبَتْهُ نُوَبُ الدّهرِ فى المصابِ اصطبارا
واعتبر بالّذين حلّوا من العليا ء والكبرياء داراً فدارا
ملكوا الأرض كلّها ثمّ مَن كا ن على الأرض فى الزمان مرارا
فترى دورهمْ وكنّ مِلاءً بالمسرّات بعدهنّ قفارا
مظلماتٍ من بعد أن أوقدت فيها اللّيالى نوراً يلوح ونارا
وأكفّاً يوابساً طالمَا فضْ ن على الخلق عَسْجَداً أو نُضارا (٥)
أين قومٌ كنّا نراهمْ على الأط واد حلّوا ثرى الصّعيد انتشارا (٦)
زَحموا الأنجمَ العُلا غير راضيـ ن لهم ذلك الجوارَ جِوارا

(١) تعصفره : تصبغه بالعصفر وهو صبغ أصفر ، والنجيع : الدم .
(٢) البلى : الهلاك ، والنشور : البعث .
(٣) ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه « ج١٠ص٤٦٩ » أبا القاسم عبد العزيز بن محمد بن الحسين القطان المتوفى سنة «٤٥٨» ولم يذكر أنه كان قاضياً وعده من الرواة الثقات . (م.ج.)
(٤) الجنادل : الصخور ، والتلهف : التحسر ، والادكار : التذكر .
(٥) العسجد : الذهب ، والنضار : الفضة ويطلق على الذهب كذلك .
(٦) الأطواد : الجبال ، والصعيد : التراب .

كلُّ قَرْمٍ قد طاب أصلًا وفرعاً   وقديمـاً وحادثاً ونِجارا (١)
ضمَّ ملكاً وبسطةً بيديهِ   طبّقتْ إلى البرارى البحارا
وتراه يجرّ فى كلّ فجٍّ   طَلَبَ العزِّ جيشه الجرّارا
لم يزل آنس المفارق حتى   خلع الموتُ تاجَه والسِّوارا
ثمّ ولّى ممكَّناً مِن رَداه   فيه تلك الأنيابَ والأظفارا
إنّ هذا الزّمان يأخذ منّا   كلَّ يومٍ خيارَنا والخيارا
وأعزّاؤنا إذا لم يفوتو   نا صغاراً فاتوا وماتوا كبارا
وكأنّ الذى تهالك فى الفَجْعاتِ   حُزناً تظلّمَ الأقدارا
حاشَ لله أن تكونوا وقد سِيطَتْ   بنا القارعاتُ فينا جُبارا (٢)
وإذا لم نُطِقْ ثقيلَ الرّزايا   فعلى ما نعجِّزُ الأغمارا ؟ (٣)
عزَّ مَن بزَّ مَن أراد وأفنى   خِيَراً تارةً وأخرى نِزارا (٤)
فتراهمْ من بعد عزٍّ عزيزٍ   فى بطون الهُوَى غُباراً مُطارا (٥)
وإذا ما أجَلْتَ بين ديارٍ   لهمُ اللحظَ لم تجدها ديارا
لم تدعْ حادثاتُ هذى الليالى   منهمُ أعيُناً ولا آثارا
وطوَتْ عنهمُ ومنهمْ إلى الأحياء   منّا الأنباء والأخبارا
ورأينا من واعظاتِ المواضى   للبواقى ما يملأُ الأبصارا
غير أنّا نزداد فى كلّ يومٍ   خُدَعاً من زماننا واغترارا

(١) النجار : الأصل .
(٢) سيطت : خلطت ، والقارعات : المصائب ، وجباراً : هدراً .
(٣) الأغمار : جمع الغمر وهو الجاهل غير المجرب للامور .
(٤) بز : استلب .
(٥) الهوى : جمع الهوة وهى الحفرة العميقة .

فإلى كم نصدّق المَيْنَ منه ... كلَّ يومٍ ونأمنُ الغرّارا ؟ (١)
ونسومُ الأرباحَ والرِّبح ياصا ... حِ إذا مامضيت كان خسارا
يابن عبد العزيز ليتك ما بِنتَ ... ولا سار سائرٌ بك سارا
كان « حِذرِى » عليك يستلب الغُمْـ ... ـضَ سُهاداً فقد كُفيتُ الحِذارا (٢)
إنما المرء طائرٌ سكن الوَكْـ ... ـرَ قليلًا مهجّراً ثمّ طارا
وطِوالُ السّنين بعد تقضٍّ ... ونفادٍ ما كُنَّ إلّا قصارا
أىُّ بدرٍ لم يُنتَقَصْ بمُحاقٍ ... بعد أن كان للعيون أستدارا ؟
وظلامٍ ما جاء غِبَّ صباحٍ ... ملأ الأرضَ كلَّها وأستنارا ؟
ليس عاراً هذا المصابُ وكان الضّـ ... ـعفُ عنه بين الأجالدِ عارا
إنما العيشُ لو تأمّلتَ ثوبٌ ... خِيل مُلكاً لنا وكان مُعارا
أيّها الثّاكل الحبّة لا تُذْ ... كلْ جزاءً عنها طويلًا كُثارا
وأصطبرْ مؤثراً تفزْ بثوابٍ ... لا تُضِعْهُ بأن صبرتَ أضطرارا
فدع الشَّكوَ من جروح الليالى ... « فجروح » الأيّام كنّ جُبارا (٣)
لا تشكَنَّ بالذى قسم الأعما ... ر فالله قسّمَ الأعمارا
وبلغتَ الأوطارَ قِدْماً فما زا ... لك يوماً أن تحرم الأوطارا
قد مضى رائداً أمامك بِشرى ... لك فى عرْصةِ الجنانِ قرارا
أىُّ نفعٍ فى أن تقيم وتمضى ... حَيَداً عن ثوابه وازورارا (٤)
وإذا ماوزنتَ ذاك بهذا ... كنتَ معطًى فيما عراك الخِيارا
ولو أنّى استطعتُ دفعاً لدافعـ ... ـت ولكن جارَكَ مَنْ لا يُجارى

---

(١) المين : الكذب .
(٢) فى الأصل « حذر » « بدل حذرى » والظاهر حذف الياء من سهو الناسخ .
(٣) فى الأصل « بجروح » « بدل فجروح » مصحفة ، والجبار : الهدر .
(٤) الحيد : أصله بتسكين الياء وهو الانحراف .

كنْ وَقوراً على مضاضةِ خطبٍ حطّ عن مَنْكِبَىْ سواك الوَقارا
واصحُ كى تُدركَ الثّوابَ فكلّ النّاسِ فى هذه الخطوبِ سُكارى
واستمعْ ما أقوله ودع الأقوالَ فالقولُ ما صفا وأنارا
وإذا ما سواكَ كان دِثاراً كنتَ لِى بالوِدادِ منك شِعارا[1]
وسقى الله قبره كلّما أرفضّ قُطارٌ ثنى إليه قُطارا[2]
وتولّى به الغمامُ بسُقيه متى شاء ظُلمةً ونهارا
وترى برقَه ضَحوكاً وإن كان عَبوساً ورعده النقّارا
وعدَته الجدوبُ فى كلّ مَحلٍ وكَسَتْهُ أنوارُه الأنوارا

* * *

وقال يمدح سلطان الدولة بن بهاء الدولة فى النيروز من سنة «٤١٦» :

«خيالُكِ يا أُميمةُ كيف زارا» على عجَلٍ وما أَمِنَ الحِذارا ؟[3]
«سرى يطأ الحتوفَ إلىّ وهْناً» ومن تبع الهوى ركب الخِطارا
«أتى ومضى ولم ينقَعْ غليلاً» سوى أن هاج للقلب ادّكارا
وكم من ليلةٍ نادمتُ فيها سَنا قمرٍ كُفيتُ به السِّرارا[4]
جلوتُ بصبح طلعته الدياجى فعاد الليلُ من وَضَحٍ نهارا[5]

(١) الدثار : ثوب يلبس فوق الشعار ، والشعار : الثوب الذى يلى البدن وسمى شعاراً لأنه يمس شعر البدن .

(٢) القطار (بالضم) : المطر الكبير القطر .

(٣) ورد الشطر الأول من القصيدة فى طيف الخيال « ص ٩٠ » هكذا :

« عجبنا من خيالك كيف زارا » والشطر الأول من البيت الثانى:

« أتى والشوق جاذبه إلينا » والشطر الأول من البيت الثالث:

« تلاف ضاع ما أغنى فتيلا »

(٤) السرار : آخر ليلة من الشهر أو ظلمتها . (٥) الوضح : الضوء والبياض .

ولمّـا أنْ رجوتُ له انعطافاً   ولم أخَفِ انحرافاً وأزورارا
نظرتُ إليـه نظرةَ مُستميحٍ   أحالتْ وردَ وجْنتِه بَهارا[1]
درِع الدِّرّاتِ يحلبُها أحتكاراً   رجالٌ لايرون الذُّلَّ عارا[2]
وعدٍّ عن المطامع فى حقيرٍ   يزيدك عنـد واهبـه احتقارا
وإن كان اليَسارُ يجرّ مَنّـا   عليك به فلا تَرِدِ اليَسارا[3]
ولا تخشَ ألتواء الدّهر يوماً   فإنّ الدّهرَ يرجـع ما أعارا
على ملك الملوك ســلامُ مولًى   يخوض إلى ولايتـه الغِمـارا
تقلقلَ دهرَه فى النّـاس حتّى   علقتَ به فكنتَ له القَرارا
حلفتُ بمعشرٍ شُعثِ النّواصى   غداةَ النّحرِ يرمون الجِمارا[4]
ومضطجعِ النّحائر عند وادٍ   أُميرَ نجيعهنّ به فمـارا[5]
ومن رَفعتْ لزائره قريشٌ   سراعاً عن بنيّتهِ السِّتارا
ومَن اتى على عرفاتِ حتّى   توارى من ذُكاء ماتوارى[6]
لقد فُقتَ الأُلى سلفوا ملوكاً   كما فاقتْ يمينُهُمُ اليَسارا
وجُزتَهُمُ وما كانوا بِطاءً   وطُلتَهُمُ وما كانوا قِصارا
وكان المُلكُ قبلك فى أناسٍ   وما بلغوا الذى بيديك صارا
ولو أنّ الأُلى من آلِ كسرى   رأوك تسوس بالدّنيا أقتدارا

---

(١) المستميح : سائل العطاء ، والبهار : نبت طيب الرائحة .
(٢) الدرات : جمع الدرة وهى الضرع
(٣) اليسار : الغنى .
(٤) الشعث : جمع الأشعث وهو المغبر ، والنواصى : جمع الناصية وهى مقدم الرأس ، والجمار والجمرات : حصيات يقذف بها الحاج عل رمى الجمرات وهى من المناسك .
(٥) النحائر : جمع النحيرة، والمنحورة من النوق والشياه ، وأمير : حرك وأريد به أريق .
(٦) ذكاء (بالضم) : من أسماء الشمس .

لما عقدوا على فَوْدَيه تاجاً   ولا جعلوا بمِعصَمِه السِّوارا (١)

وأنتَ أشفُّهُمْ خَلْقاً وخُلْقاً   وأكرمُهمْ وأزكاهمْ نِجارا (٢)

وأطهرهم ـ وقد ظفروا ـ امتناناً   وأطهرهم ـ وقد قدروا ـ إزارا

وأطلقهمْ يداً بندًى وبؤسٍ   وأمنعهمْ وأحماهمْ ذِمارا

وأطعنهمْ بذى خَطَلٍ وريداً   وأضربُهمْ بذى فِقَرٍ فِقارا (٣)

فللهِ انصلاتك نحو خَطبٍ   خلعتَ إلى تداركه العِذارا (٤)

وحولك كلُّ أبَاء حَرونٍ   يُحرّم فى معاركه الفِرارا (٥)

إذا ما هجتَه هيّجتَ منه   وقد حَدَق العُداة به قِطارا (٦)

وإنْ أيقظتَه فى ليل شَغْبٍ   فقد أوقدتَ منه فيه نارا

عمادَ الدّين خلِّ عن الهوينى   فإنّ لكلّ جاثمةٍ مَطارا (٧)

وداوِ الدّاء قبل تقول فيه :   طبيبُ الدّاء أعيا فاستطارا (٨)

فإن الحربَ منشؤها حديثٌ   وكان الشرُّ مبدؤه ضِمارا (٩)

وربَّ ضغائنٍ حَقَرتْ لقومٍ   رأينا من نتائجها الكبارا

فماذا غرّهم وسواك ممَّنْ   يزيد به مجرِّبُه اغترارا ؟

وقد شهدوا بفارسَ منك يوماً   ومِرجَلُ قومها بالبغى فارا (١٠)

---

(١) الفود : جانب الرأس مما يلى الأذن .

(٢) النجار : الأصل .

(٣) ذو خطل : الرمح ، وذو فقر : السيف :

(٤) خلع العذار : ترك الحياء ، وأصل العذار موضع الشعر النابت على الخدين أو الشعر نفسه .

(٥) الحرون : الممتنع والصعب القياد

(٦) حدق به : أطاف ، والعداة : الأعداء ، وقطارا : أى كالقطار المتصل من الإبل .

(٧) الهوينى : الرفق ، والجاثمة : الباركة .

(٨) استطار : انتشر وعم .

(٩) الضمار : السر وخلاف العيان .

(١٠) المرجل : قدر كبير من نحاس .

جنوا حرباً وظنّوا الرِّبحَ فيها ... وكم رِبحٍ جَررتَ به الخسارا

شكا الظّمأَ الحديدُ فحَىّ فرَوَّتْ ... بسالتُك الأسنَّةَ والشّفارا

وصُلتَ على جموعِهِمُ بجُرْدٍ ... أطارتهم سَنابكُها غُبارا [1]

قتيلُهمْ رأى الموتَ اغتناماً ... وأمُّ قتيلهمْ تهوى الإسارا

أزَرْتُك يامليكَ الأرض منّى ... ثناء ما اُستلبتُ به الفَخارا

فمدحُك قد كسانى الفخرَ بُرداً ... وأسكننى من العَلْياء دارا

يخال النّاظرون إلىَّ أنّى ... كَرَعْتُ وقد سمعتَ به عُقارا [2]

فدونك كلَّ سيّارٍ شرودٍ ... يزيد على مدى الدهرِ انتشارا

تُطيف به الرُّواةُ فكلُّ يومٍ ... يرون له خبيئاً مستثارا [3]

إذا شربوه كان لهمْ زلالاً ... وإن نقَدوه كان لهمْ نُضارا [4]

وإنْ قرنوه يوماً بالقوافى ... مضى سَبْقاً وولّاها العِثارا

أدام اللهُ ما أعطاك فينا ... وخوّلك المحبّةَ والخيارا

ولا زالت نواريزُ اللّيالى ... تعود لمــا ترجّيه مزارا

وأسعدك الإلهُ بكلِّ يومٍ ... سعوداً لا تُحطّ له مَنارا

ولا أعرى لكم أبداً شعاراً ... ولا أقوى ولا أخلى ديارا [5]

ولا أمضى بغير رضاك حُكماً ... ولا أجرى به فَلَكاً مُدارا

* * *

---

(١) الجرد : صفة للخيل الأصائل المسرعات ، والسنابك : أطراف حوافر الخيل .

(٢) العقار : الخمرة .

(٣) الخبيء : المخبوء ، والمستثار : المستخرج .

(٤) النضار : الذهب أو الفضة .

(٥) الشعار : الثوب الذى يلى البدن ، وأقوى : أقفر .

وقال يرثي الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين وأربعمائة :

يا ديار الأحباب كيف تحوّلـ ... ـتِ قفاراً ولم تكوني قفارا ؟
ومحتْ منك حادثاتُ الليالي ... رغم أنفي الشموسَ والأقمارا
واستردّ الزمانُ منك « وما سا ... ور » في ذاك كلّه ما أعارا [1]
ورأتكِ العيونُ ليلاً بهيماً ... بعد أن كنتِ للعيون نهارا
كم ليالٍ فيك همّـــا طوالٌ ... ولقد كنّ قبل ذاك قصارا
لِمَ أصبحتِ لي ثماداً وقد كنـ ... ـتِ لمن يبتغي نداكِ بحارا ؟[2]
ولقد كنتِ برهةً لِيَ يميناً ... ما توقّعتُ أن تكوني يسارا
إنّ قوماً حلوكِ دهراً وولّوا ... أو حشوا بالنّوى علينا الدّيارا
زوّدونا ما يمنع الغُمْضَ للعيـ ... ـن ويُنبي عن الجُنوبِ القرارا [3]
يا خليلي كن طائعاً لِيَ ما دمـ ... ـتَ خليلاً وإن ركبتَ الخطارا
ما أبالي فيك الحِذارَ فلا تخـ ... ـشَ إذا ما رضيتُ عنك حِذارا
عُج بأرضِ الطفوفِ عيسك واعْقلـ ... ـهُنّ فيها ولا تجزهنّ دارا [4]
وابكِ لي مُسعِداً لحزنيَ وامنحـ ... ـني دموعاً إن كنّ فيك غِزارا
فلنا بالطفوف قتلى ولا ذنـ ... ـبَ سوى البغيِ من عدًى وأسارى
لم يذوقوا الرّدى جُزافاً ولكن ... بعد أن أكرهوا القنا والشِّفارا

---

(1) ساور (كذا في الأصل) : ومعناه خالط وباشر ولعله « وما شاور »
(2) الثماد : الماء القليل .
(3) ينبي : يخطيء ويميل ، ونبا السيف عن الضريبة : كل ولم يؤثر ، والجنوب : جمع جنب للانسان شقه .
(4) أرض الطفوف : هي كربلاء موضع مصرع الحسين عليه وعلى أصحابه السلام وقد مر شرحها

وأطاروا فَراشَ كلِّ رءوسٍ ... وأماروا ذاك النجيعَ المُمارا (١)
إنّ يوم الطفوف رنّحنى حُزْ ... نًا عليكم وماشربتُ عُقارا (٢)
وإذا [ما] ذكرتُ منه الذى ما ... كنتُ أنساه ضيّق الأقطارا (٣)
ورمىْ بى على الهموم وألقىْ ... حَيَدًا عن تنعّمى وازورارا
كدتُ لمّا رأيتُ إقدامهمْ فيـــه عليكم أن أهتِك الأستارا
وأقول الذى كتمتُ زمانًا ... وتوارى عن الحشا ماتوارى
قل لقومٍ بنوا بغير أساسٍ ... فى ديارٍ ما يملكون مَنارا (٤)
واستعاروا من الزّمان وما زا ... لتْ لياليه تَستَردُّ المُعارا:
ليس أمرٌ غصبتموه لزامًا ... لا ولا منزلٌ سكنتمْ قرارا
أىُّ شىءٍ نفعًا وضرًا على ما ... عوّد الدّهرُ لم يكن أطوارا ؟
قد غدرتمْ كما علمتم بقومٍ ... لم يكن فيهم فتًى غدّارا
ودعوتمْ منهمْ إليكم مجيبًا ... كرمًا منهمُ وغوثًا نِصارا (٥)
أمِنوكمْ فما وفيتمْ وكم ذا ... آمنٌ ، من وفائنا الغدّارا
ولكُمْ عنهمُ نجاءٌ بعيدٌ ... لو رضُوا بالنّجاء منكم فرارا
وأتوكمْ كما أردتمْ فلمّا ... عاينوا عسكرًا لكمْ جرّارا
وسيوفًا طوَوْا عليها أكفًّا ... وقنًا فى أيمانكمْ خطّارا (٦)
علموا أنّكم خَدعتمْ وقد يخد ... عُ مكرًا من لم يكن مكّارا

(١) فراش الرءوس (بفتح الفاء) : عظام قحف الرأس وكل عظم رقيق ، والنجيع : الدم وأماروا : أسالوا ، والممار : المتحرك ويقصد الدم المراق .
(٢) رنحنى : هزنى ، والمترنح من النوم أو العقار وهى الخمرة : المتمايل
(٣) [ما] ساقطة من الأصل وضعناها لاقتضاء الوزن لها .
(٤) المنار : العلم أو ما توضع عليه النار .
(٥) النصار : الناصر المحسن.
(٦) الخطار : المهتز .

كان من قبل ذاك سترٌ رقيقٌ بيننا فاستلبتمُ الأستارا
وتناسيتمُ وما قَدُمَ العهـ ـدُ عهوداً معقودةً وذمارا [1]
ومقالًا ماقيل رجماً محالًا وكلاماً ماقيل فينا سرارا [2]
قد سبرناكمُ فكنتمْ سَراباً وخبرناكمُ فكنتمْ خَبارا [3]
وهدَيناكمُ إلى طُرُقِ الحـقّ فكنتمْ عنّا غفولًا حيارى
وأردتمْ عزّاً عزيزاً فما أُزددْ تمْ بذاك الصّنيع إلّا صَغارا [4]
وطلبتمْ ربحاً وكم عادتِ الأربا ح ما بيننا فعدن خسارا
كان ما تضمرون فينا من الشـرّ ضِماراً ، فالآن عاد جِهارا
فى غدٍ تبصر العيونُ إذا ما حانَ فيكمْ إقبالكمْ إدبارا
وتودّون لو يفيد تمنٍّ أنّكم ما ملكتمُ دينارا
لا ولا حُزتمُ بأيديكمُ فى النّاس ذاك الإيراد والإصدارا
عدِّ عن معشرٍ تناءوا عن الحـقّ وعن شعبه العزيز مَزارا
لم يكونوا زيناً لقومهمُ الغُـرّ ولكنّ شيناً طويلًا وعارا
وكأنّى أثنيكمُ عن قبيحٍ بمقـالى أزيدكم إصرارا
قد سمعتمْ ما قال فينا رسول اللّـه يتلوه مرّةً ومرارا
وهو الجاعل الذين تراخوا عن هوانا من قومه كفّارا [5]

---

(١) الذمار : العهود والذمم . (٢) السرار : السر .

(٣) سبرناكم : اختبرناكم ، وسبر الجرح : فحصه بالمسبر وهو آلة كالميل ليعلم غوره ، والخبار (بالفتح) : مالان من الأرض واسترخى .

(٤) الصغار (بالفتح) : الذل .

(٥) يشير المرتضى بهذه الأبيات إلى ماأوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته فى أهل بيته مراراً بأحاديثه الكثيرة الدالة على ضرورة التمسك بهم وترك التخلف عنهم كقوله : مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ، وقوله : إنى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى ؛ كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، إلى غير ذلك مما هو مشهور وفى كتب الأحاديث والمناقب محضور .

وإذا ما عصيتمُ في ذويه حال منكمْ إقرارُكمْ إنكارا
ليس عذرٌ لكم فيقبله اللّـــه غداً يوم يقبل الأعذارا
وغُررتمْ بالحلمِ عنكم ومازِ دَ جهولٌ بالحلم إلاّ اغترارا
وأخذتمْ عمّا جرى يومَ بدرٍ وحُنينٍ فما تخالون ثارا
حاشَ لله ماقطعتم فتيلاً لا ولا صرتمُ بذاك مصارا
إنّ نور الإسلام ثاوٍ وما أسطا عَ رجالٌ أن يكسفوا الأنوارا
قد ثَلَلْنا عروشكمْ وطمسنا بيد الحقّ تلكمُ الآثارا
وطردناكُمُ عن الكفر باللّـــه مُقاماً ومنطقاً وديارا
ثمّ قُدناكُمُ إلينا كما قا دتْ رُعاةُ الأنعام فينا العِشارا[1]
كم أطعتمْ أمراً لنا واطّرحنا ما تقولون ذِلّةً واحتقارا
وفَضَلْناكُمُ وما كنتمُ قـطّ عن الطّائلين إلاّ قِصارا
كم لنا منكمُ جروحٌ رِغابٌ وجروحٌ لمّا يكنّ جِبارا[2]
وضِرارٌ لولا الوصيّة بالسِّلْـ مِ وبالحلم خاب ذاك ضِرارا[3]
وادّعيتمْ إلى نِزارٍ وأنّى صدقكمْ بعد أن فضحتمْ نِزارا
وإذا ما الفروع حِدنَ عن الأصـ ل بعيداً فما قَرُبن نِجارا[4]
إنّ قوماً دنوا إلينا وشبّوا ضَرَماً بيننا لهمْ وأُوارا[5]
ما أرادوا إلاّ البَوارَ ولكنْ كم حمى اللهُ من أراد البَوارا[6]

(١) العشار : الحوامل من الإبل ، واحدتها عشراء (كفقهاء) .
(٢) رغاب : وساع ، والرغيب : الواسع ، وجباراً : منجبرات وملتئمات .
(٣) الضرار : المضارة والضرر .
(٤) حدن : ملن وانحرفن ، والنجار : الأصل .
(٥) الضرم : الحطب يلقى في النار ، والأوار : لهيب النار .
(٦) البوار : الهلاك .

فإلى كم والتجرباتُ شِعارى   ودثارى ألابس الأغمارا[1]

وبطيئين عن جميلٍ فإن عَنَّ قبيحٌ سعوْا له إحضارا[2]

قسمًا بالذى تُساقُ له البُدْ   نُ ويُكسَى فوق السِّتار ستارا[3]

وبقومٍ أتوا مِنًى لا لشىء   غير أن يقذفوا بها الأحجارا

وبأيدٍ يُرفَعْنَ فى عَرَفاتٍ   داعياتٍ مخوِّلاً غفّارا

كم أتاها مخيَّبٌ مايُرجَّى   فانثنىٰ بالغِنى بها الأوطارا

والمصلِّين عند جَمْعٍ يرجّو   ن الذى ما أستجير إلاّ أجارا

فوق خُوصٍ كللن من بعد أن بلَّـ   ـغنَ تلك الآمادَ والأسفارا[4]

وأعاد الهجيرُ والقُرُّ والرَّوحا   تُ منها تحت الهِجار هِجارا[5]

يا بنى الوحى والرِّسالة والتَّطـ   ـهير من ربّهم لهمْ إكبارا

إنّـكم خيرُ من تكون له الخضـ   ـراء سقفًا والعاصفاتُ إزارا[6]

وخيـار الأنيس لولا كُمُ فيـ   ـها تُحِلُّون من يكونوا خِيارا؟[7]

وإذا ما شفعتُمُ من ذنوب الـ   ـخلق طرًّا كانت هباءً مُطارا

ولقد كنتُمُ لدين رسول اللّـ   ـه فينا الأسماعَ والأبصارا

كم أدارى العدا فهل فى غيوب اللّـ   ـه يومٌ أخشى به وأدارَى ؟

وأصادِى اللِّئامَ دهرى فهل يقـ   ـضى بأن بتّ للأكارم جارا ؟

---

(١) الشعار : الثوب الذى يلى البدن ، والدثار فوقه ، والأغمار : الحمق والجهلاء .

(٢) عن : عرض ، والإحضار : الإسراع والعدو ، وأحضر الفرس : عدا مرتفعاً عن الأرض .

(٣) البدن : جمع بدنة وهى ماجعل من الأضحى للنحر أو النذر ؛ والمقسم به هو البيت الحرام .

(٤) الخوص : جمع الأخوص، والخوصاء من الإبل غائر العينين من أثر الهزال أو التعب .

(٥) الهجير : الحر ، والقر : البرد ، والهجار (بكسر الهاء) : حبل يشد فى رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه أى خصره .

(٦) الخضراء : السماء ، والعاصفات : الرياح.

(٧) الخيار : الأخيار ، والأنيس : كل مايستأنس به ، والمقصود بها هنا الأرض أو الدهر

وأقاسي الشّدّاتِ بُعداً وقرباً وأخوض الغمار ثمّ الغمارا
وأموراً يمبين للخلق لولا أنني كنت في الأذى صبّارا
أنا ظام وليس أنقع أن أبـ ـصرَ في النّاس دِيمةً مِدرارا [1]
وطموح إلى الخيار فما تبـ ـصر عيني في الخلق إلّا الشّرارا
ليت أنّي طِوالَ هذي اللّيالي نلتُ فيهنّ ساعةً إيثارا
وإذا لم أذق من الدّهر إحلا ء مدى العمر لم أذق إمرارا
مَيُّ أنَّى لِي أن أقصِّر اليومَ عن كلّ الأماني إن أملك الإقصارا؟ [2]
سالياً عن غروس أيدي اللّيالي كيف شاءت وقد رأيت الثّمارا
أيُّ نفعٍ في أن أراها دياراً خالياتٍ ولا أرى دَيّارا
وسُكارى الزّمان بالطّمع الكا ذب فيه أعيوا على السّكارى
فسقى اللهُ ما نزلتمْ من الأر ض عليه الأنواء والأمطارا [3]
وإذا ما اغتدى إليها قِطارٌ فثنى الله للرّواح قُطارا [4]
ما حدا راكبٌ بركْبٍ وما دبّ مطيٌّ الفلاة فيها وسارا
لستُ أرضى في نصركمْ وقد احتجـتمْ إلى النّصر منّيَ الأشعارا
غير أنّي متى نُصرتمْ بطعنٍ أو بضربٍ أسابق النّصّارا
وإلى أن يزول عن كفّيَ المنـ ـعُ خذوا اليوم من لساني انتصارا
واسمعوا ناظرين نصر يميني بشبا البيض فَخْلِيَ الهدّارا [5]
فلساني يحكي حسامي طويلاً بطويلٍ وما الغِرار غِرارا [6]

---

(١) أنقع : أروى ، والديمة : السحابة الممطرة .
(٢) مي : ترخيم مية ، منادى محذوف حرف النداء الياء .
(٣) الأنواء : السحاب المنذر بالمطر .
(٤) القطار من المطر : المتقاطر .
(٥) الشبا : حد السيف ، والبيض : السيوف .
(٦) الغرار : حد السيف .

وأمرنا بالصّبر كى يأتِىَ الأمـ رُ وما كلّنا يطيق اصطبارا
وإذا لم نـكن صبرنا اختياراً عن مرادٍ فقد صبرنا اضطرارا
أنا مهما جريت فى مدحكم شأ وأ بعيداً فلن أخافَ العثارا
وإذا ما رثيتـكمْ بقوافِىَّ سراعاً فمُرْجَلُ الحىِّ سارا
عاضنى الله فى فضائلـكم علـ ماً بشكِّ وزادنى استبصـارا
وأرانى منـكم وفيـكم سريعاً كلَّ يومٍ ما يُعجب الأبصارا .

* * *

وقال : (١) : وكتب إليه الشريف زين القضاة أبو الفضل الرشيدى وأيد رسوله شعراً يهنيه فيه بعوده إلى داره وتشريف الحضرة النبوية (٢) وقد خرج توقيعها إلى جماعة الأصفهسلارية ووجوه العسكر وقد اجتمعوا فى بيت (الفويه) (٣) سابلين إلى داره ، ومتأهبين للسير فى صحبته بما يتضمن ذكره بأجمل ذكر وأفخمه وأدله على اختصاصه بالخدمة ولطف من العناية مما سارت به الركبان وتداولته الرّواة ، وتناقلته الشفاه ، وسأل فيما كتب به أن يجيب بنظم فأجابه إلى ذلك فى شهر ربيع الأول من سنة « ٤١٧ » .

أتتنى كما بُلّغتْ منيــــةً وأدركتُ من طلب الثّأر ثارا
قوافى ما كنّ إلّا الغمام سقى بعد غُلّتهنّ الدّيارا (٤)
إذا ما نُقِدن وُجدن النُّضارَ وإمّا كُرعن حُسبن العُقارا (٥)

---

(١) قدمنا شيئا من شرح هذا فى أول الديوان ، راجع ص « ٤٤ » من القسم الأول والمنتظم « ج ٨ ص ٢٤ و ٢٥ » .
(٢) كذا ورد فى الأصل ولعلها : « والتشرف بالحضرة النبوية . . »
(٣) كذا فى الأصل ولعلها : « بالدار العزية » الوارد ذكرها فى ديوان مهيار الديلمى الكاتب « ج ٢ ص ١٩٢ » (ط . دار الكتب .
(٤) الغلة (بالضم) : شدة العطش .
(٥) النضار (بالضم) : الذهب ، والعقار (بالضم) : الخمرة .

وهنّ أنني بأيادى الإمام ... كسون الجمال وحُزن الفخارا
لبستُ بهنّ على مَفْرَقِى تاجاً ... وفى مِعصمىَّ سِوارا
ولو شئت لمّا تيسّرْن لى ... لنالتْ يداى المحيط المُدارا
وما كنّ إلّا لشكّ يقيناً ... ولُبْسٍ جلاءً وليلٍ نهارا [1]
ولِمْ لا أصول وقد صار لى ... شعارَ إمام البرايا شعارا ؟
ولمّا تعلّق زين القضا ... ة قلبىَ صار لمثواى جارا
غفرتُ له هفواتِ الزّمان ... وكنّ الكبار فصرن الصِّغارا
ولباد منّى الإخاء الصّريح ... حين دعا أو إليه أشارا
فإن تفتخر بأبيك الرّشيد ... ملأتَ بذا الخافقين افتخارا
وإنّك من معشرٍ خوّلوا ... من المأثرات الضّخام الكبارا
يسود وليدهُمُ الأشيبين ... ويعطون فى المعضلات الخِيارا
تمازج ما بيننا بالودادِ ... وعانق منّا النِّجارُ النِّجارا [2]
ونحن جميعاً على الكاشحين ... فكنتَ السّنانَ وكنّا الغِرارا [3]
فخذها تطول قِنانَ الجبال ... وإن كنّ للشّغل عنها قصارا
ولا زلتُ فيك طوال الزّما ... ن أعطى المرادَ وأُكفى الحِذارا

* * *

وقال فى الطيف :

تزورينا وهناً ولو زرتِ فى الضّحى ... لأطلقتِ من ضيق الوَثاق أسيرا [4]

---

(١) اللبس فى الأمر : عدم الوضوح .
(٢) النجار (بالكسر) : الأصل .
(٣) الكاشحون : الأعداء المبطنون عداوتهم ، والسنان : نصل الرمح ، والغرار : حده .
(٤) وردت هذه القطعة فى طيف الخيال ص «١١٢» وقد سقط منها البيت الثالث ، وهنا : ليلا ، والوهن منتصف الليل .

وما كان ما أشعرتنيه زيارةً ولكنها كانت لقلبيَ زُورا
فإنْ لم تكن حقاً فإنّي جنيتها إلى أنْ بدا ضوء الصّباح سرورا
« فجاءتْ » إلى ليلي الطّويل فخُيِّلَتْ لعينيَ أو قلبي فعاد قصيرا [1]
نقاه شفى بعض الغليل ولم أكنْ عليه وإن كنتُ القديرَ قديرا
وما كان إلّا فكرةً لمفكّرٍ وذكراً « جنى » منه الظّلام ذكورا [2]
ولمّا انقضى ما صرتُ إلّا كأنّني محوتُ بضوء الصّبح منه « سطورا » [3]

* * *

وقال في التوكل على الله :

إذا ما حذرتَ الأمر فاجعل إزاءه رجوعاً إلى ربٍّ يقيك المحاذرا
ولا تخشَ أمراً أنت فيه مفوّضٌ إلى الله غاياتٍ له ومصادرا
ولا تنهضَنْ في الأمر قوماً أذلّةً إذا قعدوا جنباً أقاموا المعاذرا
وكنْ للذي يقضي به الله وحده وإنْ لم توافقه الأمانيُّ شاكرا
ولا تفخرنْ إلّا بثوبِ صيانةٍ إذا كنت يوماً بفضيلة فاخرا
وإنّي كفيل بالنّجاء من الأذى لمن لم يبتْ يدعو سوى الله ناصرا

---

(١) في طيف الخيال « وجاءت »
(٢) في الطيف « حبا » في موضع جنى .
(٣) في الطيف « ستوراً » محرفة عن « سطورا » .

باب الراء المكسورة

وقال وكتب بها إلى الوزير أبي علي الحسين بن محمد وهو بواسط يخبره عن استيحاشه، ويحثه على العود إلى بغداد [1]:

ألا حبّذا زمنُ الحاجرِ   وإذ أنا في الورق النّاضرِ
أجرّرُ ذيلَ الصّبا جامحاً   بلا آمرٍ وبـــلا زاجرِ
إلى أنْ بدا الشّيبُ في مَفرَقي   فـكانت أوائله آخرى
وزَوْرٍ تخطّى جَنوبَ المَلا   فناديت أهلًا بذا الزّائرِ [2]
أتاني هدوًّا وعينُ الرّقيـ   ـبِ مطروفةٌ بالـكرى الغامرِ [3]
فأعجبْ به يُسعف الهاجريـ   ـن وتحرِمُه مُقلةُ السّاهرِ
وعهدي بتمويه عين المحبّ   تنمُّ على قلبـــه الطّائرِ [4]
فلمّا التقينا برغم الرّقا   دِ مَوّه قلبي على ناظري
وبيضُ العوارضِ لمّا برز   ن برّحن بالقمر الباهرِ [5]
يُمِرْن الحليمَ خُفوفَ السّفيهِ   ويحلُلْن، عَقْدَ الفتى الماهرِ
وفيهنّ آنسةٌ بالحـــديثِ   وفي «البذل» كالرّشأ النّافرِ [6]

(١) أشار المرتضى إلى هذه القصيدة وأورد منها أبياتاً في « طيف الخيال » في الصفحات ٦٥ و ٦٢ و ٧٦ » وفي الأمالي « ج٣ ص٩ »

(٢) الزور : الزائر ، والملا : الأرض الواسعة.

(٣) مطروفة : مثقلة ، والـكرى : النوم ، والغامر : الشامل ، وفي الأمالي : « العامري » بدل « الغامر » محرفة .

(٤) التمويه : التغطية والطائر : الخفاق .

(٥) العوارض جمع العارض وهو جانب الوجه .

(٦) الرشأ : ولد الظبية . « البذل » كذا في الأصل ولعلها « الدل » وهو الدلال .

بطَرْفٍ فَتورٍ « ويا حَرَّما » بقلبيَ من ذلك الفاترِ (١)
ويا عاذلى لو تذوق الهوى لـكنتَ على حبّها عاذرى
تلوم وقلبُك غـــيرُ الشجىِّ ألا ضـلَّ أمرُكَ من آمرِ
أقول لركبٍ أرادوا المسيـ ـرَ وقد أخذوا أُهْبَةَ السائرِ (٢)
وقد وقفوا من لهيبِ الوَدا عِ على حرٍّ مستعرٍ فائرِ
فمن مدمعٍ جامدٍ للفراق وآخرَ واهى الـكُلَى قاطرِ : (٣)
إذا ما مررتُمْ على واسطٍ فعوجوا على الجانب العامرِ
وأهدوا سلامى إلى غائبٍ بها وهْوَ فى خاطرى حاضرى
إلى كم أسوّف منـــه اللقاء وكم أرتدى بُردةَ الصابرِ !
وقد ضاق بى مُذ نأيتَ العرا قُ كما ضاق عِقْدٌ على شابرِ
كأنّىَ لمّا حمـــاك البِعا دُ عن ناظرَىَّ بلا ناظرِ
وإنّىَ من فَرْطِ شوقى إليك ووجدى ، كسيرٌ بلا جابرِ
كئيبُ الضمير وإن كنت بالـــتجلّدِ مبتسمَ الظاهرِ (٤)
ويُحسَبُ بين الضلوع الفؤاد وقـــد طار فى مِخْلَبَىْ طائرِ
فيالك من مُجرِمٍ مُسْلِمٍ تغيّبَ عنه « شبا النّاصرِ » (٥)
ومن واترٍ ظَفِرَتْ عنوةً بأثوابه قبضةُ الثائرِ (٦)

---

(١) فى (ش) « فياحرما » .
(٢) الأهبة : التهيؤ للسفر والعدة .
(٣) الواهى : الخائر الضعيف ، والكلى : جمع الـكلية .
(٤) التجلد : التصبر .
(٥) فى « هـ » « شذى الناضر » بدل « شبا الناصر » مصحفة ، والشبا : جمع الشباة وهى من السيف وغيره حده .
(٦) الواتر : الظالم وعنوة : قهراً وفى (ش) « السائر » بدل « الثائر » مصحفة .

ولولا الوزيرُ أبنُ حَمْدٍ لَمَا سألتُ وصالَ أمرئٍ هاجرِ
وما كنتُ إلّا قليلَ الصّديقِ في النّاس كالضّيغم الخادرِ (١)
أيا من تملّك منّى الفؤادَ حوشيتَ من سُنّةِ الجائرِ
ويانافعى بزمان الوصال لِمْ عاد نفعُك لى ضائرى ؟
تفرّدتَ بى دون هذا الأنام وشورِكتُ فى قَسْمِكَ الوافرِ (٢)
ومن عجبٍ أن يرومَ البطىءُ عن الودّ منزلةَ «الباكرِ» (٣)
وقد علم القومُ إذْ وازنوك أين الجهامُ من الماطرِ (٤)
وأين الحضيضُ من الفرقدين وأين الخبيث من الطّاهرِ (٥) ؟
وإنّك وحدَك فى ذا الزّمان تستنتج الفضلَ من عاقرِ
وتصبو على نفحاتِ الخطوب سمعاً إلى منطق الشّاكرِ
أهزّك بالشّعر هزَّ الشّجاع يومَ الوغى ظُبَتَىْ باترِ (٦)
وأمرى وصالكَ بالنّاظماتِ سموطاً على مَفرَقِ الفاخرِ (٧)
وأعلمُ إنْ كان غيرى لديك كالجفْن إنّى كالنّاظرِ
ولستُ إذا فُتّنِى ثمّ نلتُ جميع المُنى لستُ بالظّافرِ

* * *

---

(١) الخادر : المستتر .
(٢) فى «س» «سهمك» بدل «قسمك» والمعنى واحد .
(٣) الباكر : المبكر والسابق ، وفى «س» «الناكر» مصحفة .
(٤) الجهام : السحاب لامطر فيه .
(٥) الحضيض : الهابط من الأرض والفرقدان . نجمان .
(٦) الظبة : حد السيف .
(٧) أمرى : أطلب وأستحصل من مرى الناقة أى مسح ضرعها لتدر اللبن ، والسموط : جمع السمط (بالكسر) خيط النظم مادام فيه اللؤلؤ .

وقال [يمدح الطائع] (وقد همّ باتصاله) [به] (عند افتتاح لقائه له فسئل عمل أبيات) يستأذن بها (فى الوصول) وذلك فى مستهل شهر رمضان (١) :

لك ما تراماه لحاظُ النَّاظرِ ... وإليك مرجع كلّ مدحٍ سائرِ
وأراك أفضل من تعاور فضلَه ... إخفاء مخفٍ أو إشادةُ ذاكرِ (٢)
هذي الخلافة مذ ملأتَ سريرها ... فى بُردة الزَّمن الأنيق النَّاضرِ
سكنتْ إليك وأكثبتْ لكفيْها ... وهى القصيةّ عن رجاء الخاطرِ (٣)
غادرتمُ مُستامَها فى غيركمْ ... نَهْبًا حصيدَ أسنّةٍ وبواترِ
وإذا انتمى شرفٌ إلى أعقابه ... أغناك أوّل سُودَدٍ عن آخرِ
ضَمِنتْ همومُك كلَّ خطبٍ «موئدٍ» ... وأقام عدلُك كلَّ رأيٍ جائرِ (٤)
ونأى بمجدك عن «تقبّلِ ماجدٍ» ... كرمٌ يبرّح بالغمام الماطرِ (٥)
ومواطنٌ لك لا تقلّ مُزَنّدًا ... صَهَوات جُرْدٍ أو ظهور منابرِ (٦)
خَبُثَ الزّمانُ فمذ عمرتَ فناءه ... أضحى سلوكَ مناقبٍ ومآثرِ (٧)
فاُفخرْ أمير المؤمنين فما أرى ... بعديل عزّك فى الورى من فاخرِ
وتهنَّ بالشّهر الجديد فقد أتى ... فى خير آونةٍ بأسعد طائرِ
تتنابك الأيّامُ غيرَ مُذمَّمٍ ... يلقى امتنانَك واردٌ عن صادرِ

(١) ماحصر بين قوسين ساقط من «س» .
(٢) تعاور : تداول وتعاطى .
(٣) أكثبت : قربت .
(٤) الموئد : المثقل ، وفى (س و ش) « موبد » .
(٥) فى «ش» « تقيل » بدل « تقبل » مصحفة ، ولعل « ماجد » مصحفة عن « جامد » .
(٦) مزنداً : مالئاً .
(٧) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة .

وأنا الذى يرضيك باطن غيبه ... وكفاك فى الأقوام حسنُ الظاهرِ
أفضى إلى خَلَدى ودادُك مثلما ... أفضى الرقادُ إلى جفون الساهرِ (١)
مالى يُتيّمنى لقاؤك وهو لى ... شَطَطٌ وغيرى فيه كلُّ القادرِ (٢)
ولربما ألغى حقوقك واصلٌ ... « وأتاك يشرح » فى رعاية هاجرِ (٣)
وأحقّ ما أرجوه منك زيارةٌ ... أُدعى لها فى الناس أيمنَ زائرِ
أَرَبٌ متى قضيتَه ببلوغه ... كثُرتْ شجوى مُكاثرى ومفاخرى (٤)
هل لى على تلك الممالك وقفةٌ ... فى ذلك الشرف المنيف الباهرِ ؟
أم هل لسانى يوم ذاك مترجمٌ ... عن بعض ما اشتملتْ عليه ضمائرى؟
وتيقّنى أنْ ليس جِدّى نافعى ... إنْ لم يكن جَدّى هنالك ناصرى (٥)
وإذا التحيّة للخليفة أعرضتْ ... فهناك أمُّ القول أبخلُ عاقرِ (٦)
فامننْ بإذنٍ فى الوصول فإننى ... أُلفى بفرْطِ الشوق أولَ حاضرِ

* * *

وقال أدام الله تأييده فى معنى عرضه له :

صبرتُ ولولا أن يقولوا سفاهةً ... لآيستُ عذالاً على الصبر من صبرى
وقالوا : لَهَا عنها ، فقلت : لأنكم ... جهلتمْ جَنازاتٍ لها سكنتْ صدرى
يقلّبنَ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... على جمراتٍ ليتهنّ من الجمرِ
بنفسىَ مَن لا وصلَ مِن بعد هجره ... ولا أَوْبةٌ منه ترجّى مع السَّفرِ

(١) الخلد (بفتحتين) : الخاطر والنفس ، وفى «ه» « خلد » بحذف الياء من سهو الناسخ .
(٢) الشطط : مجاوزة القدر والتحكم .
(٣) فى النسخ « وأتتك شرح » بدل « وأتاك يشرح » وفى البيت غموض .
(٤) الأرب (بالتحريك) : الحاجة يريد الإنسان قضاءها ، وفى (س) « شجون » بدله « شجو » ، وفى «ه» « تفاخرى » بدل « مفاخرى » .
(٥) الجد (بالكسر) : السعى والاجتهاد ، وبالفتح ، الحظ والبخت .
(٦) أم القول : الفصاحة .

ومن لا سبيلٌ لِي إلى أنْ أزورَه بطرفي وإنْ لم يُخلِهِ اللهُ من ذِكْرِي
فإنْ لم تَكُن أفنتْ جميعي فلم تَرِمْ ودِّعةً إلّا وقد سكبتْ شطري [1]
وولّتْ بعمري إذ تولّتْ بطيبه فها أنا ذا «حيٌّ» أعيش بلا عمرِ [2]

* * *

وقال (أدام الله علوّه) وقد سُئل عمل أبيات في هذا المعنى والوزن :

سألتك ربّةَ الوجه النّضيرِ وذاتَ الدَّلِّ والطّرْفِ السّحورِ [3]
صِلِي دَنِفاً بذلِكُمُ مُعنًّى ويُقنِعُهُ القليلُ من الكثيرِ [4]
أيحْسُنُ صدُّكُمْ وبكمْ حياتي وأنْ أظمأ وعندكُمُ غديري ؟
وإنّي أستطيلُ إذا هجرتمْ وسادي مدّةَ اللّيلِ القصيرِ
وجأشُكُمْ كما تهوونَ منّي وجأشي منكمُ قلقُ الضّميرِ [5]
إذا لم أستجرْ بكُمُ فمن ذا يكون على صبابتكمْ مجيري ؟

* * *

وقال رضي الله عنه في معنى عرضه له [*] :

أمِنكِ سرى طيفٌ وقد «كان» لا يسري ونحن جميعاً هاجعون على الغَمْرِ [6] ؟

---

(١) «ترم» : تبرح ، ورام بالمكان : أقام ، ورام مكانه : فارقه .
(٢) في (هـ و س) «حيٌّ» [illegible] «حي» .
(٣) الدلّ : الدلال .
(٤) الدنف : المريض ، والمعنّى : المتعب المعيى .
(٥) الجأش : القلب ، ورباطة الجأش : قوة النفس والقلب .
(*) وردت في «طيف الخيال» تسعة أبيات من هذه القصيدة نعرض لما نظم نعرح بعضها راجع «ص٧٧و٧٨» ط . الحلبي ١٩٥٥م .
(٦) جاء في الأصول وفي طيف الخيال «كاد» في موضع «كان» والصحيح ما أثبتناه، كقوله :
* صحا القلب من سلمى وقد كان لا يصحو * .
والغمر : [illegible] من الحلي .

تعجّبتُ منه كيف أمَّ رِكابنـــا وأرحُلَنا بين الرِّحال وما يدرى ؟
وكيف اهتدى والقاعُ بينى وبينه ولمّاعةُ القُطرين منّاعةُ القَطْرِ (١) ؟
وأفضى إلى شُعثِ الحقائب عرّسوا على منزلٍ وَعْرٍ « ودَوِّيةٍ » قَفْرِ (٢)
وقومٍ لقُوا أعضاد كلِّ طَليحةٍ بهامٍ مَلاهُنَّ النُّعاس من السُّكْرِ (٣)
سَرَوْا وسِماكُ الرُّمح فوق رءوسهم فما هوّموا إلّا على « وقعة » النَّسْرِ (٤)
وبات ضجيعاً لى ونحن من الكرى كأنّا تُروِّينا العتيقُ من الخمرِ (٥)
أضمّ عليه ساعدىَّ « إلى » الحشا وأفرشُهُ ما بين سَحْرِى إلى نحرى (٦)
تمنّيتُهُ والليلُ سارٍ بشخصِهِ إلى مضجعى حتّى التقينا على قَدْرِ
وبيضٍ لَواهنَّ المشيبُ عن الهوى فأنزَرْنَ من وصْلى وأوسعن من هجرى (٧)
وألزمنى ذنبَ المشيب كأنّنى جَنَيْتُهُ يداىَ عامداً ، لا يدُ الدَّهرِ
أمِن شَعراتٍ حُلنَ بيضاً بمَفرَقى ظننتنَّ ضَعْفى أو أيِسْتُنَّ من عمرى ؟
محاكُنَّ ربى إنمــا الشَّيبُ قسمةٌ لما فات من شرخِ الشَّبيبة من أمرى (٨)

---

(١) لماعة القطرين : السحابة ، والقطر : المطر .

(٢) الشعث : جمع الأشعث وهو المغبر ، وعرسوا : نزلوا للاستراحة ، والدوية : البيداء ، وفى الأصول وطيف الخيال « داوية » وهو خطأ .

(٣) معنى البيت كما فسره المرتضى فى طيف الخيال : أنهم توسدوا أذرع المطى كلالا واستعجالا ، وتصعلكا وتخشناً ، والهام : الرءوس ، والطليحة: المتعبة .

(٤) سماك الرمح : أصلها السماك الرامح وهو نجم ، والسما كان هما الرامح أى ذو الرمح ، والأعزل أى بدون رمح يقول المرتضى فى طيف الخيال (ص٧٨) : ولم أقل السماك الرامح لضيق الشعر ، ووقعة النسر : تدليه للغروب على مافسره المرتضى فى طيف الخيال أيضاً، والنسر: كوكب أيضاً وهما نسران : النسر الواقع والنسر الطائر . وهوموا : من التهويم وهو هز الرأس من النعاس .

(٥) الكرى : النوم .

(٦) السحر : الرئة ، وفى الطيف «من» بدل « إلى » .

(٧) فى (س) « فأعرضن عن » فى موضع « فأنزرن من » ولواهن : أبعدهن وصرفهن .

(٨) لحاكن : أبعدكن ولا مكن وهى كلمة ذم ، وشرخ الشبيبة : إبانها وريعانها .

سقى اللهُ أيّامَ الشّبيبةِ « رَيِّماً » ورَعْياً لعصرٍ بان عنِّيَ من عصرِ [1]

ليالىَ لا تَعــــدو جمالىَ مُنيَتى ولا تَرْدُدُ الحسناءُ نهيى ولا أمرى

وليلُ شبابى غاربُ النّجمِ فاحمٌ ترى العينَ تسرى فيه دهراً بلا فجرِ

وإذ أنا فى حُبّ القلوب محكَّمٌ وأفئدة البيض الـكواعب فى أسرى

ألا يا بنى فِهْرٍ شَـكيَّةَ مُثقَلٍ من الغيظ ملآنِ الضّلوع من الوِتْرِ [2]

تسقّونه فى كلّ يومٍ وليـــلةٍ بلا ظمأٍ كأسَ العداوة والغــــدرِ

وأغضبكمْ ما طوّل اللهُ فى يدى وأعلاه من مجدى وأسناه من فخرى

وإنّىَ ممَّنْ لا تَحُطُّ رِكابهُ على البلد « النابى المُجَلَّهِ بالحَسْرِ » [3]

وإنّ لسانى عازبٌ قد علمتُمُ عن العُورِ أن أجريهِ والمنطقِ الهُجْرِ [4]

وكم ساءكمْ نفعى ولم يكُ منكُمُ وسرَّكُمُ ما قيَّض الدّهرُ من ضَرِّى

وأرضاكُمُ عسرى وإن كان عُسْرُكمْ وأسخطكُمْ يسرى وإن لم يكن يسرى

وقد كنتُ أرجوكمْ لجبرى فها أنا أخافكُمُ طولَ الحياةِ على كسرى

وكان لـكم منِّى جميعى فلم يزلْ قبيحكُمُ حتّى زوى عنكُمُ شطرى

وغرَّكُمُ أنّى « غَمرتُ » عُقوقَكمْ وأخفيته عن أعين النّاس بالبرِّ [5]

أُزَمِّلُهُ فى كلِّ يومٍ وليـــلةٍ كما زَمَّلَ المقرورُ كشحَيْهِ فى قُرٍّ [6]

---

(١) الريم (بتشديد الياء المكسورة) : الماء الكثير ، وفى (هـ وس) ريها ، وماوضعناه أنسب .

(٢) الوتر : الظلم والثأر .

(٣) النابى: الجافى وغير المستقر، والنبت لم يستقر فى الأرض، والمجله : القفر ، وأصل الجله سقوط الشعر من مقدم الرأس كالجلح والصلع ، والحسر : الانكشاف كانحسار الماء عن الأرض وانحسار الشعر عن الرأس ، وفى (س) « النائى المجلة بالحر » ، وفى (ش) « المحلة » بدل « المجله » وفى « هـ » « الحر » بدل « الحسر » وكلها تصحيفات .

(٤) العازب : البعيد ، والعور : جمع العوراء وهى القبيحة من الكلمات ، والهجر : الفحش ، وفى « هـ » « أجريه » ساقطة ، وفى (ش) « العور أن أجريه » كلها ساقطة، والهجر : الفحش.

(٥) فى (ش) « غمزت » والمعنى معها مغموز معكوس ، وغمرت : غطيت وسترت .

(٦) أزمله : ألففه ، وتزمل بثوبه : التف به أى استتر ، والمقرور : الذى أصابه القر وهو البرد ، والكشح : مابين السرة وأعلى الصدر أو وسط الظهر .

وأكظِمُهُ كَظْمَ الغريبةِ داءَها ... ولولا اتِّساعي ضاق عن كَظْمِه صدري (١)

وكيف أُرامي من ورائي «عدوَّكمْ» ... وفيكم ورائي مَن أخاف على ظهري (٢)؟

وأنَّى أُرجِّيكمْ لبُرْءِ جُراحتي ؟ ... وما كان إلَّا عن سهامكمُ عَقْري

وإنّي لأرضى منكمُ إنْ رضيتمُ ... بأن تبخلوا بالحلو عنّي وبالمُرِّ

وأن لا تكونوا للعدوِّ مخالباً ... إذا لم تكونوا يوم قَرْني بكم ظُفْري (٣)

وهل فيكمُ إلا امرؤٌ شاع ذكرُهُ ... لما شاع ما بين الخلائق من ذكري ؟

ومن هو غُفْلٌ قبل وَسْمي وعاطلُ التَّرائب لولا دُرُّ نَظْميَ أو نثري (٤)

وشنعاءَ جاءتْ من لسان سفيهكمْ ... تصامَمْتُها عمداً وما بيَ من وَقْرِ (٥)

وأعرضتُ عنها طاويَ الكَشْحِ دونها ... وطيُّ اليماني البُرد أبقى على النَّشْرِ (٦)

رعى اللهُ قوماً خلّفوني عليكمُ ... شددتُ بهمْ في كلِّ مُعضلةٍ أزري

بطيئين عن سِلْمي، فإن عزم العدا ... محاربتي كانوا سراعاً إلى نصري

ولي دونهمْ حتّى وفوق ظهورهمْ ... إذا عضّني المكروه ثِقْلي أو وِقْري (٧)

صحبتُهمُ أستنجد الشكرَ فيهمُ ... وقد كنتُ في الأقوام مستنجداً صبري

همُ أخصبوا مرعايَ فيهمْ ومسرحي ... وهمْ آمنوا ما بين أظهرهمْ وَكْري (٨)

وهم بَرَّدوا في النائبات جوانحي ... وهمْ تركوا ذنبي غنيًّا «عن» العُذرِ (٩)

---

(١) كظم : حبس ، وفى (س) «كظمهم» بدل «كظمه» .

(٢) فى (س) «ورائكم» فى موضع «عدوكم» و«منكم» بدل «فيكم» .

(٣) الظفري : الشق ، وفى (ش) «قرني» فى موضع «قرني» مصحفة .

(٤) الغفل : الغفل لا سمة عليه ، والعاطل : غير لابس الحلى ، والترائب : الصدور ، ومفردها تريبة وأصلها عظام الصدر .

(٥) الوقر (بالفتح) : الصمم والثقل فى الأذن .

(٦) طاوى الكشح : أى صابر ، والكشح من البدن من موضع السرة إلى المتن .

(٧) الوقر (بالكسر) : الثقل .

(٨) الوكر (بالفتح) : المسكن وعش الطائر .

(٩) فى (ش) «من» بدل «عن» .

وقد كنتُ ألقىٰ فيهمُ كلَّ مُتْرَعٍ ... من الحسن معقولِ الأسرّةِ كالبدرِ (1)
أمين الخُطا لم يسرِ إلّا إلى تُقًى ... ولا دبّ يوماً للأخلاء بالمَكرِ
تراه مليًّا والعوالي تنوشه ... بأن يولج الجَجر العظيمَ «على المجرِ» (2)
ويُمسِى حديثُ القومِ عنه ويغتدى ... ذكيًّا شذاهُ بينهمْ أرِجَ النَّشرِ
كأنّهمُ شنّتْ ثناهُ شفاههمْ ... يشنّون فى النّادى سحيقاً من العِطرِ (3)
مَضَوْا بَدَداً عنّى وحاقَ بعدهمْ ... بما سرّنى فى العيش قادمتا نَسْرِ
فلا أُغمِضُ العينين إلّا على قذًى ... ولا أقلب الجنبين إلّا على جَمْرِ

* * *

وقال يشكر الأستاذ أبا الخطاب حمزة بن إبراهيم على نيابته

عن بهاء الدولة – رحمه الله – :

لنشرِ فضلك آثارى وأخبارى ... وفى ولائك إعلانى وإسرارى
وأنت مِنْ بين مَن بتنا نسوّدُهُ ... صِفرٌ من العاب عُريانٌ من العارِ (4)
أوْليتَ مالم يكن أرجوه مبتدئاً ... وحُزْتَ غايةَ تأميلى وإيثارى
وكيف يبلغ شكرِى من أطال يدى ... مدًا وأعلق بالعلياء أظفارى ؟
إنّ الأجلَّ أبا الخطّاب أسكننى ... فى عَرْصَةِ العزِّ داراً أيّما دارِ
أعلىٰ بحضرة مَلْكِ الأرض منزلتى ... عفواً ورفّع فى مثواه مقدارى
وقام لاحَصَرٌ منه ولا عَجَلٌ ... يجلو على سمعه أبكارَ أشعارى (5)

(1) المترع : المملوء ، والأسرة من الوجه : الخطوط الظاهرة على الجبهة .
(2) المجر : الجيش العظيم ، وفى (س) « إلى البحر » فى موضع « على المجر » .
(3) شنت : نثرت .
(4) نسوده : نجعله سيداً ، والصفر : الخالى ، والعاب : العيب .
(5) الحصر : العى فى الكلام .

فالآن قِدْحِى المعلّىٰ فى مجالِسِهِ ... إذا ذُكِرتُ وزندى عنده الوارى[1]

فقدْ جزاء لما أوليتَ من « مِنَنِى » ... زمامَ كلِّ شَرودِ الذّكر سيّارِ[2]

ما كان قبلك « مطواعاً » إلى أحدٍ ... ولا لغيرك فى الدّنيا بزوّار[3]

فخذْ إليك مقاليدى « مُسلَّمَةً » ... فلستُ أرخص إلاّ فيك أشعارى[4]

٭ ٭ ٭

وقال (أدام الله علوه) وقد كاتبه الأستاذ الجليل أبو سعد على بن محمد ابن خلف (أدام الله تأييده) بقصيدة يعزيه فيها عن سيدنا الطاهر [والده] أولها :

يابرق حامِ على حَياك وغايِرِ ... أن تستهلّ بغيرأرض الحائر[5]

فأجابه :

هل أنت من وَصَبِ الصّبابة ناصرى ... أو أنت فى نَصَب الكآبة عاذرى؟[6]

هيهات ما رأف الصّحيحُ بمُبْتَلٍ ... يوماً ولا وقف الحثيثُ لعاثرِ[7]

ياقاتل اللهُ الغوانى فى الهوىٰ ... باعَدْنَنِى لمّا سكنّ ضمائرى

مازلن بى حتّى التفتّ إلى الصّبا ... من بعد إعراض«العَزوف»النّافرِ[8]

فعرفت حين صبوتُ كيف مواردى ... لكنّنى لم أدر كيف مصادرى

---

(١) القدح : السهم .

(٢) فى (هـ) « من حسن » بدل « من منى » .

(٣) فى (ش) « طلاعاً » بدل « مطواعاً » .

(٤) فى (س) « مسومة » بدل مسلمة » .

(٥) الحائر : هو حرم الحسين بن على عليهما السلام فى كربلاء وقد دفن فيه والد السيد المرتضى رحمهما الله وقد أورد الناظم فى طيف الخيال قطعة من هذه القصيدة (ص٦٥) .

(٦) الوصب : المرض ، والصبابة : الشوق ، والنصب : التعب ، وفى (هـ) « الصبابة » فى موضع « الكآبة » .

(٧) الحثيث : المسرع .

(٨) العزوف : المعرض المنصرف ، وفى (س) « الفروق » بفتح الفاء ومعناها ، الفزع .

مالِى وللبيض الـكواعب هِجْنَ لِى ... بِلِوَى الثَّوِيَّةِ ذُكرةً من ذاكرِ (١)
شَيَّبْنَنِي وذممن شيبَ مفارقى ... خذها إليـــك قضيةً من جائرِ
لا مرحباً بالشَّيب أظلم باطنى ... لمَّـا تجلَّـنى وأشرق «ظاهرى» (٢)
شَمَرَ أبىٰ لِى فى الحسان إصاخةً ... يوم العتاب إلى قبول معاذرى
مثلُ الشَّجاةِ مُلِظَّةً فى مَبْلَعٍ ... أو كالقَذاة مقيمةً فى النَّاظرِ (٣)
لاذنبَ لى قبل المشيب وإنَّنى ... لمؤاخذٌ من بعـده بجرائرِ (٤)
ياسائق الأظعـــانِ يومَ سُوَيقَةٍ ... رفقاً بقلبٍ فى الظَّعائن سائرِ (٥)
جسدٌ أقام على اللَّوى فنؤادُهُ ... بعد التفرّق فى مخـــالب طائرِ
ما كان ضرّكَ لو وقفتَ على الأُلىٰ ... فى الحبِّ بين مجاهرٍ ومساترِ
ومتيّمٍ جحد الهوى فوشىٰ به ... يومَ الوداع لسانُ دمعٍ قاطرِ
وعلى الرَّكائب يومَ وَجْرَةَ غائبٌ ... لانفعَ لى من بعـده بالحاضرِ (٦)
أشهىٰ إلىَّ من المُنىٰ غِبَّ المُنىٰ ... وأعزّ من سمعى علىَّ وناظرى
عاصى الوشاة وزارنى متستِّراً ... باللّيل بعد هجوع طرف السَّاهرِ
عجـــلانَ يستلب الحديثَ كأنّه ... جانٍ يخـــالس غفلةً من ثائرِ
ياراكباً ظهر المطيّـــةِ مُوجِفاً ... فى الصّبحِ بين هواجرٍ وظهائرِ (٧)
أبلغْ بنى خَلَفٍ بأنّ مودّتى ... أُنُفٌ لهمْ وذرائعى وأواصرى (٨)

---

(١) الـكواعب : جمع الـكاعب وهى الجارية التى نهد ثديها ، ولوى الثوية : موضع .
(٢) فى (س) «ناظرى» بدل «ظاهرى» مصحفة .
(٣) الشجاة : مايعترض فى الفم من عظم ونحوه ، وملظة : مقيمة ، والقذاة : مايقع فى العين من قش ونحوه .
(٤) الجرائر جمع الجريرة وهى الذنب .
(٥) الظعائن : جمع الظعينة وهى المرأة فى الهودج أو الهودج نفسه ، والظعن : الإرتحال .
(٦) وجرة : إسم موضع .
(٧) الموجف : المسرع ، والهواجر: جمع الهاجرة وهى منتصف النهار، والظهائر : جمع الظهيرة.
(٨) الذرائع : الوسائل ، والأواصر : جمع الآصرة وهى الرحم والقرابة .

أنتمْ وإن لم تُدننا رَحِمٌ بمـــا أخلصتموه أقاربى ومعاشرى
وأصاحبى دون الرّجال إذا التوى خطبٌ يُبرّئُ غائباً من حاضرِ
لا تحسبوا منّى التغيّرَ بعـــدكمْ فأوائلى فى حبّكمْ كأواخرى
هل تذكرون فإنّنى لم أنسه ذاك التّدانى فى الزّمان العابرِ ؟
إذ نحن فى أرض التّصابى جيرةٌ فى ظلّ أيامٍ « هناك نضائرِ » (١)
كم فيكمُ من طالعٍ شَرَفَ العُلا أو قامعٍ شَرَفَ العدا أو قاهرِ (٢)
ومُرَفّعون تخـــالهمْ لجميلهمْ بين الرّجال على «ظهور منابرِ» (٣)
طالوا إلى نيل العُـلا وثيابهمْ تُلوَى بمثل متالعٍ وقَراقِرِ (٤)
يا أيّهـــا الأستاذ طُلتَ تفضّلا قولًا فخذْ عنه جواب الشّـاكرِ
قولًا كما رقّ النّسيم على ثرًى عَطِرِ النبـات عقيب غيثٍ ماطرِ
وافى كما طرق الرّقادُ تعلّقتْ بعـد الـكلال به جفون السّاهرِ
ما خلتـــهُ إلّا عطيّةَ مانعٍ نَقَعَ الجوانحَ أو زيارةَ هاجرِ (٥)
وكأنّه بعـد المشيب مبشّرى بإيابِ آونةِ الشّبابِ النّاضرِ
وظللتَ تنعتُ لى جميلَ مآثرٍ لولا ثناؤك لم « يكنَّ مآثرى » (٦)
« فمدائحى » مشفوعةٌ « بمدائحى » « ومفاخرى» «مجموعة بمفاخرى» (٧)
لا ترهبَنْ منّى الملالةَ فى الهوى وأرهبْ ملالةَ من لقيتَ وحاذرِ
وأعلمْ بأنّى لا أحول عن الّذى لكَ فى الجوانح من محلٍّ عامرِ

---

(١) فى (س) « مضين قصائر » فى موضع « هناك نضائر » .
(٢) الشرف : المرتفع من الأرض . وفى (هـ) « سرف » بدل « شرف الثانية » .
(٣) فى (س) « أباعر » بدل « منابر » .
(٤) المتالع: جبل فى بلاد العرب أراد به الوقار، وقراقر (بضم القاف الأولى أو فتحها):موضع.
(٥) نقع : روى ، والجوانح : الضلوع .
(٦) فى (س) « تسكن بمآثر » بدل « لم يكن مآثرى » .
(٧) فى (س) « فدائع »و« ومفاخر » فى موضع « فدائحى و مفاخرى » .

وبلوتُ بعدك للرّجال خلائقاً عُوجاً تُبرِّح بالبصير الخابرِ
لا مرتَعٌ فيها ولا مستمتَعٌ كسراب قاعٍ أو زجاجة كاسرِ
يتكالبون على القبائح بينهم كَلَبَ الذئابِ رأين عَقْرَ العاقرِ
لم يبتنوا شَرَفاً ولا بخثوا على كسب المحامد منهمُ بأظافرِ
وكأنّ جارَهُمُ مقيمٌ بينهم في منزلٍ قَفْرٍ ورسمٍ داثرِ
فدع « التشكّى » للفراق فقد مضى وخذ الوصال مجاهراً لمجاهرِ (١)
إنّى أغار على زمانٍ بيننا يمضى بغير تجاورٍ وتحاورِ

* * *

وكان (أدام الله تأييده ، وقد حضر في بعض العشايا) بحضرة (مولانا) فخر الملك وزير الوزراء (أعز الله نصره) واتفق عرض ثياب من متاع مصر (بصر بها وتقلبها) فلما انصرف (أنفذ إليه من فاخر كل شيء رآه منها ومن كل جنس من أجناسه) مقروناً بتوقيع يده (نسخته بخطه العالى) : « حكم تقليب الثياب للحاضر حكمه في الهدية » ، فكتب جواباً عن هذا التوقيع ارتجالا :

يا خيرَ بادٍ في الأنامِ وحاضرِ وأحقَّ « مُولٍ في الزّمان » لشاكرِ (٢)
وأشقَّ من « وطأ » الكواكبَ مُرتقًى وأعزَّ من ليث العرينِ الخادرِ (٣)
قد جاءنى التّشريفُ منك كأنّه قِطْعُ الرّياض عقيبَ غيثٍ ماطرِ (٤)
وكأنّه بُرْدُ الشّبابِ نضارةً أو بِشْرُ آونةِ الرّبيع الزّاهرِ
أثوابُ عزٍّ لم يكنَ اللابسِ إلّا رِياشَ مفاخرٍ ومآثرِ (٥)

(١) في (هـ) « التشاكى » بدل « التشكى » .
(٢) في (س) « مولى في الأنام » في موضع « مول في الزمان » .
(٣) في (هـ) « وطن » بدل « وطأ » محرفة .
(٤) القطع (بالكسر) : البساط وما قطع من الأغصان .
(٥) الرياش : اللباس الفاخر

يُجْرَيْنَ فوق ذُرا المجرّةِ عزّةً ... ويُطَرْنَ فوق النَّسْرِ ذاكَ الطائرِ (١)

ولقد سننتَ شريعةً للجود فى ... غير المدبّةِ أنّه للحاضرِ

لم ترض ما شرع الكرامُ وكم لنا ... من ناقصٍ عن غايةٍ أو قاصرْ

حتّى جعلتَ لحاضرٍ أو ناظرٍ ... كلَّ الذى رَمَقَتْه عينُ النّاظرِ (٢)

شاطَرْتَني تلك النفائسَ قاسماً ... بيني وبينك كلَّ عِلْقٍ فاخرِ (٣)

فكأننا متساهمان بضاعةً ... حُطّتْ إلينا من ظهور أباعرِ

أرسلتَها مثلاً شروداً فى النّدى ... يسرى بها لك كلُّ بيتٍ سائرِ

جاءتْ كما اقترح التكرّمُ ما مشى ... فيها اللّسان ولا سَرَتْ فى خاطرِ (٤)

هيهات منك الأوّلون وإنْ هُمُ ... صاروا من المعروف خيرَ مصايرِ

سبقوا وجُزتَ مداهُمُ متمهّلاً ... سَبْقَ الكريمةِ «للهجين» العاثرِ (٥)

فمتى أضفناهمْ إليك فإنّما ... قسنا الثّماد إلى الخِضَمِّ الزّاخرِ (٦)

فافخرْ وتِهْ فخرَ الملوك على الورى ... وعلى الطّوالع فى المحيط الدّائرِ

فلقد فَضَلْتَ جميعهمْ بفضائلٍ ... وفواضلٍ ومكارمٍ ومكاثرِ

ومحاسنٍ نَظَمَ الزّمانُ امتفرّقَ ... منك الملوكِ بها سُموطَ جواهرِ (٧)

وأسلَمْ وإنْ لفّتْ صروفُ زماننا ... هذا الأنامَ معاشراً بمعاشرِ

فى ظلِّ مُلْكٍ ضلَّ عن أيدى الرّدى ... وأزورَّ عن سَنَنِ الحِمامِ الزّائرِ (٨)

* * *

---

(١) المجرة : النجوم المتدة المجتمعة فى السماء كالنهر، وتسمى نهر المجرة ، ودرب التبان، ومسحل الكبش (بلسان الدوام) ، والسديم بلسان أهل العلم الحديث ، والنسر الطائر : نجم .

(٢) رمقته : نظرته .

(٣) العلق (بالكسر) : الجوهر الثمين .

(٤) ف (هـ) « مشت » بدل « سرت » .

(٥) الكريمة من الخيل : الأصيلة ، والهجين المتولد من أبوين مختلفين .

(٦) الثماد : الماء القليل ، والخضم : البحر ، والزاخر : الطامى .

(٧) السموط : جمع السمط وهو الخيط مادام فيه اللؤلؤ .

(٨) السنن (بالتحريك) : الطريق .

وقال يرثى أبا الحسن أحمد بن على الكاتب البيهقى [1] :

مالى تُطيحُ صروفُ الدّهر أخيارى ... والمرء من كلّ شىء حازه عارِ [2] ؟
يزهَى بجارٍ ودارٍ وهى آهلةٌ ... حتّى يصير بلا جارٍ ولا دارِ [3]
وسيق سوقاً عنيفاً غــير مُتئدٍ ... إلى التى نَبَشَتْها كفُّ حفّارِ
فى قعر شاحطةِ الأعماق حالــكةٍ ... سُدَّتْ مطالعُها منهــا بأحجارِ [4]
هوَى إليهــا بلا زادٍ سوى أَرَجٍ ... من مَنْدَلٍ عَبِقٍ أو سُحْقِ أطمارِ [5]
ذاق الرّدى دافعُ القصر المَشيدِ به ... وناعمٌ بين جنّاتٍ وأنهــارِ
لم يُغنِ عنه وقد همّ الحِمــامُ به ... أن بات من دون أردامٍ وأستارِ [6]
أمّا الزّمان فغدّارٌ بصاحبــه ... وما الشّقاوةُ إلّا حبُّ غدّارِ
فبينما هو يعطينى ويُوسِعُ لى ... حتّى يكون به فقرى وإعسارى
فليس يَنصفُنِى من عاد يظلمنى ... وليس ينفعنى من كان ضرّارى
وكيف أبلغُ أوطارى بذى خَطَلٍ ... ما كان إلّا به حِرمانُ أوطارى؟ [7]
ندور فى كلّ مَخشاةٍ ومَرْغَبَةٍ ... من تحت مستعجل الوثباتِ دوّارِ

---

(١) هو غير أحمد بن على البيهقى المذكور فى معجم الأدباء « ج١ص٤١٤ » طبعة مرغليوث (م. ج) أقول : لعل البيهقى محرفة من الناسخ عن البتى وقد ذكره الناظم بقصيدة عينية طويلة سيأتى ذكرها مع ترجمته والإشارة إلى تصحيف نسبه .

(٢) تطيح : تهلك .

(٣) يزهى : يتيه ويتكبر .

(٤) الشاحطة : البعيدة ، والحالكة المظلمة ، والمطالع : المخارج والأبواب .

(٥) الأرج : توهج رائحة الطيب ، والمندل عود البخور ، والعبق : منتشر الرائحة دائمها ، والسحق : البالية ، والأطمار : الأثواب .

(٦) الأردام : السدود والحواجز .

(٧) الخطل : الحمق والخفة .

كأنّنا تــــترامانا نوائبُهُ   عَصْفٌ ترامى به سَوْراتُ تيّارِ (١)

ظِلٌّ وشيكٌ تلاشيهِ وأفنيَةٌ   موضوعةٌ نَصْبَ إخرابٍ وإقفارِ

لا تأمننَّ صروفَ الدهر مُغمِضَةً   إغماضَ ليثٍ من الأرواح مُمتارِ (٢)

الدَّهرُ سالبُ ما أعطى ومانعُهُ   فما الصنيعُ بدينارٍ وقنطارِ ؟ (٣)

نُقيم منـــه على عوجاء زائلةٍ   ومائلٍ مُزلِقِ الأرجاء مُنهارِ (٤)

والمرء ما دام مأسوراً بشهوتِهِ   معـــذَّبٌ بين إحلاءٍ وإمرارِ

طوراً جديباً وطوراً ذا بُلَهْنِيَةٍ   فمن عذيرِيَ من تاراتِ أطواري؟ (٥)

من عائدي من جوى همٍّ يؤرّقني   نفى رقادي وجافى بين أشفاري ؟ (٦)

أرعى نجومَ الدّجى أنّى مسالكُها   ولا نديمَ سوى بثّي وأفكاري

لحادثٍ في أخٍ ما كنت أحــذره   وأين من حادثاتِ الدهر إحذاري ؟

لمّا دعا بأسمه النّاعي فأسمعني   ضاقتْ عليّ هموماً كلُّ أوطاري

ولُذتُ عنـــه بإنكاري منيّتَهُ   حتى تحقّق شرّادٌ بإنكاري

فالآن بين ضلوعي كلُّ لاذعةٍ   تُدمي وحشو جفوني كلُّ عُوّارِ (٧)

رُزِئتُهُ حاملاً ثِقلي ومضطلعاً   شُحًّا عليهــا من الأقوام أسراري

فيادموعيَ كوني فيـــه واكِفةً   ويا فؤادي أحترقْ جرّاه بالنّار (٨)

عرّجْ على الدّار مُغبرًّا جوانبُهـــا   فأسأل بها مُجِلًّا عن ساكِنِي الدّار

---

(١) العصف : القصيل وورق الزرع ، والسورات : جمع السورة وهي الشدة .

(٢) ممتار : متزود ، ومنه الميرة وهي الزاد .

(٣) القنطار : وزن يساوي مئة رطل ، ويطلق القنطار على المال الكثير .

(٤) الأرجاء : النواحي والأقطار .

(٥) البلهنية : رفاهة العيش .

(٦) الأشفار : الناحية التي بنت عليها شعر الجفن ، مفردها شفر بضم الشين .

(٧) العوار : الرمد وبثر في الجفن الأسفل .

(٨) واكفة : قاطرة .

كانتْ تلألأُ كالمصباح وهي بنا ... جنى عليها الرّدى ظلماء كالقارِ

وقل لها أين ما كنّا نراه على ... مرّ النّدى بكِ من نقضٍ وإمرار ؟

وأين أوعيةُ الآدابِ فاهقةً ... تجرى خلالكِ جرْىَ الجدول الجارى (١)

وأين أبكارُ فضلٍ جئن فيك وقد ... جاء الرّجال بعُونٍ غيرِ أبكار؟ (٢)

وأين طيبُ ليالٍ فيك ناعمةٍ ... كأنّهنّ لنا أوقاتُ أسحارِ ؟

يا أحمدُ بن عليٍّ والرّدى عرَضٌ ... يزور بالرّغم منّا كلَّ زوّارِ

نأىْ يشقُّ مداهُ أن تُقرّبهُ ... قلائصُ طالما قرّبن أسفارى

علقتُ منك بحبلٍ غيرِ مُنتَكِثٍ ... عند الحفاظِ وعُودٍ غيرِ خوّار (٣)

وقد بلوتك فى سُخْطٍ وعند رضًى ... وبين طىٍّ لأنباءٍ وإظهارِ

فلم تُفِدْنىَ إلّا ما أضنُّ به ... ولم تزدنىَ إلّا طيبَ أخبارِ (٤)

لا عارَ فيما شربتَ اليومَ غُصّتَهُ ... من المنونِ وهل بالموتِ من عار ؟

ولم ينلكَ سوى ما نال كلَّ فتًى ... عالى المكان ولاقى كلَّ جبّارِ

فلو وَقَتْكَ من الأقدارِ واقيةٌ ... حماكَ كلُّ طَلوعِ النّجد مِغْوارِ (٥)

إذا دعتْهُ من الهيجاء داعيةٌ ... سرى إلى الموت مثلَ الكوكبِ السّارى

ما كان ثارى بناءٍ عن منال يدى ... لو كان فى غير أثناء الرّدى ثارى

فاذهبْ كما ذهبتْ سرّاء أفئدةٍ ... أو أمنُ خائفةٍ أو نيلُ أوطارِ (٦)

عريانَ من كلّ ما عِيبَ الرّجالُ به ... صِفْرَ الحقيبةِ من شىء من العارِ (٧)

---

(١) فاهقة : طافحة ممتلئة .

(٢) العون : جمع العون (بفتح العين) وهى التى ولدت بعد البكر .

(٣) المنتكث من الحبال : الركيك المنتقض ، والحفاظ : الذمام والعهد ، والخوار : الضعيف .

(٤) أضن : أبخل .

(٥) النجد : الأرض المرتفعة ، والمغوار : الشجاع كثير الغارات .

(٦) السراء : السرور : وضدها الضراء .

(٧) الصفر : الخالى .

ولا يزلْ خَضِل الهَدّابِ يقطره	على ترابك سحًّا ذاتُ إعصارِ [(١)]
حتى يُرى بين أجداثٍ يجاورها	رَيّانَ ملآنَ من زهرٍ ونُوّارِ [(٢)]

* * *

وقال فى غرضه :

أَنْجِدْ إذا شئتَ فى الأرزاق أو أَغِرِ	فلستَ تأخذ إلّا من يد القدرِ [(٣)]
وما أصـــابك والأقدارُ كافلةٌ	بأن يصيبك لا تَلْويه بالحذَرِ
وقد رأيتُ الذى تَدوى القلوبُ به	لو لم يكن لىَ قلبٌ صِيغ من حَجَرِ
فـكِّرْ بقلبك فيما أنت تُبصرُهُ	فالأرض مملوءةُ الأقطار بالعِبَرِ
ولا تَبِتْ جَذِلًا بالشىء يتركُهُ	عليك خطبٌ جفا عمـداً ولم يَذَرِ
ولا تقلْ فاتتِ الأخطارُ إنْ عَزَبَتْ	فلم يفتْ خَطَرٌ إلاّ إلى خَطَرِ
كيف القرارُ لمن يُمسِى ويُصبح فى	كلِّ الذى هو آتيه على غَرَرِ ؟ [(٤)]
يَبيتُ إمّا على شوك القَتــادِ له	جنبٌ ، وإمّا على فَرْشٍ من الإبَرِ [(٥)]
أجِلْ لِحاظَكَ فى الأقوامِ كلِّهمُ	فلستَ تُبصر إلاّ سَنْحَةَ البَصَرِ
أما ترى ما أراهُ من عيوبِهمُ	وليس فيهـــا لهمْ عذرٌ لمعتذِرِ ؟
فى كلِّ يومٍ ترانى بين أظهرهمْ	أحتال فى نفعِ من يحتال فى ضررى
قالوا : اصطبرْ قلت:قد جُرِّعتُ قبلكُمُ	من التصبّرِ كاساتٍ من الصَّبِرِ [(٦)]

(١) الخضل : المبتل . والهداب. السحاب المتدلى ، وذات إعصار : السحابة الممطرة، والإعصار: الريح تثير السحاب .
(٢) النوار والنور:الزهر الأبيض والزهر الأصفر والأجداث:القبور، مفردها الجدث(بالتحريك)
(٣) أنجد : ارتق النجد ، وأغر : اهبط الغور ومعناها سر وارحل .
(٤) الغرر (بفتحتين) : الخطر .
(٥) شوك القتاد : شوك صلب كالإبر .
(٦) الصبر : عصارة شجر مر .

وما انتفعتُ وطولُ الهمِّ يَصحبُني عمرَ الحياةِ بما قد طال من عُمُرِي
وقد غرستُ غُروساً غيرَ مثمرةٍ وعاد بالكدِّ من لم يَحظَ بالثَّمَرِ
من أين لِي في جميع النَّاسِ كلِّهمُ حلوُ الشَّمائل منهم طيِّبُ الخَبَرِ ؟
أحلى لقلبِيَ من قلبي وأعذبُ في مَذاقهِ لِيَ من سمعي ومن بَصَرِي
وكلّما غمزتْ كفّي جوانبَه غمزتُ منه أنابيباً بلا خَوَرِ (١)
أبثُّهُ عُجَرِي حتّى يكون لها كفيلَها وأُقفِّي عنده بُجَرِي (٢)

* * *

وقال في النسيب :

ضَنّتْ عليك ضنينةُ الخِدْرِ يومَ الوداعِ بطلعةِ البدرِ (٣)
ووشى إليك بوَشْكِ فُرقتِها صوتُ الغرابِ وأنتَ لا تدري
فذُهِلتُ لولا نظرةٌ عرضتْ وَوَجَمْتُ لولا دمعةٌ تجري (٤)
وكأنَّنِي لمَّا وطئتُ على حرِّ النَّوى أمشي على جمرِ
ومخضّبِ الأطرافِ ماطَلَنِي بوصالهِ عَصْراً إلى عَصْرِ
حتّى أزارتْنِي محاسنُهُ بعدَ الهُدوِّ سُلافةَ الخمرِ (٥)
ما كان عندي أنَّنِي أبداً مُتَحمِّلٌ مَنَّاً من السُّكْرِ
وكأنّما لعفافِ خلوتِنا ذاكَ التَّلاقي كان في الجهرِ
لا رِيبةٌ في كلِّ ذاكَ ولا قُرْبٌ ولا قُبَلٌ على ثَغْرِ
والقربُ من خاشي عواقبِهِ مثلُ النَّوى ، والوصلُ كالهجرِ

* * *

---

(١) الأنابيب : جمع الأنبوب وهي قصبة القناة ، والخور (بفتحتين) : الضعف .
(٢) العجر والبجر : العيوب والأحزان ، أو ماأبدى وما أخفى (على المجهول) .
(٣) ضنت : بخلت وشحت .
(٤) وجم : أمسك عن الكلام من شدة الحزن .
(٥) السلافة : أجود الخمر .

وقال فيه أيضاً :

تراءتْ لنا يومَ الأُبَيْرِقِ في الدُّجى ... ونحن بلا بدرٍ فنابتْ عن البدرِ
وأغنتْ بريّاها وما إنْ تعطّرتْ ... عن العِطرِ حتى ما نحنّ إلى العِطرِ (١)
وقام محيّاها ضيــاءً وبهجةً ... مقامَ طلوعِ الفجر أو لؤلؤ البحرِ
وحكّمها فينا الهوى فتلاعبتْ ... بنا أريحيّاتُ الجوى وهي لا تدرى (٢)

* * *

وقال في بعض وزير:

أتاك الرّدى من حيث لا تحذر الرّدى ... وغافصني فيك الحِمامُ ولا أدرى (٣)
فإنْ يَنْسَكَ الأقوامُ بعـد تذكّرٍ ... فإنّيَ معمورُ الجوانحِ بالذّكرِ (٤)
وإنْ كان عمرى ما انقضى بعد أنْ مضى ... مَداكَ فقـد نَقَّصتَ لي باقيَ العمرِ
فلا زال ما وُسِّدتَ فيه من الثّرى ... يعاوده ما شاء من سَبَلِ القَطرِ (٥)

* * *

وقال يرثى فخر الملك « سنة ٤٠٧ » وقد تظافر أعداؤه فأطمعوا سلطان الدولة ، وكان حديث السن ، في أخذ أمواله ، فقبض عليه واستوزر الرخجى ، فحملوه على أن قال للملك : إنى لا أستطيع أن أتصرف في حياة فخر الملك ، لأنه له على أيمان البيعة أن أكون كذلك ، فخدع الملك ، لأن الرخجى صنيعة فخر الملك ، فتقدم إلى الفراشين بقتله ، فحمل إلى جبل قريب منه ليلا ، وقتلوه في غاره ـ رحمه الله ـ :

شَطّتْ عليك لُبانةُ الغَدْرِ ... وخُرِمْتَها من حيثُ لا تدرى (٦)

---

(١) الريا : ريح الطيب .
(٢) الجوى : شدة الوجد .
(٣) غافصنى : أخذنى على غرة أى فجأة وبغتة .
(٤) الجوانح : الضلوع .
(٥) يعاوره يعاوده ، والسبل (بفتحتين) : المطر قبل أن يصل الأرض .
(٦) شطت : بعدت ، واللبانة : الحاجة يريد الإنسان قضاءها .

وطلبتَ عـــذراً للزّمان فلمْ تعرف له شيئاً من العذرِ
وجمعتَ فى ظلماءَ داجيةٍ بالنيّراتِ معاً و بالفجرِ [1]
ومضى الذى طمس الحِمامُ به وَضَحَ الصّباح وغُرّةَ البدرِ [2]
وطوى الرّدى رغماً لآنفنا كلَّ المحاسن منـــه فى القبرِ
فـكأنّنا من بعـــد مصرعه سَفْرٌ بلا زادٍ ولا ظهرِ
أو مُرهَقون بكلّ بائقةٍ غُلبوا وقد جَهَدوا على الصّبرِ [3]
هِيمٌ يماطلها الورودُ وقد بَعُدَ المدى عشراً إلى عشرِ [4]
من ذا لمَرْغَبةٍ ومَرْهَبةٍ فينا ومن للنّهى والأمرِ ؟
ومُرَوَّعٍ شرد الحِذارُ به ملآن من خوفٍ ومن ذُعْرِ [5]
ومكارمٍ تدعُ الزّمان بلا شيء من الإملاقِ والفقرِ [6]
والخيلُ تنزو فى الأعنّةِ كالسِّيدان فى دَيْمومةٍ قَفْرِ [7]
معروقةً بالشّدِّ تحسبها الـــأشطانَ هاويةً إلى جَفْرِ [8]
أُثني عليك بما صنعتَ وكمْ فاتَ الصّنيعُ مواقعَ الشّكرِ
وأكفُّ غَرْبَ الدمع مصطبراً لوكان دمعٌ كُفَّ لا يجرى [9]

---

(١) الداجية : شديدة الظلمة ، والنيرات : الكواكب .
(٢) الوضح : الضوء والبياض .
(٣) البائقة : الداهية والبلية ، وجهدوا : تعبوا وبلغوا فوق طاقتهم .
(٤) الهيم : العطاش .
(٥) المروع : الفزع ، والذعر : الفزع .
(٦) الإملاق : شدة الفقر .
(٧) تنزو : تثب ، والأعنة : جمع العنان وهو الزمام ، والسيدان : جمع السيد ، وهو الأسد أو الذئب ، والديمومة : الفلاة الواسعة لا ماء فيها .
(٨) المعروقة : القليلة اللحم ، وهى أيضاً التى تعرق عظمها أى زال عنه اللحم ، والأشطان : الحبال مفردها شطن (بالتحريك) ، والجفر : البئر الواسعة .
(٩) غرب الدمع : إنهما له وحدته .

أنتَ الذى لم ترضَ فى شرفٍ إلَّا بغُرِّ عقــــائلِ الفخرِ

ومحوتَ محوَ الطِّرْسِ عن زمنٍ أصبحتَ فيه مجاثمَ العُسرِ [1]

وجعلتَ مُعدِمَه كواجـــده ومُقِلَّه بالفضل كالمثرى [2]

من معشرٍ لم يرتضوا وَطَراً فى العزِّ إلَّا قِمَّةَ النَّسْرِ [3]

وإذا دعوتَهُمُ لنـــــازلةٍ حشدوا عليك بقُرَّحٍ ضُمْرِ [4]

وبكلِّ مُلتهبِ العزيمةِ فى الـ بأساء صبّارٍ على الضُّرِّ

(5)

. . . .

لم يمتطوا كَتَدَ المعابِ ولا عقدوا مآزِم على وِزْرِ [6]

وإذا علَا لهبُ الجمالِ بهمْ «وهبوا رُواءَ الحسنِ للبدرِ» [7]

يُعطون فى الإعسار من كَرَمٍ مثل الذى يعطون فى اليُسرِ.

وُهّابُ مَشْبَعَةٍ لمَسْغَبَةٍ غازون طلَّامون للجُزْرِ [8]

فترى على حسّادِ نعمتهمْ يتلاحظون بأعينٍ شُزْرِ

---

(١) الطرس : الصحيفة التى محيت ثم كتبت ، والمجاثم : المخاصم ، وأصل الجثوم لزوم المـكان .

(٢) المعدم : الفقير ، والواجد : الغنى .

(٣) النسر : يطلق على كوكبين ، فهما نسران الواقع والطائر .

(٤) القرح : جمع القارح وهو من الخيل مابلغ الخامسة من عمره ، والضمر الضامرة البطون .

(٥) فى الأصل مكان الفراغ هذا البيت :

ومتى رأيتهمُ رأيت بهم وهبوا رواء الحسن للبدر

وهو مختل المعنى وقد كتب الناسخ الشطر الثانى منه هنا سهواً وسيأتى ذكره فى البيت التالى لتلوه، والأنسب إن لم يعثر على الأصل أن يوضع هذا البيت موضعه :

ومتى رأيتَهُمُ وجدتَهُمُ لم يُغمضوا عيناً على وِترِ

فهو أنسب بالمقام وأجدر للمعنى بالانسجام .

(٦) الـكتد : مابين الـكاهل إلى الظهر ، والوزر : الإثم .

(٧) الرواء : المنظر .

(٨) المسغبة : المجاعة ، والجزر : جمع الجزر وهو من الإبل مايباح للجزر أى الذبح ..

يا صاحبيَّ على طَماعِيَـــةٍ   في العيش تُركبنا قَرا وَعْرِ (١)
لا تحسبا في الدّار عَدْوَتَهُ   إنَّ الرّدى أعدىٰ من العُرِّ (٢)
هي عادةٌ للدّهر واحـــدةٌ   فاْصبرْ لمُرِّ عوائد الدّهرِ
يَبْقى الذى يبْقى ويرجع فى   كلّ الذى أولىٰ من البِرِّ
إنْ كان سرّ فقد أساء شجّى   أو كان راش فإنّه يَبْرِى (٣)
سوّى الرّدى بين المُطاح على   طرق الرّدى ومشيّد القصرِ
يا من يُقيل عِثـــارَ أرحُلِنا   كيف اْستجبتَ لزلّة العَثْرِ ؟
ألّا دفعتَ وقد دفعت إلى   وِرْدِ المنون بتالك الأثْرِ ! (٤)
وبأذرعٍ تهوى بمُصْلَتَةٍ   بيضٍ وطائشةِ الخُطا سُمْرِ
أوَلستَ ولّاجاً على حَذِرٍ   تكفيه خرّاجاً من القهرِ ؟ (٥)
هيهات ليس لمن يُطيف به   جيشُ المنيّةِ عنـــه من فَرِّ
ما لى أراك بدار مَضْيعةٍ   تسرى الرّفاقُ وأنت لا تسرى؟
فى هوّةٍ ظلماء بين هُوّى   سُدَّتْ مطالعهنّ بالصَّخْرِ (٦)
وكأنّمـــا سُقّيتَ مُنعَفِراً   لا تستفيق سلافةَ الخمرِ
زوّدتني ومضيتَ مُبْتدِراً   حزّ المُدى ولواذعَ الجمرِ (٧)
وتركتني والدّهرُ ذو دُوَلٍ   أعشى اللّحاظِ مقلّمَ الظُّفْرِ

(١) القرا : الظهر .
(٢) العر : الجرب .
(٣) راش السهم : ألزق عليه الريش ، وبرى بنحت .
(٤) الأثر : فرند السيف أى جوهره أو وشيه .
(٥) ولاجاً : دخالا .
(٦) الهوة : الحفرة العميقة ، جمعها هوى كصوة وصوى .
(٧) مبتدراً : مسرعاً وأصله الاشتراك واستعمله المولدين استعملوه الواحد أحياناً . المدى جمع المدية وهى السكين .

أرمى فلا أصمى فإنْ رُمِيَتْ   جهتى رُميتُ معرَّضاً نحرى (١)
وأصدُّ عن لُقيا العدوِّ وهل   ألقى العدوَّ ولستَ فى ظهرى ؟
وإذا مضى من كان يعضدنى   ويشدّ يومَ كريهةٍ أزرى
ويردّ عنّى كلَّ طارقةٍ   ويخوض كلَّ ردًى إلى نصرى
فالحظُّ لِى أنْ لا أهيجَ وغًى   حتَّى أكون مسالماً دهرى
كيف اللقاء وأنت رَهْنُ بِلًى   لا يُرتجى إلَّا مع الحشرِ ؟
هجرٌ ولكن ليس يُشبِهُهُ   شىءٌ من الإعراضِ والهجرِ
وقطيعةٍ ما كنتُ أحذرها   إلَّا عليك فلم يَفِدْ حِذرى
لا متعةٌ لى فى الحياة فما   أحياه بعدك ليس من عمرى
إن لم يكن كُلّى عليك قضى   لمَّا قضيتَ فقد قضى شطرى
فاذهبْ كما ذهب الغمام فقدْ   ملأ المذانبَ منه بالقَطْرِ (٢)
وخلوتَ من عينى بغير رضاً   منى ولمَّا تخلُ من سرّى
ما زلتُ أكتم منك شاجيةً   وبلابلاً صُمًّا عن الزّجرِ (٣)
وأُجِلُّهُ عن أن أبوح به   فى نَظْمِ قافيةٍ من الشّعر
حتَّى انقضى صبرى وجاش كما   جاش الهدير يهدّه صدرى (٤)

* * *

وقال فى الغزل :

لا تكشفنَّ عيوبَ النَّاس ما استترتْ   فكاشفُ العيب من همٍّ على خطرِ

---

(١) أصمى . أقتل ، وأصمى الرمية : أصابها فقتلها وهو يراها .
(٢) المذانب : جمع المذنب وهو الجدول ومسيل الماء ، والقطر : المطر .
(٣) الشاجية: المصيبة المحزنة ، والبلابل: الوساوس والمهيجات ، والبلبال: تبلبل البال ووسوسته.
(٤) جاش الهم فى صدره : ارتفع وغلى ، والهدير : صوت البعير .

ولا تــكنْ بجميلٍ علَّلوك به   مستسلمَ القلب مشغولاً عن الحذَرِ
فالسّوء يظهر من دانٍ ومُنتَزِحٍ   والنّارُ تخرجمن قَدْحٍ من الحجر[1]
والمرتضى فى إخاء لستَ واجدَهُ   ومَنْ عداه فمثلُ الشّوك والشَّجَرِ
وكل من أنتَ لاقيـــه وآلفهُ   مفرّقٌ فيـــه بين الخُبْرِ والخَبَرِ

* * *

وقال يفخر ويتلهف على من مضى[2] :

مازرتَ إلّا خداعاً أيّهـــا السّارى   ثمّ انقضيتَ وما قضّيتُ أوطارى
أنّىٰ يزور على الظّلمـــاء مِنْ شَحَطٍ   مَن كان صُبْحاً وقرباً غيرَ زوّارِ؟[3]
وليس ينفع من يُضحِى بمَجْدَبَةٍ   أنْ بات مابين جنّـاتٍ وأنهارِ
قد زارنى قبلك الشّيبُ المُلِمُّ ضحًى   فـــا هَشِشْتُ له مابين زوّارى
وكنتُ أعــذرُ نفسى قبل زَوْرتِهِ   فالآن ضاقتْ على اللّذاتِ أعذارى
لوامــعٌ لم تــكنْ للغيثِ جاذبةً   وأنجُمٌ لم تُنِرْ للمُدْلِجِ السّارى[4]
لامرحباً ببيــاضٍ لم يكنْ وَضَحاً   لغُرّةِ الصُّبحِ أو لمعــاً لنُوّارِ[5]
أبعْدَ أنْ سَمَقَتْ فى العزِّ أبنيتى   وجالتِ الأرضَ آثارى وأخبارى[6]

---

(١) المنتزح : البعيد .

(٢) أورد الناظم قطعة من هذه القصيدة فى « الشهاب » (ص٧٧) وفى « طيف الخيال » . (ص٩١–٩٢) البيتين الأولين منها وبعدهما آخرين لم يردا فى الديوان وهما :

لا مُتْعَةٌ لِى بمن نادمتُ صورتَهُ   لمّا أتتنى بها فى اللّيل أفــكارى
ولو أردتَ بِيَ الإسعافَ زُرتَ وما   دَرى الدُّجى للــكرى ما بين أشفارى

(٣) الشحط : البعد .

(٤) المدلج : السائر ليلا ، والسارى : مثله .

(٥) الوضح : الضوء والبياض ، والنوار والنور : زهر أبيض .

(٦) سمقت : علت .

وَنِلتُ ماذِيدَ عنه كلُّ مُلتَمِسٍ عفواً وطامَنْ عنه كلُّ جبّارِ (١)
وداس بِى أُفُقَ الجوزاء مُنتعلًا ماشِيد من فضل أقدارى وأخطارى
يروم شأوى وقد عزّ اللّحاقُ به طماعةٌ من قصير الخطو عثّارِ (٢)
أضلّهُ اللؤمُ عن ذمّى وجنّبهُ خمولُهُ وَقْعَ أنيابى وأظفارى
وقد تَجَمْتُمْ أنابيبى فلم تجدوا فيهنّ إلّا صَليباً غيرَ خوّارِ (٣)
وما نهضتمْ بأعباء نهضتُ بها ولا أحطتمْ بأطرافى وأقطارى
ولا ضربتمْ ونَقْعُ الحربِ مُلتبسٌ فى فيلقٍ كزُهاء اللّيل جرّارِ (٤)
لايبعدِ اللهُ أقواماً مضوا سلفاً كانوا على نَبَوات الدّهرِ أنصارى
شموسُ دَجْنٍ ومِقْباسى على غَسَقٍ وفى الخنادِسِ أنوارى وأقمارى (٥)
قومٌ إذا نزلوا داراً على عَجَلٍ كانوا نزولًا مع النّعمى على الدّارِ
وإن أهَبْتُ بهمْ فى يومِ معركةٍ جاءوا ولم يَعْتلوا عنها بأعذارِ (٦)
لايرهبون سوى إيلامِ لائمةٍ ولا يخافون إلّا جانبَ العارِ
كأنّهمْ وُلِدوا فى الحرب وارتضعوا بسائلٍ من نجيع الطّعن موّارِ (٧)
لايعرفُ المالَ إلّا حين يجهلُهُ سدًّا لثلمٍ وإغناءً لإفقارِ
جِفانُهُ كجوابى الماءِ فاهقةٌ وخالُهُ كزلالٍ بينها جارِ (٨)

---

(١) ذيد : طرد ، وطامن : انحنى وتصاغر .
(٢) الشأو : الغاية .
(٣) تجمتم : من عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته ، أى اختبرتم ، والأنابيب : قصب الرماح ، والخوار : الضعيف ،
(٤) نقع الحرب : غبارها ، والفيلق : الجيش ، والزهاء : المثل .
(٥) دجن : ظلمتى من الدجنة (بضم الدال والجيم مع النون المشددة) وهى الظلام ، والمقباس : المصباح . والغسق : ظلمة الليل ، والخنادس : أشد الظلمات،مفردها خندس (بكسر الخاء والدال) .
(٦) أهبت بهم : دعوتهم .
(٧) النجيع : الدم ، والموار : السائل المتحرك .
(٨) الجفان : جمع الجفنة وهى القصعة ، والجوابى : جمع الجابية وهى الحفرة يجتمع فيها الماء ، ومنه قوله تعالى « وجفان كالجواب » ، وفاهقة : ممتلئة .

كم قد بلغتُ بهمْ في مطلبٍ أَرَبِي   وكم أخذتُ بهمْ من معشرٍ ثاري [1]
وكم جَزَزْتُ حقوقي بعد ما شَحَطَتْ   بنصرهم من لَهاةِ الضَّيغمِ الضَّاري [2]
المطعمين على خِصْبٍ ومَسْغَبَةٍ   والمنعمين على عُسرٍ وإيسارِ [3]
طاحوا وما طاح حزني بعدهمْ ونأَوْا   عنّي وما نزحوا من بين أفكاري [4]
رُزِئتُهُمْ فيدِي من بعدهم صَفِرتْ   من النفيس وقلبي من هوًى عارِ [5]
ولم يفتْهمْ وقد حازوا الكمالَ على   كلِّ الخلائق إلاّ طولُ أعمارِ
وقد مررنا بدارٍ بعدهمْ خَشَعَتْ   بعد اعتلاء وأقْوَتْ بعد إعمارِ [6]

* * *

وقال وقد لامه بعض أصحابه على كثرة الإنفاق والعطاء :

دعي منظري إنْ لم أكنْ لكِ رائعاً   ولاتنظري إلاّ إلى حُسنِ مَخْبَرِي
فإنّي وخيرُ القولِ ما كان صادقاً   لَدى الفخرِ سبّاقٌ إلى كلِّ مَفْخَرِ
أُعرِّسُ في دارِ الحفاظِ وإنْ نأى   وشمَّرَ عنها كلُّ ماضٍ مُشمِّرِ [7]
وإن حالَ قومٌ عن هدًى وتغيّروا   فإنّي بسَمْتِ القَصْدِ لم أتغيّرِ [8]
وأعلمُ أنّ الدّهرَ يَعْبَثُ صَرْفُهُ   بما شاء من مالِ البخيلِ المُقَتِّرِ
فإنّ الرّدى دَيْنٌ علينا قضاؤُهُ   فبين مُسقًّى كأسِهِ ومؤخَّرِ

---

(١) الأرب : الحاجة والمطلب .

(٢) شحطت : بعدت ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلقوم ، والمقصود بها هنا الفم من باب إطلاق الجزء على كله .

(٣) المسغبة : المجاعة .

(٤) نأوا : بعدوا ، ونزحوا : مثلها .

(٥) صفرت : خلت .

(٦) أقوت : قفرت .

(٧) أعرس : أقيم ، من التعريس وهو نزول المسافر للاستراحة ، والحفاظ : الذمام والعهد ، ونأى : بعد ، وشمر عن الشيء : قلص ، وشمر في الشيء : خف ومضى .

(٨) حال : تحول ، والسمت : الطريق ، والقصد : الرشاد والهدى .

وليس كقومى فى ندًى وسماحةٍ ... ولا معشرٌ فى يوم رَوْعٍ كمعشرى
همُ ضربوا للطّارقين خيامهمْ ... وهمْ رفعوا النّيرانَ للمُتنوِّرِ
وهمْ كشفوا يومَ الوَغى طَخَيَاتِهِ ... بكلِّ طويل السّاعدين عَشَنْزَرِ (١)
فإنْ كنتِ لاتدرين بأسى ونَجْدتى ... فقومىأسائِلى عن نَجدتى كلَّ عِثْيَرِ (٢)
وكلَّ صفيحٍ بالضّرابِ مُثَلَّمٍ ... وكلَّ وشيجٍ بالطّعان مكسَّرِ (٣)
« وأين » مُقامى إن جهلت إقامتى ... وجَدِّك إلاّ فى قطا كلِّ ضُمَّرِ (٤)
عذلتَ على تبذير مالى وهل ترى ... نجمّعُ إلاّ للجؤور المبذِّرِ ؟
أفرِّقهُ من قبل أن حال دونه ... رحيلِىَ عنه بالحِمام المقدَّرِ
ومن قبل أنْ أُدلى بعلياء قفرةٍ ... إلىجَدَثٍ ضَنْكِ الجوانب أغبرِ (٥)
مضى قيصرٌ من بعد كسرى وخلَّيا التّلاعب فى أموال كسرى وقيصرِ
وجال الرّدى فى دور آل مُحرِّقٍ ... وزال بأجيالٍ لأبناء منذرِ
رَدُوا لم يجاروا من حِمامٍ سطا بهمْ ... بمالٍ عريضٍ أو عديدٍ مُجَمْهَرِ
فبين كريم المفرقين متوَّجٍ ... وبين محلَّى المِعْصَمين مُسَوَّرِ
وأصغوا إلى داعى الرّدى وتهافتوا ... تهافتَ خوَّارِ الأباء المُسَعَّرِ (٦)
وطرّدهمْ عمّا ابتَنوْه كما هَفَتْ ... خريقُرياحٍ بالسّحاب الكنهوَرِ (٧)
أزال فما أبقى لهمْ من تكبّرٍ ... وأخشع ما خلَّى لهمْ من تجبّرِ

---

(١) طخياته : ظلماته ، ومفرد الطخيات ، طخية ، والعشنزر : الشديد الخلق العظيم .

(٢) النجدة : الشجاعة والشدة ؛ والعثير : التراب ، ويقصد به غبار الحرب .

(٣) الصفيح : السيف ، والوشيج : قصب الرماح .

(٤) وجدك : أى قسماً بحظك ، والقطاة من الفرس : مقعد الرديف ، والضمر : الضامرات ، والمقتضى أن يسبق الاستثناء هنا نفى كليس فى موضع وأين .

(٥) الجدث (بالتحريك) : القبر .

(٦) الخوار : الضعيف ، والأباء : القصب مفرده الأباءة .

(٧) هفت : سقطت ، والخريق : الرياح الباردة السريعة ، والكنهور من السحاب : المتراكم كقطع الجبال .

وكانوا زماناً بهجةً لتـــأملٍ فآبوا انقلاباً حسْرَةً لتذكُّرِ [1]

* * *

وقال في الغزل :

مرَّ علينـا فـكَنَفْنا به مِن بين مَن مرَّ ولايدرى [2]

تزيد في العمر مناَجاتُهُ إن كان شيءٌ زاد في العمرِ

كأنّما صيغ من المشترى فاختال أو صيغ من البدرِ

قلت له يوماً وقد زارنى معطَّرَ الجلد بلا عِطْرِ

ملكتنى حسناً وكم مالكٍ بحسنه ناصيـــةَ الحرّ

لا تَبْلِنِي منك بإعراضةٍ فإنّــنى أنفق من صـــبرى

* * *

وقال رضى الله عنه :

لو أنصف النّاس قالوا أنتُمُ جبلٌ يأوى إليه بنو الإشفاقِ والحذَرِ [3]

لولا كُمُ سنداً لى والعدا أثرى ما كنتُ من مكرمٍ إلاّ على غَرَرِ [4]

قد كنتُمُ نلتُمُ مايبتغيه لكمْ ذوو المودّةِ لولا عائقُ القدرِ

سطَا على شملكمْ يوماً ففرّقهُ كلَّ التمزّقِ نَبْواتٌ من الغِيَرِ [5]

فمن يكن عنده ياقومُ مُصطَبَرٌ فإنّــنى طولَ عمرى غيرُ مصطبرِ

* * *

---

(١) آبوا : رجعوا .

(٢) كنفنا : أحطنا .

(٣) الإشفاق : الخوف .

(٤) الغرر : الخطر .

(٥) النبوات : جمع النبوة وهى من الدهر المصيبة ، وأصل النبوة المرتفع من الأرض ، والغير : حوادث الزمن .

وقال يرثى جده الحسين عليه السلام [1] :

عرِّجْ على الدَّراسة القَفْرِ ومُرْ دموعَ العين أن تجرى [2]
فلو نهيتُ الدَّمعَ عن سَحِّه والدَّار وحشٌ لم تُطِعْ أمرى
منزلةٌ أسلمهـــا للبلى «عَبْرُ» هبوبِ الرِّيحِ والقَطْرِ [3]
فُجِعْتُ فى ظلمائهـــا عنوةً بطلعةِ الشَّمسِ أو البَدرِ [4]
لهفانُ لا من حرِّ جمرِ الجَوى سكرانُ لا من نَشْوَةِ الخمرِ
كأنَّنى فى جاحمٍ من شجًى ومن دموع العين فى بحرِ [5]
شُجِتُ بها أُنفِقُ فى آيهـــا ما كان مذخوراً من الصَّبرِ [6]
فى فِتْيَةٍ طارتْ بأوطارهمْ «فى ذيلهمْ» أجنحةُ الدَّهرِ [7]
ضِيموا وسُقُّوا فى عِراص الأذى ماشاءت الأعداء من مُرِّ [8]
كلٌّ خميصِ البطنِ بادى الطَّوى ممتلىءُ الجلدِ من الضُرِّ [9]
يَبْرِى لحا صَعْدَتِهِ عامداً بَرْىَ العَصا من كان لا يبرى [10]
كأنَّه من طول أحزانِهِ يُساق من أمنٍ إلى حِذْرِ

---

(١) أورد ابن شهر آشوب فى « المناقب » (ج ٥ ص ١٢٥) خمسة أبيات من هذه القصيدة لا تخلو من التحريفات .

(٢) عرج : احبس مطيتك وأقم ، والدارسة : المندرسة وهى التى ذهب أثرها .

(٣) البلى : العفاء ، والقطر : المطر . وفى الأصل « غبر » بدل « عبر » وما وضعناه أنسب .

(٤) عنوة : قسراً .

(٥) الجاحم : الجمر المتقد .

(٦) شجت بها : مات إليها .

(٧) « فى ذيلهم » كذا فى الأصل وفيه غموض ولعلها محرفة عن زيلهم أى تنحيتهم وموتهم قاله فى « الأساس » زيل بنعشه : أى رفع نعشه عبارة عن موته .

(٨) العراص : جمع العرصة وهى البقعة بين الدور ليس فيها بناء .

(٩) الخميص : الجائع ، والطوى : الجوع .

(١٠) يبرى : ينحت ، واللحاء : قشر الشجر ، والصعدة : القناة القصيرة .

أو مفردٌ أبعـــده أهلُهُ عن حَيِّهِ من شَفَقِ العُرِّ [1]
ياصاحبي في قعرِ مطويّةٍ لو كان يرضى لِيَ بالقَعْرِ [2]
أما تراني بين أيدي العِـدا ملآنَ من غيظٍ ومن وِتْرِ [3]
تسري إلى جلديَ رُقْشٌ لهم والشَّرُّ في ظلمائها يسري [4]
مردَّدٌ في كلِّ مكروهةٍ أُنقلُ من نابٍ إلى ظُفُرِ
كأنني نَصْلٌ بلا مِقْبَضٍ أو طائرٌ ظلَّ بلا وَكْرِ
بالدّار خلْواً غيرُ سكانها وقد قرى من لم يكن يَقْرِي [5]
والسَّرحُ يرعى في حميمِ الحِمى ماشاء من أوراقه الخُضْرِ [6]
وقد خبا لِي الجمرَ في طيِّهِ لوامعٌ يُنذرنَ بالجمرِ
لا تبكِ إنْ أنتَ بكيتَ الهدى إلاَّ على قاصمةِ الظَّهرِ
وأبكِ حُسَيناً والألى صُرِّعوا أمامَه سطراً إلى سطرِ
ذاقوا الرّدى من بعد ما ذوّقوا أمثالَهُ بالبيضِ والسُّمرِ
قتلٌ وأسرٌ بأبي منكمُ من نيل بالقتل وبالأسرِ
فقلْ لقومٍ جئتهم دارَهمْ على مواعيدِ من النَّصرِ
قَرَوْكُمُ لمّا حللتُمْ بهـــا ـ ولا قِرى ـ أوعيةَ الغَدْرِ
وأطّرحوا النَّهجَ ولم يحفلوا بما لكمْ في محكم الذِّكرِ [7]
واستلبوا إرْثَكمْ منكمُ من غير حقٍّ بيدِ القَسْرِ

(١) العر : الجرب .
(٢) المطوية : المبنية بالحجارة ويعني بها القبر .
(٣) الوتر : الثأر .
(٤) الرقش : جمع الرقشاء وهي الحية .
(٥) قرى : أضاف ومنه القرى (بكسر القاف) : وهو مايقدم لضيف .
(٦) السرح : الماشية السارحة أي السائمة .
(٧) النهج : الطريق الواضح ، ومحكم الذكر : القرآن المجيد .

كسرتمُ الدّين ولم تعلموا وكسرةُ الدّين بلا جَبْرِ
فيـــالها مَظْلَمَةً أُولِجَتْ على رسول الله فى القبرِ (١)
كأنَّهُ مافكَّ أعنـــاقكم بكفه من رِبَقِ الـكُفرِ ! (٢)
ولا كساكمْ بعد أن كنتمُ بلا رِياشٍ حِبَرَ الفَخرِ (٣)
فهو الذى شاد بأركانكمْ من بعد أن كنتم بلا ذِكْرِ
وهو الذى أطلع فى ليلكمْ من بعد يأسٍ غُرّةَ الفجرِ
يا عُصبَ الله ومَن حبُّهمْ مخيّمٌ ما عشتُ فى صدرى
ومن أرى « وُدَّهُمُ » وحدَهُ «زادى» إذا وُسّدتُ فى قبرى (٤)
وهوَ الذى أعددتُهُ جُنَّتِى وعصمتى فى ساعةِ الحَشْرِ (٥)
حتّى إذا لم أكُ فى نعْرَةٍ من أحدٍ كان بكمْ نصرى
بتوقفٍ ليس به سلعةٌ لتاجرٍ أنفقُ من برٍّ
فى كلّ يومٍ لكمُ سيّدٌ يُهدى مع النِّيبِ إلى النَّحْرِ (٦)

---

(١) أولجت : أدخلت .

(٢) الربق : جمع الربقة وهى العروة تربط فى حبل وتجعل فى رقبة الشاة أو رجلها فتربق بها الشاة أى تشد .

(٣) الرياش : الثياب الفاخرة ، والحبر جمع الحبرة (بالفتح والتحريك) وهى من برود اليمن .

(٤) فى الأصل « حبهم » فى موضع « ودهم » المثبتة فى «المناقب» لابن شهر آشوب ورجحناها وإن كان المعنى واحـداً جرياً مع قوله تعالى فى ذكر أهل البيت صلوات الله عليهم حيث مدحهم بـ « قل لا اسألـكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى . وقد أخذ هذا المعنى العارف الصوفى محي الدين ابن العربى فنظمه بقوله :

رأيتُ ولائى آلَ طهٰ فريضةً على رغم أهلِ البُعدِ يُورثنِى القُربى
فما طلب المبعوثُ أجراً على الهُدى بتبليغهِ إلاّ المودّةَ بالقُرْبى

وفى الأصل « زاداً » بدل « زادى » فى « المناقب » .

(٥) الجنة : الدرع .

(٦) النيب : النوق المسنة .

كم لكُمُ من بعد «شِمْرٍ» مرْى دماءَكمْ فى التربِ من شِمْرِ .
وَنْحَ « ابنِ سَعْدِ عُمَرٍ » إنَّهُ باع رسولَ اللهِ بالنَّزْرِ (١)
بغى عليهِ فى بنِي بنتِهِ واستلّ فيهمْ أنصُلَ المكرِ
فهوَ وإنْ فازَ بها عاجلاً مِن حَطَبِ النّارِ ولا يدرى
متى أرى حقّكمُ عائداً إليكمُ فى السّرِّ والجهرِ ؟
حتّى متى أُلْوى بموعودكمْ أُمطَلُ من عامٍ إلى شهرِ ؟
لولا هَناتٌ هنّ يلوينني لبُحتُ بالمكتومِ من سرّى (٢)
ولمْ أكن أقنعُ فى نصركمْ بنظْمِ أبياتٍ من الشّعرِ
فإنْ تجلّتْ غُمَمٌ رُكّدٌ تركتني وَعْراً على وَعْرِ (٣)
رأيتموني والقنا شُرّعٌ أبذُلُ فيهنّ لكمْ نحْرى (٤)
على مَطا طِرْفٍ خفيفِ الشّوى كأنّهُ القِدْحُ من الضُّمْرِ (٥)
تخاله قد قُدّ من صخرةٍ أوجيبَ إذ جِيبَ من الحضْرِ (٦)
أعطيكُمُ نفسى ولا أرتضى فى نصركمْ بالبذلِ للوَفْرِ (٧)
وإنْ يدمْ ما نحن فى أسْرِهِ فاللهُ أولى فيه بالعذرِ

✡ ✡ ✡

---

(١) النزر : القليل .
(٢) الهنات : الأمور والدواهى .
(٣) الغمم : جمع الغمة وهى الكربة .
(٤) شرع : مسددة .
(٥) المطا : الظهر ، والطرف (بكسر الطاء) : الجواد من الخيل ، والشوى : الأطراف ، والقدح : السهم ، والضمر : الهزال .
(٦) جيب وقد بمعنى واحد أى : قطع ، ومنه قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » ، والحضر : الحجارة .
(٧) الوفر : المال الكثير .

وقال يشكر الله تعالى اسمه :

شكرتك ربّى مع يقينى بأنّنى ... قصيرُ القُوى والبَطش عن سِلَعِ الشكر
فإنْ كان شكرى وهوَ ذا مُتَقَبَّلا ... فمَنٌّ على مَنٍّ وبِرٌّ على بِرِّ
وأعلنتُ شكرى وهو عنك مُقصِّرٌ ... لأخرج فى النَّعماء عن حَيِّزِ الكُفرِ
وإنّى لأرجو أنْ تكون عطيّتى ... على قدرِ مَن أولى العطيَّةَ لا قدرى

✿ ✿ ✿

وقال فى العتاب :

ألوماً على لَوْمٍ وأنتمْ بنَجْوَةٍ ... من الذّم إلّا ما ثوى فى الضمائرِ ؟
فليتكُمُ لمّا أتيتُمْ بسَوْءَةٍ ... ولا عاذرٌ منها أتيتمْ بعاذرِ
وما كنتُ أخشى منكُمُ مثلَ هذه ... وكم من عجيبٍ بين طىّ المقادرِ
ولمّا قدرتُمْ بعد عجزٍ أسأتُمُ ... وكم عفّ عن سوء بنا غيرُ قادرِ
وما نافعٌ منّا وحشوُ قلوبنا ... قبيحٌ من البغضاء حسنُ الظّواهرِ
فلا بَرِحَتْ فيكمْ خطوبُ مَساءةٍ ... ولا حُجِبَتْ عنكمْ نُيوبُ الفواقرِ (١)
وما زلتُمُ فى كلّ ما تحذرونَهُ ... وإن حاص قومٌ عنه أكفّ المحاذرِ (٢)

✿ ✿ ✿

وقال فى مثله :

حَذِرتُكُمُ وكم لله عندى ... صنيعٌ فى كفايتِهِ حِذارى

---

(١) النيوب : جمع الناب ، والفواقر جمع الفاقرة وهى الداهية الشديدة التى تكسر فقار الظهر .
(٢) حاص واحتاص : حزم وتحفظ .

ولو أنّى أشاء لكنتُ منكمْ مكانَ النّجمِ فى الفلكِ المُدارِ (١)
ولم أرَ منكُمُ إلّا خطوباً فلولا الشّيبُ شاب لها عِذارى (٢)
رددتمْ ربَّ آمالٍ طِوالٍ يلوذ بكمْ بآمالٍ قصارِ
وكنتُ وقد حططتُ بكمْ رِحالى نزلتُ بكمْ على غيرِ اختيارِ
فلا خَصِبَتْ بلادُكُمُ بجَدْبٍ ولا جِيدَتْ بأنواء غِزارِ (٣)
ولا نظرتْ عيونٌ مُدْلِجاتٌ بهنَّ على الظّلام ضِياءَ نارِ (٤)
وإنّى آملٌ فيكمْ وشيكاً وإنْ موطلتُ عنه بلوغَ ثارى

* * *

وقال فى الغزل :

لمّا طلعن علىَّ فى غَسَقٍ فَخَلَفْنَ ضوءَ الشّمسِ والقمرِ (٥)
ساوَمْنَنِى قلبى فرُحْنَ به عنّى وكم بيعٍ على غَرَرِ (٦)
وأخذن منّى ما سمحتُ به فى اليُسرِ من حالى وفى العُسرِ
وكحلن عينِى كلّما مَرِهَتْ ببكائها منهنّ بالسَّهَرِ (٧)
ووعدننِى مالا يَفِينَ بهِ من غير معذِرَةٍ لمعتَذِرِ
قد كنتُ أحذر مابليتُ به دهراً وكمْ بَلْوَى مع الحذرِ

* * *

(١) فى الأصل « وكان » محرفة عن « مكان » .
(٢) العذار : الشعر المحاذى للأذن .
(٣) الأنواء : جمع النوء وهى مساقط النجوم المنذرة بالمطر .
(٤) المدلجات : السائرات ليلا .
(٥) الغسق : الظلمة
(٦) الغرر : التعريض للهلاك والخطر .
(٧) مرهت عينه : فسدت .

وقال فى ذم الزمان :

هو الزّمان فلا عيشٌ يطيب به ... ولا سرورٌ ولا صفوٌ بلا كَدَرِ
يجنى الفتى فإذا لِيمتْ جنايتُـهُ ... أحال من ذنبهِ ظلمـاً على القدرِ
وكلُّ يومٍ من الأيّام يعجبُنـا ... فإنّمـا هو نقصانٌ من العُمُرِ

* * *

وقال فى الطيف[1] :

أيا زائراً باللّيـل من غـير أنْ يسرى ... وهل زائرٌ باللّيل من غير أن يسري؟[2]
ويامُشبهـاً للفجر ضوءَ جبينهِ ... أبِنْ لِى قليلا كيف رُوّعتَ بالفجرِ
تجود علينـا والمعـاذيرُ جَمّـةٌ ... وتبخلُ بالجَدْوى وأنت بلاعذرِ[3]
ولمّا تعـاتبنا على الهجر صُغتَ لِى ... دُنُوّكَ من بُعدٍ ووصلكَ من هجرِ
وأوليتَ بِرًّا لم يكن عنـد واصلٍ ... إليه «و إن» أغنى «نصيباً» من الشّكرِ[4]

* * *

وقال فى الشيب :

لاتنظرى اليوم ياسلمى إلىّ فمـا ... أبقَى المشيبُ بوجهى نظرةَ البَشَرِ
جنى علىّ فقولى كيف أصنع فى ... جانٍ إذا كان يجنى غـير مقتدرِ ؟
عرا فأعرى من الأوطار قاطبـةً ... قهراً وأيأسَنِي ماليس من وَطَرِى
وقد حذرتُ ولـكنْ ربَّ مغتربٍ ... لم أنجُ منه وإنْ حاذرتُ بالحذرِ

---

(١) وردت هذه القطعة فى « طيف الخيال » « ص١٠٨ » ط . الحلبى .

(٢) يسرى : يسير ليلا .

(٣) الجدوى : العطاء .

(٤) فى الأصل « ومن » بدل « وإن » وفى « الطيف » « نصيب » فى موضع « نصيباً » .

فإنْ شكوتُ إلى قومٍ مساكنَهم ... ظلَّ السَّلامة ردّونى إلى القَدرِ
كونى كما شئتِ فى طولٍ وفى قِصَرٍ ... فليس أيّامُ شيبِ الرّأس من عُمُرى
فقل لمن ظلّ يُسلِى عن مصيبتِهِ ... لا سلوةٌ لىَ عن سمعى وعن بصرى
شرُّ العقوبةِ ياسلمى على رجلٍ ... عقوبةٌ من صروف الدّهر فى الشَّعَرِ
إنْ كان طال له عمرٌ فشيّبَهُ ... فكلُّ طولٍ عداه الفضلُ كالقِصَرِ
يُلينُ منه ويُرخِى من معاجمِهِ ... كُرْهاً ولو كان منحوتاً من الحجرِ (١)
فإن تكن وَخَطاتُ الشّيبِ من شَعَرى ... بيضاً فكم من بياضٍ ليس بالغُرَرِ (٢)
ما كلُّ إشراقةٍ للصّبحِ فى غَلَسٍ ... وليس كلُّ ضياءٍ من سنا القمرِ (٣)

* * *

وقال فى النسيب :

وأعرضتِ حتّى لا أراكِ وإنما ... أرى منك وجهَ الشّمسِ أو طلعةَ البدرِ
ولم يكُ ذاكِ الصّدّ إلّا لمقلتى ... وقلبِىَ عن مَغْنَىً هواكِ بلا سِتْرِ (٤)
وهجرُكِ منّى ليس إلّا لعلّةٍ ... ولكنّ هجراً جاء منكِ بلا عذرِ
ويومىَ لا ألقاكِ فيه وأجتلِى ... به منكِ وجهَ الحسن ماهو من عمرى (٥)
وإن لم يكن لِى منكِ صفحٌ فأعطنى ... نصيباً من البلوى وحظّاً من الصّبرِ
فلا تفتنُوا بعدى بشىءٍ فإنّنِى ... فُتِنْتُ بمملوءِ الجفون من السِّحْرِ
يُسىءُ وما ينوى الإساءةَ عابثاً ... ويُقلقنى شوقاً إليه ومايدرى

---

(١) المعجم : مصدر ميمى من عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته .

(٢) وخطات الشيب : جمع وخطة وهى المرة من وخطه الشيب إذا خالط شعره ، والغرر : جمع الغرة وهى البياض فى جبهة الفرس .

(٣) الغلس : ظلمة آخر الليل كما أن الغسق ظلمة أوله .

(٤) المغنى : المنزل .

(٥) اجتلى الشىء : نظر إليه .

وهان عليه والهوى ليس عنـــده دموعٌ لبينٍ منـه أو جفوةٌ تجرى
فياليتَ من يشقى الجوى لم يُعِـلَّنِي ومن لم يكن نفعي به لم يكن ضرّى

* * *

وقال يشكر بعض أحبته :

لَدارُكَ من قلبي كقلبي كرامةً و بِرُّك عندى ليس يبلغه شكرى
وأنتَ الذى أبغيه فى شَطَطِ المُنى وأشرطه يومَ الشّراطِ على دهرى (١)
وما راعني إلّا فراقُك بغتَـةً وقلـبِيَ ممـلوءٌ لوصلِكَ بالبِرِّ
وكنتُ وقد عُرِّيتُ منك كمُدْلِجٍ تمرّى على الظلماء من طلعةِ البدرِ (٢)
ولم أدرِ مافى يومنا غـبرَ أننا قُطِنْنا بقَطْرٍ لايدوم عن القَطْرِ (٣)

* * *

وقال فى الشيب :

قلتُ لمسودٍّ له شَعرُهُ هل لك فى المبيضّ من شعرى؟
خـذْهُ وإنْ لم ترضَه صاحباً مع الدُّمى يبقى مدَى العُمرِ (٤)
فقال : ما أبعدَ مابيننـا ونازحٌ أمرُكَ من أمرى (٥)
عَمَرْتَ ستّين ونيّـفتَها ونيّفتْ منّى على عَشْرِ (٦)
ليس إلى دائك من حيـلةٍ فاْجرعْ ملاءَ أكْؤُسَ الصَّبرِ

* * *

---

(١) الشطط : تجاوز القدر .
(٢) المدلج : السائر ليلا .
(٣) قطنا : كفينا ، والقطر : المطر .
(٤) الدمى : جمع الدمية وهى الصورة كالصنم مصنوعة من العاج أو الفضة .
(٥) النازح : البعيد .
(٦) نيف : زاد .

وقال فى النسيب :

ماضرّ من للنوى زُمّتْ ركائبُـهُ ... لوجاد لِى ساعة التّوديع بالنّظرِ ؟[1]
رميتُمُ القلبَ منّى بالوجيبِ وقد ... فارقتمونِيَ والعينين بالسّهرِ [2]
وكدتُ أقضى غداةَ البين من جزعٍ ... لو لم يكن لك قلبٌ صيغَ من حجرِ
وكيف يسلا كُمُ قلبي المشوق وقد ... غيّبتُمُ بصرى بالبين عن بصرى ؟
وما تركتُ قراراً من فراقكُمُ ... لكنْ حذرتُ وكم لم يُنجنِي حَذَرى

✡ ✡ ✡

وقال فى العتاب :

أمنتُ حذارى منكُمُ وكُفيتُكمْ ... وأنتم بمنَ الله وَسْطَ المحاذِرِ
«فما» لكُمُ عندى وقد عشتُ برهةً ... أخافكُمُ بغياً علىَّ بعاذِرِ [3]
فلا تأمنوا إنْ كنتمُ قد أمنتمُ ... سهامَ الأعادى من سهامِ المقادِرِ
وكم ذانفضتُ الكفَّ من نصرِ أُسرتى ... على خُطّةٍ خشناء واللهُ ناصرى
وكم ذا خشيتُ الأمرَ قبل هجومِهِ ... وسُرْ بِلتُه كُرْهاً فلم يكُ ضائرِى [4]

✡ ✡ ✡

وقال فى الافتخار :

لاتسأل المرء ماتجنِي عشيرتُهُ ... عليه مابين ضرّاء وإضرارِ
ورُبّما كان من قومى وما شعروا ... ذنبٌ تضيق به ساحاتُ أعذارى

---

(١) زمت : شدت ، والركائب الإبل .
(٢) الوجيب : الخفقان
(٣) فى الأصل « فمن » بدل « فما » .
(٤) سربلته : ألبسته كالسربال ، وضائرى : مؤذ لى .

ما زال أهلُ الحِجى والحلمِ كلُّهمُ مطالَبين عن الأعمار بالثّارِ
كنْ كيف شئتَ ولم تدنَسْ بفاحشةٍ تُلقِي على الذمِّ أو تُدنِي من العارِ
من أين لي والمُنى ليستْ بنافعةٍ خِلٌّ أرى فيه أغراضى وأوطارى ؟
يَمَسُّهُ الخطبُ قبلى ثمّ يصرِفُهُ عنّى ولو خاض فيه لُجَّةَ النّارِ
وواحدٌ عنـــده عزلِي وتولِيَتِي ومستوٍ عنـــده فقرى وإيسارى
ما ودّنى لا نتفاعٍ بى ولا عَلِقَتْ بنانُهُ بإزارى خوفَ أحذارى (١)
مالِي بُليتُ وما قصّرتُ فى طلبٍ بكلِّ خَبٍّ خَلوعِ العهدِ غدّارِ (٢)
أُخفِي له السرَّ عن نفسى وليس له فى النّاسِ دَأْبٌ سوى إفشاءِ أسرارى (٣)
إنّ الدّيارَ التى كنّا نُسرُّ بهـــا ما مُجْتُ فيهـا وقد أقوتْ بديّارِ (٤)
مرابعٌ عُطِّلَتْ منهــا وأنديةٌ لا رِجْسَ فيها ولا بأسٌ لسمّارِ (٥)
من بعدما امتلأتْ من كلِّ مُمتعِضٍ من الدَّنيّـةِ فى العزّاءِ صَبّـارِ (٦)
كانت مسايلَ أيدٍ بالنّدى سُمُحٍ فالآنَ هنّ مسيلاتٌ لأمطـارِ
يُعطِى الكثيرَ إذا المالُ ضَنَّ به معطٍ ويَقرِى إذا مالم يكن قارِ (٧)
تَزْوَرُّ عنهنَّ أيدى العِيس واخدةً ولا يعوج بهنَّ المُدلجُ السّارى (٨)
وقد عُرِينَ على رغم الأنوف لنـــا من كلِّ نفعٍ وإحلاءٍ وإمرارِ

* * *

(١) البنان : رؤس الأصابع .
(٢) الخب (بالفتح) : الخداع بتشديد الدال ، (وبالكسر) : الخداع .
(٣) الدأب : العادة والسجية .
(٤) مجت : أقمت ، وأقوت : خلت .
(٥) الرجس : الإثم .
(٦) الممتعض : المستشيط غيظاً ، والعزاء : الشدة .
(٧) ضن : بخل ، ويقرى : يضيف .
(٨) تزور : تنحرف ، والعيس : الإبل ، للذكر المفرد أعيس ، وللانثى عيساء ، والوخد : ضرب من السير السريع ، ويعوج : ينعطف ، والمدلج : السائر ليلا ، والسارى : مثلها .

وقال فى النسيب :

ومنتقبــاتٍ بالجمــال على مِنًى   شُغِلْنا بهن عن حَصَى المُتَجَمِّرِ (١)
ضَعُفنَ عن الشكوى فلمّا أردنَها   أشرن إلينا بالبنــان المحمّرِ (٢)
فما شئتَ من طيبٍ ذَكِيٍّ لناشقٍ   وما شئتَ من حسنٍ أنيقٍ لمبصرِ
ولله أبصارٌ سَبَتْنــا جفونهــا   غداةَ تلاقينــا بشِعْبِ المعمَّرِ
ولمّا تفرّقنــا ولم يبق بيننــا   سوى ذِكْرةٍ من عاشقٍ متذكّرِ
بكين على وَشْكِ الفراق بلؤلؤٍ   على عُصْفُرٍ من نرجسٍ متحدّرِ (٣)

* * *

وقال فى الافتخار :

إذا لم تكونى دارَ فضلٍ ونفحةٍ   أنالُ بهــا العافى فلستِ بدارِ (٤)
أبى المجدُ يوماً أن أكون معرّجاً   على « سَفَهٍ » أو أنْ أُلمَّ بعارِ (٥)
ولا كنتُ يوماً للهوانِ مصافيــاً   ولا بين أبياتِ اللّئــام قرارى (٦)
برزتُ فمــا أخفى عليك كأنّنى   على ذُروة الأطوادِ توقد نارى (٧)

---

(١) منتقبات : لابسات النقاب وهو القناع ، والمتجمر : الرامى للجمار ، وهى حصيات يقذفن فى منى (من مناسك الحج) .
(٢) البنان : رءوس الأصابع .
(٣) اللؤلؤ : استعارة للدموع ، والعصفر : نبت ذو صبغة حمراء وقد استعاره للخدود ، كما استعار النرجس للعيون ، وهذا البيت يشبه قول الشاعر :

واستمطرتْ لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ   وَرْداً وعضّتْ على العُنّاب بالبَرَدِ

(٤) العافى والمعتفى : طالب المعروف .
(٥) التعريج : الإقامة ، وفى الأصل « سمة » بدل « سفه » مصحفة .
(٦) الهوان : الذل .
(٧) الأطواد : الجبال مفردها طود .

وما ظاهرى فى النّاسِ إلّا كباطنى   وليلِيَ فى ثوبِ التُّقىٰ كنهارِى
طلبتمْ عَوارِى ظالمين فلم تكنْ   لتظفرَ كفٌّ منكُمُ بعَوارِى (١)
فإنْ كنتَ لاتعرفْ وقارِىَ جاهلًا   فسلْ شامخاتِ الصُّمِّ كيف وقارى
ولمّا جرينا للفخارِ عثرتُمُ   وأعوزكمْ أن تسمعوا بعشارى (٢)
وربَّ مَقامٍ لم يقمْهُ سوى الفتىٰ   كفانى لسانى فيه وقْعَ غِرارى (٣)
أدرْ لِى نديمى كلَّ يومٍ وليلةٍ   كئوس نجيعٍ لا كئوس عُقارِ (٤)
وإنْ شئتَ إطرابى هنالك فغنِّنِى   وقدْرُ الوغى تغلِى بإدْراكِ ثارى
وقلْ للعدا كفّوا فضولَ طِماحِكمْ   فما أنتُمُ باللاحقين غُبارى

* * *

وقال فى غرض عرضه :

قرَنْتَنِي يامحلَّ الذمِّ معتمِداً   بصاحبٍ ما ارتضاه لى أخو نظرِ
وكنتَ لا شكَّ فيما أنتَ جامعُهُ   كجامعٍ بين ضوءِ الفجر والقمرِ

* * *

وقال فى الغزل :

أمّا الحبيب فقد فُزنا بزَورتِهِ   فى ليلةٍ لا قذَى فيها سوى القِصَرِ
فبتُّ أُدنِى إلى قلبى ومن بصرى   مَن حلَّ عندى محلَّ القلب والبصرِ
لم يطعَمِ الغُمْضَ قلبٌ فيه مُقْتَسَمٌ   وإنّه لقريرُ العينِ بالسَّهَرِ

---

(١) العوار : العيب .
(٢) أعوزكم : تعذر عليكم .
(٣) الغرار : حد السيف .
(٤) النجيع : الدم ، والعقار : الخمرة .

كم بين إذ أنا فى تعــذيبه سهرى وبين إذ أنا فى تقبيله « سمرى »[1]
لا أشكر الدّهرَ أولىٰ فى الزّمان يداً «ثم» أستردّ الذى أولاه فى السَّحَرِ[2]

* * *

وله أيضاً[3]:

تجافَ عن الأعداء « بُقياً » فربّما كُفيتَ فلم تُجرَحْ بنابٍ ولا ظُفرِ[4]
ولا تبرِ منهمْ كلَّ عودٍ تخافهُ فإنّ الأعادى ينبتون مع الدّهرِ

* * *

وله فى طيف الخيال[5]:

وزائرٍ زارنى وهْناً بغــالطنى ولو لبست ثيابَ الصّبحِ لم يزُرِ
تَمّتْ له وستورُ الليلِ مُسْبَلَةٌ بينى وبين يقينى والكَرىٰ سكْرى
ولو أراد خداعى غــير ذى وَسَنٍ لـكان من نيل ما يبغي على غَرَرِ[6]

---

(١) فى (هـ وس) «سهرى» مكرورة فى موضع «سمرى» وهو من سهو الناسخين وتصحيفاتهم.
(٢) فى جميع النسخ «لم» فى موضع «ثم» ولا يستقيم المعنى إلا فى الأخيرة المثبتة، والأولى من تحريفات الناسخين أيضاً.
(٣) ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء « ج١٧ ص١٥٧ » .
(٤) فى المعجم « بغياً » مصحفة .
(٥) طيف الخيال (ص٩٠) .
(٦) الوسن : النعاس وأول النوم ، والغرر : الخطر .

قافية الزاي

قال في ذم الحرص :

إنْ كنتَ ترغبُ « في الثَّوا ء » بهذه الدّنيا عزيزا
فاحذرْ مُنى الأطماعِ أنْ تُعنى بها أو أنْ تحوزا
لا تُرعِها سمعاً فإنّ لها القعاقعَ والأزيزا [1]
كم آمنٍ أضحى المطا حَ بها وقد أمسى الحريزا [2]
لم يَفْدِهِ من صَوْلةِ الـ أيّام أنْ جمعَ الكنوزا
كانتْ له نِعَمٌ فَرَزْ ن فعاد قاطنُها نَشوزا [3]
كم ذا نحوز وقد رأينا حائزاً ترك المحوزا
وغدا قديراً ثم أمسى بعد قدرته عجيزا
أين الذين على التِّلا ع تبوّأوا الوطنَ الحجيزا [4]
سحبوا وراءهمُ الجيو شَ وطالما سحبوا الخُزوزا [5]
إنْ زُرتَهم زرت الأهلَّةَ في مطالعها بُروزا
نطقوا بما أعيا الرّجا ل وعاد ناطقُهُمْ ضَموزا [6]

(١) القعاقع : الأصوات الشديدة ، والأزيز : صوت غليان الماء وصوت السحابة البعيدة وهو أضعف من القعقعة .

(٢) الحريز : المتحرز وهو المتحذر .

(٣) قاطنها : مقيمها وساكنها ، والنشوز (على وزن فعول) هو الناشز أى المرتفع والخارج عن الطاعة كالمرأة الناشز .

(٤) التلاع : جمع التلعة (بفتح التاء) : وهي الأرض المرتفعة ، وتبوأوا : اتخذوا ، والحجيز : المنيع .

(٥) الخزوز : جمع الخز وهو من الثياب مانسج من الحرير والصوف .

(٦) الضموز : السكوت .

قافِيَة السّين

باب السين المضمومة

قال فى الافتخار :

أهاجَكَ ذكرٌ منهمُ ووساوسُ ... وقد نَزَحَتْ بِيدٌ بهمْ وبسابِسُ[1]
وما رحلوا إلّا وحشو حُدوجهمْ ... شموسٌ لرُوّادِ الهوى ومقابِسُ[2]
كأنّ قطينَ الحىِّ لمّا تحمّلوا ... جميعاً ضُحًى جُنحٌ من اللّيل دامسُ[3]
أو الصَّخرُ من أعلامِ نَهْلانَ زائلاً ... أو الدَّوْحُ دوحُ الغابة المُتكاوسُ[4]
لجادَ ديارَ العامريّةِ وابلٌ ... وعادَ ديارَ العامريّةِ راجِسُ[5]
ولا دَرَسَتْ تلكَ الرّسومَ مُلِمّةٌ ... ولا رَمَسَتْ تلكَ الطّلولَ الروامسُ[6]
فقد طالما قضّيتُ مأرَبَةَ الصِّبا ... بهنَّ ونُدمانى الظّباءُ الأوانسُ[7]
وبيضٍ لبسنَ الحسنَ عن كلِّ مَلْبَسٍ ... فزانَ لنا ما لا تزين الملابسُ
يُعِرْنَ الصِّبا مَنْ لم يكن هَمُّهُ الصِّبا ... فيطمع فيـــه كلُّ من هو آيسُ
وساقطن عذباً من حديثٍ كأنّهُ ... نسيمُ رياضٍ آخرَ الليل ناعسُ

---

(١) نزحت : بعدت ، والبسابس : جمع البسبس وهو البر المقفر الواسع .
(٢) الحدوج : الهوادج ، والمقابس والمقابيس : المصابيح .
(٣) القطين : القاطن وهو الساكن ، والجنح من الليل : القطعة منه ، والدامس : الحالك المشتد .
(٤) الأعلام : الجبال ، ونهلان : اسم جبل ، والدوح : الشجر ، والمتكاوس : المتراكم .
(٥) الوابل : المطر الشديد ، والراجس : الراعد .
(٦) درست : محت ، والرسوم : آثار الديار ، والملمة : الخطب ، ورمست : دفنت ، والروامس الرياح الدوافن للآثار .
(٧) المأربة : الحاجة .

وَلمّا اُلتقينا والرَّقيبُ على الهوى ... يخالسنا من خوفه ونخالسُ

أرينَ وجوهاً للجمال كأنّها ... نصولٌ جَلَتْها للقُيونِ المداوسُ(۱)

فمنهنّ كالّا ماهنّ صواحبٌ ... ومنهنّ عفافاً ماهنّ حوارسُ

حلفتُ بمن طاف الحجيجُ ببيتهِ ... ومن هو للرُّكنِ اليمانيِّ لامسُ

وأيدى المطايا يبتدرْنَ مغمَّساً ... وهنّ خميصاتُ البطونِ خوامسُ(۲)

طواها السُّرى طىَّ الحريرِ على البِلَى ... فهنّ قِسىٌّ ماهنّ معاجسُ(۳)

ومَنْ أمَّ جَمْعاً والمطىُّ لواغبٌ ... تماطلُ مضماضَ الكرى وتماكسُ(٤)

وماهرقوا عند الجمارِ على منًى ... من الدمِ منه مُستَبِلٌ وجامسُ(٥)

لقد ولدتْ منّى النساءُ مُشيَّعاً ... له الرَّوْعُ مَغْنًى والحروبُ مجالسُ(٦)

وقد جرّبوا أنّى إذا احتدم الوغى ... لأثوابها دون الكتيبة لابسُ(۷)

بضربٍ كما اختارتْ شِفارُ «مَناصلٍ» ... وطعنٍ كما شاء الكَمِىُّ المداعسُ(۸)

---

(۱) النصول : جمع النصل وهو حديدة السهم أو السيف وكل آلة حادة ، والقيون : جمع القين وهو الحداد ، والمداوس : جمع المدوس وهى خشبة يشد عليها مسن يدوس عليها الصيقل (وهو صانع السيوف) .

(۲) يبتدرن : يسرعن إلى ويقصدن ، ومغمس : موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة (الذى أراد هدم الكعبة) ، والخوامس : الإبل التى ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع ، والخمس (بكسر الخاء) : من أظماء الإبل .

(۳) السرى : السير ليلا ، والبلى : الرثاثة والركة والقدم ، والمعاجس : مقابض الأقواس .

(٤) جمعاً (بلالام) : المزدلفة ، واللواغب : جمع اللاغب وهو المتعب المعى ، والمضماض : الحرقة ، وتماكس : كتماطل وهو من المماكسة فى الشراء وهى طلب الحط من الثمن ؛ والمكس : النقص .

(٥) هرقوا : صبوا وأراقوا ، والجمار : موضع رمى الجمرات بمنى ، والمستبل : الرطب ، والجامس : الجامد .

(٦) المشيع : السيد الشريف الذى تشيعه الناس أى تمشى وراءه ، والروع : الحرب ، والمغنى : المنزل

(۷) احتدم : اشتد ، والوغى : الحرب ، والكتيبة : القطعة من الجيش .

(۸) الكمى : الشجاع ، والمداعس : الطاعن ، وفى الأصل « مناضل » بالضاد مصحفة عن مناصل وهو جمع منصل « كقنفذ » وهو السيف .

تطامَنَ عنّي كلُّ ذي خُنْزُوانَةٍ وغمّض دوني الأبلجُ المتشاوسُ (١)

فلم يُرَ لِي لمّا سمقتُ مُطاوِلٌ ولم يبقَ لي لمّا سبقتُ منافِسُ (٢)

وذلّلتُهـا هوجاء « سامية » القَرا وما كلُّ روّاضٍ تطيعُ الشّوامِسُ (٣)

فقل للذي يبغى الفَخَـارَ ودونَهُ مفاوزُ لا تستطيعهنَّ العرامِسُ (٤)

قعدتَ عن الحُسنىٰ وغيرُكَ قائمٌ وقمتَ إلى السوأى وغيرُكَ جالسُ

ورُمتَ الذى لم تسعَ يوماً بطُرْقِهِ ونَيْلَ الجَنَىٰ عفواً وما أنتَ غارسُ

وإنّى ببرْحِ الأمر فى القومِ ناهضٌ وأنتَ عن الأمر المُبْرِّحِ «خانِسٌ» (٥)

ولِي النظَرُ السّامى إلى كلِّ ذِرْوَةٍ فكيف تساميني العيونُ النّواكِسُ؟

ترومون أن تعلوا وأنتمْ أسافلٌ وأن تُشرقوا فينا وأنتم حنادس (٦)

نَهِسْتُمْ لعَمْرى مَرْوَتى جهلةً بهـا فيا للنُّهى ماذا استفاد النّواهسُ؟ (٧)

وكيف عجَمْتُمْ هاتِمـاً كلَّ عاجمٍ ومارستُمُ مَن كلَّ عنه المارسُ (٨)

فمـا لمجاجى منكُمُ اليومَ تابعٌ ولا لعُبابى منكُمُ اليومَ قامسُ (٩)

---

(١) تطامن : خضع وذل ، والخنزوانة : الكبر ، والأبلج : المسفر ، والمتشاوس: الناظر بمؤخر عينيه نظر ذي كبر ونخوة .

(٢) سمقت : علوت .

(٣) القرا : الظهر ، والشوامس : جمع الشامس وهو من الخيل الممتنع على فارسه ، والرواض : الذى يروض المهر أى يجعله مذللا مطيعاً ، والسامية : العالية ، ولعلها محرفة عن « شامسة » بدليل الشطر الثانى ، (وقد مر شرحها)

(٤) العرامس : جمع العرمس بكسر (العين والميم) وهى الناقة الصلبة .

(٥) البرح : الشدة والشر ، والخانس: المتأخر المتوارى ، وفى الأصل « خالس » والظاهر تصحيفها عما أثبتناه .

(٦) الحنادس : جمع الحندس (بكسر الحاء والدال) : الظلام الحالك .

(٧) نهستم : من النهس وهو كالنهش أخذ الشىء وعضه بمقدم الأسنان ، والمروة : الصخرة ، والنهى : العقول ، والنواهس : جمع الناهس وهو مخالف للقياس إلا إذا عدهم من الحيوان .

(٨) عجمتم : من عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته ، والهاتم : الكاسر ، ومنه ضربه فهتم ثناياه ،

(٩) العباب : معظم الماء ، والقامس : الغائص والغواص .

فإنْ أنتمُ أقذيتمُ صفوَ عيشنــــا فقد رَغمتْ آنافُـكمْ والمعاطسُ (١)
وإنْ جرّ دهرٌ نحوكمْ بعضَ سعدِهِ فما أنتمُ فى الدّهرِ إلّا المناحسُ
ومن ذا الذى لولاى آوى سُروحَـكمْ وأنتمْ لآسادِ الخطوب فرائسُ ؟ (٢)
وما البيضُ بيضُ الهند لولا أكفّها وما الخيلُ يومَ الرّوْع إلّا الفوارسُ
وإنْ أنتَ لم تحرسْكَ نفسُك نجْدَةً فليس بحامٍ عن جنابك حارسُ (٣)
ومالك من كلّ الذين تراهمُ وإنْ غضبوا إلّا الطّلولُ الدّوارسُ (٤)

* * *

وقال فى الزهد :

المرء يجمــــع والدّنيـا مفرّقةٌ والعمرُ يذهب والأيّامُ تُختَلَسُ
ونحن نَخبِطُ فى ظلمـاء ليس بهـا بدرٌ يضىء ولا نجمٌ ولا قَبَسُ (٥)
فـكم نرتّقُ خرْقاً ليس مُرْتَتِقاً فيها ونحرسُ شيئاً ليس ينحرسُ (٦)
وكم نَذِلُّ وفينـا كلُّ ذى أنَفٍ ونستـكينُ وفينا العزُّ والشّوَسُ (٧)
وكيف يرضى لبيبٌ أنْ يكون له ثوبٌ نقىٌّ وعِرْضٌ دونه دَنِسُ ؟
أم كيف يُطْبَقُ يوماً جَفْنُ ذى دَنَسٍ وخلفـه فاغرٌ للموت مفـترسُ (٨)

* * *

---

(١) أقذيتم : كدرتم من القذى وهو القش وما أشبهه ، والمعاطس : الأنوف .
(٢) السروح : ماسرح من الماشية أى السوائم .
(٣) النجدة : الشجاعة .
(٤) الدوارس : المندرسات أى الذاهب أثرها .
(٥) القبس : الشعلة من النار .
(٦) نرتق : نلائم ونصلح .
(٧) الشوس : العزة والتكبر ، وأصل الشوس : النظر بمؤخر العينين تكبراً وتغيظاً .
(٨) الفاغر : الفاتح فاه .

وقال يفخر ويصف الذئب :

أيا حاديَ الأظعـــانِ لِمْ لا تُعرِّسُ ... لعلّك أنْ تحظى بقربك أنفسُ ؟ (١)
أنِخْ وأنضُ أحلاساً أكلْن جلودَها ... فصرن جلوداً طالما أنت « مُحلِسُ » (٢)
وإنْ كنتَ قد جاوزتَ بطنَ مُنَقَّبٍ ... وما فيـه من ظلّ يفي « فيَلبسُ » (٣)
ففي الحَزْنِ مُخضَرٌ من الرّوض يانعٌ ... وعَذبُ زُلالٍ بات يصفو ويَسْلَسُ (٤)
« تُدرِّجُـــهُ » أيدي الشّمال كأنّه ... إذا أبصرَتْهُ العين نَصْلٌ مضرَّسُ (٥)
وإنْ لم تردْ إلّا اللّوى فعلى اللّوى ... سلامٌ ففيــــه موقفٌ ومُعرَّسُ
وقومٌ لهمْ في كلّ عليـــاء منزلٌ ... وعزٌّ على كلّ القبائل أقعسُ (٦)
كرامٌ تضيء المشكلاتُ وجوهَهمْ ... كما شقّ في تمّ عن البدر طِرْمِسُ (٧)
وما فيهمُ للهُونِ مرعًى ومَجْثَمٌ ... ولا منهمُ للذلّ خدٌّ ومَعْطِسُ (٨)
خليليّ قولا ما أُسِرُّ إليـــكما ... وقد لَحَظَتْني عينُـــهُ المتفرّسُ
على حين زايلنـــا الأحبّةَ بغتةً ... وكلُّ جليدٍ يومَ ذلك مُبْلِسُ (٩)
صموتٌ عن النّجوى فإنْ سِيلَ ما بهِ ... فلا قولَ إلّا زَفرةٌ وتنفّسُ

---

(١) التعريس : نزول المسافر للاستراحة .

(٢) انض : انزع ، والأحلاس : جمع الحلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج ، والمحلس : واضع الحلس ، وأحلس بالمكان : لازمه ، ومنه : « كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزموها ، وفي (س) « تحاس » بدل « محلس » .

(٣) « يلبس » كذا في (هـ) وفي النسخ يبلس .

(٤) الحزن (بالفتح) : ماغلظ من الأرض

(٥) تدرجه : تجعله متدرجاً كحبك الماء أو الرمل ، وفي (هـ وس) « ترَوجه » ، والنصل : السيف ، والمضرس : الذي فيه نتوءات كأنارعض الضرس .

(٦) الأقعس : الثابت .

(٧) الطرمس : الظلام .

(٨) الهون : الهوان والذل .

(٩) مبلس : متحير .

تُزعزعُـــهُ أيدى النّوى وهو لابثٌ ... وتُنطقهُ شكوى الهوى وهو أخرسُ
وممّا شجانى أننى يومَ بينهمْ ... رجعتُ ورأسى من أذى البين «مُخلسُ»[1]
وقد كنتُ أخفيتُ الصّبابةَ منهمُ ... فنمّ عليهـا دمعِيَ المُتبجّسُ[2]
عشيّـةَ أُخفى فى الرّداءِ مسيلَهُ ... ليحسبَ صحبى أنّنى مُتعطِّسُ
وليلةَ بتنا بالثنيّـةِ سُهّدًا ... وما حَشْوُها إلّا ظلامٌ وحِنْدِسُ[3]
وقد زارنا بعد الهُدُوِّ توصُّلًا ... إلى الزّادِ غَرْثانُ العشيّاتِ أطْلَسُ[4]
شديدُ الطَّوى عارى الجناجِنِ مابهِ ... من الطُّمْ إلّا مايُظَنُّ ويُحْدَسُ[5]
أتانِىَ مُغْبرَّ «السَّراةِ» كأنّه ... من الأرض لولا أنّه يتلمّسُ[6]
تضاءلَ فى قُطْرَيه يكتم شخصَه ... وأطْرَقَ حتّى قلتُ ما يتنفّسُ[7]
وضمّ إليه حِسَّهُ متوجّساً ... وما عنده فى الكيد إلّا التوجّسُ[8]
يخادِعُنِى من كَيْسِهِ عن مطيّتى ... ولم يدرِ أنّى منه أدهى وأكْيَسُ[9]
وأقْعى إزاءَ الرّحالِ يطلب غِرّةً ... ويُلقِى إليه الحرصُ أنْ سوفَ أنعسُ[10]
فقلتُ له لمّا توالى خداعُهُ: ... «تَعزَّ» فما عندى لنابك مَنْهَسُ[11]
وما كنتُ أحميك القِرى لو «أردتَهُ» ... برفقٍ ولكن دار منك التَّغَطْرُسُ[12]

---

(١) أخاس الرأس : ابيض بعضه أى شاب .
(٢) نم : دل ، والمتبجس : المتفجر .
(٣) الحندس : الظلام الحالك.
(٤) الغرثان : الجائع ، والأطلس : الذئب .
(٥) الطوى : الجوع ، والجناجن : عظام الصدر ، والطعم (بالضم) : القدرة .
(٦) السراة : أعلى الظهر ، وفى (س) « السواة » مصحفة .
(٧) أطرق : أغمض جفنيه .
(٨) توجس : أضمر ، والوجس (بوزن الفلس) : الصوت الخفى .
(٩) الكيس : العقل .
(١٠) أقعى : قعد على أليتيه ونصب ذراعيه ، والغرة : الغفلة .
(١١) فى (ش) «تعر» مصحفة عن « تعز » .
(١٢) فى (ه ، ش) « أذعته » فى موضع «أردته» .

فلمّا رأى صبرى عليه وأنّني ... أضنُّ على باغى خداعى وأنفسُ (١)
« عوى » ثم ولّى يستجير « بشدّة » ... ويطلبُ بَهْماً نام عنها المُحَبَّسُ (٢)
وكم خطّةٍ جاوزتُها متمهّلا ... وعرضِىَ من لوم العشيرة أملسُ
ومَكْرُمةٍ أعطيتُها متطلقاً ... وقدضنّ بالبذل «الخسيس» المُعَبَّسُ (٣)
وطُرْقٍ إلى كسب المكارم والعُلا ... وبذلِ اللُّها «أنهجتُها» وهى دُرَّسُ (٤)
ومولّى يداجينى وفى لحظاته ... شراراتُ أحقادٍ لمن يتقبّسُ (٥)
يرمّسُ ضِغْناً فى سويداء قلبه ... ليُخفِيَهُ لو كان للضِّغْنِ مَرْمَسُ (٦)
ويعجبُ أنّى فى الفضائل فتُّهُ ... ولمْ لا يفوتُ المصبحين المُغَلِّسُ ؟ (٧)
كأنّى وإيّاهُ مُعَنًّى بمُدْنَفٍ ... يَبِلُّ قليلا ثم يأبى فينكسُ (٨)
ومُشْكلةٌ أخلاقُهُ وخصالُهُ ... كما شئتَ لمّاعاً يضىء ويُبْلِسُ (٩)
فلا أنا عمّا يثمرُ الوصلُ أنتهى ... ولا هو عن شأوِ القطيعة يحبسُ (١٠)

* * *

---

(١) أضن : أبخل .

(٢) فى (ه) « عرى » مصحفة عن « عوى » ، وفى ه « بشده » بالهاء ، ومعناها بعدوه بدل « بشدة » ، والبهم : جمع بهمة وهى ولد الضأن .

(٣) فى (ه) « البخيل » بدل « الخسيس » .

(٤) اللها : جمع اللهوة وهى العطية ، وأنهجتها : أوضحتها ، ولعلها « أبهجتها » من البهجة ؛ والدرس : المندرسات أى الذاهبة الأثر .

(٥) يداجى : يدارى ، والقبس : الشعلة من النار .

(٦) يرمس : يدفن ، والضغن : الحقد .

(٧) المغلس : السائر فى الغلس وهى ظلمة آخر الليل .

(٨) المدنف : المريض ، وأبل من مرضه : شفى .

(٩) يبلس : يظلم .

(١٠) الشأو : الغاية .

وقال فى العتاب :

أجيرتَنا لاجمّع اللهُ شملَنا — فما أنتمُ إلّا الذّئابُ الأطالسُ (1)
وما أنتمُ إلّا سَرابٌ بقيعَةٍ — تغُرُّ برؤياه الظّماء الخوامسُ (2)
وما أنتمُ فيما رجاكمْ وما درى — لمنفعةٍ إلّا الطّلولُ الدّوارسُ
بذلتُ لكمْ منّى الودادَ تكرّماً — وما فيكمُ إلّا الذى هو شامسُ (3)
ولان لكمْ صعبى وأغصانُ دوحتِى — وأغصانُكمْ لى كلَّ يوم يوابِسُ
متى أمتلأتْ أبصاركمْ من فضيلتى — ففيهنّ عُوّارٌ بها ونواخسُ (4)
وإنْ تُنبئوا عنّى بأدنى مسرّةٍ — فليس لكمْ إلّا الوجوه العوابسُ
وهل حسَدُ الأقوام طاروا إلى العُلا — وأنتمْ بطاء الخطو إلّا وساوسُ
فلا وردتْ ماء زُلالًا مشافرٌ — ولا حُيِّيَتْ منكمْ بخيرٍ معاطسُ (5)
ولا كنتمُ إلّا كما تكرهونَهُ — ولا اعتادكمْ نوءٌ من الرّزق راجسُ (6)

* * *

(1) الأطالس : جمع الأطلس وهو متغير اللون إلى سواد ، والوجه أن يقال « الذئاب الطلس » لأنه فى حيز الوصفية .

(2) بقيعة : بقيعان ، ومفرد القيعة : القاع وهى الأرض السهلة المطمئنة ، والخوامس : الإبل التى رعت ثلاثة أيام ووردت الرابع .

(3) الشامس من الخيل : المتنع على الراكب والصعب قياده .

(4) العوار : مايصيب العين من رمد ، أو بثرة فى الجفن الأسفل من العين .

(5) المشافر للابل : كالشفاه للانسان ، والمعاطس : الأنوف .

(6) النوء : السحاب المنذر بالمطر ، وراجس : مرعد ومصوت .

قافية السين المفتوحة

وقال يرثى ويذكر غرضاً له :

ألم تسأل الطَّلَلَ الدَّارسا ... وكنتَ به واقفاً حابساً ؟ (1)
وقد كان عهدى به ضاحكاً ... فكيف أستحال بِلًى عابسا ؟
ومالكَ مستوحشاً وسْطَهُ ... وما كنت إلّا به آنسا
ومن أجل أنّك أنكرتَهُ ... بعينك ظَلْتَ له لامِسا
ويا ليتنى حين قابلتُهُ ... دُرِستُ ولم أره دارسا
فكمْ قد رأيتُ غزالًا به ... لثوب الصِّبا والهوى لابسا
يَميسُ دلالًا وكم فى الغصو ... نِ مالستُ أرضى به مائسا (2)
سُقيتَ الرَّواء فقد طالما ... سقيتَ فروّيتَه خامسا (3)
ولا زال مَرُّ نسيمِ الرِّيا ... حِ عليك كَليلَ الشَّبا ناعسا (4)
ولا فَرَسَتْكَ نيوبُ الزَّما ... نِ فقد كنتَ دهراً لها فارسا (5)
ألا أين من كنتُ أرنو إليـ ... ـه برَبْعِكَ مُرتفعاً جالساً ؟
ومن كان عزًّا لبدر السما ... ء بأَخْمَصِه أبداً دائساً ؟
تعيدنى منه بالمأثُرات ... وكنتُ على غيره شامسا (6)

---

(1) الدارس : المندرس وهو الذى ذهبت آثاره وعفت ، وحبس الدابة : أوقفها .
(2) يميس : يميل .
(3) الرواء : الماء الكثير المروى ، والخامس من الإبل : الذى رعى ثلاثة أيام وسقى فى الرابع .
(4) الكليل : غير الماضى ، والشبا : الحد .
(5) النيوب : جمع الناب .
(6) المأثرات : جمع مأثرة (بفتح الثاء وضمها) : هى المكرمة والفعلة الحميدة ، والشامس من الخيل : الممتنع على فارسه .

وكانَ لعيني الصّباحَ المنيـ ... ـرَ فقوموا أنظروا ليليَ الدّامسا

فأيَّ فتى لم يكن في مجا ... رِ أنعُمِهِ القائمَ القاعسا (1)

وقد كان غصنُ النّقا مورقاً ... فأصبح من بعده يابسا (2)

ونوء الرّماحِ وبيض الصّفائح ... عاد بنا جامداً جامسا (3)

مضى عجِلاً كضياء الزّناد ... كنتُ له قادحاً قابساً

كأنّ لقلبيَ منه الحريقَ ... عليه وفي عينيَ النّاخسا

ومن عجبٍ أنني حين خا ... ب ظنّي وعاد به خائسا (4)

رحلتُ به نحو دار البلى ... جهاراً وأعطيتُه الرّامسا (5)

فلا سكنوا بعده منزلاً ... ولا شمّتوا بعده عاطسا (6)

ولا نبهوا لنظام المديحِ ... في أحدٍ بعده هاجسا (7)

عليكَ السّلامُ وإنْ كنتُ منْ ... لقائك طول المدا آيسا

وخذْ من دموعِي الغزار التي ... أكون بها أبداً نافسا

وقد ضاع بعدك من ذدت عنه ... ه طويلاً وكنتَ له حارسا

فبيني وبين خطوب الزّمان ... حروبٌ ذكرتُ لها داحسا (8)

ولولا جنونُ مقاديره ... لما سبق الرّاجلُ الفارسا

ولا كان هادم ما يبتنيه ... ه وقالعُ أغراسه غارسا

---

(١) القامس : الغائص .

(٢) النقا : كثيب الرمل .

(٣) النوء : المطر ، والجامس : الجامد واليابس .

(٤) الخائس : الغادر وناقض العهد .

(٥) الرامس : الدفان .

(٦) شمت العاطس وسمته (بالشين والسين) : قال له « يرحمك الله » .

(٧) الهاجس : الخاطر .

(٨) داحس : اسم حرب بين عبس وذبيان سميت باسم فرس قيس بن زهير العبسي .

سقتني وياليت لم يسقني نعيماً تراني له قابسا (١)
وأسمنني وكسا أعظمي وعاد لها عارقاً ناهسا (٢)

* * *

وقال في الشيب :

تقول لي وأماقيها مطفحة من ذا أبان على صبغ الدجى قبسا ؟ (٣)
من ذا الذي علّ من فوديك لونهما وشلّ حسنك فيما سلّ أو خلسا ؟ (٤)
ما لي أراك ونورُ البدر منكسف في وجنتيك وخطّ فيهما طمسا ؟
كأنما أنت ربعٌ ضلّ ساكنه أو منزلٌ عطّلٌ من أهله درسا
ما ضرّ شيباً وقد وافى بمفرده تقذى النواظرُ لو أبطا أو احتبسا
أما علمتَ بأنّا معشرٌ جزُعٌ نقلي الصباحَ ونهوى دونه الغلسا ؟ (٥)
فقلتُ ما كان من شيء عصيتُ به ربي وإنْ ساء مني القلبُ محترسا
وما الشبيبة إلا لبسةٌ نزعتْ بُدّلتُ منها فلا تستنكري اللُّبسا
وفيّ كلُّ الذي تهوين من جَلَدٍ فما أبالي أقام الشيبُ أم جلسا (٦)
لا تطلبي اللهوَ مني والشيبُ علا رأسي فإنّ قعودَ اللهو قد شمسا (٧)
ولا تروى الذي عُوِّدتِ من مَلَقي فكلُّ ما لان من قلبي الغداة قسا

* * *

(١) القابس : القاذف ما في معدته من الشراب أو الطعام (المتقيء) .

(٢) عارقا : من عرق العظم وتعرقه أي أزال ما عليه من اللحم ، والناهس : الذي يأخذ اللحم برءوس أسنانه نتفا .

(٣) الأماق : جمع المأق وهو موق العين أي طرفها مما يلي الأنف ، ومطفحة : ممتلئة ، والقبس : شعلة النار .

(٤) عل : أمرض ، والفودان : شعر جانبي الرأس ، وخلس واختلس : سرق .

(٥) جزع : جمع جزوع وجازع ، ونقلي : نبغض ، والقلى : البغض ، والغلس : الظلمة .

(٦) الجلد (بفتحتين) : القوة والشدة .

(٧) شمس شموساً وشماساً : امتنع وأبى .

وقال فى الشيب :

لمّا أتانى وَدُرٌّ فى مُقَلَّدِهِ ... وأفترّ يبسم عن مثل الذى لَبِسا [1]
عطفتُ منه على ضَعْفِى فظاظَتَهُ ... فلم يَبِنْ لِى على رِفْقِى به وقسا
فظال يهتك منّى كلّ مُكتتمٍ ... جوًى ويسفح دمعاً كان مُحتَبَسا
وقال لى : أنتَ مسلولٌ ، فقلت له : ... ما كان ذاك ولكنْ ربّما وعسى

* * *

وقال فى معنى عرض له :

صدّتْ وما صدّها إلّا على ياسِ ... من أن ترى صِبغَ فَوْدَيها على راسى [2]
أحببْ إليها بليلٍ لا يضىء لها ... إلّا إذا لم تسرْ فيه بمقباسِ [3]
والشّيبُ داء لربّاتِ الحِجالِ إذا ... رأينَهُ وهْوَ داء ما له آسى [4]
يا قربَهُنّ ورأسى فاحمٌ رَجِلٌ ... وبُعدَهُنّ وشيبى ناصعٌ عاسى [5]
ما ذا يريبكِ من بيضاء طالعةٍ ... جاءتْ بحلمى وزانتْ بين جُلّاسى
وما تبدّلتُ إلّا خيرَ ما بَدَلٍ ... عُوّضْتُ بالشّيبِ أنواراً بأنقاسِ [6]
هيهاتَ قلبُكِ من قلبٍ ذهبتِ به ... هذا الضعيف وذاك الجلمد القاسى
تجزين وَصْلى بهجرٍ منك يمزج لى ... كأس التّمنّى وفى صِرْفُ الطّعم باليأسِ

---

(١) مقلده : موضع قلادته ، وافتر : ضحك .

(٢) الفودان : شعر جانبي الرأس .

(٣) المقباس : المصباح .

(٤) الآسى : الطبيب .

(٥) الفاحم : الأسود ، والرجل من الشعر : بين الجعودة والاسترسال ، والناصع فى البياض : شديده ، والعاسى : الجافى .

(٦) الأنقاس : جمع النقس وهو المداد أى الحبر الأسود .

ونابحٍ بِيَ دلَّتهُ غبـــاوتهُ حتَّى فرَتهُ بأنيـــابى وأضراسى [1]
عوى ولم يدرِ أنّى لا يُروِّعُنِي ن مثلِهِ جَرْسُهُ من بين أجراسى
فقـــل لمن ضلّ عجزاً أن يساميَنِي يا بُعْدَ أرضِكَ من طَوْدٍ لنا راسٍ [2]
وأين فرعُك من فرعى ومُنْشَعَبِى وأين أصلُكَ من أصلى وآساسى ؟
يا قومُ ما لى أرى عِـــيراً مُعَقَّلَةً « يثبرهنّ » اعتسافاً نخسُ نخّاسٍ [3]
والشرُّ كالعرِّ يُعدِى غـــيرَ صاحِبِهِ والــكأس ينزعها من غيره الحاسى [4]
وقد علمتمْ بمـــا جرتْ وما شمرتْ على العشائر دهراً كفُّ «جسّاسٍ» [5]
وأنّه واحـــدٌ شبّتْ جنايتهُ ناراً تَضَرَّمُ فى كُثْرٍ من النّاسِ
وإنّمـــا هاج فى عَبْسٍ وقومِهِمُ بنى فزارةَ حَرْباً سَبْقُ أفراسِ
والزِّبرقانُ أمتضى قول الحطيئَةِ فى أعراضِهِ خـــدعةً من آلِ شمّاسِ
كم تنبـــذون إلينا القولَ نحسبهُ ترمى إلينا به أعجاسُ أقواسِ [6]
يَحُزُّ فى الجـــلد منّا ثمّ نحملُهُ بُقياً عليكمْ على العينينِ والرّاسِ
فكم تَدِرّون شرًّا كلّ شـــارقةٍ وإنّمـــا الشرُّ يُستَدنى بإبساسِ [7]
وتحملون لنا خيلاً على جَـــدَدٍ من الطريق على مُسْتَوعِرٍ جاسٍ [8]
وكيف يصلُح قومٌ لم يَصِخْ لهمُ سمعٌ إلى عَـــذْلِ قوّامٍ وسُوّاسِ

---

(١) فرته : شقته .
(٢) الطود : الجبل .
(٣) النخس : كالوخز ، والنخاس الذى يبيع الدواب والعبيد ، وفى (ش) « يبزهن » مصحفة عن (يثبرهن) .
(٤) العر : الجرب ، والحاسى : الشارب .
(٥) هو جساس بن مرة مثير حرب البسوس .
(٦) أعجاس الأقواس : مقابضها .
(٧) الإبساس : تسكين الناقة عند الحلب أن يقال لها : بس بس .
(٨) الجاسى : القاسى الغليظ .

ضلّوا كما ضلّتِ العَشْواءُ يَرْكبُها ... جُنْحُ الدُّجى ظَهْرَ أجراعٍ وإرهاسِ (١)

لمّا حماها سوادُ الليل عن نظرٍ ... «يهدى» الطريقَ تقرّته بأنفاسِ (٢)

أما علمتم بأنا معشرٌ صُدُقٌ ... وأننا فى التلاقى غيرُ أنكاسِ ؟

وإن مشينا ، بجرّ الزَّغْفِ تحسبنا ... آسادَ بِيشةَ تمشى بين أخياسِ (٣)

وأننا لا يَمَسُّ الذمُّ جانبَنا ... ولا يَهُمُّ لنا ثوبٌ بأدناسِ

وتحسب الجارَ فينا من نزاهته ... معرِّساً فى الثريا أىَّ إعراسِ (٤)

إنّى أخاف وقد لاحتْ دلائلُه ... طلوعَ يومٍ بوَدْقِ الموتِ رجّاسِ (٥)

يلفى حليمُكمُ غيرَ الحليم به ... وكيِّسُ القوم فيه غيرَ أكياسِ (٦)

والرمحُ ينطِفُ فى خدِّ الثرى عَلَقاً ... نَطْفَ المزابرِ فى حافاتِ قرطاسِ (٧)

يومٌ ترى منكمُ فيه عدوَّكمُ ... ماشاء من قطْعِ أرحامٍ وأمراسِ (٨)

لا تطرحوا النُّصْحَ منّى وهو متَّبَعٌ ... طَرْحَ المُبِنِّ بأرضٍ سُحْقَ أحلاسِ (٩)

ولا تكونوا كمن لم يدرِ فى مَهَلٍ ... من ساعةِ الأمن عُقْبى ساعةِ الباسِ

فإنّما يذكر الإنسانُ حاضرَهُ ... وكلُّ أمرٍ بما يَمضى به ناسِ

* * *

---

(١) جنح الدجى: ظلام الليل، والأجراع: جمع جرعة وجرعاء وهى الرملة المستوية، والإرهاس: الوطء الشديد والمضطرب .

(٢) فى (ش) « يهوى » مصحفة عن « يهدى » ، وتقرته : تأففته .

(٣) الزغف: الدرع الواسعة المحكمة،والبيشة: مؤنث البيش وهو نبات فيه سم قاتل،والأخياس: جمع الخيس (بكسر الخاء) هو الشجر الملتف وغابة الأسد .

(٤) الإعراس والتعريس : نزول المسافر للاستراحة .

(٥) الودق : المطر ، والرجاس : ذو الرعود والأصوات .

(٦) الأكياس : العقلاء .

(٧) ينطف : يقطر ، والعلق : الدم ، والمزابر : جمع المزبر وهو القلم .

(٨) الأمراس : الحبال وهو جمع الجمع والجمع مرس ، والمفرد مرسة .

(٩) المبن : المقيم والفعل أبن (بتشديد النون) ، والسحق : البالية ، والأحلاس : جمع الحلس وهو كساء رقيق يوضع تحت سرج الفرس أو تحت البردعة .

وقال يخاطب الشريف نقيب النقباء « أبا الحسين » الزينبي

ويصف (ما وشج الله تعالى من الحال بينهما)(١) :

ألا إنّى وهبتُ اليومَ نفسى … لمن هو فى المودّة مثلُ نفسى
ومن لولاه « لاستوبأتُ » وِرْدِى … ولاستخشنتُ مَسّى عند لَمْسى(٢)
فتىً ناط الإلهُ به فروعى … ولفّ بأصلِه أصلى وجنسى(٣)
أصولُ به على كَلَب الأعادى … وآوى منه فى هَضَبات قُدْسِ
وضوءُ جبينه ليلاً وصُبحاً … إذا قابلتُهُ بدرى وشمسى
فقل للزينبىّ مقالَ خِلٍّ … صريحِ الوُدّ لم يُلْبَس بلَبْسِ
أتذكرُ إذْ هبطنا ذاتَ عِرْقٍ … ونحن معاً على أقتادِ عَنْسِ ؟(٤)
على هوجاء يُخرجها التّنزّى … أمامَ اليَعْمَلاتِ بغير حِلْسِ(٥)
وإذْ سالتْ إلينا من هُذيلٍ … شعابُ الواديين بغير بَخْسِ(٦)
رجالٌ لايبالون المنايا … تُصبّحهمْ نهاراً أو تُمَسّى
بألسنةٍ خُلقن لغير ذوقٍ … وأفواهٍ شُققن لغير نَهْسِ(٧)
يُشيمون الطّعامَ النّزْرَ فيهمْ … إذا ما الزّادُ أمكن كلَّ « حَرْسِ »(٨)

---

(١) كذا والصحيح أن كنيته « أبو الحسن » وقد ورد ذكره وترجمته فى الجزء الأول « ص٩٢ » من هذا الديوان ، وفى (س) « ويصف المودة بينهما » .

(٢) استوبأ الورد : وجده وبيئاً واستوخمه ، وفى (س) « ما استوبأت » وهو خطأ وفى (ه) « لاستربأت » مصحفة .

(٣) ناط : علق .

(٤) ذات عرق : موضع ، والأقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل ، والعنس : الناقة القوية .

(٥) التنزى : الوثوب والتسرع ، واليعملات: جمع اليعملة واليعمل وهى الناقة أو الجمل المجدان فى السير المطبوعان على العمل ، والحلس : غشاء رقيق يوضع تحت السرج أو البرذعة .

(٦) البخس : النقص .

(٧) النهس : كالنهش وهو أخذ الشيء بأطراف الأسنان نتفاً .

(٨) النزر : القليل ، وفى (س) « ضرس » مصحفة عن « حرس » .

كأنهم على الحرات منها وقد طلعوا عليك بغير لُبسِ (١)
نفيتهم وقد دلفوا إلينا بزوراء المناكب ذات عَجْسِ (٢)
كأن حنينها للنزع فيها حنينُ مُسنَّة فُجعت بخمسِ (٣)
ولما أن لقوا منا جميعاً شفاء الهمّ فى ضربٍ ودَعْسِ
علوا قَذَلا لكلّ أشمّ طَوْدٍ على طُرُقٍ من الآثار طُمْسِ
كأن غروبَ قَرْنِ الشمسِ يطلى ذوائبَه وأعلاهُ بورْسِ (٤)
فداؤك أيها المحتلُّ قلبى حياةُ مُرَوَّعِ الأحشاء نُكْسِ (٥)
يُعرِّدُ قبل بارقةِ المنايا ويتخذ الهزيمة شرَّ تُرْسِ (٦)
فكم شاهدتُ قبلك من رجالٍ وددْتُ لأجلهمْ ما كان حِسّى
حدستُ بأنّ عُمْدَهُمُ ضعيفٌ وكانوا فى الركاكة فوق حدْسى
بأجلادٍ من التقريف بيضٍ وأعراضٍ من التقريف غُبْسِ (٧)
كأنّ مقامَ جارِهِمُ عليهمْ مقامُ مؤمّلٍ لرجوع أمسِ
ينادى منهمُ مَن صمَّ عنه كما رجعتْ تَندُّبُ أهلُ رَمْسِ (٨)
ولمّا أنْ نزلتُ بهمْ قرَوْنى جفانَ خديعةٍ وكؤوسَ ألْسِ (٩)

---

(١) الحرات : جمع الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود .
(٢) دلفوا : تقدموا ، والزوراء : المنحرفة والبعيدة ، والمناكب : جمع المنكب ، وهو مجتمع رأس الكتف بالعضد ويقصد بها القوس ، والعجس مثلثة : مقبض القوس .
(٣) النزع فى القوس : مدها للرمى بالسهم .
(٤) الورس : نبت أصفر .
(٥) المروع : الخائف الفزع ، والنكس : منتكس الرأس أى الذليل .
(٦) يعرد : ينحرف ويهرب ، والترس : الصفحة المستديرة من الفولاذ يستعملها المحارب للوقاية من الضرب والطعن .
(٧) التقريف : العيب ، وغبس : مسودة .
(٨) الرمس : القبر .
(٩) قرونى : أضافونى من القرى (بالكسر) وهو طعام الضيف والألس : الخيانة والغش .

وعدتُ وليس فى كَفَّىَّ لمّــــا   شربْتُهمُ سوى وَكْسٍ وبَخْسٍ (١)

« يَسومُها » مسوِّفُهَا الرَّكايا   وفى الأحشاء حاجٌ ليس يُنسى (٢)

يُشــــاطرك الهمومَ إذا ألمّتْ   ويُوسعك التقيُّلَ والتأسِّى (*)

وغُصنُك من مودّتهِ وَرِيقٌ   وغرسُك فى ثراهُ خيرُ غَرْسِ

وقانى اللهُ ماأخشـــاه فيمنْ   به من بين هـــذا الخلق أُنسِى

ونــكّبَ فيــه عن قلبي الرّزايا   فأصبِحُ آمناً أبداً وأُمسِى

* * *

وقال (أدام الله علوه) وقد اجتاز على المقبرة العتيقة الموازية لمسجد براثا (صلوات الله على صاحبه) ورأى خشوعها ودثورها :

إنّى مررتُ على جنـــا   دِلَ فوق أرْماسٍ دُروسِ (٣)

مُحِيَتْ على « قُرِّ » الشّتا   ءِ وحرِّ هاجرةِ الشُّموسِ (٤)

فــكأنّهنّ من البِـلىٰ   آثارُ « نِقْسٍ » فىطُروسِ (٥)

كم ضَمَّنَتْ من ضيغمٍ   قَرِمٍ إلى «قنص» النفوسِ (٦)

« ومتوّجٍ » سحب الــكما   ةُ وراءه ذيلَ الخميسِ (٧)

---

(١) الوكس : النقص .

(٢) فى « ش » « ينسيها » بدل « يسومها » ، وفى (ه) « يسويها » مصحفات ، والمسوق (بالقاف): مبالغة فى السائق ولعل الأصل يسوفها (بالفاء) من التسويف أى الوعد ، فهو يعدها ورد الركايا التى هى جمع الركية وهى البئر .   (*) تقيل أثره اتبعه

(٣) الأرمارس : جمع الرمس وهو القبر ، ودروس : مندرسة .

(٤) القر : البرد ، وفى ، (س) (مر) ، والهاجرة : شدة الحر ومنتصف النهار .

(٥) النقس : الحبر الأسود ، وفى (ه) « نقص » محرفة عن « نقس » ، والطروس : جمع الطرس وهى الصحفة التى محيت ثم كتبت .

(٦) القرم : المشتهى ، وقرمت نفسه إلى اللحم : اشتهاه ، وفى (س) «قتل» بدل «قنص» وفى (ه) «فيض» وما وضعناه أنسب .

(٧) فى (س) « ومعرج » بدل « ومتوج » وفى (ه) « ومنوح » والكل محرف وماوضعناه هو الصحيح ، والخميس : الجيش .

« وغزير » ماء الوَجْنَتيـــن كريمِ ناحيةِ الجليسِ
يُعطي الكثيرَ إذا النفو سُ شَحَحْنَ بالنَّزْرِ الخسيسِ
بَعُدوا على قُرْبِ المزا رِ عن السعادةِ والنُحُوسِ
وكأنهمْ لخفوتِهمْ شَرْبٌ تساقَوْا بالكؤوسِ (١)
تخذوا الثرى فَرْشاً لهمْ وتوسدوا قُلَلَ الرؤوسِ
يا للثرى كم فيــه مِنْ عِلْقٍ يُضَنُّ به نفيسِ (٢)
حمَلتْهُ أيدي المُشفقِيـ نَ إلى قرارةِ كلِّ بوسِ (٣)
وتصدّعوا وهُوَ المُنىٰ عن قبره صَدْعَ «السُّدوسِ» (٤)
تركوه في ذاك الفضاء الرَّحبِ مُفْتَقَــدَ الأنيسِ

***

وقال في الشيب :

شبابكِ عنّي فالمشيبُ لباسي وقد ملأتْ منــه الطوالعُ راسي
ولا تطلبي عندي الصَّبابةَ بعدها سفاهاً فإني للصَّبابةِ ناسِ
فلم تُلْفَ إلّا بالمشيبِ عَرامَتي ولم يُنْجَ إلّا بالمشيب شِماسي (٥)
ومن غير أحواضِ البَطالةِ مشربي وفي غير أسبابِ الغرامِ مِكاسي (٦)
ومالِيَ تعريجٌ إلى رِيمِ رملةٍ ولا لِيَ إلمامٌ بظبْي كِناسِ (٧)

---

(١) الشرب : القوم الشاربون .
(٢) العلق : الجوهر الثمين ، ويضن : يبخل .
(٣) المشفقين : الخائفين الحذرين .
(٤) تصدعوا : تفرقوا، والسدوس: أصله « السدبس » أي المؤلف من ستة أجزاء فيكون وصفا للجفنة المركبة من ستة أجزاء ، وتصدعها : تفرق أجزائها ، وفي (ه) « الصدوس » بالصاد محرفة
(٥) العرامة : الشدة والصرامة ، والشماس : الامتناع وصعوبة الانقياد في الخيل وغيرها .
(٦) المكاس : كالمماكسة في البيع والشراء وهي طلب تخفيض الثمن .
(٧) التعريج: الإقامة، والريم : الظبي الخالص البياض، والكناس (بكسر الكاف) : بيت الظبي .

لقد كان قلبي كالقلوب على الهوى   فمذ زار هـــذا الشيب صُيِّرَ قاسِ
فلا لَهْوَ مُذْ لاح المشيبُ بمفرَقى   وصار قناعاً فى العيون لراسى (١)

* * *

وقال يرثى أخاه الرضى وقد توفى فى محرم « سنة ٤٠٦ » ، وذكر فخر الدولة لأنه قام فى دفنه ، إذ جزع المرتضى ، فذهب إلى الـكاظمين لئلا ينظر أخاه فى السياق:

قُدْنى إليك فقـــد أمِنتَ شماسى   وكُفيتَ منّى اليومَ صدقَ مِراسى (٢)
ولقيتنِي مُتخشّماً لا يُرتَجى   نفعى ولا يُخشى العشيةَ باسى
أسرِى بلا هادٍ بكلّ مضـــلّةٍ   وأجوبُ مُظلمةً بلا مقباسِ (٣)
وأذودُ عن قلبي الهمومَ كأنّنى   أحمى أسودَ شرّى عن الأخياسِ (٤)
وتُدِرُّ لى نُوَبُ الزمان مصائباً   فى كلّ شارقةٍ بلا إبساسِ (٥)
فى أسْرِ قاصمةٍ أُخادع جِـــيرتى   عنهـــا وأكتُمُ داءها جُلّاسى
فأنا الجريحُ بلا شفارِ صوارمٍ   وأنا الرَّمىُّ بغـــير ما أقواسِ
يا لَلرّجالِ لفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يدى   ووددتُهـــا ذهبتْ علىَّ براسى (٦)
ما زلتُ «أحذر» وِرْدَها حتى أتَتْ   فحسوتُها فى بعض ما أنا حاسِ (٧)
رادَيْتُها فلقيتُ منهـــا صخرةً   صَمّاءَ من جبلٍ أشمّ راسِ (٨)

(١) القناع : الخمار .
(٢) الشماس : صعوبة الانقياد فى الخيل وغيرها .
(٣) أجوب : أطوف ، والمقباس : المصباح .
(٤) الشرى : مأسدة فى جانب الفرات يضرب المثل فى أسودها ، والأخياس : جمع الخيس وهو غابة الأسد .
(٥) الشارقة : الصبيحة ، والإبساس : قول الحالب للناقة بس بس لتسكينها .
(٦) جذمت : قطعت .
(٧) فى بعض الروايات «آبى» بدل « أحذر » حسوتها : شربتها .
(٨) رادبتها : رامبتها .

وَمطلتُهـــا زمناً ولمّا صَمّمَتْ — لم يَثْنِها مَطْلى وطولُ مِكاسى (١)
ومنعتُهـــا دمعى فلمّا لم تجـــدْ — دمعاً تحـــدّر أوقدَتْ أنفاسى
ومصيبةٍ وَلَجَتْ على سُرُجِ الهدى — آلِ النبىّ حفائرَ الأرْماسِ (٢)
ثُلِموا بها بعد التمامِ كأنّمـــا — ثُلموا بجَدْعِ الأنفِ يومَ عِطاسِ (٣)
وتراهُمُ بعـــد الهدوّ كأنّهمْ — سِرْبُ الخميلةِ رِيعَ من فِرْناسِ (٤)
يا صاحِبِى هل نابَ سَمْعَك مثلما — قـــد نابنى نبأٌ أطار نُعاسى
لا أرتضى منـــه وضوحَ يقينِه — وأودُّ أنّى منـــه فى إلباسِ (٥)
أنحَى على كَبِدِى بوَشْكِ سَماعِهِ — ناراً تَحُزُّ جُنوبَهـــا بمواسى (٦)
وظَنَنْتُهُ مثلَ الرّزايا قبـــلَه — فإذا به رُزْءٌ عزيزُ الآسى (٧)
خطرٌ أُعُطُّ عليه صبرى بعـــده — وأُجِلُّه عن أن أُعُطَّ لباسى (٨)
لا تُنكِرا من فيض دمعِىَ عبرةً — فالدّمعُ خـــيرُ مساعدٍ ومواسى
وإذا سُئلتُ عن الذى بِىَ بعـــدَهُ — فصممتُ عنه فلا تَعِبْ إبلاسى (٩)
ونعِى إلىّ ، وليتَه لم ينعَ لى — عَنَتَ القُرومِ وفاضحَ السُّوّاسِ (١٠)
ومُعثّرَ النُّجَباء خلفَ ترابِهِ — ومُعجِّز النُّظَراء والأجنـــاسِ

---

(١) المكاس : كالمماطلة وطلب المكس أى النقص فى البيع والشراء .
(٢) ولجت : دخلت ، والأرماس : القبور .
(٣) الجدع : القطع .
(٤) السرب : القطيع من الغنم وغيره ، والخميلة : الموضع كثير الشجر ، وريع : روع وفزع ، والفرناس : الأسد .
(٥) الإلباس : الشك .
(٦) أنحى عليه : أقبل عليه ضرباً ، والمعنى هنا صب على كبدى وأفرغ ، والمواسى : جمع الموسى.
(٧) الآسى : الطبيب .
(٨) أعط : أشق، الإبلاس : الوجوم والسكوت من الغم .
(١٠) العنت (محركة) : الهلاك والشدة ، والقروم : جمع القرم ، وهو السيد المعظم والشجاع ، والسواس : جمع السائس .

مَن قاد شوسَ الفخر بعد تقاعُسٍ ... واستاقَ شُمَّ الذكر بعد شِماسِ (١)

مَن كان مَرْجوًّا لكلِّ حفيظةٍ ... تُدعَى ومدعوًّا ليومِ عَماسِ (٢)

مَن كان يأبَى فضلُه العالى الذُّرا ... مِن أنْ يُقاسَ إلى الورَى بقِياسِ

مَن كان طَلْقَ الوجهِ يومَ طلاقةٍ ... ومعبِّساً شَرِساً على الأشراسِ

ذاك الذى جمع الفخارَ لخارُهُ ... سَبْقاً إليه من جميع الناسِ

إنّ الفضائلَ بعد فقدِ « محمّدٍ » ... دَرَسَتْ معالمُها مع الأدراسِ

فالآن هنّ كشَنَّةٍ منبوذةٍ ... أو حِلْسٍ مُستغنٍ عن الأحلاسِ (٣)

« واهاً لعمرِك » من قصيرٍ طاهرٍ ... ولربَّ عُمْرٍ طال بالأرجاسِ (٤)

ولَتُربُ قبرِكَ ماحوَى من مُنتَحٍ ... جوّابِ أرضٍ فى عُلًا دَوّاسِ (٥)

بِنْنا وأنتَ لآملٍ حيث المُنَى ... وأبى الصّباحُ وأنتَ عند الياسِ

ياموتُ كيف أخذتَ نفسِيَ تاركاً ... نفساً عليها جَمّةَ الأنفاسِ؟

كيف اجتنبتَ سوى الأكارعِ عامداً ... وأصبتَ حين أصبتَ أمَّ الرّاسِ (٦)؟

ألا أخذتَ بمن أخذتَ عصائباً ... ليسوا لمَكرُمةٍ من الأكياسِ (٧)!

ووقيتَه بِى ماعراهُ فالرَّدَى ... ممّا يجود به الفتَى ويواسى

قلْ للذين تشامتوا فى يومِهِ ... ما بالرَّدَى طَرَقَ الفتَى من باسِ

---

(١) الشوس : جمع الأشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه غطرسة وعزة ، والتقاعس : التأخر. والشماس : من تفسيرها فى أول بيت من هذه القصيدة .

(٢) الحفيظة : الغضب والذبة عن الأعراض ، والعماس : الحرب الشديدة واشتداد الظلمة والأمر الذى لايقام له ولا يهتدى لوجهه .

(٣) الشنة : القربة الصغيرة البالية ، والحلس : غشاء يوضع تحت سرج الدابة أو تحت البرذعة .

(٤) فى بعض الروايات « لله عمرك » والأرجاس : الآثام : مفردها رجس.

(٥) المنتحى : القاصد والطالب ، والجواب : الطواف الجوال .

(٦) الأكارع : جمع كراع (بالضم) وهو من الإنسان مادون الركبة إلى الكعب ، وأم الرأس : الدماغ .

(٧) العصائب : الجماعات ، والأكياس : العقلاء .

إمّا مضى وبقيتمُ من بعـــــده ... فلقد مضى صِفراً من الأدناسِ [1]
هل فيكمُ من دافعٍ لِحمامِهِ ... فى هابطٍ من أرضِهِ أوجاسِ ؟ [2]
أو فائتٍ يوماً وقد بلغ المَـــــدا ... لَهَواتِ ذاكَ الفاغرِ الفرّاسِ ؟ [3]
ياساقِيَيَّ مِنَ الحاذِرِ شَرْبَةً ... ما ذقتما ، لاذقتما فى كاسِى
مادار ما أدْوَيتُما قلبى به ... من قبلُ فى فكرى ولا إيجاسى [4]
ها فانظرا منّى الدّموعَ غزيرةً ... وتعجّبـــا لخشوعِ قلبٍ قاسِ
وتعلّمـا أنّ الذى بِيَ كلّمــــا ... رقد المسلَّمُ هاجَ لى وسواسى
لو كان من يرمى سوادى باديا ... لَتَقَيتُهُ وحميتُ منــــه أناسى [5]
لـكنّه يخفَى علىَّ مكانُهُ ... ويَدِقّ عن بصرى وعن إحساسى
كيف النّجاء ولا نجا من جاثمٍ ... فيما يشــــاء من الفتى خنّاسِ [6] ؟
يَلِجُ البيوتَ منيعــةً لا تُرتقَى ... وتضِلُّ عنــــه أعينُ الحُرّاسِ
إنْ شـاء كان مواصلاً لمرائرى ... أو شاء كان معطّلاً أمراسى [7]
صلّى الإلهُ على ضريحك وارتوى ... من كلّ مُنهَمِرِ الحيا بجّاسِ [8]
صَخِبِ الرّعودِ كأنّ جَرْسَ غمامِهِ ... جَرْلا أُعِينَ بسائرِ الأجراسِ [9]

---

(١) صفراً : خالياً ، والأدناس : الأقذار والآثام والعيوب .

(٢) الجاسى : الصلب القاسى .

(٣) المدا : الغاية ، واللهوات : جمع اللهاة وهى الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم وتطلق غالباً على الفم نفسه من باب إطلاق الجزء على كله ، والفاغر : الفاتح فاه .

(٤) أدويتما : أصبتما بالداء ، والإيجاس : الخاطر .

(٥) السواد من القلب : حبته ، ومن العين : حدقتها .

(٦) الجاثم : البارك ، والخناس : المتخفى .

(٧) المرائر : الحبال المفتولة ، مفردها المريرة ، والأمراس : الحبال أيضا وهى جمع الجمع ، والجمع مرس (بفتحتين) ، والمفرد مرسة (بالتحريك) .

(٨) الحيا : المطر ، والبجاس : المتدفق .

(٩) الجرس : الصوت .

وكأنما رُكامُهُ متلبِّداً ... عِيسٌ مُعَقَّلَةٌ إلى أعيـاسِ (١)

وَرَمَتْ رياحُ الجوِّ تُربَكَ كلّما ... رمتِ الثرى بالناعمِ الميّاسِ (٢)

حتّى يُرى خَضِلًا تُعانِقُ حولَهُ ... قُضُبُ الأقاحي مائلاً للآسِ (٣)

مَنْ مبلغٌ فخرَ الملوكِ بأنني ... للفضل من نعماهُ لستُ بناسِ ؟

شرّدتَ عنّي كَرْبَهَا من غُمَّةٍ ... وعدلتَ لي الإيحاشَ بالإيناسِ (٤)

وخلستَنِي منهـا وقد ضمّتْ على ... جلدي الرّواجبَ أيَّ يومِ خلاسِ (٥)

إن كان فرعي قد مضى وبقيتَ لي ... فالفرعُ مسدولٌ على الآساسِ

ولئنْ رُزِئتُ فقد محوتَ رزيّتي ... بيديك مَحْوَ النِّقْسِ من قرطاسِ (٦)

* * *

وقال في الافتخار في محرم « سنة ٤٣٤ » :

قد زرتَ ليـلة هوّمنـا على العيسِ ... ونحن نطوي الفَلا من غير تعريسِ (٧)

زيارةً إنْ تـكنْ زوراً فقد نفعتْ ... ونفّستْ من خناقٍ أيَّ تنفيسِ

ومُتعةٍ لم يسرْ فيهـا الملامُ ولا ... أُطيعَ أمرٌ بها يوماً لإبليسِ

أمسـكتُ نفسي بها والهمُّ يَحفِزُها ... حَفْزَ الرّياحِ ثرى البيدِ الأماليسِ (٨)

---

(١) الركام : السحاب المتراكم ، والمتلبد : المتجمع كاللبد ، والعيس : الإبل .

(٢) المياس : المتمايل ومن الغصون اللدن الناعم .

(٣) الخضل : المبتل ، والأقاحي : جمع الأقحوان وهو نبت طيب الرائحة .

(٤) الغمة والـكربة: النازلة التي تغم وتـكرب.

(٥) خلستني : استرقتني ، والرواجب : جمع الراجبة وهي قصب الأصابع وتطلق على اليد مجازا .

(٦) النقس: الحبر الأسود .وقد أورد الدكتور عبد الرزاق محي الدين في كتابه «أدب المرتضى» بضعة أبيات من هذه القصيدة العصماء وتعقب بالرد عليها وتوهين بعض أبياتها ومعانيها بما لا طائل تحته آثرنا عدم التعليق على ذلك لبرودة النقد وتعسفه ، وقد انبرى للرد على محي الدين الأخ الفاضل الأديب السيد محمد الحيدري بكتابه الممتع « مع محي الدين في أدب المرتضى » فليراجع .

(٧) التهويم: هز الرأس من النعاس، والعيس : الإبل ، والتعريس : نزول المسافر للاستراحة.

(٨) البيد : الصحارى ، والأماليس : جمع الإمليس والإمليسة وهي الفلاة ليس فيها نبات .

ماذا أردتَ بِما أوْ لَيْتَنِيهِ فقد   أنِستُ من جَزْعِ وادٍ غيرِ مأنوسِ (١)
وكيفَ عاجَ شبابٌ لا ازورارَ به   ولا أعوجاجَ على شَيْبٍ وتقويسِ (٢)
وما ظننتُ طليقاً ماله أرَبٌ   يأتى بجُنْحِ الليالى رَبْعَ محبوسِ (٣)
حلفتُ بالبيت مَلْقَى اللائذين به   هنالك مابين تسبيحٍ وتقديسِ
أتوْه مَثْرِيَّةً ذنباً أكفُّهُمْ   وفارقوه بأيْمانٍ مفاليسِ
والمَوْقِفَين وما نحوّا على عجلٍ   عند الجمار من الكُوم القاعيسِ (٤)
وما أراقوه من جارى دمٍ بمَنًى   وأنشروا من نجيعٍ ثَمَّ مَرْموسِ (٥)
اَلمالُ أبذُلُهُ للطالبين له   جزءٌ من المال مغموماً به كيسى
والذِّكرُ منّى وإنْ رُحِّلْتُ تنقله   نجوَى الرّجال وأسطارُ القراطيسِ
وإنْ بقيتُ فللعلياء أركبها   والمجد مابين تصبيحٍ وتغليسِ (٦)
وللمآرب والحاجات أبلغها   فى المأثراتِ على رغم المعاطيسِ (٧)
وإنْ هُدِمْتُ كما شاء العدا بردًى   فما تهدّم بنيانى وتأسيسى
وإنْ فُقِدْتُ فلم يُفقَدْ ـ كما علموا ـ   قِهرى الأساودَ والآسادَ فى الخِيسِ (٨)
فليس تعريسُ مَن يرمى به قدرٌ   قفرَ الحفيرةِ إلّا كالتّعاريسِ (٩)
وماحنينِيَ إلّا للعلاء إذا   حنّ الرّجالُ إلى هذى الطّراميسِ (١٠)

---

(١) جزع الوادى : قطعه وعبوره ، (وبالكسر) : منعطف الوادى .
(٢) عاج : انعطف ومال .
(٣) الأرب (بالتحريك) : الحاجة ، وجنح الليل : ظلامه .
(٤) الموقفين : من مواقف الحج ، والجمار : موضع رمى الجمرات بمنى أيضاً ، والكوم : جمع الأكوم والكوماء ، وهى من الإبل الضخم السنام ، والقاعيس : جمع القعنس : وهو الشديد .
(٥) انشروا : أحيوا وأظهروا ، والنجيع : الدم ، والمرموس : المدفون والمخفى .
(٦) التغليس : الدخول فى الغلس وهى ظلمة آخر الليل
(٧) المأثرات : المكرمات ، والمعاطيس : الأنوف
(٨) الأساود : جمع الأسود وهو خبيث الحيات ، والخيس (بالكسر) : بيت الأسد .
(٩) التعريس : نزول المسافر للاستراحة .
(١٠) الطراميس : جمع الطرموس وهو خبز الملة .

وسيّرتْ سيرتى صحفُ الرُّواة وكم   من الأحاديث ملقىً غير مطروسِ (١)
أغدو وعِرْضىَ محروسٌ بلا أَمَلٍ   يسمو إليـه ومالى غـيرُ محروسِ
عَزَّ الّذى لا يبـالى أين مسكنُه   ولا يفرّق بين الخفْضِ والبوس (٢)
ياللرّجال لهمٍّ بات يَصحَبُنى   أنّىَ أقمتُ وفى سيرى وتعريسى
كأنّنى راكبٌ منـه على حَذَرٍ   قَرا طريقٍ خفىّ الأثرِ مطموسِ (٣)
لم يُعيِنى بعد أن أعيا الرّجال معاً   من بين شُمٍّ كنجم الأُفق أوشُوسِ (٤)
ولم يَرُعْنى وقد راعت صواعقُهُ   وسْط العرينةِ أحشاء العنابيس (٥)
ولا مزيّةَ لولا ما يجىءُ به   فضلُ الفتى بين مسعودٍ ومنحوس
ولم أكنْ قبلُ فى فضلٍ بمتَّبِـعٍ   ولم أكنْ قطُّ فى حىٍّ بمدموسِ (٦)
سَلْ عن ضرابى وعن طعنى لدى رَهَجٍ   نحرَ الكمىِّ وهاماتِ الكراديس (٧)
والسُّمرُ تترك فى كفّى نحورَهُمُ   مقسومةً بين معضوضٍ ومنهوسِ (٨)
والبيضُ تُسْمِـعُ فى هام الرّجال وفى   أعضائهمْ مثلَ أصواتِ النّواقيس
جاءوا صحاحاً بلا جُرحٍ ولا أثرٍ   ثُمّ انثنَوْا بين مضروبٍ ومدعوسِ (٩)
وإنّنِى كلَّ من شاغبتُ أفرِسُهُ   ولم أزلْ فى الأعادى غيرَ مفروسِ

---

(١) المطروس : المكتوب .
(٢) الخفض : سعة العيش والدعة ، والبؤس : الشقاء والفقر ، وقد سهلت الهمزة فصارت واوا .
(٣) القرا : الظهر ، والمطموس : المندرس .
(٤) الشم : جمع الأشم وهو السيد ذو الأنفة ، والشوس : جمع الأشوس وهو الناظر بمؤخر عينيه تكبراً وغيظا .
(٥) العرينة : بيت الأسد ، والعنابيس : جمع العنبس وهو الأسد.
(٦) المدموس : المدنس والخامل الذكر ومسود العرض .
(٧) الرهج : النقع وهو غبار الحرب، والكمى الشجاع المدجج بالسلاح ، والهامات : الرءوس ، والكراديس : جمع الكردوسة وهى الثلة من الخيل .
(٨) السمر : الرماح ، والمنهوس : المعضوض نتفاً بأطراف الأسنان .
(٩) المدعوس : المطعون .

لا أوحش اللهُ منّى كلَّ مُضطَجَعٍ من الفخار ولا رَحْلى ولا عِيسى
ولا رأتنىَ عينٌ قط مرتدياً عاراً ولا كان من شنعاء ملبوسى
بُخِستُ دون الورى ظلماً وما نظرتْ عيناىَ ذا مأثُراتٍ غيرَ مبخوسِ [1]
وقد قبستُ جميلاً دونهم بيدى وأىُّ خيرٍ لفضلٍ غير مقبوسٍ ؟ [2]
كن مالكاً قِمَ السادات كلَّهمُ أوْ لا فكن مفرداً فى قِمّة القُوسِ [3]
إنْ كان بيتك خِلْواً لا جميلَ به فإنْ بيتىَ منه غيرُ مكنوسِ
وإن تكن فى مَلامِ القوم منغمساً فإننى فى ملامٍ غيرُ مغموسِ
وإنْ توقّفتَ عن مَغْنَى العُلا فعلى وادى الفضيلة توقيفى وتحبيسى [4]
وما دَنِستُ بعارٍ فى الرّجال وما لَمْسُ الكواكب إلّا دون تدنيسى
لا تُسكننّى وكَيْسى أنتَ تعرفهُ إلّا جوارَ المناجيب الأكايسِ [5]
كأنّ أوجههمْ من نورها غَصَبَتْ ضوءَ الصّباح وأنوارَ المقابيسِ [6]
ولا تُعجْ بِى على وادى الخمول ولا شِعْبِ اللّئامِ وأجزاعِ الضّغابيسِ [7]
فليس منك جميلاً أنْ تجاورَ بى مع الطّهارة أبياتَ « الأراجيسِ » [8]
لولاى لم يهتدِ الأقوام كلُّهمُ سُبْلَ الكلامِ ولا طُرْقَ المقاييسِ
درستهُ فهْو مِلْءُ العين تُبصره غضُّ النّواحى جديداً غيرَ مدروسِ
وبثُّ أُوضحُهُ حتّى جعلتُ بما كشفتُ ما كان مظنوناً « كمحسوسِ » [9]

---

(١) بخست : ظلمت ، والمبخوس : المظلوم والمنقوص حقه .
(٢) قبس الشىء : أخذ معظمه .
(٣) القوس : جمع الأقوس وهو المرتفع من الرمل .
(٤) المغنى : المنزل ، والتحبيس : الوقوف .
(٥) الكيس : العقل ، والأكايس : جمع الأكيس وهو العاقل .
(٦) المقابيس : المصابيح .
(٧) الأجزاع : جمع الجزع وهو منعطف الوادى ومحلة القوم والمشرف من الأرض ، والضغابيس: جمع الضغبوس وهو الرجل الضعيف .
(٨) الأراجيس : جمع الأرجاس وهم الأنجاس ، وفى الأصل « الأراميس » وهو تصحيف .
(٩) فى الأصل « بمحبوس» بدل « كمحسوس » ، وهو تحريف .

فما مشوا فيـــه إلّا تبَعًا أثرى ولا جنوا غيرَ أشجارى ومغروسى
وكان من قبل أن محّضتُ صفوتهُ مردّداً بين تلبيس وتدليسِ
و بائراً لا يزال الدّهرَ « حلْيتهُ » «وعاثرِ الحظّ» لولا فَرْطُ تحبيسى[1]

* * *

وقال فى غرضه :

قلْ للأُلىٰ أطمعونى فى وصالِهِمُ حتّى طمعتُ فألقونى على الياسِ
وقد غُررتُ بهمْ دهراً بلا سببٍ وأغبنُ النّاسِ مَن يغـترّ بالنّاسِ
همْ عوّضونِيَ هجراً من مواصلةٍ وأبدلونِيَ إيحاشاً بإينـــاسِ
ولو علمتُ بمـــا لى فى صدورهمُ قطعتُ منهمْ قُبَيلَ اليوم أمراسى[2]
فـــا قرعتُ لهمْ باباً لأدخلَهُ ولا رفعتُ إليهمْ مرّةً راسى
لـكنْ جنيتُ على نفسى بذاك وكم تجنى اليدان على العينين والرّاس

* * *

وقال يرثى أحد أحبته [واسمه محمد ويكنى أبا الحسين] :

أأبا الحسينِ كُفيتَ ما بعد الرّدٰى فلقد قضيتَ ردًى برغم معاطِسِ[3]
ما دار فى فـكرى فراقُك هكذا دون الأنام ولا جرىٰ فى هاجسى[4]

---

(١) « حليته » كذا فى الأصل ولعلها محرفة عن « يخمله » لـكى يستقيم البيت ويتوضح المعنى ، وفى موضع « عاثر الحظ » « غاثر الخطر » تصحيف وتحريف ، ولعل « تحبيسى » مصحفة عن « تحسيسى » . فيكون البيت هكذا :

و بائراً لا يزال الدّهرُ يُخمِلُهُ وعاثرَ الحظّ لولا فرْطُ تحسيسى

(٢) الأمراس : الحبال وهو جمع الجمع أمرس والمفرد مرسة .

(٣) المعاطس : الأنوف .

(٤) الهاجس : الخاطر .

وذخرتُ منك مودّةً فسلبتَها | والدّهرُ مشغولٌ بسلبِ نفائسي
ما كنتَ من جنسي ولا من أسرتي | ولأنتَ بالودّ الصّحيح مجانسي
صانعتُ فيك معاشراً وكتمتهم | وجْدِي عليك وصَبْوَتِي ووساوسي
وحبستُ دمعي أنْ يسيلَ تجمُّلاً | لو كان دمعٌ لا يسيلُ «لحابسِ»[1]
ولقد لبستَ من الزّمان جلالَه | وجلستَ منــه في أعزّ مجالس
وحكمتَ في الملكِ الذي ما حكّموا | فيــه سوى ماضي العزيمةِ سائسِ
ورأيت دونك كلَّ ذي «خيريةٍ» | سامي البَنِيَّةِ في عُلًا متشاوسِ[2]
وفرجتَ بالآراءِ ضِيقَ شديدةٍ | ومحوت بالأضواءِ ضيقَ حنادسِ[3]
وضربت بالأسيافِ كلَّ مسايفٍ | ودعستَ بالأرماحِ كلَّ مُداعِسِ[4]
ووردتَ ذا لَجَبٍ يضيق به الفلا | ملآنَ من جُنَنٍ له وقوانسِ[5]
وأريتَ أنّ فوارساً في طيّهِ | بالطّعن في اللّبات غيرُ فوارسِ[6]
وإذا أناسٌ نافسوك وقدّروا | أن يلحقوك فضحتَ كلَّ منافسِ
أو ناضلوك فضلْتَهمْ بصوائبٍ | أو زاحموك زحمتَهمْ بقَدامِسِ[7]
وركبتَ كلّ مطاوعٍ متعطّفٍ | لمّا أبتْهُوا بروافسٍ وشوامسِ[8]
وإذا اختبرتَ في الزّمان أكابسٌ | حازوا الكمالَ وفيه غيرُ أكابسِ[9]

---

(١) في الأصل «بحابس».

(٢) المتشاوس: المتكبر ولعل خيرية مصحفة عن «جرية».

(٣) الحنادس: الظلمات مفردها: حندس (بكسر الحاء والدال).

(٤) دعست: طعنت، والمداعس: المطاعن.

(٥) الجنن: جمع الجنة وهو كل ما وقى من سلاح، والقوانس: جمع القونس وهو بيضة الحديد.

(٦) اللبات: جمع اللبة وهي النحر.

(٧) القدامس: جمع القدموس وهو القديم والعظيم.

(٨) المتعطف: المنقاد، والشوامس: جمع الشامس وهو من الخيل لصعب القياد الممتنع على راكبه.

(٩) الأكابس: العقلاء.

فى كلِّ يومٍ لِى حميمُ مودّةٍ   أعطيه من « فَقْدٍ » يمينَ الرّامِس (١)
وأصونُهُ بالتُّرب والتّرب الذى   فيه أكفُّ دوارسٍ وكوامسِ (٢)
وأودُّ أنّى بعـــد ذاك لقيتُهُ   لو يلتقى حىٌّ بميْتٍ دارس
وإذا رجعتُ رجعتُ صِفراً « يائساً »   عن مُقفرٍ من كلِّ شىءٍ يابسِ (٣)
وهو الزّمانُ فعــــبرةٌ لمُفكِّرٍ   أطوارُهُ أو ضُحكةٌ للعابِس
أيردُّ ما أعطــــاك غيرَ مُلبِّثٍ   من بعد أن أعطاك غيرَ مماكِسٍ؟ (٤)
وإذا نجونا من خطوبٍ مُدْمَــــةٍ   ـ عرضت لنا ـ تأتى نيوبُ نواهسِ (٥)
أين الأُلى حلّوا السّماء وعارضوا   زُهْرَ النُّجومِ مقابساً بمقابسِ (٦)
فاستفرشوا الكرمَ المُبِرَّ على الورى   عفواً مكانَ نمارقٍ وطَنافِسِ (٧)
وسرى لهمْ ذكرٌ ذكىٌّ عَرْفُهُ   شرقاً وغرباً فى ظهور عرامسِ (٨)
وكأنّ أوجههمْ بحسنٍ صُقلَتْ   قُضُبُ الوغى مصقولةٌ بمداوس (٩)
من كلِّ ممتعضِ الحَيّـــةِ آنفٍ   ذى مارنٍ فى الذُّلِّ ليس بعاطسِ (١٠)

---

(١) فى الأصل « مفة » بدل « فقد » أى بفقدى إياه ، والمقة : « بوزن الثقة » المحبة ، وما وضعناه أوثق.

(٢) الكوامس : جمع الأكمس وهو العابس ومن لا يكاد يبصر كالمغمض ، وفى البيت غموض .

(٣) فى الأصل « يابسا » مصحفة عن « يائسا » .

(٤) الملبث : المتريث ، والمماكس : كالمماطل وطالب المكس فى السلعة أى النقص .

(٥) النيوب جمع الناب ، والنواهس : كالنواهش جمع الناهس وهو العاض للشىء بطرف أسنانه وجملة ـ عرضت لنا ـ صفة للخطوب .

(٦) المقابس : المصابيح .

(٧) النمارق : الوسائد مفردها نمرقة ، والطنافس : جمع الطنفسة وهى البساط .

(٨) ذكى عرفه : ساطعة رائحته .

(٩) المداوس : جمع المدوس وهى خشبة يشد عليها مسن يدوس الصيقل السيف ليجلوه .

(١٠) المارن : الأنف .

أخنَى الزّمانُ عليهمُ وسقاهُمُ ... كأسَ الحِمامِ فما ترى من نابِسِ (١)
فكأنّهمْ عَصْفٌ تحكّمُ غُدْوَةً ... وعشيّةً فيه هبوبُ روامِسِ (٢)
كانتْ ديارُهُمُ نهاراً مُشرقاً ... فالآن عُدْنَ كجُنحِ ليلٍ دامِسِ (٣)
وبرغمهمْ من بعد أن سكنوا الذُّرا ... سكنوا بطونَ صفاصفٍ وبسابِسِ (٤)
لا زال قبرُكَ يا محمّدُ مُفهَقاً ... من كلّ منهمِرِ السّحائبِ راجِسِ (٥)
صَخِبِ الرّعودِ كأنّما أجراسُهُ ... صُبحاً وإمساءً زئيرُ عنابِسِ (٦)
وإذا القبورُ دُرِسْنَ يوماً فليكنْ ... قبرٌ به وسِّدْتَ ليسَ بدارسِ

* * *

وقال فى الشيب :

قد كان لِي غَلَسٌ لا فجرَ يمزِجُهُ ... فالآن فجرى بلا شىء من الغَلَسِ (٧)
قالوا : تَسَلَّ فشيباتُ الفتى قَبَسٌ ... فقلت : ذاك ، ولكنْ شرُّ ما قبسِ (٨)
وزارنِى لم أُرِدْ منه زيارتَهُ ... شيبٌ ولم يُغنِ أعوانى ولا حرسى
يضىء بعد سوادٍ فى مطالعِهِ ... لفاغرٍ من ردَى الأيّامِ مفترسِ (٩)

---

(١) أخنى الزمان عليهم : أتى عليهم فأهلكهم ، والنابس : المتكلم .
(٢) العصف : الزرع الذى أكل حبه وبقى تبنه وورق الشجر الساقط، والروامس: الرياح الدوافن.
(٣) الدامس : المظلم .
(٤) الصفاصف : جمع الصفصف وهو المستوى من الأرض ، والبسابس : جمع البسبس وهو القفر.
(٥) مفهقاً : ممتلئاً ، والراجس من السحاب : الشديد الصوت .
(٦) الأجراس : جمع الجرس . وهو الصوت ، والعنابس : جمع العنبس وهو الأسد .
(٧) الغلس : (بالتحريك) : الظلمة .
(٨) القبس : الشعلة .
(٩) الفاغر : الفاتح فاه .

فهرس

أغراض ومضامين القصائد والمقطوعات

القسم الأول

« في الحماسة والفخر »

« في الرثاء والتعزية »

« في الزهد »

« في الشكوى والتوجع »

« في الشيب »

« في الطيف »

« في العتاب »

« في والاعتذار »

« في العز »

فهرس

الأشخاص الوارد ذكرهم في الديوان

القسم الأول

« حرف الألف »

« حرف الباء »

« حرف الذال »

« حرف الراء »

« حرف الزاء »

« حرف السين »

« حرف الشين »

« حرف الطاء »

« حرف العين »

« حرف النون »

« حرف الهاء »

«حرف الياء »